

التَّجَاة

لَمَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاجْتَنَبَ الرَّدَى فِي إِثْبَاتِ الْعَدْلِ
وَالرَّدِّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْبَغْدَادِيِّ الْمَجْبُرِ
لِلْإِمَامِ
الْناصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ
ت ٣٢٥ هـ

تحقيق
أ/ إمام حنفى سيد عبد الله



الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طنمت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٤٥٦ لسنة ٢٠٠٠
الرقم الدولي : 0-82-5727-977

الوقت

إهداء

إلى ابني أحمد

وابنتي آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

تعرفت على تراثنا الفكرى منذ زمن بعيد، وتحديدأ مع بداية تفتح مداركى فى الصبا، فاهتممت بمعرفة التراث، واتجهت إلى الاطلاع على كنوزه الزاخرة فى كل مكان، مطبوعة أو مخطوطة على السواء .

ومع اطلاعى على أمهات الكتب فى التراث، كنت استشعر قلقاً من قلة الاهتمام بجانب على درجة كبيرة من الأهمية، وهوالتراث العلمى والفكرى، والذي خرج منه إلى النور قدر لا بأس به من الأعمال، إلا أن الكثير ينتظر دوره فى الخروج ونفض غبار الزمن عنه .

وكلنا مسئولون عن بعث تراثنا ودراسته وتحقيقه، ليس لأنه جزء من تاريخ أمتنا الفكرى والحضارى فحسب، ولكن ركيزة لنهضة الأمة فى حاضرها، وربما كان هو الذى نحوز به قصب السبق فى المستقبل .

وجدت فى كل المراكز العلمية التى زرتها طلبة ومستشرقين، يعكفون على التراث الإسلامى والعربى، يحصلون به على درجات علمية، أو مكلفين من جهات علمية فى دول غربية عديدة، لإخراج هذالتراث وبعثه، وكما أدهشنى طالب يدرس تراث الفارابى الموسيقى من جامعة كاليفورنيا بأمريكا، أدهشتنى طالبة دكتوراة (جامعة روما) تدرس رسالة للسهروردي المقتول فى التصوف الفلسفى، وآخر يدرس المحبة عند ابن تيمية .

وعلمت من العديد من الدارسين الغربيين ولعهم بتراثنا، وأن أغلب الجامعات فتحت أقساماً للدراسات العربية والإسلامية، يغلب على أكثرها هذا الطابع .

وساءنى تجاهل الكثير من الدارسين العرب، وكذلك أساتذة الجامعات، للتراث والنظر إليه بعين الارتخا، وربما ذلك لعدم الفهم العميق له، أو للمشقة البالغة التى تقع على العاملين فى مجاله، مع قلة العائد المادى !

ومن الأشياء التي استوقفتني طالب يحقق في أحد الأقسام العلمية رسالة عن الموت وحياة القبور! .. وكأن التراث انتهى إلى هذا الحد، ولا غبار على أحد في تناول ما شاء، إلا أن هناك ما هو أولى، وكما أن للرخيص سوقاً رائجة، فالنفيس له سوقه أيضاً، وإن كان الباحثون ينظرون بعين الناشرين فحسب لعدة أسباب، فلا يجب أن ننساق وراء رغباتهم، حتى لا نرى في أرفف المكتبات عشرات الكتب عن التذكرة وأحوال ما بعد الموت! .. ولا نجد إلا النذر اليسير من التراث الفكري الأصيل تائه في وسط هذا الكم الرخيص.

إننا لم نمت بعد، ولا ينبغي تعريف الناس امتنا الفكرى والحضارى من الدخول من هذا الباب. ولست بطبيعة الحال أحاول التقليل من أهمية عقيدة البعث والنشور أو ما كتب عنها أو ينشر، ولكن أشير إلى حقيقة واقعة في حياتنا الثقافية نعيشها.

أريد أن أقول إن تراثنا، وإلى عهد قريب، كان يتعرض للتبديد والسرقة والنهب، والآن يتعرض للتشوية وسوء القصد، والفهم! .. مع وجود بعض الموظفين القائمين عليه يتعاملون معه كسجين يجب حبسه أو أثر يحد دفنه وحجبه عن العيون، خوف التلف من جراء عوامل التعرية الجوية وتغيرات المناخ!

نريد تراثاً ولكن، هذا هو المقصد، نريد تراثاً فكرياً ينهض بالامة ويعمل على بعثها في أخرج فترات المواجهة والصدام مع الآخر، الذى لا يؤمن بوجودها ويعمل على استأصالها.

وبهذا الفهم تمرث على التراث وأحببته، عندما علمت بأن به ما يجعل امتنا الآن تنهض من عثرتها، وقد وجدت سوقاً فكرياً وفلسفياً شاغراً فى الشرق والغرب على انساء! يقتات فتات عقول عقيمة، وفى أيدينا نهر من الفكر الفلسفى الحر، مازال يجرى ويجود بوافر العطاء، ولا يبخل على شاربيه.

إلى متى سأظل موضوعاً للمعرفة، أنا وأمتى وتاريخى وثقافتى وحضارتى؟

إلى متى سأظل فى خندق متخذاً موقع المدافع عن نفسه، الذى يخشى مغالطات الآخر ويتوقعها؟!

لو تعقلنا تراثنا وأحسننا الانتقاء والدرس، ولوتبعنا أسلافنا، لربما أدركنا ما فاتنا

من ذلك، فأجدادنا كانوا عباقرة نجباء فى التأصيل والتنظير، ووضع القواعد والاسس للفهم والمعرفة والنظر والاستدلال والاستنباط... إلخ.

هضموا كل حضارات الماضى فى مساحة صغيرة من الزمن، وافترضوا مساحات الوجود بعد ذلك، فلم يطق أحد أن يناقضهم.

المقصد، هذا كتاب من قبيل ما وصفت، وهناك المئات التى تحتاج الدرس والتحقيق، يبحث فى أدق قضايا الفكر الفلسفى الحر، الذى يتناول الله والكون والإنسان، ويتعرض لقضية الإنسان وعلاقته بالله والوجود.

فهل الإنسان مسير أم مخير، وما حدود العدل الإلهى، وما مساحة الفعل الإنسانى، وهل يقيد الإنسان شيئاً أم أنه حر التصرف، حر الفعل؛ مسئول مسئولية كاملة عن فعله؟

هل خلق الله البشر ليظلمهم أو يضلّلهم أو يعذبهم؟ لماذا خلقهم، ولم كتب عليهم الموت، ثم البعث؟... وما الآثار المترتبة على العمل؟

كل ذلك وغيره، هو حصيلة هذا الكتاب القيم الذى يرد فيه الإمام أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ على الفكر الجبرى العقيم، متمثلاً فى شخصية عبدالله بن يزيد البغدادى، والذى يمثل الطرف الآخر للقضية، وكنت قد أعددت دراسة أضعها فى مقدمة هذا الكتاب تحت عنوان: «نقد المسلمين للفكر الجبرى»، ولكن وجدت أن عدد أوزقها ستزيد الكتاب ضخامة على حجمه، ورأى الناشر إصدار الدراسة مستقلة، فكان ما قدره الله.

إذا كنا فى هذه الأيام نتناول قضايا التعددية والكوكبية والآخر والعولة، والصدام العالمى أم التنافس العالمى، ونفى الآخر أم التعاون معه... إلى غير ذلك من قضايا، ولدينا رصيد هائل من الفكر العميق الذى تناولها فلم لا نستفيد منه؟!.. هل نريد أن يسبقنا غيرنا لانتهاك روافده، والارتواء من ينابيعه قبلنا؟!.. هل اعتدنا استيراد تراثنا وفكرنا وبضاعتنا فى ثوب يخلعه عليه الغرب؟!.. هل أدمنا السقوط لهذا الحد؟!.

علينا ياسادة التناصح بالحق والبعد عن عقلانية الجهلاء، الذين لا يفرقون بين

التحذير والوعظ، أو بين النذير والبشرى، فسندخل عهداً جديداً ونحن تحت الصفر
بمسافات بعيدة، نخدعنا التمعنات السراب، والوعود الكاذبة!

وسمى الإمام أحمد كتابه: «النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى، فى إثبات العدل
والرد على عبد الله بن يزيد البغدادي المجبر».

والكتاب يناقش قضايا العدل والحرية ومنهج الإسلام فى الفهم والطرح والحوار
والاستدلال.. فما هو العدل الإلهى وما قيمة الحرية الإنسانية فى التكليف.. وهل
خلق الله أفعالنا أم لا؟ وما الآثار المترتبة على هذه المقالة؟ ثم كيف نفهم العقيدة وما
الأسس التى ينبغى التأصيل لها من أجل ذلك.. ثم ما الاستطاعة؟.. وما مفهوم الخلق
والقضاء والقدر والجعل والاسم والمسمى.. وغير ذلك من قضايا تهتم المسلمين فى
دينهم وحياتهم.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الرسالة ونفاستها. إذ إنها حفظت لنا كثيراً من الدلالات
التي فهمها المسلمون من النص القرآنى مصحوبة بشواهد من الحديث والشعر العربى.

هذا، وأسأل الله العلى القدير
أن أكون قد بلغت بعض ما أصبو
وأرجو، وهو المستعان

إمام عبد الله

فى وصف المخطوط

المخطوط نسخة مصورة عن الأصل الموجود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم ١٤١ علم الكلام، وبعنوان: «النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى فى إثبات العدل والرد على عبدالله بن يزيد البغدادى المجير».

وجاء فى بياناتها: «نسخة بقلم نسخى جيد، سنة ٥٤٨هـ، وعلى حواشيتها بعض الشروح.

عدد الأجزاء = جزآن فى مجلد ١٣٣ ورقة.

مسطرتها = ٢٢ سطراً.

المقاس = ٢٠ × ٢٧ سم.

التعريف بالإمام الناصر ومؤلفاته:

هو أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى الناصر لدين الله: إمام زيدى يمانى من علمائهم وبسلاطهم (٢٧٥ - ٣٥٢هـ / ٨٨٧ - ٩٣٤) وعرف بترجمان الدين لغزارة علمه، قام بالإمامة، بعد اعتزال أخيه محمد المرتضى لها سنة ٣٠١هـ، فجهز جيشاً فى ثلاثين ألف، دخل به عدن، وقاتل القرامطة وظفر بهم، واستمر موفقاً إلى أن توفى بصعدة.

يقول عنه ابن الوزير: «كان من الأئمة السابقين، وعيونهم الاعتبارين وساداتهم المطهرين، كان عالماً فاضلاً ورعاً وزاهداً، جامعاً لشرائط الإمامة، كاملاً فى صفات الزعامة، سالكاً منهج آبائه الأئمة الأطهار، فى أحواله الخاصة والعامة، كما قال الفقيه حميد، رضى عنه، فى وصفه: «نشأ على علمهم الصافى الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير».

أما تصانيفه العلمية فقد أشارت إليها كتب الطبقات، بما فيها كتابنا الذى نحققه، فقالوا: له، عليه السلام؛ التصانيف الرائعة الشافية، والكتب البالغة الوافية، فى الأصول والفروع، والمعقول والمسموع منها:

- ١ - كتاب النجاة فى الرد على الجبرية القدرية؛ وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير، وهو الذى نقوم بتحقيقه.
- ٢ - وله كتاب الدامغ.
- ٣ - وكتاب التوحيد.
- ٤ - وكتاب الفقه.
- ٥ - وكتاب التنبيه.
- ٦ - وكتاب مسائل الطبريين.
- ٧ - وكتاب الرد على الإباضية. (فرقة من الخوارج)، ونحققه مستقلاً عن هذا الكتاب.

وله فى علوم القرآن ما شهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من مصنفاته المشهورة، ومن كتبه المعروفة المذكورة:

٨ - كتاب المفرد فى الفقه؛ وهذا (الكتاب) ذكره الفقيه حميد، رحمه الله.

«وكان يصحب فى غزواته الحبر والقراطيس، ويؤلف وهو على ظهور الخيل، على ما فى كتبه من مسائل دقيقة»^(١).

منهجى فى التحقيق:

- ١ - قمت بنسخ النص وإعادة قراءته عدة مرات، وتأكدت من نسب الكتاب لصاحبه وتماحه وعدم نقصان شئ منه، وأن النسخ قد راجعوه على الأصل.
- ٢ - وضعت العناوين الداخلية، وفرت بين نص عبدالله بن يزيد، ونص الإمام أحمد وأشرت إلى ذلك.
- ٣ - خرجت الآيات والأحاديث، ونوّهت، كلما أمكن، بالأخطاء غير العادية، والتي لا تتكرر بصفة مستمرة، وراعت ضبط النص.

(١) انظر ترجمته فى ابن الوزير: هداية الراغبين مصور بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم ٢٧٥.

لوحة ١١٣ و ١١٣ ط حتى ١١٥ و، والمهلى: الحقائق الوردية، مصور بدار الكتب، ميكروفيلم ٢١٣٦ ج ٢ ورقة ١١١ - ١١٢، وعبدالله بن حمزة: الشافى ج ١ ورقة ميكروفيلم ٢٣٤

والزركلى: الاعلام ١/ ٢٦٨، وكحالة: معجم المؤلفين: بلوغ المرام ١ ص ٣٣. طبع بمصر ١٩٣٩، وأنحاف المسترشدين، ص ٤٥، والجندارى: تراجم الرجال ج ٦.

٤ - خرجت الأشعار، كلما أمكن وقدر الاستطاعة، وكذلك ترجمت للشخصيات التي جاءت في النص.

٥ - عرفت بالمصطلحات التي جاءت بالنص، كلما كان ذلك ضرورياً، وكذلك الفرق ووضعت الفهارس المختلفة.

هذا، والله ولي التوفيق،

القاهرة في ١٧/٥/٢٠٠٠م

إمام عبدالله

نماز مع المخطوط

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة في التوحيد والعدل

١ ظ / الحمد لله الذى لا يحويه قطر، ولا يفنيه دهرٌ ولا يجرى عليه عصرٌ، ولم يسبقه خلف ولا أمام، ولا يمين ولا شمال ولا وفوق ولا تحت، المحدثُ للأشياء من غير شئٍ مخترعاً، والموجد للبرايا كلها بغير كلفة مُبتدعاً، لا يطويه إضمار، ولا ترويه أفكار، وهو الواحد الجبار، والعزيز القهار.

والحمد لله الواحد ذى البرهان، والاول ذى السلطان، والكائن قبل الدهر والحدثان وقبل الأين والأوان، وقبل الجسم والزمان، وقبل الحرور والاكنان، وقبل الجن والإنسان وقبل الجماد والحيوان، وقبل السموات والأقطار، وقبل الليل والنهار، وقبل الظلم والأنوار، وقبل الأرض والبحار، وقبل الأنهار والأشجار، وقبل الهواء والقرار، وقبل الرياح والأمطار، وقبل الفلك الدوار، وقبل الشمس والقمر السارى، وقبل النجم الزهار، والفلك الجوارى.

مبتدع البرايا بلا ظهير قديم ولا معين عُلْم، ولا مثال انتظم، ولا تكليف تجشم، ولا حركة تؤلم ولا نصب يسئم^(١)، ولا فوق ضد يهجم، ولا منافى يقاوم ولا حاجة تلزم ولا تصرف بتنجم، ولا لامرٍ مُهم، ولا لانس من وحدةٍ، ولا تكثير من قلة، ولا ليعزُّ من ذلةٍ، ولا ليمتنع من وحشةٍ، ولا لخوف من نازلةٍ، ولا لفاقة إلى فائدةٍ إلا إظهاراً للقدرة، ودلالةً على الوحدانية، وإبانةً للقوة القوية، والعزة الجبرية، والمجد الربوبية، والقدرة الأزلية، والحكمة والالهيية^(٢)، تدبير الحكيم الذى لاعبث فى حكمته الذى أحسن فى تقديرها، وأتقن فى تدبيرها، وافتن فى تصويرها، وجعلها دلائل تدلُّ عليه وتهدى من أناب من خلقه إليه، وإذ لا تراه عيون الناظرين، ولا تبلغه أوهام المتوهمين، ولا تمثله أفكار المتفكرين، ولا تحده ظنون الظانين، ولا يدركه

(١) وردت فى الأصل : يسأم.

(٢) وردت فى الأصل : واللاهية.

فحصُ الفاحصين، ولا تبهتهُ بلاغةُ المتكلمين، ولا أعراق المتحيرين، وحسرت عنه الأبصار، وكلت عن ذاته ^(١) الأفكار، وصغرت عن الإحاطة به الأقطار، إذ لا سبيل إلى أمر يستدل به على ذاته، ^(٢) عز شأنه وتقدست أسماؤه، إلا بأثار صنعه، ومصابيح دلائله، وغير شواهدة، فصار ذلك، في نظر العيان، وأيقن الإيقان، وأبين البيان، وأوضح البرهان.

العدل على الحقيقة، الذي لم يقض بالفساد على أحد من الخليفة، ولم يملهم ٢ و / عن واضح الطريقة، ولم يظلم منهم ملكاً ولا سوقة، بل أرشدهم وهداهم وبالنعمة ابتداهم، والذي لم يصددهم ^(٣) عن رشددهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم، ولم يمنعهم عن هدايتهم، ولم يكلفهم غير طاقتهم، ولم يكن علمه بذنوبهم بمانع لهم عن التوبة والإقلاع عن الخطيئة، فهو البرئ من ذنوبهم، والناهي لهم عن ظلمهم، والداعى إلى صلاحهم والمبتدئ بالفضل والإحسان إليهم، والمرسل لرسله، عليهم السلام، والمنزل لكتبه ذات الأحكام: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ ^(٤).

فأمر، تبارك وتعالى، تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً، ولم يُعص مغلوباً؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٥).

فجاءت الرسل، صلوات الله عليهم، بالإعذار والإنذار، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار، إذ لم يقدر الحكيم الخبير ذنوبهم، ولم يصدد منيبتهم، ولم يدخلهم في معصيته ولم يخرجهم من طاعته، ولم يخلق من أفعالهم فعلاً حسناً ولا قبيحاً، ولم يحل بينهم وبين الهدى، ولم يحملهم على كفر ولا ردى، عز عن ذلك العلى الأعلى.

والعدل الحكيم، والكاره للخطايا، والمجازى بالحسنى، والمعاقب على الأسواء،

(١) كلمة مطموسة بالأصل.

(٢) وربما تكون: جل ثناؤه.

(٣) في الأصل: يصددهم.

(٤) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٥) سورة الانفال: آية ٤٢.

والصادقُ وغدُهُ ، والمنجزُ لو عيَّده . الذى لا يبطلُ كتبه ، ولا يكذبُ رسله ، ولا يستحيلُ أمره ، ولا يُخلفُ قوله ، ولا يتناقضُ كتابُهُ ، ولا تغيُّرُ حقائقه ولا يُبدلُ حُكمه ، وهو القوى العزيز .

وصى الله على الاعظم قدراً ، والاجل خطراً ، والارفع ذكراً ، والاحمد اثراً ، والابين فضلاً ، والاشرف أصلاً ، والأوضح عدلاً ، والاصدق قولاً ، والأوسع كرمًا ، والانزه نفساً ، والانصح للامة نُصحاً ، والطيب ذريةً ، والاعلى ذروةً ، والابرع حلماً ، والافر زماماً الرسول المصطفى ، والنجيب المرتضى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله عليه ، وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين الاخيار .

الامين على الوحي ، والمبلغ للندارة ، والمرشد للبرية ، والذى لم يدعُ احداً من الخليقة ، ولا غيره من المرسلين ، عليهم السلام ، إلى جبر ولا تشبيه ، ولا إلحاد ولا تلبيس ، ولا خروج عن العدل ، ولا ميل عن الحق ، والذى نزلَ عليه الكتابُ المبين بالحق اليقين ، الذى ليس فيه ما يتعلق على الله ، جل ثناؤه ، فى ظلم ، ولا يخرج من عادل حكم ، ولا يشهد لمجبر ولا يُشككُ مستبصراً ، بل العدل فى كله شاهدٌ لمفترضه ، ومبرئٌ لمنزله عن ظلم عباده ، وحليمهم على المعاصي ، بعد نهيه لهم عنها ، وتحريمها ٢ ظ / عليهم ، والإهابة بهم / إلى ضدها ، والإخراج لهم من ظلمها إلى نجاتها ورُشدّها ، لم يدخل احداً من خلقه فى ضلالة ، ولم يكلفهم من أمره فوق الطاقة ، ولم يحل بينهم وبين الطاعة ، ولم ينكب بهم عن طريق الصواب ، ولم يُعمهم عن ولوج صالح الابواب ، بل ابتداهم بالرفة والرحمة ، ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة ، فارسل إليهم رسله ، وانزل عليهم الكتب ، لئلا يكون للخليقة عليه ، تبارك وتعالى ، حجة بعد ذلك ^(١) ، يدعى فيها مُدّع ، انه أتى فى دينه من قبل ربه ، فى تشدير قدره عليه ، أو قضاء الزمه إياه ، أو حتم ^(٢) قصد به ، أو صد عن هداية ، أو خلق لفعله ، أو جبر جبره فيه على ما نهاه عنه ، وخوفه من إتيانه .

يأبى ^(٣) ذلك على المجبرين المفترين قول العزيز الرحيم والعدل الحكيم :

(١) جاء بعدها فى الأصل : « حجة » وهو خطأ .

(٢) جاء فى الأصل : « وأوْضَم » وهو خطأ .

(٣) يأبى : يرفض وينكر .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) ﴿ (١) .

فاستمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحكمة البالغة، والحجة القاطعة لعذر كل مجبر، افتري على ربه والزمه ذنبه، كيف قال: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) ﴿ (١) ١٩٠ . فلو كان الغرور من قبل ربه، عزَّ وتعالى، لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يقول:

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ﴾ (١) ، وهو الذي غرَّه وضربه، وقدر عليه شره، ثم قال:

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴾ (٩) ﴿ (١) فلو كان تكذيبهم من قبله، عز وجل، لم يعب عليهم فعله، ولم يعنفهم على تقديره، فخرج من الحكمة، ويصير إلى صفة الجائرين .

ثم قال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (١٤) ﴿ (١) فلو كان هو ، عز وجل، الذي قدر عمل الفريقين، وفعل فعل الطائفتين، ونزل الجميع المنزلتين، ابتداءً منه، غير استحقاق لثواب، ولا اخذاً بجرم اكتسبه يوجب العقاب، لم يكن لإرساله لرسله، ولا لإنزاله لكتبه، إلى أهل الدارين معنى .

ولم يكن في ذلك حكمة بعد تنزيله لهم في منزلتهم، وتقديره ذنوبهم عليهم، وجعله بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً ، ثم كلّفهم الخروج مما قدر والدخول فيما لم يُرد، بعد إبرام المشيئتين، وسابق القضيتين - حاش للعلی العظيم والعدل البر ٣ و / الحكيم الرؤف عباده الرحيم / والجواد بطوله الكريم، والقدوس في وحدانيته القديم، مما قال المفترون، ونسب إليه المبطلون - لو كان ذلك لسقطت الحكمة عمن يُسمى بالحكمة، ونفى عن نفسه الظلم وأمر بالعدل، وحض على الرحمة والجود والكرم، ودعا إلى الحسن، وحذّر من القبيح، وعاب الفساد، وعاقب على الجور .

فهل يدخل فيما عاب، أو يفعل ماكره، أو يقضى ما عنه نهى، ويحول دون ما إليه

(١) سورة الانفطار: الآيات من ٦ - ١٦ .

(٢) سورة الانفطار : الآيات ١٣ - ١٤ .

دعا، أو يصد عما به ابتداء؟! عز عن ذلك رب العالمين، وعظم عما قال المجبرون وأسندة إليه المعتدون : ﴿الله﴾^(١) لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ ﴿٢﴾ .

سبب تأليف الكتاب،

وصل كتابك يا أبا محمد، أعني ولينا عبدالله بن عمر^(٣) أتم الله نعمه كاملة عليك، وأرشدك لطاعته، ونجّاك من سخطه، تذكّر، أرشدك الله، أنه ألقى إليك كتاب من بعض أهل الجبر والفرية على الله تبارك وتعالى، وهو كتاب عبدالله بن يزيد البغدادي الذي وضعه لأهل رأيه^(٤) بما سطر لهم، وموه^(٥) عليهم، واحتج على أهل العدل المؤمنين، بزخرف^(٦) من القول لا يجوز على غير المسلمين، وسماهم قدرية^(٧) ومفترين على الله، جل ثناؤه، وأعلم أصحابه - في كتابه - أن الحق معه، وفي يده دون غيره، وليس، هو ولا أصحابه، بأول من أعجبت نفسه وظن أنه على خير^(٨)، ثم ذمه الله، جل ثناؤه، وأبطل قوله وفعله، قال الله، عز وجل، يصفه، ومن كان مثله من أشكاله : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (١٠٥) ﴿٩﴾ .

وقال : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) ﴿١٠﴾ ، وقد قال المشركون تعجباً من النبي، صلى الله عليه، وعلى آل بيته الأخيار وسلم : - ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٥) وأنطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) ﴿١١﴾ .

(١) سقطت من الأصل

(٢) سورة النمل : آية ٢٦ .

(٣) لم أعثر له على ترجمته في كتب التراجم والطبقات، ويبدو من كلام المؤلف عنه أنه أحد فضاة الزهيدة وعلمائها .

(٤) في الأصل : أمة

(٥) كذب وحده، والبس الحق بالباطل، وليس لعبدالله بن يزيد البغدادي ترجمة في كتب الاعلام، ولا لكتابه أثر في فهارس الكتب القديمة مما يبين مدى أهمية هذا الكتاب الذي بين أيدينا، حيث جمع بين كتاب للمجبرة الأوائل، ومنهم هذا العالم - عبدالله بن يزيد - والذي يبدو أنه كان يعيش في بغداد، فنسب إليها، والرد عليه لمؤلف هذا الكتاب .

(٦) زين لهم الكذب وحسنه .

(٧) هذا لف يتبادل الاتهام به أهل العدل والتوحيد من المعتزلة والمجبرة، حيث يطلق كل منهما على صاحبه أنه قدرى .

(٨) في الأصل شر .

(٩) سورة الكهف : الآيات من ١٠٣ - ١٠٥ .

(١٠) سورة المجادلة : الآية ١٨

(١١) سورة من : الآيات من ٥ - ٧ .

ملاحظات المؤلف على كتاب المجبر:

وقد نظرتُ، أكرم الله عن النار وجهك، في كتاب المجبر، عبد الله بن يزيد، وأتيتُ على معرفة ما قال وما نسب إلى الله، جل ثناؤه، من الجور على عباده والطعن على ٣ ط / كتابه، وقد أجبتُه بما حضرني - على أن في كتابه، مع العيب الأول، غيوباً كثيرةً، وفساداً من اللغة، وسوء تأدية في اللفظ، وإلزام أعور غير محكم / وتكريراً في المسائل لا وجه له، فقد جمع كتابه كل عيب، فالله المستعان.

وقد تحملت ذلك، على ما قد علمت من علتي^(١)، واشتغال قلبي، واشتراك ذهني، في وقتي هذا، لئلا يظنوا أنا عجزنا عن جوابهم، أو قطعنا احتجاجهم، أو بهرنا تسيطرهم، أو كبر علينا الرد عليهم.

وبالله نستعين، وعليه نتوكل، وإليه نرغب في الثبات على طاعته، والنصرة لدينه، والقيام بحقه، والذب عن عدله وتوحيده، والمضادة لمن عَدَّ عنه، والحد صفته، وشبهه بخلقه، وجوره في حكمه، ومال بالحق إلى غير أهله، حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩) ﴿٢﴾.

(١) مرضى وسقمى.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٩.

المسألة الأولى فى العلم والإرادة

فكان أول ما قاله وأبتدأ به من السؤال، وافتراه من الضلال، أن قال: سَلَّ القدرية، أهل الفراء والكذب على الله، عز وجل.

• الرد عليه فى ادعائه أن أهل العدل هم القدرية،

فنحن نقول رادين عليه: على القدرية، وأهل الكذب والفراء على الله، لعنة الله، ولعنة اللاعنين^(١)، والملائكة والناس أجمعين.

ثم قال: اليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم؟

فإن قالوا: بلى. فسألهم: هل أراد الله أن يكون بينهم غير ما علم أنه كائن منهم؟
فإن قالوا: نعم. فقل: اليس قد أراد أن يكون غير ما علم، وكره أن يكون ما يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فاخبرونى عنى أراد وأحب أن يكون غير ما علم إله هو؟..
فإن قالوا: نعم. فقل: اليس إلهكم يحب ويريد أن يكون فى سلطانه ما لا يعلم، ولا يريد أن يكون ولا يحب أن يكون الذى يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فإنكم تصفون إلهكم أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم..! وسينقطع كلامهم، ها هنا، وينقطع الجواب فيه..، ويركبون فيه ما يدخلهم فى الشرك بالله العظيم؛ لأنه من زعم أن الله يجب أن يكون جاهلاً، فهو مشرك، وهو يُخرجهم - إن أجابوا فيه - إلى غير منتهى قصد^(٢) أهل القبلة.

وإن قالوا: لم يحب، ولم يرُ أن يكون غير ما يعلم، وإنما أراد وأحب أن يكون ما يعلم أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون المؤمن مؤمناً والكافر كافراً، كما علم. وهذا هو قولنا، وليس لهم من أحد الوجهين بدء، فليركبوا ما شاءوا منهما.

(١) فى الأصل: اللاعنون، ولعله قصد سبه، فقال: ولعنة اللاعنون.

(٢) هكذا جاءت فى الأصل: فرد.

• جواب الناصر على المسألة الأولى :

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، سألتَ فقلتَ :
أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه ، قبل أن يخلقهم ؟ ..

• علم الله غير المعلومات :

٤ و - فقولنا : إن الله ، تبارك وتعالى . هو الأول قبل / كل شئ من خلقه، ولم يزل
عالمًا بجميع الأشياء من قبل كونها أنها ستكون، وعلم الله، عز وجل، للأشياء هو غير
المعلومات؛ لأن العلم من صفات الذات، والمعلومات من صفات الفعل، وهو غير
العلم.

• علم الله بأفعال عباده لا يعنى خلقه لها :

والله ، عز وجل، العالم بنفسه لا بعلم هو غيره، وليس علمه لشئ غيره، والأشياء
كلها هي غير الله، عز وجل، فلما أحدث الأشياء التي أحدثها هو، مما تولى صنعه
ليس ما أحدث العباد، صار علمه محيطاً بما أحدث العباد باختيارهم مما كرهه ^(١) ،
ولم يرضه ولم يخلقه من فعلهم واكتسابهم، وقد علم، جل ثناؤه، قبل أن يحدث
الأشياء ما يكون قبل أن يكون، فلم يزد ذلك علماً لم يكن يعلمه، ولم ينقصه عن
علم شئ قد علمه، ولم يكلف الله، عز وجل، خلقه إبطال علمه المحيط بهم ولا الخروج
منه؛ لأنه ليس إلى ذلك سبيل، إلا أن يكون لهم سبيل إلى الخروج من بين السموات
والأرض، وهو كله محال لا يكون.

• علم الله محيط بخلقته :

فالعلم محيط بالخلق، كإحاطة السموات بالأرض ^(٢) ، والسموات والأرض لم
يشركن في أفعالهن ^(٣) من الخير والشر بقليل ولا كثير، لاذاً زنوا وسفكوا الدماء
وانتهكوا المحارم، وعبدوا الأصنام، وكفروا بالرحمن، وفعلوا الجور كله، وفعلوا الطاعة

(١) في الأصل : كرهه .

(٢) في الأصل : والأرض .

(٣) في الأصل : أفعالهم .

كلها ، ولا يجوز أن يكون للسموات والأرض في فعلهم فعل، ولا نشركهم بخردة فما فوقها .

• علم الله كاشف وليس فاعل •

وكذلك العلم محيط بهم، لا يشركهم في فعلهم، بقليل ولا كثير، ولا بمقياس خردة فما فوقه؛ لأن العلم لا يدخلهم في معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولا يحملهم على محبوب ولا مكروه، ولا حق ولا باطل .

• لا يكلف الله أحداً من خلقه الخروج من علمه •

وفى باب العلم، جاء غلطٌ من غلط من هذه الأمة، وهلاك من هلك، وإجبار من أجبر، وإلحاد من إلحد فى صفة الله، جل ثناؤه، من هذه الممبيرة الظلمة، فكفروا من حيث ظنوا أنهم آمنوا، وإنما كلفهم الله، عز وجل، الخروج من ذنوبهم، وافترض ذلك عليهم فرضاً لازماً جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وجرت به السنن، وسفكت الأنبياء، صلوات الله عليهم، عليه الدماء، «وضربوا عليه الأعناق»^(١) وقتلوا وشرّدوا، ولم يكلف الله، تبارك وتعالى، أحداً من جميع الخلق، الخروج من علمه، وليس ما افترض عليهم، من الخروج من ذنوبهم، هو الخروج من العلم .

• طلب منهم الخروج من المعاصى •

وإبطال المعاصى والخروج منها، ليس هو إبطال "لعلم الله، عز وجل، ولا بخارج منه، فقد احتجوا على الله، تبارك وتعالى، بالمحال، وأرادوا أن يدخلوا فى العلم ٤ ظ / دخولاً؛ ليثبت لهم القول بالجبر، وأبى الله، عز وجل، ذلك؛ لأن حجته الغالبة، وحقه القاهر / وكتابه الواضح .

فإن زعموا أن الخروج من الكفر، هو الخروج من العلم، لزمهم أن الله، عز وجل، قد افترض على العباد الخروج من علمه . . . وإن كرهوا هذا القول، وخافوا أن يقدموا عليه، لزمهم أن الله، جل ثناؤه، افترض على العباد الخروج من الكفر، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم، وهذا هو الحق، وفيه قطعهم، وهو قولنا .

(١) زيادة من الهامش

• هل أراد الله أن يكون في سلطانه غير ما يعلم :

وأما قولك : أخبرني عن اراد وأحب أن يكون في سلطانه غير ما يعلم، إله هو ١٩.. فإن قلنا ذلك، زعمت بأنه يريد أنه يكون جاهلاً لا يعلم، وأنا ننقطع - زعمت ها هنا.

• جواب الناصر،

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما:-

فإننا نقول لك : أليس من جهلك بالدين، وغلطك في العدل، أنك لم تعلم ما في القرآن ولا تلاوة الفرقان، إذ كان في سلطان الله، عز وجل، وفي خلقه من زعم أن له الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد، وهو عندنا نحن في قولنا : إنه لا يريد ذلك، ولا يحبه، ولا يقضيه، ولم يخلقه، ومن قولكم أنتم، أيها المجبرة، أنه أراد ذلك من المشركين وأحبه، وخلقه من فعلهم

فقد اكذبكم الله بقوله، عز وجل، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبَيِّنُ لِلَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ (١).

فالله، عز وجل، لا يعلم له شريكاً ولا ولداً ولا صاحبة ولا نداً، وقد جعلها له المشركون وسموها أشياء.

وزعمت، يا عبد الله بن يزيد البغدادي، أنت ومن قال بقولك، أن الله، عز وجل، خلق ذلك من فعلهم وقولهم وقضاه وأرادهم منهم، وأحبه منهم، وهذا قول الله، عز وجل، يشهد أنه لا يعلم ما قالوا، وأنه كاره لقولهم، وأنه لم يردده ولم يقضه، فإن قلت غير ذلك، لزمك أنه أراد منهم، وخلق فيهم فعلاً وقولاً لا يعلمه، فيوجب أن له إرادة لا يعلمها..

وقد قال في كتابه : ﴿قُلْ أَتُبَيِّنُ لِلَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ (١)، وكفى بهذه الحجة قاطعة وناقضة لقولك، وقال، عز

(١) سورة يونس: الآية ١٨

وجل: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ (٢) فنقول لك: أخبرنا عن قوله، عز وجل، «بغير علم» اتقر بما قال الله، سبحانه، أنهم قالوا هذا القول فيه «بغير علم»؟..

فإن قلت: نعم. سألناك عن ذلك العلم الذى عنى الله، عز وجل، أهو الأمر الذى خلق من فعل العباد وقضاه عليهم وأرادهم منهم؟..

فإن قلت: نعم. وجب عليك أن الله، عز وجل، قد أبطله، فإنه «غير علم»، ه و / وإن قلت: إنه علم رددت على الله، جل ثناؤه، قوله أنه «غير علم» / وأبطلت كتابه وكذبت به. فاختر أى ذلك شئت؟

ثم نقول لك: أحب الله من المشركين أن يقولوا: إن له ولداً أو صاحبةً وشركاء، وأنه ثالث ثلاثة؟..

فإن قلت: نعم، قد أحب الله ذلك، وأراد به. قلنا لك: فما هو، فساد أم صلاح؟..
فإن قلت: إنه صلاح. لزمك أن الفراء على الله، جل ثناؤه، وإضافة الصواحب والاولاد والشركاء إليه صلاح!.. ومن قال هذا فهو مشرك.

وإن قلت: إن ذلك فساد. فذلك هو الحق، ولزمك أن الله، جل ثناؤه، قال فى كتابه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)﴾ (١)؛ وزعمت، أنت وأصحابك، أنه يحب الفساد، وفى هذا قطع حجتك، وتكذيب قولك، وإبطال دعواك.

وإن قلت: إنه خلق ذلك من فعل المشركين، ولم يحبه ولم يرده ولم يرضه.
قلنا لك: كيف يجوز فى العقل ويثبت فى الحكمة، أو يخرج فى العدل أن يخلق الخالق، عز وجل، خلقاً لا يريد به ولا يرضاه ولا يحبه؟.. هذا ما لا يجوز، ولا تقبله العقول؛ لأن الفاعل لذلك عايب، والعبث عن الحكيم منقضى.

ثم نسألك، فنقول لك: أخبرنا عن فعل المشركين، والذى زعمت أنه خلق الله وإرادته، هل هو حسن أو قبيح؟

فإن قلت: إنه حسن. زعمت، وجب عليك أن الفراء على الله والكفر به حسن!..
وإن قلت: إنه قبيح. رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٥.

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٠.

فإن قال قائل منكم، أو من غيركم: فقد خلق الله المشركين وهؤلاء لا يحبهم...؟

قلنا له: إن بغضاء الله للمشركين لم يكن منه إليهم، إلا بعدما استحقوا ذلك منه، واستوجبوه لكفرهم. فأما قبل ذلك، وهم أطفال، فلا يجوز أن يبغضهم، بل يرحمهم ويجري نعمه عليهم، ويعطف عليهم الآباء والأمهات، وقد قال: سبحانه، لنبيه، صلى الله عليه وعلى الله وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ﴿١﴾.

ومن الحجة عليك أن نقول لك: هل أراد الله، عز وجل، من الخلق نفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما أمر بإنفاذ ما علم؟.. فإن قلت: إن الله - تبارك وتعالى - أراد من الخلق نفاذ ما علم بترك ما أمر. لزمك أن ترك الملائكة والرسل، وجميع من أرسلوا إليه من الأمم، وما أمر الله، عز وجل، به من جميع الطاعات كلها أصلح وأوفق، وأنه أراد أن لا يرجعوا عما علم أنهم يختارون، من عبادة الأصنام والشرك وجميع المعاصي...!

• أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

وإن قالو: أراد الله من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ما علم، رجعوا عن قولهم، وصاروا ه ط / إلى قولنا، وفُلتجت حجتهم، وذلك هو الحق، وهو قولنا / ؛ لأنَّ الله، عز وجل، أراد من خلقه إنفاذ أمره، الذي جاءت به رسله وكتبه، والدعاة إليه من أئمة الهدى، عليهم السلام، وأن يتركوا قبيح ما علم أنهم يختارونه، باهوائهم، ويقدرّون على تركه باستطاعتهم المركّبة فيهم، ويرجعوا إلى حسن ما علم أنهم قادرون على فعله، باستطاعتهم المركبة فيهم، الخيّرين فيها.

وقد قال، عز وجل، في محكم كتابه ما يصدق قولنا، ويشهد بحجتنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ﴿٢﴾، لعلمه أنهم يقدرّون على ترك الزنا، ثم قال، عز وجل، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٣) ﴿٣﴾، لعلمه أنهم يقدرّون على ذلك، ومعهم عليه الاستطاعة والقوة.

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٢

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٥

المسألة الثانية

هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً؟

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم : هل أراد الله وأحب أن يؤمن العباد جميعاً؟ .. فإن قالوا : نعم ، فقل : أفليس قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم ؛ لأنه قد علم أنهم لا يؤمنون جميعاً ، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم ؟ ..

فإن قالوا : نعم . فقل لهم : أرايتم الذي لا يعلم ما يكون ، إله هو؟ .. فإن قالوا : لا ، الذي لا يعلم ما يكون ، فليس هو بآله ؛ لأن الذي يجهل ما يكون ليس بعالم ، وهذه صفة الخلق . فقل لهم عند ذلك : صدقتم . أفليس يوجب أن من يكون في هذه الصفة فهو غير إله ؟ .. فإن قالوا : بلى . فقل لهم : اليس الله يريد ويحب أن يكون غير ما يعلم ، وقد أحب أن يكون غير ما يعلم ، وقد أحب أن يكون في صفة المخلوق ، وتكون أشياء لا يعلمها ، فقد أحب أن يكون شيء لا يعلمه أنه كائن ، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم ، وهذه صفة المخلوق ، وقد أحب ، تبارك وتعالى ، أن يكون بها ؛ لأنه قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم ؛ لأنكم زعمتم أنه قد أحب أن يؤمن من يعلم أنه لا يؤمن . فقد أراد أن يكون ما علم ، حتى يكون في صفة من تكون الأشياء لا يعلمها .. فإنهم لن يعيدوا لك هذا الكلام ، واعلم أنه من أشد ما يلزمهم ، إن أحسنت كلامهم فأحسن المسألة ، ولا تتركهم يجيبونك بغير ما سألتهم عنه ، ولا تنتقل عنها إلى غيرها ، فإن فيها ما يفضحهم ، ولا يجدون مخرجاً .

• جواب الناصر : لقد خلق خلقه كلهم للعبادة .

الجواب ، قال أحمد بن يحيى الناصر لدين الله ، صلوات الله عليهما : إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق خلقه كلهم للعبادة ، وأراد أن يطاع ولا يعصى ، وأنه أراد لكلهم الرحمة والنجاة ، ودخول الجنة والسلامة من النار .

والدليل على صدق قولي ، وبيان حجتى ، قوله ، تعالى عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطَاعُونِ ﴿ (٥٧) ﴾ (١) .

(١) سورة الزمر : الآيتان ٥٦ - ٥٧ .

٦ و / وقوله لنبيه ، صلوات الله عليه وعلى آله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، والكافة، فى لغة العرب: فهى الكل لا البعض، فصح وثبت أنه لم يخلقهم للكفر ولا للمعصية ولا للنار، ولا تلك إرادته ولا حكمه .

• لقد جعل الله عباده مخيرين، بما جعل فيهم من الاستطاعة :

وإنما خلقهم للعبادة والطاعة، لا من حاجة منه إلى ذلك، إذ هو الغنى عن كل شئ من خلقه، وإنما خلقهم رحمة لهم، وتفضلاً عليهم، ودلالة على الوجدانية وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة، وخيرهم فيها تخيراً، ورُكِّب فيهم المقدرة ، وعلم أنهم إن أرادوا ، كلهم ، العبادة، أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة .

وأنهم إن أرادوا المعصية أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة أيضاً، فامتحنهم، عز وجل، بالأمر والنهى، ليميز المطيع من العاصى، من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين والعقاب على العاصين، ثم خيرهم تخيراً، ولم يقسّرهم قسراً، وقال لهم : من أطاعنى أدخلته جنتى، ومن عصانى أدخلته نارى، بعد أمرى ونهى وإعذارى وإنذارى، وليس واحد من الفريقين مجبوراً على فعله، ولا مقسوراً على عمله، ولا مخلوقاً اكتسابه . ولا علم الله ، تبارك وتعالى، فيه وفيما يختار، بمُدخل له فى معصية ولا مُخرج له من طاعة، فأرسل إليهم الرسل لإثبات الحجة، وقطع العذر، لما مكنهم فيه من الاستطاعة والقوة على قبول الدين، ودلّهم على طريق النجاة، وحذّرهم من طريق الهلكة، وبين لهم الحق، وقد علم قبل خلق السموات والأرض، من يختار منهم الطاعة ويرغب فى الهدى، وعلم من يصد منهم عن الحق ويختار الكفر والظلم ويتبع الهوى، وليس علمه بذلك منهم، يوجب عليهم حجة، ولا يزيل عنهم فريضة، ولا يوقع لهم عذراً، ولا يترك لهم إلى الاعتلال سبيلاً، وقد علم، عز وجل، أن منهم من لا يؤمن ، وقد أراد الله، عز وجل، منهم الإيمان طوعاً وتخيراً، ولم يرده منهم قسراً ولا جبراً، لأنه لا يُغلب إذا أراد الحتم والقهر .

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٨ .

وقد أدخلت ، يا عبد الله بن يزيد ، قولك : «أرايتم الذى لا يعلم ما يكون ، إله هو» ١٩ ، وهذا منك مغالطة وتشنيع وجهل بالعدل ، ونحن لم نقل : إن الله ، عز وجل ، لا يعلم ما يكون . . . ومن قال ذلك فقد كفر ، وخرج من دين الإسلام ، ولعمرُ الله ، إن الذى يجهل ما يكون ليس بإله ولا يُسمى عالماً ، وإن هذه صفة المخلوقين .

• الله عالم لا يخفى عليه شئ ،

٦ ط / وإنما قولنا الصحيح : إن الله ، عز وجل ، العالم الذى لا يعزب عنه شئ . ولا يخفى عليه خافية فى الدنيا ولا فى الآخرة . . . وأنه لما ذكرنا من الشرط فى صفة الخلق ، وما جعل لهم من الاستطاعة وندبهم إليه من ترك الهوى ، وأرسل إليهم ، وهو يعلم أن منهم من لا يؤمن ، وليس فى هذا تجهيل لله ، عز وجل ، ولا فساد ؛ لأنه قد علم أن خلقاً من خلقه سيكفرون ^(١) ولا يؤمنون ، علم الله ، عز وجل ، قبل خلق كل شئ ، أن ذلك الكفر سوف يكون منهم ، باختيارهم لا باضطرار اضطرهم إليه ، تبارك وتعالى ، ولا خلق أفعالهم ولا بقهر حملهم عليه ؛ لأنه علم أن الكفر لا يكون إلا من كافر ، وأن جميع المعاصى لا تكون إلا من العصاة .

وقد قال ، جل ثناؤه : ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٢) ، فآخبرنا ، عز وجل ، بعلمه فيهم ، أن الحسد من عند أنفسهم لا من عنده ، ولا من عند نبيه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إلا من عند أنفسهم خاصة ، غير مضطرين ولا مجبورين ولا مجبولين .

• هل علم الله يمنع من معصيته أو طاعته ؟

ولو كان علمه ، سبحانه ، مانعاً من معصية أو طاعة ؛ لما آمن من كفر ، ولا كفر من آمن ؛ لآنا وأياك قد رأينا فساقاً صاروا صالحين وصالحين صاروا فاسقين ، وقد حكم الله ، سبحانه ، فى كتابه وسابق علمه ، أن من اضطر إلى شئ ليس له عنه غنى ، ولا يستطيع غيره ، أنه له حلالٌ وليس عليه فيه تباعة من الله ، جل ثناؤه ، إثم ولا عقوبة ولا عيبٌ ولا لوم ؛ لعدل الله جل ثناؤه ، وإتقان حكمته .

(١) فى الأصل : سيكفروا .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩ .

فقال، فى غير موضوع فى كتابه : ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (١) ،
 فإن كان الله، عز وجل، هو الذى اضطر العباد، وحال علمه دون طاعتهم ،
 وحملهم على ما قالت المجبرة، وقلت أنت، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، ومن
 قال بقولك من الجهال بدين الله، عز وجل، ويعدله من شتمه وتكذيب رسله وقتل
 أنبيائه، والجحود لكتبه وسفك دماء الأنبياء وأئمة الهدى، عليهم السلام،
 وجميع ما أسندتم إليه من الفواحش والردى والزنا والربا واللواط والخنا (٢) والخمور
 والملاهي والغناء والتعطيل والشرك الذى لا يرضى، وجميع المعاصى التى أوجب
 الله، جل ثناؤه، على فاعلها النار والخلود فى العذاب المقيم، وما أسندوا إليه أيضاً
 من حملهم على نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وأخذ الأموال وقطع الطرق، وغل
 الزكوات وشهادات الزور والتعطيل، وغير ذلك من جميع الظلم والعدوان والمكر،
 ٧ و / وجميع ما حرم الله ورسوله فى كتابه على لسان / نبيه ، صلى الله عليه وعلى
 آله وسلم ..

فإن كان ذلك كذلك، فأنتم معذورون، وليس عليكم فيما اضطررتم إليه تباعة،
 ولا حجة ولا إثم فى الدنيا ولا فى الآخرة، وإذا كان المضطر عند الله، عز وجل، معذوراً
 وغير مذنب، وإلا فهلما لنا حجة يصدقها القرآن، أن على المضطر، الذى لا يستطيع
 ترك ما اضطره الله إليه، حرجاً أو عقوبة وإثماً ، أو عدواناً أو وزراً فى الدنيا أو فى
 الآخرة ١٩ ..

• الكذب ليس من عند الله :

وقد أعلمنا الله، جل ثناؤه ، بعيب المجبرة وفريتهم عليه، وبراءته (٣) من فعلهم
 وإلزامه - إياهم - ظلمهم وكذبهم، فقال، عز وجل، يصف الكفار فيما أسندوا إليه
 مما كذبوا فيه عليه : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ
 مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨) ﴿١﴾ ..

(٢) جاءت فى الأصل : والخننى .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

(١) سورة البقرة : آية ١٧٣ .

(٣) فى الأصل : وبراءته

فهذه شهادة الله، عز وجل، وهذه حجته القاطعة عليهم، وقد أعلمنا، عز وجل، أن الكذب ليس من عنده، وأعلمنا أن القوم الذين قالوا: إن الكذب من عنده . كذبوا عليه، وأنت، يا عبد الله بن يزيد البغدادي، تضع علينا الكتب، في إبطال هذا البرهان والحجة القاهرة، وتسمينا أهل الفرى والكذب على الله، واتخذ أصحابك قولك، المعاند للقرن ديناً وحجة على أهل العدل المؤمنين، وتركوا كتاب الله، جل ثناؤه، الذي هو شفاء^(١) لما في الصدور والمدحض لكل غرور، وقد سمعوا الله، عز وجل، يقول ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(٢) فقالوا، مكابرة للعقول: بلى، هو من عند الله . وقوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾^(٣)، وقوله، عز وجل: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٤) ١٠٣ ﴿^(٥) .

انظر كيف يحملهم الجهل وقلة النظر، والبغض لأهل العدل، على الخروج من واضح القرآن ومن فيه الإسلام، بردهم للقرآن بعد ما تبين .

فأى كفر وجحود، ومكابرة أو فرية، أعظم أو أشنع، وأكبر عند الله، عز وجل، من أن يقول الله، جل ثناؤه: ليس من عندي، وأنا منه برئ وليس هو في علمي .. وتقول المجبرة، بلى، هو من عندك وأنت قضيته علينا! ..

• لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان :

٧ ط / فشهِدَتْ / باتِّباعه^(١) للهوى، واستطاعته المركبة فيه، والتخيير فيها لا بالصد من ربه، ولا أمر حال بينه وبين الإجابة لموسى، صلى الله عليه، مع أن لنا في فرعون حجة قوية قاطعة، لا يقدر أحد لها على نقض، وأنه قد آمن حيث أراد الإيمان وراى العذاب عياناً، فلم ينفعه ذلك الإيمان الذى فعله، لقول الله، عز وجل، ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كَافَرُونَ ﴾^(٢) ، وقد وجدنا فرعون قد آمن حين أراد؛ لأنه مخير، وليس

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٨ .

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٣ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٨ .

(١) فى الأصل : سفا .

(٣) سورة النجم: الآية ٢٣ .

(٥) أى فرعون .

بمجبور، وقد أخبرنا الله، عز وجل، بأصدق الشهادة عنه، أنه آمن حين لم ينفعه إيمانه، وذلك قول الله، عز وجل، يخبر نبيه محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، عن قصته حيث قال: ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ (٩٠)﴾ (١)، فهذا يدل على إيمانه، حيث أراد الإيمان، وهذه حجة قاطعة، لمن يزعم أنه مجبور، وأنه محول بينه وبين الإيمان.

وكفى بهذه الحجة شاهداً لنا عليك، إذ زعمت أن الله لم يُرد إيمانه، لئلا يبطل علمه، زعمت، فقال الله، تبارك وتعالى، إذاً على فرعون: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ (٩١)﴾ (٢) فهذا القول والإخبار من الله، عز وجل، يوجب لنا على المجبرة أن فرعون قد آمن من حيث أراد؛ لأنه مستطيع للإيمان؛ لأنه كان يمكنه ويقدر عليه، من قبل ذلك اليوم الذي غرق فيه لو أراده، فهذه حجة واضحة لا نقض لها، بحول الله وقوته.

وسأل عبد الله بن يزيد البغدادي وأصحابه المجبرة: هل أمر الله سبحانه، فرعون أن يكون منه الإيمان، أم لا؟

فإن قالوا: لم يأمره.

كفروا بأمر الله وكذبتهم الأمة، وإن قالوا: نعم، قد أمره الله بالإيمان.

فقل لهم: أمره الله أن يكون منه من الإيمان، ما قد علم أنه لا يفعله أبداً... فالله، عز وجل، بزعمكم وفي قود قولكم، ينهى عن الإيمان وليس يأمر به.

وإن قالوا: بلى، قد أمر به ليكون من فرعون من الإيمان ما قد علم الله، سبحانه، أنه لا يكون منه، وليكون ذلك.

لزمهم ووجب عليهم في قولهم: إن الله، عز وجل، أمر فرعون أن يجهله، بزعمهم، إذ أمره أن يكون منه غير ما يعلم؛ وقد علم الله، سبحانه، أنه سيجعل فرعون مستطيعاً لترك ما نهاه عنه، وقبول ما أمر به، وقد علم الله، سبحانه، أنه لن

(١) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس: الآية ٩١.

٨ و / يكون منه إلا ما علم أنه جعله مستطيعاً لتركه، وجعل الغناء عنه والقوة على تركه، كما قد علم أنه لا يكون / منه ، من الإيمان ما قد جعله مستطيعاً لأخذه، وجعل له إليه الاستطاعة والسبيل، وعن غيره السعة والفسحة والمندوحة، ولم ينهه عن المعصية إلا لئلا تكون منه، ولم يأمره بالطاعة إلا لتكون منه الطاعة، وليس العلم بحائل بينه وبين اتباع موسى، صلوات الله عليه، والقبول لما جاء به .

وقد قال الله، جل ثناؤه، في كتابه المحكم: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) وقد علم، عز وجل، أن الفتنة سوف تكون باختيارهم ، وكذلك قال لجميع الخلق: ليكن منكم الإيمان، ولا يكن منكم الكفر.

الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم :

فقد علم الله ، عز وجل، ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون باختيارهم واتباع أهوائهم، لا بقضائه عليهم ، ولا بتقديره لمعاصيهم ، ولا بخلقه لفعلهم، إذ لم يجز في حكمته ولا في عدله ولا في صدقه، ولا في حقائق أمره، ولا في واضح كتابه، أن يقول: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ^(٢) ، ويقول: ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ^(٣) ويقول: ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ^(٤) ، ويقول: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٥) ، وقوله: ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ ^(٦) يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود ^(٧) ، وقال للمؤمنين: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٨) ، وقال: ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ^(٩) ، وقال: ﴿ هَلْ جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ^(١٠) ، وقال: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(١١) .

-
- (١) سورة الانفال: الآية ٣٩ .
(٢) سورة السجدة: الآية ١٤ .
(٣) سورة السجدة: الآية ١٧ وكذلك جزء من الآية ١٤ الاحقاف، والآية ٢٤ الواقعة ، وجاءت خطأ في الاصل حيث قال: « جزاء بما كنتم تعلمون » ولم ترد في القرآن أبداً كذلك .
(٤) سورة المائدة: الآية ٨٠ .
(٥) سورة البقرة: الآية ٨١ .
(٦) سورة هود: الآيتان ٩٧ - ٩٨ .
(٧) سورة الزخرف: الآية ٧٢ .
(٨) سورة الحاقة: الآية ٢٤ .
(٩) سورة الرحمن: الآية ٦٠ .
(١٠) سورة النجم: الآية ٣٩ .

فأضاف ، تبارك وتعالى ، فعل العباد إليهم ، من الخير والشر ، ولم يضيف شيئاً من أعمالهم إلى نفسه ، إلا ما دلهم عليه من أمره ونهيه وتفضله بكرمه ، لا غير ذلك .

الرد على مقالة المجبرة أن الله خلق الإيمان والكفر :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وأدعت (عليه) ^(١) المجبرة أنه ، تعالى ، خلق الإيمان والكفر . فجعلوا زنى الزانى مخلوقاً ، وصلاة المصلى مخلوقة ، وأن الله ، عز وجل ، هو الخالق لذلك كله ! .. فلزمهم أنه شريك لهما جميعاً فى فعلهما ، أو أن الزانى لم يكن ليزنى ، حتى خلق فعله ، وأن المصلى لم يكن ليصلى ، حتى خلق فعله ! .. فنقول لهم عند ذلك : فكيف أثابهم الله ، عز وجل ، وعاقبهم على خلقه وهو يقول لهم : ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٤) ؟ ^(٢) .. فأفردهم بفعل ذلك ، ولم يقل : جزاء بما كنتم تعملون ، وأنا معكم فاعل لذلك الفعل الذى فعلتموه ، فكان ذلك ٩ ظ / أعظم للمنة ، وأقوى للحجة ، جل الله وتعالى عما يقول المبطلون (المفترون) ^(٣) وعلا علواً كبيراً .

ثم أعجب العجب أن هذا قولهم فى الله ، جل ثناؤه ، ثم ^(٤) / يسمون أهل العدل قدرية مفترين ! .. قال الله ، عز وجل ، ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً ^(٥) أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ^(٦) فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ ^(٧) ، فإن كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق أفعال المشركين وقدرها عليهم ، وحال بينهم وبين التوبة ، بعلمه فيهم ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٨) ، وقال فى موضع آخر : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٩) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ^(١٠) ، فنقول لك : عما ينتهون إذ كان الله ، عز وجل ، هو الذى قدر فعلهم ، وكيف يدغوهم إلى التوبة وهم لا يقدرون عليها ؟ .. زعمت ، سبحانه الله العظيم ، ما أعظم فساد هذا القول .

وقال الله ، سبحانه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ^(١١) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ^(١٢) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ^(١٣) ﴾ ^(١٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ

(٢) سورة السجدة : الآية ١٧ ... أعاد المؤلف نفس الخطأ .

(٤) تكررت الصفحات ٨ ط ، ٩ وفى التصوير .

(٦) جاءت فى الأصل : برها .

(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(١٠) سورة مريم : الآية ٨٨ - ٩٠ .

(١) جاءت زيادة على الهامش .

(٣) زيادة جاءت بالهامش .

(٥) جاءت فى الأصل : خطيه .

(٧) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٩) سورة المائدة : الآيتان ٧٣ - ٧٤ .

يَكْسِبُ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِي بِهِ بَرِيئًا ^(١) فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ ^(٢) ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ عَلَى مَا قُلْتُ ، لَقَدْ إِذْنٌ دَخَلَ فِيهَا عَابٌ ، وَرَمَاهُمْ بِمَا فَعَلَ بِهِمْ ، وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ مِنْ اِكْتِسَابِهِمْ ، إِذْ رَمَى الْاَبْرِيَاءَ ، وَلَوْلَا قَضَاؤُهُ ^(٣) لَمْ يَفْعَلُوا مَا فَعَلُوا ، عَلَى قَوْلِ الْمَجْبِرَةِ ! .. وَقَدْ قَالَ ، عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ ^(٤) ، وَلَمْ يَقُلْ : بِمَا خَلَقْتُ فِيهِمْ ، وَلَا مَا قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ .

فَهَذَا الْقُرْآنُ يَنْطِقُ بِتَكْذِيبِهِمْ صِرَاحًا ، وَأَنْتُمْ تَكَابِرُونَ الْعُقُولَ ، وَتَغْلَطُونَ عَلَى النَّاسِ ، بِآيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ فِي الْقُرْآنِ ، جَهَلْتُمْ تَأْوِيلَهَا ، وَلَهَا مَعَانٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، تَفْسِيرُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالدِّينِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَوْلَا طَوْلُ الْكِتَابِ لَذَكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ ، مِنْ الْآيَاتِ مَا يَبِينُ فِيهَا الْحَقَّ ، وَسَاخْتَصَرْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فِي كِتَابِي هَذَا ، مَا فِيهِ الْبَيَانُ وَالشِّفَاءُ ^(٥) لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(٦) .

وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَيْضًا : حِينَ قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴾ ^(٧) ، أَمِنْ قَضَائِهِ وَمَشِئَتِهِ ، وَإِرَادَتِهِ وَخَلْقِهِ لِقَوْلِ عِبَادِهِ وَفَعْلِهِمْ ، زَعَمْتَ ، أَمْ مِنْ كُفْرِ الْكُفَّارِ وَشُرْكَهُمْ ، وَفَرِيتِهِمْ عَلَى اللَّهِ ! ؟ ..
فَإِنْ قُلْتَ : ذَلِكَ مِنْ إِرَادَةِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

لَزِمَكَ أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ أَرْدَنَ التَّفَطُّرَ وَالْإِنْهَادَ وَالْإِنْشِقَاقَ ، مِنْ قَضَائِهِ بِهِنَّ وَقَدَّرَهُ وَإِرَادَتِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُنَّ غَضَبِينَ مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ وَفَرِيتِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، رَجَعْتَ عَنْ قَوْلِكَ ، وَصَرْتَ إِلَى قَوْلِنَا بِالْعَدْلِ .

* وَنَسْأَلُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْبَغْدَادِيَّ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ : هَلْ عِلْمُ أَنَّهُ سَيَأْمُرُهُمْ بِالْخُرُوجِ مِمَّا عِلْمُ أَنَّهُمْ عَامِلُونَ ؟
فَإِنْ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ عِلْمُ أَنَّهُ سَيَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٤) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٦) في الاصل : إِنْ شَاءَ .

(١) جاءت في الاصل : بِرِيءًا .

(٣) جاءت في الاصل : قَضَاؤُهُ .

(٥) جاءت في الاصل : الشِّفَاءُ .

(٧) سورة مريم : الآية ٩٠ .

هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم ؟

١٠ و / قلنا له : أمرهم بالخروج من ذنوبهم ، أو الخروج من علمه ؟

فإن قال : أمرهم بالخروج من علمه . كفر بالله العظيم ، وبانت فضيحتة ؛ إذ لا مخرج لأحد من علم الله ، عز وجل ، من جميع خلقه .

وإن قال : أمرهم بالخروج من ذنوبهم .

بطلت دعواه في العلم وפלجناه ؛ لأن الذنوب غير العلم ، والذنوب من المعلوم ، وبين العلم والمعلوم فرق عظيم ، جهلته القدرية المجبرة .

الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم :

وقد أمرهم الله ، تبارك وتعالى ، بإبطال المعلوم منهم ، وليس في ذلك إبطال العلم ، الذي هو من صفات الذات ، ولافساده ، وانكسر على عبدالله بن يزيد البغدادي قوله ، وبطلت دعواه وزعمه ، وبرأت^(١) فيما زخرف من كذبه وفريته على الله ، فضيحة^(٢) أهل العدل ، وأنهم لا يجدون مما قال مخرجاً ، زعم !... وغلط الجاهل في دينه ، فلينظر الآن أصحابه في جوابنا ، ولينعموا النظر ، وليتقوا الله الذي إليه المعاد ، ولا يكونوا من أهل الآية التي قال الله ، عز وجل : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٣) ، فوالله ماصلوا للأحبار ولا للرهبان ؛ ولكنهم كانوا يفعلون ما أمروهم به ، فلذلك سماهم أرباباً لهم .

ثم ليعلم أصحاب عبدالله بن يزيد البغدادي أنه قد غشهم وغلط عليهم ، وأهلكهم في دينهم ، وصدهم عن رشدهم ، وذلك جزاء^(٤) من ترك القرآن والقوام به ، وقلد الرجال ، والأحاديث المدخولة أمر دينه ، وزهد في الفتش وإنعام النظر ، واتبع الهوى بلا هدى من الله ، عز وجل ، ولا طلب للنجاة بالبحث والتمييز ، والحذر من الهجوم على من لا يعذره ؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم^(٥) ، لا عذر في ذلك لمتعبد ، والحمد لله رب العالمين .

(١) في الأصل : وبات .

(٢) في الأصل : فضيحة .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . رواه ابن ماجه ١ / ٨١ (المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ، وقد اختلف المحدثون حول صحته ، ولكن السيوطي في الدر المنثور حسنه ، وذهب المزني إلى أن مجموع طرقه ترفعه لرتبة الحسن ، وذهب ابن عبد البر إلى أن معناه صحيح ، وقال الألباني فيه ١٢ / ٤ (ضعيف جداً) .. وانظر السيوطي ، ص ١٨٠ - ١٨١ ، وجامع ابن عبد البر ١ / ٩ .

* ونسأله أيضاً عن الخروج من الذنوب، أهو الخروج من العلم، أم الدخول فيه؟

فإن قال: بل الخروج من الذنوب هو الخروج من علم الله، عز وجل.

كفر بالله؛ لأنه يلزمه أن من أمر بالدخول فى شئ، فقد كان فى غيره، ومن أمر بالخروج من شئ، فقد أمر أن يصير فى غيره؛ لأنهم يزعمون أن العباد قد أمروا، بزعمهم، أن يصيروا فى غير العلم، إذ أمروا بالخروج منه، فيصرون فى غير ما كانوا فيه، بزعمهم وعلى قود قولهم.

وإن قالوا: إن الخروج من الذنوب هو الدخول فى العلم. فقد أمروا أن يدخلوا فى العلم الآن، إذ كانوا فى غيره، بزعمهم. وقد علم الله، عز وجل، ما سيكون من العباد من البر والفجور، قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً.

١٠ ط / فاسمعوا عباد الله إلى ما قلنا، وافهموا ما شرحنا، وبه احتجاجنا / ثم انظروا لأنفسكم، وميزوا بعقولكم، فإن الإقدام على النار، الخطر العظيم، والهول الجسيم، والخسرة الباقية، فما بعد هذا الاحتجاج والبيان، إلا اتباع الهوى والميل عن الهدى، بلا حجة ولا برهان، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

* ونسأل عبد الله بن يزيد البغدادي: هل رضى الله، عز وجل، كل شئ علمه، أم رضى بعضه وسخط بعضه؟

فإن قال: رضى بعضه وسخط بعضه. رجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل، ونفى الجور والجبر وخلق أفعال العباد، إذ زعم أنه قد كان من العباد شئ لم يرضه الله، سبحانه، وهذا هو الحق، وهو قولنا.

وإن قال: إن الله، عز وجل، قد رضى كل شئ علمه، من بر أو فجور، أو كفر أو غرور، ولا يكون - زعم - إلا ما يرضى ويحب، من البر والفجور، فحينئذ صار من حزب الشيطان.

ثم يقال له عند ذلك: هل يسع العباد فى دين الله، عز وجل، الذى افترض عليهم، إلا بأن يرضوا ويحبوا ويريدوا الله، عز وجل، وللرسول، ﷺ، ما رضى الله، عز وجل، وأحب وأراد وشاء^(١) لنفسه، ولنبيه، ﷺ؟

(١) جاءت فى الأصل: شا.

فإن قالوا: لا يسعهم إلا ذلك، ولا يجوز لهم فى الدين غيره .

قيل لهم : أليس ترضون وتحبون وتشاؤون، أن تؤذوا الله ورسوله والمؤمنين .. وإن يقال لله، عز وجل، أنه اتخذوا ولداً وأنه ثالث ثلاثة، وأن نبيه، صلى الله عليه وعلى آله، ساحرٌ كذابٌ، وأنه رضى بقتل الأنبياء ^(١) وأئمة الهدى، والآمرين بالقسط من الناس؟

فإن قالوا: لا يسعنا ولا يجوز غير القول بهذا؛ لأن الله رضى وقضاه، وأراد وأحبه وشاء ^(٢) وخلقه من فعل العباد، إرادة لنفسه ولنبيه وللمؤمنين، فلا يسعنا ولا يجوز لنا إلا أن نرضى بما رضى الله، سبحانه، وأراد وأحب وشاء.

لزمهم فى قولهم أن يرضوا بشتم الله، عز وجل، وشتم رسله، صلى الله عليهم، وقتلهم وقتل الأئمة والمؤمنين، وقول اليهود عزيز بن الله، وقول النصارى: المسيح بن الله، وقول الكفار: إن الله ثالث ثلاثة، وأن له صاحبة وولداً وشركاء، وقولهم: إن يده مغلولة، وكل عى نسب الكفار إلى الله، عز وجل، عز عن ذلك وعلا علواً كبيراً، وما نسبوا إلى رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، من السحر والشعر والكهانة والكذب، وأنه يعلمه بشر، وأنه مجنون.

وإن قال: لا يرضى بهذا ولا يحبه ولا يريده ولا يشاء ولا يعتقده، ولا يقول به. ١١ و / كفر بدينهم الذى كان عليه، وخرج عن مذهبه، وانتقض جميع ما وضعه لهم عبد الله بن يزيد البغدادي.

* ونسألهم أيضاً عن قوله، عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٢٨) ^(٣) من عنى الله، جل ثناؤه، بهذا القول، الملائكة والأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين، أم عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى؟

فإن قالوا: عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى وجميع العصاة.

لزمهم أنهم قد رجعوا عن قولهم، وأقروا لنا بقولنا، ولا بد لهم من جوابنا فى هذا الباب، والإقرار به أو الكفر بالآية.

(٢) جاءت فى الاصل: شاء.

(١) جاءت فى الاصل: الأنبياء.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٨.

وإن قالوا: عنى به الملائكة والأنبياء والمرسلين، وكفروا بالله صراحاً، وخرجوا من دين الإسلام، وإنما لزمهم ذلك؛ لأن من قولهم: إن كل شئ عمله العباد فيقضاء الله وقدره، وإرادته ومحبته ومشيبته، وخلقه لذلك الفعل منهم. فهذا لزمهم الكفر، واكذبتهم الآية في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ .

ثم نسأل عبدالله بن يزيد البغدادى: هل كان رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يرضى من الكفار بما يرضى الله منهم، أم دعاهم إلى غير ما لا يرضى الله، سبحانه، ولا يريد؟... فإنه لا يستقيم لهم، في قولهم الذى يعتقدون، إلا أن يقولوا: إن النبى، صلوات الله عليه وعلى آله، دعا العباد إلى ما لا يرضى الله ولا يريد ولا يشاء^(١) ولا يحب، وإن الشيطان وفرعون وهامان وأتباعهم، كانوا يدعون العباد إلى ما أحب الله ورضى وشاء وأراد وقضى^(٢) وقدر، وخلق من فعل العباد، من عبادتهم للأوثان، وشتهم الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات، وقتلهم وظلمهم.

أى العبدین أحب إلى الله، عز وجل، وأكرم عليه، عبدٌ يدعو الناس إلى ما لا يحب ولا يريد ولا يرضى ولا يشاء^(٣) ولا يقضى ولا يقدر ولا يخلق؟ أم عبدٌ يدعو^(٤) الناس إلى ما أحب الله ورضى وشاء وقضى^(٥) وقدر وخلق من فعل عباده؟

فيجبُ في قولهم، زاعمين: إن الشيطان وفرعون وأبا جهل بن هشام وقارون وهامان وإخوانهم أحب إلى الله، عز وجل، من محمد، صلى الله عليه وعلى آله، ومن جميع الرسل ومن أئمة الهدى ومن المؤمنين والصالحين.

فإن قالوا: إنا نشنعُ عليهم، ونقول ما لم يكن منهم. قلنا: أفليس هذا احتجاجهم، وقولهم فى كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى يشهد على ما قلنا؟... وإن جميع الخلق ١١ ط / من أهل المقالات يعلمون أن المجبرة والخوارج يقولون كلهم... / إن كل شئ فى الأرض بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيبته^(٦) ومحبته، وإن أفعال عباد الله، خلقها وقدرها، وأنه إذا كان لأحدهم ابن فاسد أو به عاهة، وهو على ضلالٍ أو فسق، وسأله عنه أحدٌ من الناس، قال: ذلك رجلٌ كما شاء الله له، وذلك رجلٌ كما أحب

(١) فى الأصل: يشاء.

(٢) فى الأصل: شا... وقضا.

(٣) جاء فى الأصل: يرضى ولا يشاء.

(٤) وردت فى الأصل: يدعو.

(٥) وردت فى الأصل: وشاء وقضا.

(٦) وردت فى الأصل: بقضا... ومشيبته.

الله، وذاك رجلٌ كما قضى ^(١) الله عليه ، وذاك رجل كما قدر الله عليه أن يكون وأراد.

• أمثلة من اقتراءات الجبرة على الله :

وإذا كان له ابن صاحب عفافٍ وصلاح ، فسُئِلَ عنه قال : ذلك رجل كما تُحِبُّ ويسرُّك ، وكما ترضى وتريدُ . ولم ينسب ذلك الصلاح والعفاف إلى الله ، عز وجل ، كما نسب إليه فسق الفاسق ، وفعل ذى العاهة وفساد الفاسد !!

ثم تسمع من قولهم ، إذا أخذوا فى الأحاديث ، وذكروا المدن ، قال القائل منهم سبحان من خَرَّبَ البصرة ، ولعن الله من خَرَّبَ البصرة ، فبينما هو يُسبحه إذ لعنه ! جهلاً منهم بعدل الله ، عز وجل ، والفرق بين فعله وفعل الآدميين ^(٢) ، وقلة معرفته بحدود المنطق وواجب العدل . ومن شأنهم أن يقول الواحدُ منهم : كنتُ أهوى فلانة الفاسقة ، فخرجتُ فى طلبها البارحة فلقانيها ^(٣) الله ، كما أحب وأشتهى .

وفى هذه الكلمة كفران اثنان عظيمان فاحشان ، أما واحد : فكذبه على الله ، عز وجل ، وإسناده إليه ما هو منه برئ ^(٤) أنه ، زعم ، أحب وشاء ، والآخر قوله : كما أحبُّ الله وأشتهى ، والشهوة لا تكون إلا من الآدميين ، ولا يجوز أن يقال : اشتهى الله ؛ لأن هذا تشبيه ، وإنما يجوز أن يقال : شاء الله ، عز وجل ، فافهم هذا الباب .

ثم يقولُ هذا المجبر الجاهل : فباتت فلانة معى فى أسرٍ ليلةٍ وأحسن مجلس ، فلما كان فى آخر الليل جاء الشيطان ، فألقى ^(٥) فى قلبها بليَّةً ، فأفسدها على ، فقالت : لست أقعدُ ، وأنا أخرج من عندك . فخرجت وتركتنى .

فنسب - الملعون - إلى الله ، عز وجل عمَّا قال ، أنه الذى لُقّاها إياه ، ونسب إلى الشيطان أنه الذى سَوَّلَ لها الخروج من عنده . . . فإى كفر أعظم من هذا الكفر ، وإى جهل أعظم من هذا الجهل الذى احتج به عبد الله بن يزيد البغدادي فى نصرته والقيام بعذر أهله ، والإبطال للكتاب والعدل والحكمة ! . .

(٢) وردت فى الاصل : الآدميين .

(٤) وردت فى الاصل : برى .

(١) وردت فى الاصل : قضا .

(٣) وردت فى الاصل : فلقانها .

(٥) وردت فى الاصل : جا . . فزلقا .

ومن ذلك وضعه علينا كتاباً يبطل به العدل، زعم، ويثبت حجج الكفار والزناة والفساق، ويلزم الله، سبحانه، وما أسندوا إليه ورموه به من العظائم والقبايح، قدوس رب العالمين .

* ومن قولهم أيضاً المعروف بينهم، أن يقعد الواحد منهم يحدث أصحابه وإخوانه ١٢ و / فيقول : كنا البارحة نشرب الخمر ثم انقطع بنا، فلم يبق معنا خمر، فبينما / نحن كذلك إذ رزقنا الله قرابة ^(١) خمر، فاتمنا بها آخر مجلسنا .

أف هذا القول وأشكاله يضع فيه عبدالله بن يزيد البغدادي الحجج، ويقول لأصحابه : قولوا لأهل العدل كذا وكذا ^(٢) ، فإنهم لن يقدروا لكم على جواب، ولن يقوموا معكم بحجة ؟! .. فسيعلم ما يرد عليه من الجوابات في هذا الكتاب، بحول الله وقوته : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) ﴿ ^(٣) .

* وسألهم ^(٤) عن قول الله، عز وجل، في كتابه : ﴿ إِذْ يَبْتَئُونَ مَا لَا يُرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ ^(٥) ، فسألهم : أَرْضَى الله ذلك القول، أو لا ؟

فإن قالوا : نعم، قد رضى الله بذلك القول الذى يَبْتَئُونَ . ردوا على الله، عز وجل، قوله، وكفروا بالآية، ﴿ إِذْ يَقُولُ ﴾ ^(٦) : ﴿ إِذْ يَبْتَئُونَ مَا لَا يُرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ . (وهم يقولون : بلى ، قد رضى وأراد وأحب، ذلك الذى يَبْتَئُونَ من القول، وقدره عليهم) ^(٧) !!

وإن قالوا : لم يرضه . رجعوا إلى قولنا، وتابعونا وتركوا قولهم بالجبر؛ لأنه لا يرضى أحد ^(٨) إلا بما يريد .

* ثم سألهم عن قول الله، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

(٢) وردت فى الأصل : كذى كزى .

(٤) وردت فى الأصل : وسألهم .

(٦) تكملة من الهامش .

(٨) جاءت فى الأصل : برضا .

(١) وعاء من جلد يخرز من جهة واحدة .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(٥) سورة النساء : الآية ١٠٨ .

(٧) تكملة جاءت بالهامش .

مُتَّهَوْنَ ﴿٩١﴾ (١) ، فقد أعلمنا الله ، عز وجل ، أن هذا كله من إرادة الشيطان ، ليس من إرادة الله ، عز وجل عن ذلك وتعالى ، وأنه من فعل الشيطان ، وليس من فعل الله ، عز وجل ، فهذا من خبر الله ، سبحانه ، وهذا كتابُ الله يشهد لنا عليهم ، والله شاهد على كذبهم عليه : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦﴾ (٢) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ﴿١٢٢﴾ (٣) ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) ، فما بعد هذا من الحق والبيان والعدل والحكمة والحجة الواضحة ، فلا يبعدُ (٥) الله إلا من ظلم ، فإن ردوا على الله ، عز وجل ، قوله كفروا ، فأما حجتهم فقد بطلت ، والحمد لله رب العالمين .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم هل يستطيعون أن يكون منهم غير ما يعلم الله أنه كائن؟

فإن قالوا: نعم قد يستطيعون ذلك .

فقل : فإن شاء (٦) العباد كان منهم ما لا يعلم الله ؟ ..

فإن قالوا: نعم، فقل : أخبروني عما لا يعلم الله أنه كائن، ما هو؟

فإنهم لن يجدوا شيئاً ، وسيخبرونك أن ما لا يعلم الله أنه كائن، فليس بشئ .

فقل لهم : أخبرونا عن قولكم : إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بما لا يعلم الله ، وأنتم

تقولون : هو ليس بشئ . وهل كلفهم الله أن يأتوا بلا شئ؟ ..

فإن قالوا : بلى (٧) قد يستطيعون أن يأتوا بلا شئ .

فقل : أشئ يعلمه الله ، أم شئ لا يعلمه الله أنه كائن؟

فإن قالوا: شئ لا يعلمه الله .

فقل : هل شئ كان أو يكون لا يعلمه الله؟

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٣) في الاصل : يبعد .

(٤) جاءت في الاصل : بلا .

(٥) سورة الحائية: الآية ٦ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٧) في الاصل : شا .

فإن قالوا: نعم ، إن الله قد يجهل شيئاً لا يعلمه . فقد أمكنوك من أنفسهم ، وإن
١٢ ط / قادوا لك حينئذ كلامهم ، أشركوا بترك أهل ^(١) / القبلة .

وإن هابوا ولم يقودوا ، فلا تعجل عليهم ولا تنحلهم ^(٢) الشرك ، وردّهم إلى أول
الكلام ، فقل لهم : اليس ^(٣) لا تستطيعون أن تأتوا بشيء ، إلا قد علمه الله أنه كائن
منكم ^(٤) ؟ ..

فإن قالوا: نعم ، إنا كذلك نقول : إن الله قد علم ما هو كائن من العباد ، قبل أن
يكون منهم ، فليسوا يستطيعون تغيير ما علم الله .

فهذا قولنا ، ولا تتركهم يتحولون ، ولا يدخلون وجهاً في وجه آخر ، والزم كل
مسألة ^(٥) منها إلى منتهى ^(٦) قودها ، فإنه أقدر لك على حاجتك منهم .

الله يعلم كل شيء ؛

الجواب ؛ قال الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، هذا الكلام
إعادةٌ منه في السؤال عن باب العلم ، وقد مضى في الجواب منا إليك ، في المسألة ^(٧)
التي قبل هذه ، ما فيه كفاية ، غير أنا لا بد نجيبك ، ونحن نعلم أن أحداً من أهل القبلة
لا يُصدقك أن أحداً يقول : إن الله ، عز وجل ، يجهل بعض الأشياء ولا يعلمه ، وأنا ،
زعمت ، إن قلناه أمكننا من أنفسنا .

هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه ؛

وليس ذلك قولنا ، ونحن أهل التوحيد الصحيح ، الذي ورث عن الأنبياء ، صلوات
الله عليهم ، وعن أئمة الهدى ، عليهم السلام ، ولولا نحن لظهرت الزنادقة في
البلاد ^(٨) ، ودعوا إلى دينهم صراحاً ، وأما قولك : إن العباد لا يستطيعون أن يأتوا بغير
ما علم الله . فهذا قولك ، زعمت ، واعتقادك ، ونقول لصاحبك أن لا يتركنا نتحول

(١) مطموسة في الأصل .

(٣) وردت في الأصل : البسوا .

(٥) وردت في الأصل : مسلة .

(٧) وردت في الأصل : مسلة .

(٢) في الأصل : نتخلهم .

(٤) وردت في الأصل : منهم .

(٦) وردت في الأصل : منتهى .

(٨) بقصد الباطنية حيث قضى هذا الإمام عمره في جهادهم .

عنه، فهذا قليل من جهلك وغلطك، كيف لا يتركنا أن نحتج عن مذهبنا، ونقطع من خالف الحق بنور الله، عز وجل ولطفه؟

إذ زعمت أن من عَلِمَ الله، جل ثناؤه، أنه لا يستطيع أن يأتي بغير ما علم الله منه، فلم يهده^(١) إلى ترك ما علم منه من عبادته للأصنام، وأكله للحرام، وظلمه للآيتام، واكتسابه للآثام، إذ كان العلم هو الذى حال بينه وبين اتباع الرسل، وإجابة الكتب، والدخول تحت لواء الإسلام، وقلت : هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله، عز وجل ، منه؟

جواب الناصر،

فالجواب فى ذلك ، بحول الله وقوته، أنا نسألك عن حجة الله، تبارك وتعالى ، على خلقه، أتمّة هى بالغة ، أم ليست بتامة ولا بالغة؟

فإن قالوا: بلى هى تامة بالغة. فقل لهم: ما تمامها ؟ أليس وجود السبيل إلى الاستطاعة إلى ما أمر الله به، عز وجل، ودعا إليه من الدخول فى دينه، والإجابة لرسله والاتباع لكتبه؟..

١٣ و / فإن قالوا : لا ، تمامها وبلوغها بلا سبيل ولا استطاعة / إلى ما دعا الله ، عز وجل ، إليه ، ولا إلى ما أمر الله به ولا إلى ما نهى عنه .

كفروا، ولم يجدوا حجة، ودخل عليهم فى قولهم: إنها وعد خلف وغرور، وأنه دعاهم فى زعمهم، إلى شئ فى العلانية، وحال بينهم وبينه فى السر، فوصفوا الله ، جل ثناؤه، بالصفة التى وصف بها المنافقين، وكفى^(٢) بهذا كفراً ، وقد علم الله، عز وجل، أن الكفار يقولون : إنه ثالث ثلاثة وإن له صاحبة وشركاء ، وأن الملائكة بناته، وذلك قوله، تعالى ، يرد عليهم : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾ (١٩) ^(٣) ، فإذا كان قد علم هذا، فلم افترض عليهم تركه، وقد علم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم منهم؟.. فيلزمه أنه قد

(١) وردت فى الأصل: يهده .

(٢) وردت فى الأصل : كفا .

(٣) سورة الزخرف . الآية ١٩

افتترض عليهم الخروج من علمه؟! .. هذا يلزم فى الحجة، لأبد لهم منه، فإن قالوا بذلك، لزمهم أن للناس مخرجاً من علم الله، جلّ وعزّ وتعالى، وهذا رأس الشرك، وغاية العمى^(١) والجهل، كفى بهذا كفراً.

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم فقل: أخبرونى عن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، حين جاء يدعو الناس إلى شئ يعرفونه جميعاً معرفةً واحدة، أم جعل بعضهم يعرف وبعضهم لا يعرف؟..

فإن قالوا: جعل كلهم يعرفون ما دعاهم إليه، معرفة واحدة. فقل (فسلهم) عند ذلك: أليس جميع المشركين قد عرفوا أن الله واحد، وأن محمداً رسوله ﷺ، وأن ما جاء به فهو حق؛ لأن المؤمنين قد عرفوا ذلك، وهم مثلهم فى المعرفة؟..

فإن قالوا: نعم. فاثبت عليهم هذا القول، ثم سلهم عن وصف الله أنه لا يسمع ولا يبصر، أرايتم حيث ما قال الله: ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)﴾^(٢)، اتصفونهم يعلمون، والله يقول بأنهم لا يعلمون؟!..

وحيث يقول: ﴿صَمُّكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾^(٣)، فكيف تصفونهم أنهم يبصرون ويسمعون؟!.. فإنهم لا يعطونك أن خلقه جميعاً يعرفون ما تعرف الرسل والمؤمنون، من توحيد الله، عز وجل، ورسالاته وجنته وناره، والله يصفهم بغير ذلك؟

يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم :

الجواب قال الناصر بن الدين أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: أما قولك: إن الرسل تعلم من توحيد الله والعلم ما لا يعلم غيرهم، وكذلك المؤمنون يعلمون من التوحيد والعلم ما لا يعلم المشركون.

فلإننا نقول: إن الرسل، عليهم السلام، عندهم من العلم ما ليس عند أحدٍ لحاجة الناس إليهم / وعليهم أن يعلموا الناس جميع ما افترض الله، عز وجل، عليهم من

(١) وردت فى الاصل: العمى.

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)﴾ سورة المائدة: الآية ١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨.

١٣ ط / معرفة دينه، وليس عند الخلق إلا ما علمتهم الرسل والمؤمنون، وقد كانوا قبل مجيئ الرسل لا علم لهم، ولا معرفة عندهم ولا دين. حتى تعلموا وطلبوا العلم، فصاروا علماء مؤمنين.

وكذلك يجب على جميع المشركين والظالمين، أن يطلبوا العلم ولا يقصروا فيه، ويدخلوا في الحق، حتى يصيروا علماء.

ولأنما عاب الله، عز وجل، عليهم أنهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون، وأنهم صمّ بكمّ، إذ تركوا ذلك الذي أمروا به، مكابرة ومعاندة، وسماهم بكمّاً وصمّاً وعمياً، إذ تركوا العلم والحق والرشد، وهم يقدرّون على طلبه وأخذه والدخول فيه، والتعليم له من رسل الله، صلوات الله عليهم، ومن أوصيائهم^(١) من بعدهم، ومن العلماء في كل عصر^(٢)، ولو كانوا عمياً وصمّاً وبكمّاً لا يسمعون الأصوات، ولا يفقهون كلام الرسل، ولا يعرفون تاديتها لدين الله، عز وجل، وتبليغها ولا ما تدعوا إليه من كتب الله، وبها ما كان عليهم لله، عز وجل، حجة، ولا لزمهم عذاب أبد الأبد، إذ كانوا صمّاً وبكمّاً لا يعقلون ولا يسمعون ما دُعوا إليه من دين الله، جل ثناؤه.

اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل،

والدليل على ذلك في حكم جميع أهل الإسلام، أنه لا حجة على الأصم فيما لا يسمع، ولا على الأعمى فيما لا يبصر، ولا على الأبكم فيما لا يعقل، ولا على الأعرج ولا على المقعد، وقد عذرهم الله، عز وجل، في القرآن.

استثناء أهل الأعذار،

فقال : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(٣) ،

(١) تقول الشيعة بالرسمية، وأن النبي أوصى لعلّ بن أبي طالب، وذريته من بعد بالإمامة، وهي مرتبة لا تنبئ إلا لهم، يجمعون فيها بين السلطة الدينية والزمنية، واجتهادهم وعلمهم حجة على الخلق، ولذا فهم معصومون كالأنبياء، غير أن الزيدية لا تقول بها

(٢) باب الاحتجاج مفتوح عند الزيدية وهو واجب على الأئمة والعلماء في كل عصر.

(٣) سورة الفتح : الآية ١٧

وأما المعتوه فهو الذى لا يعقل فليس يلزم فى الحكم أن يجلد إن زنا، ولا يقتل، ولا تقطع يده إن سرق، ولا يؤخذ^(١) على شئ من جميع فعله، وكذلك لا جهاد على الأعرج ولا على الأعمى^(٢)، ولا على المريض، هذا المعروف فى حكم الإسلام الذى لا حيلة لك فيه، وقد بان جهلك وصح خطوك^(٣) وكذبك على الله، عز وجل، أنه لو كان القوم الكفار الذين ذكرتهم وقمت بعذرهم، وألزمت الله، عز وجل، الجور فى عذابهم، إذ كانوا بكماً وصماً، لا يعلمون ولا يعقلون على الحقيقة لا على المجاز، ثم عذبهم الله، جل ثناؤه، ثم خلدهم فى نار جهنم الأبد الأبد، إن هذا هو أعظم الجور الذى وصفت به ربك، عز وجل، عن ذلك، العدل الذى لا يجور، فهذا ما جهلته واخطأت^(٤) فيه، وقلت: إن أهل العدل لا يقدرُونَ لك على جواب...

١٤ و / على أنا نقول: أين كنت عن قوله، عز وجل، بخبر نبيه، صلى الله / عليه، عن المشركين، حيث قال له: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥)، وقالوا فى الأصنام ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٦)، وقوله، عز وجل: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكُتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾^(٨)، وقوله: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(١٠).

سماها ولم يجبرها،

وقوله، عز وجل، يخبر عنهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(١١)، أى سماهم وحكم عليها بالطبع، لا أنه جبرها على ذلك، فبيلزمه دعواك. مثل قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(١٢)، أى سماها زائغة بفعلهم، ومثل هذا كثير فى القرآن.

(٢) وردت فى الأصل: الأعما.
(٤) جاءت فى الأصل هكذا: واحطأت.
(٦) سورة الزمر: الآية ٣.
(٨) سورة المائدة: الآية ٨.
(١٠) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١٢) سورة الصف: الآية ٥.

(١) وردت فى الأصل: يؤخذ.
(٣) وردت فى الأصل: خطاؤك.
(٥) سورة الزمر: الآية ٣٨.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٩) سورة النمل: الآية ١٤.
(١١) سورة البقرة: الآية ٨٨.

وأما قولك: هل عرف بعضهم ولم يعرف بعض؟ قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما، وهل اختص الله أحداً دون أحد بدينه ١٩... فهذا قول فاسدٌ.

والقول الصحيح: إن الله، عز وجل، بعث رسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، إلى الخلق كافةً ليطيعوه كافة، لم يختص أحداً دون أحد، ولم يؤثر أحداً على أحد، إلا الرسل، صلى الله عليهم، فقد اصطفاهم، لما علم منهم أنهم لا يختارون معصيته أبداً، وقد فضل بعضهم على بعض بما اكتسبوا؛ لا أنه جار عليهم ولا حابي^(١) ولا مالا^(٢)، واختياره لهم فإنما كان بعلمه، عز وجل، بصحة ضمائرهم، وأنهم موضع ما استؤمنوا عليه. وقال في كتابه: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢)^(٣)، والحجة على الخلق لله، عز وجل، في طلب دينه والدخول فيما دعاهم إليه، لا عذر لهم، ولا حجة على الله، عز وجل، لدفع عنهم، ومن هيج مشيئته في الطاعة هاجت، ومن هيج مشيئته في الكفر هاجت.

لم يحل الله بين أحد والهداية:

وليس على أحد كره في دين، ولا قسر ولا جبر، ولا مانع يمنع عنه، ولا حائل يحول بينه وبينه، ومن قال بذلك فقد كفر وأبطل القرآن وخرج من الإسلام، لقول الله، عز وجل، يحكى عن نبيه، عليه السلام: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)^(٤)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٥)^(٥)، وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٦)^(٦)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥)^(٧)، وقوله: ﴿يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧)^(٨)، وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوْى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)﴾ (٩)^(٩)، ولم يقل: والذي قدر فاضل!... وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى (١٣)﴾ (١٠)^(١٠)، وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَى (١١)﴾ (١١)^(١١)، وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ

(٢) ساعده وعاونته. ووردت في الاصل: مالا.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٨) سورة الانعام: الآية ٥٧.

(١٠) سورة الليل: الآية ١٢-١٣.

(١) اختصه ومال إليه. ووردت في الاصل: حابا.

(٣) سورة قَدْخَان: الآية ٣٢.

(٥) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٩) سورة الاعلى: الآيتان ٢-٣.

(١١) سورة فصلت: الآية ١٧.

عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ ۚ ٤ اظ / عَلِيمٌ (٤٢) ﴿ ١١ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا / كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ (٦) ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٢) ﴾ (٧) .

أفلا تسمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحجج القواطع من الله، عز وجل، والمبطللة لجبرك، والقاهرة لحججك. أهذا أيها الجاهل قول من جبر خلقه على الكفر وصدّهم عن الهدى، وأراد لهم الضلالة والردى، سبحانه الله وتعالى عما يصفون ...

* وأما قولك : إن الله، عز وجل، لم يعط الخلق ما يأخذون به ما أمرهم به من دينه، ففريّة منك على الله، جل ثناؤه، وتكذيب لكتابه وطعن على عدله، وإثبات لعذر من عصاه من المشركين، وافترى (٨) عليه من الظالمين .

* وأما سؤالك عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزَيْنَةُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهِةٌ إِلَيْكُمْ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) ﴾ (٩) .

لم يقسره ولم يجبرهم على حبه أو كرهه :

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما : فإن الله، عز وجل، لم يجبرهم بذلك التحبيب، ولا بذلك التكريه، جبراً ولا قسراً، ولا جعله في قلوبهم، كما يجعل الشئ في الشئ، مثل السيف في الغمد، والماء في الراوية، وإنما جعل ذلك التحبيب والتكريه، عز وجل، بالدعاء لهم، والتشويق إلى الجنة، وما أعدّ الله، جل ثناؤه، فيها من النعيم المقيم والفوز العظيم، وما وصف من القصور، وما فيها من

(٢) سورة القصص : الآية ١٥ .
(٤) سورة الإنشقاق : الآيتان ٢٠ - ٢٤ .
(٦) سورة المائدة : الآية ٧٤ .
(٨) جاءت في الأصل : وافترأ .

(١) سورة الانفال : الآية ٤٢ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ١٥ .
(٥) سورة المدثر : الآية ٤٩ .
(٧) سورة المائدة : الآية ٧٣ .
(٩) سورة الحجرات : الآية ٧ .

نواعم الحور والانهار الجارية، والثمار الدائمة، والأفنان الدانية، وأنهار العسل واللبن والماء والخمر، الذى لا يشبه شيئاً^(١) من نعيم الدنيا، فهذا التحبيب بالصفة، لا أنه ، سبحانه، أكرههم عليه جبراً، وكونه فيهم قسراً، وكذلك التكريه للكفر، إنما هو بما خوف وحذر، وأعذر وأنذر، ووصف من السلاسل والأغلال والحميم، والسحب على الوجوه، والمهل والزقوم والغسلين، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٢) ، فهذا معنى التحبيب والتكريه، الذى جهلته لا غير ذلك، ولو كان على ما ذهبت إليه وغيرك، ومن قال بقولك من أهل الجبر. لم يقل، عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ، ولوجب أن يقول: جزاء بما عملتُ / أنا فيكم، وصورته في قلوبكم، قسراً وجبراً، والله ، عز وجل، متعال متقدس عن قول المحال، وخلق الافعال، وإرادة الضلال، ومشابهة الجهال، والدخول فيما عملوا من الاعمال .

التوحيد لا يختلف ولا يتناقض،

وأما ما سألت عنه من اختلاف التوحيد ، فالتوحيد لا يختلف ولا يتناقض ، ولا يبطل شئ منه، لأنه دين الله، عز وجل، الذى لا يدخل الجنة إلا بمعرفته، وسائر الفرائض، فهى تبع له وللعدل .

فما نعلم التوحيد يختلف فى قول أحد إلا معكم، فإن توحيدكم الذى سميتموه توحيداً ، هو الذى يختلف ويتناقض، لما شبهتم الله، عز وجل، بخلقه الجائرين وعبيده المفسدين .

معرفة العدل والتوحيد فريضة،

وليس يجوز لأحد من الخلق جهل بعض صفة الله، عز وجل، بل معرفة العدل والتوحيد فريضة لازمة لجميع أهل الأرض، من البالغين الكاملة عقولهم، لا عذر لأحد فى ذلك؛ لأن العدل والتوحيد أصل الإسلام، وقوام الدين، ولا يستقيم اعتقاد (واحد)^(٣) منها إلا باعتقاد الآخر، ولم يضع الله، عز وجل، علم التوحيد ولا العدل، عن مكلف من جميع الخلق ..

(٢) سورة النساء : الآية ٥٦ .

(١) جاءت فى الأصل : شيا .

(٣) مكتوب بالهامش

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن اقربان الله، عز وجل، قادر، ولم يقر بأنه فاهم.

فاهم من صفات الخلق،

الجواب قال أحمد بن يحيى، رضى الله عنه: هذا عندنا سؤال من لم يعرف الله، عز وجل، ولا توحيده، وهذه المسألة مسألة فاسدة، لقولك فاهم، فقولك: فاهم، كفر بالله العظيم؛ لأن فاهم من صفات الخلق، إذ منهم من يفهم ومن لا يفهم، والفهم من صفة المخلوقين، وذلك عن الله، عز وجل، منفي.

وقولك: فاهم. فهي خارجة من اللغة العربية، فلزمك الخطأ في وجهين، في التوحيد واللغة جميعاً، وإنما تقول العرب: رجل فاهم، ولا تقول فهم، وهذه اللفظة من جهل بالتوحيد لا يجوز أن يوصف الله، عز وجل، بفهم، وقول القائل: الله عالم. يجزئ عن ذلك كله، ومن قال - زعمت - إنه قادر ولم يقر بأنه قاهر، وأقر بأنه إله ولم يقر بأنه خالق، وهذا القول الذي قلته، فكلية فاسدة لا يجوز في التوحيد، ولا يقوله من له أدنى رأى سديد، ومعرفة يسيرة.

وأما قولك، أيها المجبر، في المحتلم وليس بمجنون ولا مغلوب على عقله؛ لانه يعرف حين احتلم أنه قد كمل عقله، فهذا كلام مخلط لم تصحه، والمحتلم ليس عليه لوم في نومه، والفرائض له لازمة، وإن نام، والتوحيد عليه فريضة، وإن نام؛ لأن النوم لا يذهب عنه فرض التوحيد، وعليه أن يقوم بفرائضه ويؤديها ويعتقدها.

١٥ ظ / وقولنا: وإن الفرائض والتوحيد لازمة للنائم في / نومه، أردنا بذلك أن فرض الله لازم للنائم واليقظان، نريد أن على النائم أن يكون ضميره واعتقاده التوحيد، ووجوب الفرائض، فإذا استيقظ لزمه العمل والاداء^(١) لما افترض عليه.

وأما الفعل فيه يكون الثواب والعقاب؛ لأن الأمر والنهي إنما هو لازم لأهل العقول، وأنت تعلم أن الزنج والهند والحبش، وجميع الأعاجم، إذا طلبوا العلم والتعليم نالوه وأدركوه، وإن قصرُوا بعد دعاء^(٢) الرسل، لزمتهم الحجة لقول الله، سبحانه، لنبيه،

(١) وردت في الأصل: الاداء.

(٢) وردت في الأصل: دعا.

صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ، ولا عذر لاحد من الاولين والآخرين فى أداء ^(٢) ما افترض الله عليه من توحيده وعدله ودينه ، وإن عذرتة أنت ، بجهلك وفريتك على الله ، جل ثناؤه ، وجعلت له الحجة على الله ، سبحانه ، ورددت القرآن ، والله ، سبحانه ، يقول : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٤) ، وكل هذا يكذب قولك الذى قلت : إن الله ، عز وجل ، أراد أن لا يعبدوه وأراد أن لا يؤمنوا ، وأن يكفروا ، ويفجروا !! ..

فإن قال لنا قائل : اليس قد تجدون فى الرواية عن النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أنه قال «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الطفل حتى يبلغ» ^(٥) .

فإذا قلنا : نعم ، قد صح ذلك ، قال : فكيف زعمتم أن الفرائض لازمة للنائم والمستيقظ ، وهذا ينقض ما قلتم !!؟ ..

قلنا له : إنما يزول عن النائم فعل الفرائض ما دام فى نومه ، ولا يزول عنه اعتقادها ولازمها الواجب المحتوم الذى لا يسقط ، والدليل على ذلك أنه لا يجوز أن نقول لرجل نائم : هذا الرجل النائم قد زال عنه الإيمان ، بزوال عقله ، وما هو فيه من نومه ، ولكن يجوز أن نقول : قد زال عن هذا النائم عمل الفرائض ما دام نائماً . فهذا وجه الصواب ، والحمد لله رب العالمين .

فى بيان أن أفعال العباد غير مخلوقة :

ومن الحجة لنا عليك أن أفعال العباد غير مخلوقة ، قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب ^(٦) ، صلوات الله عليه ، وقد سئل ما الإيمان فقال : «الإيمان قول معقول ، وعمل معمول ، وعرفان فى العقول» .

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٦٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٣ ، والبخارى ١٢٣/١٢ (٦٨١٥) ، وابن ماجه عن عائشة ٦٥٨/١ (٢٠٤١) ، وأبو داود ١٤٠/٤ (٤٤٠٣) ، والديلمى فى الفردوس ٤٠٤/٢ حديث (٣١٠٤) .
(٤) سورة الداربات : الآية ٥٦ .
(٥) رواه الترمذى ٢٤/٤ (١٤٣٣) ، والبخارى ١٢٣/١٢ (٦٨١٥) ، وابن ماجه عن عائشة ٦٥٨/١ (٢٠٤١) ، وأبو داود ١٤٠/٤ (٤٤٠٣) ، والديلمى فى الفردوس ٤٠٤/٢ حديث (٣١٠٤) .
(٦) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ ، وأول من أسلم من العصابة ، ولد فى السنة ٢٣ قبل الهجرة وتزوج من فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ، وكان عمرها ١٨ سنة ، وأنجب منها الحسن والحسين ، عرف بالشجاعة والفتوة . وقتل شهيداً سنة ٤٠ هـ على يد عبد الرحمن بن ملجم الحارثى ، وهو يعلى الفجر بمسجده بالبصرة . انظر ترجمته بالأعلام ٢٩٥/٤ .

ولم يحد الإيمان بلمس ولا بحس يُحسُّ ، ثم سئل ما الإيمان مرة أخرى ، فجاء ، عليه السلام ، بالمعنى الأول بعينه بلفظ غير اللفظ الأول ، فقال : «الإيمان قول باللسان ١٦ او / وعمل بالأركان ومعرفة / بالجنان» ، ولم يصف الإيمان أنه مخلوق ، ولا أنه موجود بين ستة حدود ، وهى الخلف والقدام واليمين واليسرة والفوق والتحت ، التى لأبد منها للشئ من جميع ما خلق الله ، عز وجل / وأنتم فلا توجدونا أفعال العباد بين هذه الحدود أبداً ، وذلك الدليل على أنها غير مخلوقة ، وأنها حركات بنى آدم وفعلهم ، شاهد ذلك الأكبر الذى لا يُرد ، قول الله ، عز وجل ، للظالمين : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً ﴾ ^(١) ، فصَحَّ إنما خلقوا ليس بخلق الله ، عز وجل ، وفى أقل من هذا كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي فى كتابه : وهو يخاطب صاحبه ، وهو يغريه بأهل العدل : واعلم أنك لن تسألهم عن شئ ، هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، لأنهم يقولون : لا يكلف الله العباد إلا ما يستطيعون ، فإن جعلوا الإنسان شيئاً ^(٢) ، ولم يُعطوا الآخر ، انكسر قولهم ؛ لأنهم إن كُلفوا الآخر حينئذ ما علم الآخر ^(٣) ، ولم ^(٤) ، يعط ما أعطى ، فقد كُلفوه حينئذ ما لا يطيق ؛ لأن الشئ الذى كُلف لا ينال إلا بذلك الفضل الذى أعطيه الآخر ، فهو الآن مكُلف ما لا يطيق .

(٢) وردت فى الأصل : شيا .

(٤) جاءت مكررة بالأصل .

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٣) بالهامش (اظنه ما على الآخر) وهو صحيح .

المسألة الثالثة:

هل هناك تكليف بغير العقل؟

فإن قالوا : إنه بالعقل وبغير العقل .

فسلهم ما ذلك الشيء الذى هو غير العقل ؟!! ..

فإنهم لن يصفوه لك أبداً إلا منةً من الله ، فقل لهم عند ذلك : إنا كذلك نقول :
إنهم مكلفون حين يبلغون الحلم ، وتقوم عليهم الفرائض وتدرك العقول ، وذلك حين
يبلغون الحلم ، ولا يطيقون ذلك الذى كُلفوا إلا بمن الله وعونه وتعريفه ، وإن شغب
أحدٌ منهم فقال : إنا لا نصفه بمن من الله ، وهو شئٌ سوى العقل .

فقل لهم عند ذلك : أفما أعطى الذى تزعمون مثل ذلك الشيء الذى هو العقل ؟ ..

فإن قالوا : بلى ^(١) . فقل لهم : فما لهم لم يعرفوا كما عرف هؤلاء ^(٢) ، وإنما هو
شئٌ من كان فيه مع عقله عرف ، فإنهم سيفرون من هذا الكلام أيضاً ^(٣) ، فلا يوجد
لهم حجة ، وإن قالوا : هو شئٌ سوى ^(٤) منة الله ، فسلهم ما هو ؟ فإنهم لن يصفوه
لك ، وإن تكلفوا لك شيئاً ^(٥) يلدون به ^(٦) ، فإنه ليس له أصل .

جواب الناصر:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : أما قولك
يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، لصاحبك ، واعلم أنك لن تسألهم عن شئٍ هو أشد
عليهم من هذا وأشباهه ، وقولك فى غير موضع من كتابك أن أهل العدل يفرون من
١٦ ظ / كلامك ، وأنهم يعجزون عن / جوابك .

تُفرَّحُ بذلك نفسك وأصحابك ، فكان مثلك فى هذا القول ، مثل إنسان قال
لجماعة ، وقد خرجوا فى سفر : إذ صرتم فى الدهناء ^(٧) فى موضع كذا وكذا ^(٨) من

(١) وردت فى الأصل : بلى .

(٢) وردت فى الأصل : سوا .

(٣) الخصومة والعناد والجدل بالباطل .

(٤) وردت فى الأصل : كذا ، وكذا .

(٥) وردت فى الأصل : شيا .

(٦) وردت فى الأصل : ابغى .

(٧) وردت فى الأصل : شيا .

(٨) موضع فى أرض تميم ، انظر مختار تصحيح ، ص ٨٩ .

الرمل، حيث لا يعرف الماء، فإنه سوف يلتقاكم نهرٌ عظيمٌ، كثيرُ الماء، وحوله فواكه كثيرة، وعنده أسودٌ خوادِرٌ^(١)، فكلوا من تلك الثمار، واشربوا من ذلك الماء بلا حساب، ولا عاقبة سوءٍ^(٢)، وأما الأسودُ فإنها سوف تفرُّ من لقائكم، إذا رأتكم فلا تهتموا بها.

فذهبوا اتكالاً على قوله، وثقةً بنصيحته، وتقليداً له، فلما بلغوا الغائط الآمق^(٣) من الدهناء جهدهم العطش والضر، ولم يجدوا نهراً ولا ثماراً، ووجدوا^(٤) الأسود، فساعة عاينتهم، وثبت عليهم، فافترستهم^(٥) جميعاً، فلم يفلت منهم أحدٌ.

وكذلك هلك من قلَّد الرجال دينه بلا بيان، ولا حجة قاطعة، ولا بينة قاهرة، فهذا مثلك ومثل أصحابك، وما أعطيتهم من القول المحال، الذي ينتقض عليهم عند الرجوع^(٦)، وملاقاة الرجال.

وأما قولك لأصحابك: إن من قولنا، نحن أهل التوحيد والعدل، إن الله، عز وجل، لا يكلف العباد إلا ما يستطيعون، فذلك قولنا، وأنتك - زعمت - تسألنا بما كلفهم الله، عز وجل، هذا الدين وما يستطيعون به؟..

لقد قسم الله العقول بالسوية؛

فإننا نقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، كلف العباد الفرائض، وجعل فيهم استطاعة البنية المركبة، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأمرهم ونهاهم، بعد كمال العقول، وقسمه فيما بينهم بالسوية؛ ولذلك صارت الفرائض عليهم، واجبة بالسوية.

إلا أن تقول يا عبد الله بن يزيد البغدادي، ومن قال بقولك: إن لبعض الناس عينين ونصف، ولبعضهم عينين إلا ربعاً..

فكلف هذا من الفرض ما لم يكلف الآخر

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان له مائة عبد، فدفع إلى كل عبد فيهم ديناراً، وأمره أن يأخذ له بذلك الدينار مسكاً، والمسك حينئذٍ مثقال بدينار، فذهب كل واحد

(١) تلزم عربيتها ومكانها فلا تترجمه.

(٢) يعني لما بلغوا منخفضاً واسعاً مجهولاً من هذه الأرض.

(٣) وردت في الأصل: ففرستهم.

(٤) وردت في الأصل: سو.

(٥) وردت في الأصل: ووجدوا.

(٦) غامضة بالأصل

منهم، فجاءه بمشقال مسك بدينار؛ لانه لم يفاوت بينهم فى العطاء ، ولم يرخص لأحد منهم دون المشقال من المسك للاداء^(١) ، فهل يجوز فى الحكمة عندك، أو يثبت فى العدل أو يقع عليه الأوهام، أنه لو عاقب كلهم أو بعضهم، أنه يصح له اسم حكمة أو يثبت له اسم العدل؟!

فى بيان أن الله لا يساوى بين المحسن والمسيء

١٧ و / فهذا وجه ، ثم نقول لك : لو أنه دفع أيضاً إلى كل / واحد منهم ديناراً مرةً أخرى، وأرسلهم يأتونه بذلك المسك، على الشرط من الوزن، وهو مشقالٌ بدينار، فجاء واحد منهم بنصف مشقال، وجاء الآخر بمشقال إلا ربع، وجاء الآخر بمشقال إلا سدس، وجاء الآخر بثلاثي مشقال ، وجاء الآخر بمشقال على الوفاء ، بعد ما ساوى بينهم فى العطاء وكلفهم أن يأتوا بوزن واحد، على ما رسم وبه أمر، ثم رضى عنهم جميعاً ، أو جعل ثواب المحسن مثل ثواب المسيء .

هل يجوز عندك أن ينسب هذا إلى الحكمة والعدل والصدق، وإنفاذ القول الذى شرط على نفسه؟!!

ولا سيما أن كان القائل قال : ﴿ مَا يُدِلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾^(٣) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْقًا ﴾^(٥) ، ﴿ .. إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾^(٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(٧) .

بين العقل الطبيعى والمكتسب

فإن قال قائل : قد رأينا العقول يزيد بعضها على بعض، قلنا له : إن تلك الزيادة التى سميت إنما هى اكتساب، اكتسبها العقل المكنس بأصل العقل المركب فيه، وذلك لما هذب من رأيه، واكتسب من الآداب، واستعمل من النظر والعلم والحكمة، وأما الآخر فضيغ عقله وشغله بكل فساد^(٨) يصدئ^(٩) العقل، ويذهل عن الصلاح ، وليس

(٢) سورة ق: الآية ٢٩ .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٧ .
(٦) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٨) فى الأصل : فساد .

(١) ورد فى الأصل: المعطى .. للاداء .
(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٧) سورة آل عمران : الآية ٩ .
(٩) فى الأصل : يصدئ .

يجوز فى عدل الله، تبارك وتعالى ، أن يفاوت بينهم فى العقول ، ثم يُحملهم من الفرض شيئاً واحداً لا تفاوت فيه، فلا يجوز فى العدل غير هذا ، لقوله سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ ^(٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ^(٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ^(١٠) ﴾ ^(٢) ، فهذا جوابُ ما سألت عنه .

وأما قولك أنك تسألنا - زعمت - إنه بالعقل وبغير العقل - وتقول لصاحبك : فسلمهم : ما ذلك الشئ الذى هو غير العقل ؟!

ونحن لم نقل : إن الله، عز وجل، زاد العباد شيئاً ^(٣) يأخذون به دينه إلا الجوارح السالمة، والعقول الكاملة ^(٤) ، وأما غير ذلك فلا نقول به ، وكفى ^(٥) بما ذكرنا من الجوارح، والعقول السليمة، منةً من الله، جل ثناؤه، عظيمة لا أعظم منها من المثل .

بالعقل وحده يكون الإدراك :

والتعريف من الله ، عز وجل، فهو إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأما تكرير الكلام المعاد الذى لا وجه له، فلا معنى لتكرير الكلام، ولما يعرف من نفس المسألة ^(٦) ، والتطويل فيها عي ^(٧) ، وقلة معرفة بفصل الخطاب .

١٧ ط / وأما قولك : إن ثم شيئاً سوى العقل ، فلا شئ مع العقل يعطاه العباد إلا / سلامة الجوارح، ولا سبيل لهم إلى وجود معناً ^(٨) غير الجوارح فى الإيمان، والخروج من المعاصى بغير ما ذكرنا ، فذلك دعوى باطل، وإن ادعيت أمراً، فأصح لنا معناً غير صحة الجوارح والعقول ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب .

رد مقالة الجبر بالقسر والجبر على الإيمان أو الكفر :

فإنك لا تقدر على غير ذلك أبداً ، إلا دعواك على الله، عز وجل، وفريتك عليه، أنه قسر بعضاً على الإيمان كما أحب ، وقسر بعضاً على الكفر كما أحب، وهذا

(٢) سورة البلد : الآيات من ٨ - ١٠ .

(٤) صححها بالهامش .

(٦) جاءت فى الاصل : المسئلة .

(٨) فى الاصل : معنى .

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) جاءت فى الاصل : شيا .

(٥) وردت بالاصل : كفا .

(٧) أى عجز .

خلاف القرآن ورده صراحاً ، وهو مكابرة العقول ، والإعراض عن النصفة والتفاضى والتجاهل عن الحق ، وحبُّ الرياسة .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وأما قولك أنك - زعمت - تسألنا ^(١) فتقول لنا : أليس قد أعطوا كلهم أن يعلموا كما يعلمُ الأنبياء والمؤمنون ، من توحيد الله ، سبحانه ؟ ..

فإن قلنا : نعم ، رددت علينا - زعمت - ما ذكر الله ، سبحانه ، فى كتابه من ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ ، ومن ذكر أنهم ﴿ لا يصرون ﴾ ، ومن ذكر أن ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ ، فإننا - زعمت - سنرجع عما أعطيناك ونترك هذا الكلام ، وقد أعلمنا أنك إنما تفرح نفسك ، وضرينا لك مثل النهر والأسود .

معرفة الأنبياء أكبر ،

ونحن نقول : إن معرفة الأنبياء ، عليهم السلام ، بتوحيد الله ، عز وجل ، وبمعالم دينه أكبر من معرفة الخلق ، وشاهد ذلك قوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ ^(٤) ، وما خصَّ الله ، جل ثناؤه ، به الرسل ، وفضله به على غيرهم ، فذلك أمرٌ غير منكر ، لما قلدهم من القيام بمعالم دينه ، وجعل حاجة الخلق إليهم .

التدليل على أن معرفة الأنبياء أكبر ،

ولو كان الأمر فى العلم والمعرفة سواء فى الأنبياء ^(٥) والأمم ، لم يكن بين العالم والمتعلم فرق ، ولم تكن الأنبياء ، عليهم السلام ، أولى ^(٦) بالمعرفة من العوام ، وهذا ما لا يقاس ولا يذكره أحد من أهل المعرفة ، وكذلك المؤمنون بعضهم أعلم من بعض ، فلذلك صارت الأئمة ، عليهم السلام ، أولى ^(٧) بمقامات الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، من الأئمة ، لما عندهم من العلم والحكمة والمعرفة ، بالكتاب والسنة .

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

(٦) جاء فى الإصل : أولاً .

(١) وردت فى الأصل : تسألنا .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٥ .

(٥) فى الأصل : سواء . الأنبياء .

(٧) وردت فى الأصل : أولاً .

حول موقف الخوارج من أمير المؤمنين فى صفين :

وبذلك الفضل الواضح احتج أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، صلوات الله عليه ، على إخوانك الخوارج ^(١) بحروراء ، فرجع منهم ثمانية آلاف ، لما احتج عليهم بالحجج القواطع التى لم يكن عندهم منها معرفة ، فتابوا ورجعوا معه إلى الكوفة ، ولولا أن ١٨ و / تلك الحجج موجودة / معروفة فى كتاب «صفين» وغيره ، لذكرناها ، وبذلك الفضل والتفضيل فى العلم الذى خُصَّتْ به أئمة الهدى ووجبت الله ، عز وجل ، على خلقه فى أرضه ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) ﴿ ٢ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبِطُونَ مِنْهُمْ ﴾ (٣) ، وعندما احتج أمير المؤمنين ، عليه السلام ، على الخوارج بحروراء فرجع منهم ثمانية آلاف ، وتخلف منهم أربعة آلاف ، إصراراً على الجهل ، واتباعاً للهوى ومُساعدة للرؤساء ، بعد البيان والإعذار ، فتخلفوا عن إمام الهدى وسيد أهل زمانه ، أخى الرسول وابن عمه ، وأوجبَ عليهم الحكم بكتاب الله ، سبحانه .

ويلزمكم أن نسالكم أيضاً فى هذا الموضع ، فنقول لكم : خبرونا عن أهل حروراء هل أراد الله ، عز وجل ، منهم أن يرجع منهم مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، عليه السلام ، إلى الكوفة ثمانية آلاف ، تائبين عارفين بالخطأ والزلة ، وأراد من الأربعة آلاف التى تخلفت وأسرت على العمى ^(٤) بعد الحجة ، أن يتخلفوا وأن يحاربوا علماً ، خليفة الله فى أرضه فى عصره ؟

فإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، أراد من الفريقين جميعاً هذا الفعل الذى فعلاه ، فإذا قلتم : نعم قد أراد الله ذلك .

قلنا لكم : فايهما الصواب ، وايهما الخطأ ؟

(١) الخوارج تلك الجماعة التى خرجت على على بن أبى طالب ونابدوا الخلفاء ، وادعوا ضلالة برضاه بالتحكم ، وحاربوا المسلمين بالسيف ، ولهم أسماء مختلفة كالحوورية والشراة ، وفرق عديدة بلغت العشرين منهم : المحكمة والتجندات والصفرية والعجاردة وغيرهم ، راجع هذه الفرقة فى كتاب الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ١٣١ وما بعدها ، والأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٥٦ وغيرها من كتب المقالات

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٤) وردت فى الأصل : العما

فإن قلتم: إن الصواب مع من تخلف عن الدخول مع أمير المؤمنين ، عليه السلام ، والخطأ مع من رجع إليه ، ودخل معه الكوفة .

قلنا لكم : فلم سميتم بعض فعلهم خطأ وبعضه صواباً والله ، عز وجل ، هو الذى قضى ^(١) ذلك - زعمتم - كله على الفريقين ، وخلقه من فعلهم ، وأراده منهم ، وقدره عليهم ؟

فيلزمكم أن بعض فعل الله ، عز وجل ، وخلقه وإرادته وتقديره خطأ ، وأن بعضه صواب !! لا بد بكم من إثبات ذلك ، إذ أصل هذه المسألة إنما وضعتموه ، إثباتاً للجبر ونقياً للعدل ، وأن أفعال العباد كلها مقدرة مخلوقة ، وإن الله ، عز وجل عما قلتم ، هو الذى خلق أفعالهم وأرادها وقدرها ، وصير بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً ، كما زعمت فى كتابك ، الذى هذا جوابه .

فما مخرجك من هذا الجواب ، الذى أجبتك به فى هذا الموضع ، من رجوع بعض أصحابكم إلى على بن أبى طالب ، عليه السلام ، وتخلف بعضهم عنه ؟ ..

فيلزمكم ، على قود قولكم ، أنه لا لوم على أحد من الفريقين ؛ لأن كليهما ، على قولكم ، كذا أراد الله منها وخلق وقدر وقضى وشاء ^(٢) ، والله ، عز وجل ، لا يظلم ولا يؤاخذ الناس بفعله ..

١٨ ظ / فلا بد لكم أن تقولوا : إنهم كلهم مخطئون ، أو كلهم مصيبون ، أو بعضهم مخطئ ، وبعضهم مصيب .

فإن قلتم : إن كلهم مخطئ . كفرتم وكفرتم من حاربكم .

وإن قلتم : إن كلهم مصيب . . . لزمكم أنكم مصيبون فى حرب أمير المؤمنين ، على ابن أبى طالب ، عليه السلام ، وأنه مصيب فى حربكم ، وهذا قول المجانين ، وليس مثله يخاطبُ لجهله ، وقلة علمه !! ..

وإن قلتم : إن بعضكم مصيب وبعضكم مخطئ ، وأن ذلك الفعل كله من الفريقين

(١) جاء بالأصل : قضا .

(٢) وردت فى الأصل : كذى ... وقضا وشا .

إنما الله الذى خلقه وقدره وأرادته، فى قولكم . لزمكم أن بعض خلق الله، سبحانه،
وتقديره خطأ^(١) وبعضه صواب!

وهذه المسألة وحدها تقطع جميع ما قلتم من الجبر فى كتابكم كله ، وتوجب
القول بالعدل، والرجوع إلى الحق ، وهى تجزؤنا^(٢) وحدها، لقطعها لكل مجبر على
وجه الأرض؛ لأنه ما لزم فى حجة واحدة من حجج الله، جل ثناؤه، لزم فى التى يقاس
عليها، وفى هذا كفاية من عقل.

ونحن نشق أن كل من سمع هذا الجواب، يشهدُ عليكم بالغلبة والإنقطاع، وأن
لامخرج من هذه المسائل لأحد من جميع أهل الجبر والفرية على الله، جل ثناؤه، فأئنا
الآن الذى دينه دين شيطان، كما ذكرت، ومن المشرك الذى وصفت فى كتابك، أنه
حلال ماله ودمه وسبيه وقتله، فى السر والعلانية، وحرام ذبائحه ومناكحته؟!!

لأنهم - زعمت - ليسوا بأهل الكتاب^(٣) ولا مقرين بجزية وإنما هم حربٌ، فإن
قلنا لك - زعمت - نعم - أخذنا بمسائل الصفرية^(٤) ومن سُمى من محدثي أهل
القبلة بالشرك.

ونحن نقول لك: أليس قد احتججت، فى كتابك الذى كتب بعض أصحابك،
إلى إخوانهم ينهونهم عن الدخول مع الشيعة^(٥)، ويقولون إن دينهم كان دين
الصفرية قديماً؟!!

دينٌ - زعموا - اختاره الله ، سبحانه ، لهم واختصهم به دون غيره ، ثم جاءهم
بعد ذلك الدين الصحيح الذى اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيرهم
أيضاً - كما زعموا - فى زمان عبد الرحمن بن خليل، وعبد الكريم بن نعيم فتركوا
الصفرية وأخذوا الدين الآخر الذى خصهم الله به دون غيرهم - زعموا - فى كتابهم
الذى كتبه المشايخ إلى عشائريهم، وردَّ عليهم فيه بعض أصحابنا ما فيه الكفاية .

(١) جاءت فى الأصل : خطأ .

(٢) وردت فى الأصل : تجزئنا .

(٣) فى الأصل : الكتاب .

(٤) انظر مقالتهم فى اعتقادات فرق المسلمين والمشرىين للرازى ص ٦٥ .

(٥) انظر مقالتهم وفرقهم فى مقالات الإسلاميين للأشعرى ١ / ٨٩ وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين . . للرازى، ص ٧٧

وما بعدها والملل والنحل للشهرستانى ١ / ١٦٩ وما بعدها ، وغيرها من كتب المقالات

وما علمنا أحداً من جميع الناس، يأتى من التخليط الفاحش، بممثل هذا الذى قلتم، فالله المستعان .

هل علم ، ﷺ ، جميع صحابته بدرجة واحدة ؟

فإن قال قائلٌ: فهل أعطى رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله، الناسَ (العلم) ^(١) ١٩ و / سواء، حتى كانوا جميعاً فيه سواء؟ .. فإننا نقول: إن صلوات (الله) ^(٢) عليه / وعلى آله وسلم، قد نصح وبلغ جميع ما أراه الله ، جلُّ وعز ، بتبليغه وأوفاهم عليهم الفرائض على السواء ، لم يكتفهم نصيحة، ولم يستر عنهم ما تعبدوا به، غير أن بنى آدم مختلفة همهم وأهواؤهم، وإن بعضهم يستعمل عقله، ويصرف همته فى طلب العلم، وبعضهم يستعمل عقله، ويصرف همته فى أشياء غير ذلك، من الزراعات والصناعات، والأديان والمختلفة، والفرص عليهم سواء ، ولا حجة على الرسول، ﷺ ، فى تقصير، ولا خيانة فى تأدية ^(٣) ، ولذلك صار بعض الناس، من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، ومن تبعهم من جميع الناس أعلم من بعض .

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) ^(١) .

وقد علمت ما كان بين موسى وبين العالم ، صلى الله عليهما، الذى لقيه، فوجده موسى، عليه السلام، أعلم منه، وموسى نبيُّ عالم غاية فى العلم، (فهذا جواب ما سألنا عنه) ^(٥) .

فإن قال قائلٌ: فهل فضل رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، يعلم جميع من طلب العلم، ولا يبخل عليه بما فيه نجاته ولا يخص أحداً بعلم دون أحد .

فإن قال لنا: فلم زعمتم أن على بن أبى طالب أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وكتابه وسنة نبيه بعد النبى، ﷺ ؟

لم كان على أعلم الناس بكتاب وسنة نبيه ، ﷺ ؟

قلنا له : لانه كان أرغبهم فى طلب العلم، وأحرصهم عليه، وأقربهم بهم منزلة من

(١) وردت فى الأصل: اعطا .

(٣) وردت فى الأصل: تأدية .

(٥) جاءت فى الأصل: بخط مخالف وممداد احمر، ونامة الشكل .

(٢) وردت بالهامش .

(٤) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

الرسول، صلى الله عليه، إذ هو معه، صلوات الله عليهما، جميعاً في داره ومقاعده، في ليله ونهاره، مع ما أراده الله، سبحانه، من استخلافه بعد نبيه، فلا عتب على النبي، صلى الله عليه، ولا حجة فيما خصه به على غيره، لعلمه أنه موضع حاجة أهل الإسلام ومفزعهم بعده، وأن جميع ما علمه رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، من العلم عائد نفعه ومرفقه على الأمة، وهو قوام دينها.

فلذلك يوجب نصيح النبي، صلى الله عليه وعلى آله، وكمال تبليغه، ونفى الاختصاص بالإثارة، بالعلم لبعض دون بعض، إذ في ذلك الصلاح للأمة وحسن الفائدة عليها، فلذلك من جودة النظر لها، وعلى أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لا يفعل من الأمر إلا ما أمره الله، عز وجل، به، لقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنٍ (٢٤)﴾^(٣).

١٩ ظ / فهذا حرف واحد يقرأ على وجهين، فمن قرأ «بالظاء» وجب في ذلك / أنه، عليه السلام، ليس على الغيب بمتهم، و«الظنين» في لغة العرب هو المتهم، ومن قرأ «بالضاد» وجبت في ذلك أن ليس على الغيب ببخيل، و«الضنين» في لغة العرب هو البخيل.

وأما قولك واعتلالك بقول الله، عز وجل: إنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥) - ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٦)، فإنما ذلك كله ذم منه، عز وجل، لهم إذ لم يطلبوا العلم ولم يصغوا إليه، وكابروا الجائي^(٧) به من عند الله، سبحانه، وتركوه باتباع الهوى، واختيار العمى، وتقليد الكبراء.

وقد كانوا بصراء إذا أرادوا، وعلماء إذا أحبوا، وبلغاء فيما اشتبهوا. الأثرى كيف قال، عز وجل: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٨)، وقال: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾^(٩)، وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)﴾^(١٠)، فهذا مكر

(٢) سورة النجم: الآية ٣.

(١) سورة يونس: الآية ١٥.

(٣) سورة التکویر: الآية ٢٤. (قراءة الظاء).

(٤) وردت مادة «يعلمون» بالإثبات ٨٥ مرة، ووردت «لا يعلمون» بالنفي ٤٢ مرة.

(٥) وردت مادة «يعقلون» بالإثبات ٢٢ مرة، ووردت «لا يعقلون» بالنفي ١٠ مرات.

(٦) سورة النجم: الآية ٣٠.

(٧) وردت في الأصل: الجأى.

(٨) سورة النمل: الآية ١٤.

(٩) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.

(١٠) سورة إبراهيم: الآية ٤٦.

من لا بصيرة معه ولا علم ولا تمييز ولا معرفة ، وقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ^(١) ، وقول الله ، عز وجل : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٣) .

ولأنما يقع الذم عليهم من الله ، عز وجل ، على تركهم للأمر الذى لو أرادوه ، لقدروا عليه وأمكنهم ، ولو كانوا لا يعقلون لم تلزمهم حجة ، إلا كما لزمتم المجانين والأطفال .

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٩ .

المسألة الرابعة

حول الاستطاعة والفعل

(نص كلام المجير)

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن كان موضوعاً عنه علم الدين، ثم هو طفل، أرايتم حين يقع عليه التكليف، ويؤخذ بعلم ما كان عنه موضوعاً، أخبروني عنه في تلك الحال التي كلف فيها، أوقع عليه التكليف والاستطاعة والفعل، في حال واحدة، لم يقع بعضه قبل بعض؟..

فإن قالوا: إنه إنما يقع جميعاً لا يقع بعضه دون بعض.. لم تقع الاستطاعة قبل الفعل والا الفعل قبل الاستطاعة. فقل لهم عند ذلك: فكل خلق من خلق الله، كلف الإيمان ونهى عن الكفر، فقد وقع له فعل، مع استطاعة إما إيمان وإما كفر، لم تقع استطاعة قبل كفر، ولم يكن يستطيع (لان) ^(١) يفعل ذلك الشيء، الذي وقع مع استطاعته.

فإن كان إيمان وقع مع استطاعته، فلم يكن يستطيع أن يكون ثم كفر مع استطاعته، ومن وقع له فعل كفر مع استطاعته، فلم يستطع ^(٢) أن يكون منه إيمان؛ لانهما إنما يقعان معاً، لا يقع واحد منهما قبل صاحبه؟..
فإن قالوا: نعم.

فقل : وكذلك قولنا، أفليس من كلف الإيمان كان له فعل واقع مع التكليف، إما إيمان أو كفر لا يستطيع معه فعل، غير الذي وقع مع الاستطاعة، فإن قالوا: بلى ^(٣).
٢٠ و / فقل : أخبروني عن وقع / مع فعله حينئذ كفر، اليس هو مكلفاً في تلك الحال (بالإيمان الذي لا يستطيعه، اليس لا يستطيع أن يعدل عنه فعل الكفر في تلك الحال) ^(٤) كما لا يستطيع أن يعدل عنه الاستطاعة؟ فإن قالوا: بلى ^(٥).

(٢) في الاصل : يستطيع..

(٤) تكمله وردت بالهامش.

(١) في الال: لا.

(٣) وردت في الاصل: بلى.

(٥) وردت في الاصل: بلى.

فقل لهم: فهم إذن فى تلك الحال لا يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان، وهم لا يستطيعون الكفر، ولا أخذ الإيمان!!

فإن قالوا: نعم. أعطوك أن الكفار لا يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان وهم لا يستطيعونه، ولا يستطيعون ترك الكفر فى تلك الحال؟..

فإن قالوا: نعم. فقد تركوا قولهم، وهذا قولنا، لانا نقول: إن الناس يكلفون فى حال الإيمان، (ونقول: إن الاستطاعة والتكليف والفعل إنما يقع) ^(١) فى حال واحدة.

فمن وقع له فعل الاستطاعة، فهو لا يستطيع ترك ذلك الفعل، فى تلك الحال التى وقع فيها فعله واستطاعته، فقد أقررتم بما نقول.

وإن قالوا: إنما يقعان معاً، ولكنه ^(٢) قد يستطيع أن يرد ما كان فعل بعد فعله، فهذا أقبح وأجور.

فسلهم عند ذلك فقل: هل يستطيع أحد منكم الآن أن يرد شيئاً قد كان فعله حتى يقال: إنه لم يفعله؟.. فإنهم لن يقيدوا هذا جواباً؛ لأن من سرق أو قتل أو أشرك أو عمل عملاً، فلا يستطيع أن يرده ذلك حتى يقال: إنه لم يعمل قط.

فإن قالوا: إن الاستطاعة تقع قبل الفعل.

فى تعريف الاستطاعة:

فقل لهم عند ذلك: اليس الاستطاعة حال، يقع فيه غير حال الفعل، وهى قبل الفعل، فقد يكون الرجل مستطيعاً للإيمان والكفر فى حال، ولم يعمل إيماناً ولا كفراً؟

فإن قالوا: نعم، فقل أخبرونى: اليس قد يستطيع فى تلك الحال أن لا يأخذ بإيمان ولا كفر، وهو مكلف بالإيمان؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فقد يكون الرجل مكلفاً للإيمان ولم يفعل الإيمان ولا الكفر، فأخبرونى عنه فى تلك الحال، التى كلفه الله الإيمان ولم يعمل به ولا بغيره، ما هو، إذا لم يقر بأن الله واحد ^(٣) معذور هو بأن لا يقر بأن الله واحد؟

(١) وردت هذه التكملة بالهامش.

(٢) وردت فى الأصل: ولا كنه.

(٣) فى الأصل: واحداً.

فإن قالوا: نعم . فقل : أفليس الناس قد يكونون مكلفين للإيمان ولا يستطيعون،
والله يعذرهم بأن لا يأخذونه؟

فإنهم لم يمكنوك أيضاً من هذا، وسيتركون هذا الكلام؛ لأنهم لا يعذرون
(الناس) ^(١) بأن لا يوحّدوا الله، وهم مكلفون للتوحيد يستطيعونه .

ومتى قالوا هذا عذروا من كلف الله معرفته أن لا يعرفونه!

وإن قالوا: إنها تقع قبل الفعل بلا حال بينهما .

٢٠ ط / فقل : / اليس الاستطاعة لها حال غير الفعل، كما أن حال القائم غير حال

القاعد، وحال النهار غير حال الليل، وحال الكفر غير حال الإيمان؟

فإن قالوا: بلى . فقل : أفليس إنما يفعلون الإيمان بما كلفوا بغير استطاعة؛ لأن الفعل
في غير حال الاستطاعة، وإنما يكون فعلهم بلا استطاعة؛ لأن الاستطاعة قد ذهبت في
حالتها ، كما ذهب الليل، في حال الليل والنهار في حال النهار، والقعود في حال
القعود، والقيام في حال القيام، والكفر في حال الكفر وأشباه هذا . قد ذهبت
الاستطاعة وحالتها ، كما ذهب الليل وحاله والنهار وحاله، وأشباه هذا .

فإن قالوا: بلى ^(٢) .

فقل : فإنما يفعلون بغير قوة ولا استطاعة؟ ١٩ . . فإن قالوا: نعم .

فقل : أفليس إنما يعمل الناس الإيمان والكفر بغير استطاعة ولا قوة؟ ١٩ . . فأخبروني ما
ذلك العمل الذي عمل بغير قوة ولا استطاعة؟ ١٩

وقل لهم عند ذلك : أخبروني عنكم ، إذ زعمتم أنه إنما وقع التكليف بالاستطاعة،
وتكلفوا أن يفعلوا بالاستطاعة، ففعلوا بغير الاستطاعة؛ لأنه إنما كلفهم الإيمان
بالاستطاعة ففعلوا بغير الاستطاعة ، فهم لم يأتوا به على الوجه الذي كلفهم وهم
عصاة، في قولكم إذ جاءوا بالإيمان بغير الاستطاعة .

ولن يقولوا: يفعلون بغير قوة ولا استطاعة، غير أنا إنما اتبعنا كل كلام نخاف أن
يدخلوا فيه شيئاً يلبسون به على ضعيف .

فانظر في هذا الوجه من الكلام نظراً لطيفاً، فإن فيه نقض كلام المبطلين القدريّة!

(٢) في الأصل: بلا .

(١) تكمله من الهامش .

ثم سلّمهم فقل لهم: أخبروني حين قلتم أن الاستطاعة والتكليف وقعا قبل الفعل بلا حال بينهما، أليس الاستطاعة قبل الفعل أم لا؟
فإذا قالوا: بلى^(١).

فقل: فإذا كانت قبله، أليس الفعل بعد الاستطاعة؟.. فأخبروني عن الذى بعد أليس الذى هو قبل هو قبله؟.. فإن قالوا: نعم، القبل قبل البعد.

فقل: أخبروني عن القبل حين ذهب وذهبت حاله، بأى شئ كان البعد؟، والبعد بأى شئ فعل؟.. فإنهم لن يقدروا فى هذا الكلام جواب؛ لأنهم قد أنزلوا الاستطاعة والتكليف قبل الفعل، فالبعد ليس بالقبل. والقبل ليس بالبعد، كما أن الليل لا يكون بالنهار، والنهار لا يكون بالليل، وإنما النهار، بالنهار والليل بالليل، كذلك القبل بالقبل، والبعد بالبعد، فالفعل الآن إنما يكون بالاستطاعة، فليس بالاستطاعة كان، ولكنه^(٢) كان بالفعل، فالفعل الآن إنما هو بعد الاستطاعة، فليس بالاستطاعة كان، ٢١ و / ولكنه بالفعل. / إن قد تمّ القياس على القبل والبعد، وهذا كلام لا يحIRON فيه جواباً ولا حجة لهم فيما يلوون به السنتهم.

ومن زعم منهم، أو من غيرهم، أن الاستطاعة تقع قبل الفعل، ثم تبقى حتى يمضى الفعل، فقد أعطاك بأنهم يستطيعون الفعل فى غير حال الفعل، وأنهم قد يستطيعون فى حال الإيمان فعل الكفر، وفى حال فعل الكفر فعل الإيمان!

فسلّمهم عند ذلك على حدّ صدر المسائل، أليس قد يستطيعون الإيمان والكفر جميعاً فى حال واحدة، حين جاءت^(٣) استطاعتهم قبل فعلهم، فهم يستطيعون أن يفعلوه والاستطاعة قبلهما؟..

فسلّمهم عن ذلك: أليس ما علم الله أنه واقع مع التكليف، والاستطاعة مع الفعل، بعد^(٤) الاستطاعة لا يستطيعون أن يوقعوا ثم فعلاً غيره، كما لا يستطيعون أن يوقعوا تكليفاً ولا استطاعة.

(٢) فى الأصل: لاكنه.

(٤) مطبوعة فى الأصل.

(١) فى الأصل: بلا.

(٣) فى الأصل: حات.

فمن وقع له فعل كُفِّرَ في تلك الحال ، لم يكن يستطيع أن يوقع ثم فعلاً غيره ؛ لأنه لا يستطيع - زعمتم - الإيمان والكفر جميعاً في حالة واحدة .

فإذا كان لا يستطيع أن يوقعهما جميعاً مع الاستطاعة ، فإنما يستطيع أن يوقع أحدهما ، ولا يستطيع أن يوقع الآخر ، فإن كان الله يعلم أنه إنما يوقع الكفر مع الاستطاعة ، فهو مكلف في تلك الحال ، حينئذ ، إيماناً لا يستطيعه ...

لا تكليف إلا في حال الاستطاعة :

فإن قالوا نعم .. فقد أقروا بأن الله يكلف الناس الإيمان في حال لا يستطيعونه وهم مكلفون .

ثم سلهم : هل يستطيع العباد أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر ، وبالكفر في حال الإيمان ؟

فإن قالوا : لا .. فقل : اليس من كان كافراً فهو مكلف الإيمان في حال الكفر ، وهو لا يستطيع الإيمان في حال الكفر ؟ ..

لا يكون الإنسان مؤمناً كافراً في حال واحدة :

فإن قالوا : نعم . (فقل)^(١) فقد يكون الناس مكلفين الإيمان ، وهم لا يستطيعون^(٢) ، فإن قالوا : نعم . فقد تركوا قولهم^(٣) ودخلوا في قولك . وإن قالوا : إنهم يستطيعون أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر ، فقل أفليس إذن قد يستطيعون أن يأخذوا الإيمان والكفر في حال واحدة .. حتى يكونوا مؤمنين مشركين في حال واحدة . أولياء الله أعداء لله .

فإن قالوا : نعم . فذلك ما لا يقبله عقل أحد من الناس . وحسبك به - إذا أعطاك ٢١ ظ / هذا - بأن العباد لا يستطيعون بأن يكونوا مشركين بالله أعداء لله / مؤمنين بالله أولياء لله في حال واحدة ، وهو كلام لا يحتمله أحد ، ولن يمكنوك منه .

وإن قالوا : لا يستطيعون . فقل : اليس من كان كافراً فلا يستطيع الإيمان في تلك

(٢) بالاصل شطب على : أن يأخذوا ، بعدها .

(١) غير موجودة بالاصل .

(٣) في الاصل : مذهبه (مشطوبة) قولهم .

الحال وهو مكلف له؟ ... ومن كان مؤمناً فلا يستطيع الكفر في حال الإيمان، وهو منهي عن الكفر^{١٩}..

فإن قالوا: نعم. فقد دخلوا في قولك وتركوا كلامهم، ولن يجدوا أبداً من أن يجيبوك بأحد هذين الوجهين: إما أن يكونوا يستطيعونه في حال واحدة، فيكونوا إن شاءوا مشركين بالله لا يعرفونه مؤمنين بالله يعرفونه، في حال واحدة يعرفون الله وينكرونه^{١١}.

وإما أن يكونوا لا يستطيعون الإيمان في حال الكفر، ولا الكفر في حال الإيمان. فإن قالوا بهذا دخلوا في كلامك وتركوا كلامهم.

فإن قالوا بالوجه الآخر، قد يستطيعون أن يكونوا مشركين بالله، عز وجل، ينكرونه، مؤمنين بالله، سبحانه، يعرفونه^{١١}.. ولن يعطوك هذا أيضاً لأن هذا محال من الكلام ولا يسمعه أحدٌ إلا كذب به وأنكره، وبحسبك أن يقول رجلٌ بهذا.

وإن قالوا: إن الكلام ينبغي أن يكون هذا، لا يُستطاع الإيمان إلا في حال الكفر، ولا الكفر إلا في حال الإيمان؛ لأنه من كان مؤمناً لم يحسن أن يقال: هو يستطيع الإيمان؛ لأنه قد فعله، وما فعله فقد فعله، ولا يحسن أن يقال: إنه يستطيع ما قد فعل.

وإنما يجوز أن يقال: إنه قد يستطيع أن يفعل الشيء في حال الشيء الآخر؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا هكذا.

فقل: فَنَعَمْ قد فهمتُ الذي تقولون، اليس قد يستطيعونه في حال كفرهم، فيستطيعون الإيمان في حال كفرهم، والكفر في حال إيمانهم؟ (فقل: أفليس يستطيعون الإيمان في حال كفرهم، والكفر في حال إيمانهم)^(١).

فقل: أفليس قد يستطيعونهما في حال واحدة، الحال التي هو فيها كافر يستطيع مع ذلك الكفر في حاله إيماناً؟

ومع القعود في حاله قياماً، ومع الليل في حاله نهاراً وأشباه هذا؟.. فإنهم سيتركون ما لجشوا إليه، وظنوا أن لهم فيه راحة، ويصير أمرهم، إلا أن لا يجيبوك

(١) عبارة مكررة.

بشيء، وتنقضى حجتهم، فإن لجئوا إلى أن يقولوا: إن الاستطاعة والتكليف والفعل، إنما يقع في حال واحدة.

فقل: أفليس الذي علم الله أنه واقعٌ / مع تلك الاستطاعة والتكليف والفعل، لا ٢٣ و / يستطيعون في تلك الحال أن يكون ثم فعلٌ غيره.

لأنه لا يستطع أن يكون ثم استطاعة^(١) قبله، فإن قالوا: نعم. فقد أمكنوك من حاجتك، ودخلوا فيما عابوا عليك من العدل ثم سلهم: هل شيء إلا في حالٍ كان أو لم يكن؟

فإن قالوا: لا، لا يكون شيء إلا في حالٍ كان، إلا ما كان في حالٍ لم يكن. فإذا ثبت عليهم هذا، فسألهم عن الحال التي نهاهم الله فيها، هل كان في حال النهي شيء؟

فإن قالوا: لا. فقل: أخبروني في الحال التي كان فيها الفعل، ثم نهى عن ذلك الفعل؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس كل شيء نهى الله عنه، فهو في حال فعله، وكونه منهى عنه بعد كونه، فكل ما نهى عنه في حال فعله، فقد يستطيع ترك ما فعل وكان، حتى لا يكون بما كان؟

فإن قالوا: نعم. فقل: فأروني شيئاً واحداً يستطيعون رده بعد ما كان، حتى لا يكون كان قط؟ فإنهم لن يقدروا في هذا على جواب؛ لأن الناس لا يستطيعون رده ما كان، حتى لا يكون ما كان، فأحسن النظر.

من المكلف شرعاً؟

الجواب: قال أحمد بن يحيى - صلوات الله عليهما - نحن نقول: إن الله، تبارك وتعالى، لا يكلف علم الدين، ولا الدين، إلا كل بالغ وبالغة من المتعبدين الكاملين، الكاملة عقولهم وجوارحهم، الساقط عنهم العذر وعلمه، فإننا نقول: إنه لم يقع عليهم التكليف ولا الاستطاعة والفعل في حال واحدة وأن هذا الكلام الذي قلت، يا عبد الله بن يزيد البغدادي، كلام فاسد غير صحيح، ولا يجوز أن يكون من حكم الله،

(١) بالهامش: (غير تلك، ومع تلك الاستطاعة أيضاً فعل ليست استطاعة).

عز وجل ، ولا من دينه ، ولا أمره الذى افترض على عباده ؛ ولكننا نقول : إن الرجل إذا بلغ مبالغ الرجال ، وجبت عليه الحجة ؛ لكمال التركيب والعقل ، وفى بنيته التى بُنى عليها تركيب الاستطاعة ، حين سقط من بطن أمه ؛ لأنه يتحرك ويقبض ويبسط ويرضع ويصيح ، ويبول ويتغوط ويبكى ، كل ذلك يفعله بالاستطاعة التى هى فيه ، وحركاته هى فرعٌ لاستطاعته ، والاستطاعة موجودةٌ فيه قبل أن يبلغ ، أو يؤمر أو ينهى ، فلا يزال على تلك الحال الطفولية ، حتى يرتفع عن تلك المنزلة ، إلى منزلة المشى والإفصاح بالكلام ، والمجئ والذهاب والحركة ، والأعمال التى يعمل من الأكل والشرب والعدو والقعود ، والضرب والعبث واللعب ، وما عاين الخلق من أفعال ، الصبيان التى ٢٢ ظ / يفعلونها بالاستطاعة ، المركبة فيهم قبل الأمر والنهى ، ثم جاء حد البلوغ والاستواء ، ولزمت الفرائض ، ولو كان الأمر على ما قلتم ، أن ليس معهم استطاعة قبل فعلهم ، لم يجز فى حكمة الله ، عز وجل ، أن يندبهم إلى أمر ليس معهم له استطاعة ، ولا لهم عليه قوة ، ولا لهم به طاقة . وهو يقول ، عز وجل ، : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(١) ، و ﴿ .. إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ^(٢) .

وأما قولك ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، أنا قلنا : إن ذلك إنما يقع جميعاً ، وأنه لا يقع بعضه دون بعض ، لم تقع الاستطاعة قبل الفعل ، ولا الفعل قبل الاستطاعة . ولعمر الله - لو قلنا ذلك للزمنا ما قلت ، ولكننا ^(٣) نقول : إن الاستطاعة قبل الفعل لأمعه ، وقد كررت من القول فى الاستطاعة ما قد فهمنا ، وقد أجبنا على قولك فى الاستطاعة بما أزعجنا به حججك كلها ، بالصحة الصحيحة ، إن الاستطاعة مركبة فى العباد قبل أفعالهم ، ولولا ذلك لكانت لهم الحجة على الله ، عز وجل ، أنه كلفهم ما لم يعطهم عليه قوة ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أخذه .

وهذه أفعال الجائر المتعبث ، وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى بعدله وصدق قوله ، أنه لا يظلم ولا يجور ، ولا يريد الفساد ولا يخلقه ولا يقدره ، جل عن ذلك وتعالى ^(٤) علواً كبيراً ^(٥) .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٤) فى الأصل : وتعالى .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٣) فى الأصل : ولا كنا

(٥) بجوار هذه الكلمة مكتوب بخط رفيع « جزء »

ومن الحجة لنا عليك أن نسالك : إذا وقف الكفار بين يدي الله ، عز وجل ، يوم القيامة ، فقال لهم : قتلتم أنبيائي ورسلي .. ؟
قالوا : قتلناهم بالحق .

فإن قال لهم : وأى حق فى قتل الانبياء ؟ .. !

قالوا : لأنك قضيت ذلك علينا ، ولو لا ما قضيت وقدرت وشئت وخلقت من فعلنا ، ما كذبنا رسلك ، ولا قتلناهم .

فإن قال لهم ، عز وجل ، ما حجتكم أنى قضيت ذلك عليكم ، وما فعلتم حق ، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟

قالوا ، لا حجة لنا ولا برهان أقوى ولا أوضح ، من قولك فى كتابك ، أنك تقضى بالحق ، وأنت خير الفاضلين ، وكل قضائك فحسن جميل ، وكل ما ^(١) فى الأرض فأتت قضيته وقدرته ، وقولنا أنك ثالث ثلاثة ، وأن لك الشركاء والانداد ، وهو قضاؤك وأنت تقضى بالحق كما قلت .

ثم قلت فى كتابك : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٢) ، والواجب لمن صدق عليك ، أن تخلده فى الجنة . فلا يُدُّ لك ، ٢٣ و / يا عبد الله بن يزيد البغداى وإخوانك المجبرة فى قولهم هذا ، وحجتهم بين يدي الله ، تعالى ، فى قتلهم الانبياء الله ورسله ، وأنه ثالث ثلاثة ، وأن له الشركاء والانداد ؛ لأنهم احتجوا بقضاء الله ومشيبته ^(٣) وخلقه لأفعالهم ، زعمتم ، وقمتم بعذر جميع الكفار فى قتلهم الانبياء ، وإتيانهم جميع المعاصى ، فلا بد لك من تصديقهم ؛ لأنه مذهبك .. !

فإن نكلت عن ذلك ورجعت ، وقلت : لا أقول : إن قتل الانبياء حق ولا صواب ، ولا يجوز ذلك لى . لزمك ، وأنت مفلوج الحجة ، أن الله ، عز وجل ، يقضى الحق الذى قضى ^(٤) من جميع ما أمر به ، من عدل أو صواب أو رشد أو حتم ، ليس فيه معصية له ،

(٢) سورة المائدة : الآية ١١٩ .

(٤) فى الاصل : قضا .

(١) فى الاصل : كلما .

(٣) فى الاصل : بقضا الله ومشيبته .

عز وجل، من جميع المعاصي كلها ، وأن قتل الأنبياء، عليهم السلام، غير حق، بل هو أبطل الباطل وأعظم الكفر والشرك والبهتان، وأن قتل الأنبياء، صلوات الله عليهم، ليس من قضاء الله، سبحانه، ولا من مشيئته ، ولا خلق فعل من قتل رسله، فيكون شريكاً في قتلهم، ومعيناً لمن ظلمهم، وداخلاً فيما عاب على الكافرين، عز عن ذلك كله، وفي ذلك ترك أصلك ورجوعك عن مقالتك، وفي هذه المسألة (١) قطع لجميع مسائلك كلها.

إن الله لا يجبر أحداً مؤمناً كان أو كافراً؛

ثم نقول لك ايضاً : وكذلك الرسل والمؤمنون لم يجبرهم الله، عز وجل، جبراً ، ولم يقسرهم على الدخول فيه، إلا بما وهب لهم من العقول والهدى الذى أرسل، ودعا إليه الخلائق وزينه فى قلوبهم، وحببه إليهم بالترغيب فيه وشريف الوعد، والوصف الذى وصف فى الآخرة.

وكذلك ماكره من الكفر، فهو ما خَوْفَ به من النار والخلود فيها، ثم قال : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) ، فى آخر الآية ، فاثنى عليهم بالرشد، وهو فعلهم لا فعله، ولو كان فعله لم يشكرهم عليه ، إلا كما سمعته شكر الشمس والقمر، والسموات والأرض، والليل والنهار، وجميع ماتولى (٢) . فهل سمعته شكر شيئاً من ذلك كله، أو اثنى عليه، أو أن السماوات والأرض، والشجر والدواب والبحار، عنده مشكورات وراشدات، وكذلك الشمس والقمر والنجوم، هل شكرهن فى شئ من كتابه، أو حمدهن أو اثنى عليهن، كما اثنى على عباده المطيعين؟..

معاذ الله، لاناتى فى الحجة أبداً ، ولا نجد لك فيه أمراً تكسر علينا به، إلا ذكرهن فيما فطرهن عليه ، أو ما أنعم على خلقه من جعله لهن، فاما غير ذلك، فلا والله، ولا نجد له أبداً.

الرد على متشابه المجبرة بمعكم القرآن :

وقد بان من عليه الحق وأهله للباطل وأهله، أن المجبرة لا يحتجون بأية من المتشابه

(٣) فى الأصل : تولا.

(٢) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(١) وردت فى الأصل : المسلة.

إلا كسرنا / حجتهم بالآيات المحكمات، وأعظم الدليل على أن معنا الحق، وإن من خالفنا مبطل، أنهم لا يقدرّون على كسر آية واحدة، مما احتججنا به فى العدل، ولا يجدون لها تأويلاً يكسرونها به، ولا يردونها علينا بحجة من القرآن ولا غيره، هذا أعظم دليل، وأنور برهان، فليقايِس جميع من وقع فى يده كتابنا هذا، حججنا بحججهم شيئاً شيئاً^(١) وحرفاً حرفاً، وآية آية، ثم لينعم النظر، وليحتط لنفسه.

فإن وجد قولهم يقهر قولنا، ويكسر احتجاجنا، علم أن الحق معهم فليلحق بهم، وإن وجد قولنا واحتجاجنا، يكسر قولهم ويبطل دعواهم، ويفسد احتجاجهم، فليعلم أن الحق معنا، والقول فى العدل قولنا، والقرآن الشاهد لنا، فلا ينظر إلا لنفسه، وليعلم أنه من لقي الله، عز وجل، وهو كاذب عليه، ملزم له فعل غيره من الظالمين، أنه لا جنة له ولا حجة معه، وأنه لا نصيب له فى دين محمد، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا من أوله إلى آخره، يشهد للعدل، والبراءة لمن أنزله، عز وجل، من الظلم.

دور اللغة فى تأويل التشابه،

وأما ما تعلق به الجهال من متشابه القرآن؛ لقلة علمهم باللغة العربية عند أهل اللسان، فإن ذلك يفسره أهل العدل على وجه الحق، وترد التشابه إلى المحكم، والبيان الواضح بالحجة القاطعة، والشواهد من كتاب الله، عز وجل، بعضه على بعض، إذ لا اختلاف فيه ولا فساد ولا تناقض.

ألا ترى كيف قال، عز وجل: ﴿خَلَقْتُ بَيْدِي﴾^(٢)، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣)، ثم قال: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا إِلَيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤)، ثم قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾^(٥)، ثم قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾^(٦)، فمن كان غنياً لم يحتاج إلى درجات، ثم قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾^(٧)، فمن كان الأول قبل كل شئ مما خلق، هل يحتاج إلى درجات؟

وإنما الدرجات فى لغة العرب عظم القدر والرفعة فى المجد، لا أن تُم درجات كما

(٢) سورة ص: الآية ٧٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٦) سورة يونس: الآية ٦٨.

(١) فى الأصل: شيئاً شيئاً.

(٣) سورة الشورى: الآية ١.

(٥) سورة غافر: الآية ١٥.

(٧) سورة الحديد: الآية ٣.

يعرفُ الناس، فكل آية لها معنى يحتاج إلى تاويل، ألا ترى كيف قال، عز وجل: ﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعُ﴾ ^(١)، وليس أحد من الكفار عند الله، سبحانه، خير من أحد، وإنما يخرج ذلك من اللغة: أهم أكثر أم قوم تبع ^(٢)، والذين من قبلهم اهلكناهم، وليس أحد منهم بخير من أحد، لأنه لا خير في الكفار كلهم، وليس أيهم عند الله، عز وجل، بخير ولا رشيد.

ومما يدل على ذلك في لغة العرب التي قال الله، عز وجل، فيها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ^(٣)، فقال الشاعر ما يدل على ما ذكرنا من أنه لا خير في أحد من الكفار.

متى تاته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد ^(٤)

٢٤ و/ وليس بعض النار خيراً من بعض، وإنما هي نار كلها سواء، ليس بينها فرق، وإنما عنى صاحب اللغة العربية أنها نار، وأراد أنها أوقدت للكرم والمجد والفعل الجميل.

وتقول العرب، إذا ساومها المساوم بالعلق من أعلاقتها: أتبيع هذا العلق بكذا وكذا ^(٥) من دينار؟

فيقول: قد أعطيت خيراً من ذلك...، لا أن الدنانير خيراً من الدنانير، فافهم هذا. ثم قال، عز وجل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ^(٦) والله، عز وجل، متقدس عن الجوارح والآلات والحواس، وإنما عنى أنه خلق بقدرته التي هي من صفة ذاته، عز وجل، وقد قال الشاعر:

فحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يمدان ^(٧)
والجبال ليس له أيدي، ولكن جاز ذلك في اللغة العربية، وقال آخر:
وإذا عادتني العرائد يوماً قالت العين ولا أرى من أريد ^(٨)

(٢) انظر المعجم الوسيط: ج١/ ٢٧٧، مادة «درجة».

(١) سورة الدخان: الآية ٣٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) البيت للحطيفة في ديوان، ص ٥١، وكذلك في الأغاني، ٢/ ٦١، وجمهرة اللغة، ٢/ ٨٧١.

(٦) سورة ص: الآية ٧٥.

(٥) وردت في الأصل: كذا وكذا.

(٨) تخرج بيت الشعر: لم أجده.

(٧) تخرج بيت الشعر: لم أجده.

والعين لا تقول شيئاً ، إنما يقول اللسانُ ، فجاز هذا في اللغة العربية ، وكل ما (١)
ذهبت إليه المجهرة من التعلق بمتشابه القرآن ، فكله يجرى عند التفسير على هذا
النحو ، ولولا طول الكتاب لشرحنا كثيراً من ذلك ، بشواهد والاحتجاج فيه .

ولعلنا على فرغة قلب ، أو سلوة في شغل ، سنضع كتاباً ، بحول الله وقوته ، ونذكر
فيه جميع المتشابه في القرآن ونحتج فيه باللغة العربية وشواهداها ، من أشعار العرب
البيئة ولغاتها ، إن شاء الله .

وفي بعض ما قلنا أكفى (٢) الكفاية ، لمن أراد الرجوع إلى القول بعدل الله ، عز
وجل ، ولم يلحد في صفته ، ولم يشبهه بخلقه ، ولم يجوره في حكمه ، ولم يعدل
بالحق إلى غير أهله .

تابع رد أحمد في الاستطاعة :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، ثم إن عبد الله بن يزيد البغدادي افتتح في
باب الاستطاعة فكثر فيه القول والاحتجاج ، يريد أن يثبت أن الاستطاعة مع الفعل لا
قبل الفعل ، فرأينا أن نجيبه في الاستطاعة ، بجمل تقطعه وتفسد عليه دعواه ، ويبين
فيه كسره ، باختصار اختصرناه ، من الحجة الباهرة له ، وإخوانه المجهرة ، والقوة بالله
وله .

٢٤ ط / فقبل أن نجيبه عن الاستطاعة ، نسأله عن أشياء قبلها ، مما يفسد عليه الجبر .

إرادة الله ورسوله في الأصل الإيمان :

وذلك أنا نسأله عن النبي ، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وسلم ، ما أراد من
الكفار ؟

فإن قال : أراد منهم الكفر .

قلنا له : وكيف أراد منهم ، وهو يقتلهم عليه ، ويمنعهم منه ؟

فإن قال : أراد منهم الإيمان .

قلنا له : فما أراد الله ، عز وجل ، منهم ؟

(٢) وردت في الأصل : أكفا .

(١) وردت في الأصل : كما .

فإن قال : الإيمان ^(١) .. صدق ورجع عن قوله، وصار الى قولنا بالعدل .
وإن قال أراد منهم الكفر، وجب عليه أنه ألزم رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله،
أنه مخالف لله، عز وجل، وأنه أراد من الكفار، خلاف ما أراد الله، جل ثناؤه؛ لأنه أراد
منهم أن يؤمنوا ، وأراد الله منهم أن يكفروا ، على قود قوله ..

ما أراد إبليس من الكفار؟

ثم قال له : فأخبرنا عن إبليس ما أراد من الكفار؟
فإن قال : أراد منهم الإيمان .. كذبه جميع الخلق .. وإن قال : أراد منهم الكفر .
قلنا له : فكذلك هو، ولزمه وأصحابه أن إبليس موافق في إرادته لإرادة الله، سبحانه،
وأن محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله، مخالف لله في إرادته .. وكفى بهذا
عمى ^(٢) وجهلاً وفضيحة، على من يدعى أنه محق ومن خالفه مبطل ..
ثم يقال له : أخبرنا عن رأيته يكفر بالله ، سبحانه، أقد افترض عليك ألا تريد
ذلك الكفر منه؟

فإن قلت : نعم ذلك على واجب ..

قلنا لك : أو ليس قد أراد الله، جل ثناؤه، ذلك الكفر منه؟
فإذا قال : نعم . قلنا له : فأيهما أفضل، ما أردت منه أنت، أو ما أراد الله، عز
وجل؟

فإن زعم أن ما أراد الله أفضل مما أراد هو، زعم .. وجب عليه أن الكفر أفضل من
الإيمان .. فكفى بهذا نقضاً ^(٣) على قائله .

هل يصنع الكذب من ليس بكاذب؟

ثم نقول له : من جعل الصدق في قلوب المؤمنين؟
فإن قال : الله، عز وجل، جعل ذلك .. قلنا له : فمن جعل الكفر في قلوب
الكافرين؟ .. فإن قال : الله جعل ذلك .

(٢) وردت في الاصل : وكفا ... عما .

(١) هذه العبارة مكررة من حيث المعنى .

(٣) وردت في الاصل : نقضاً .

قلنا له : فهل يصنع الكذب من ليس بكاذب؟ ١٩

فإن قال : قد يصنع الكذب من ليس بكاذب .

قلنا له : فلم لا يصنع الظلم من ليس بظالم! ١٩

فإن قال : أما من الخلق، فلا يصنع الكذب إلا كذاب، ولا الظلم إلا ظالم، وأما الله، جل ثناؤه، فيصنع الكذب والظلم، ولا يكون كاذباً ولا ظالماً .

قلنا له : فما المعنى الذى صار به العباد ظلمة كذبة، هل هو شئ أكثر من أن يصنعوا الكذب والظلم؟ ١٩.. وقد زعمت أن الله، عز وجل، صنعه فى قلوب العباد، ٢٥ و / فما جعل هؤلاء أولى^(١) بالكذب والظلم منه فى قوله؛ إذ لم يكن ثم معنى أكثر من أنهم / صنعوا الكذب والظلم، وقد صنعه الله، عز وجل عما قلتم، كما صنعه، زعمتم ، فما الفرق عندك؟ ١٩

تفرق المجبرة بين من يصنع الشئ بنفسه ومن يصنعه فى غيره ١٩

فإن قال : من قبل أنهم مأمورون ، وليس هو بمأمور ، فمن ثم كان ذلك منهم كذباً وظلماً ، ولم يكن منه بكذب ولا ظلم .

قلنا له : أفليس قد يجوز أن يخبر الله عما لم يكن، فيقول : قد كان كذا وكذا^(٢).. ولم يكون ذلك الذى قال بحق، ولا يكون منه بكذب؛ لأنه ليس بمأمور؟ ١٩..

فإن أجاز ذلك، لزمه لنا أن لعل ما أخبر الله ، عز وجل، عن الأمم السالفة أنه لم يكن بحق، ولا يكون ما وعد من الجنة والنار بحق، وغير ذلك ا .

ثم نقول له : ما تقول فى رجل وقع فى نفسه أن الله، عز وجل، أحد فرد ، لا شبيه له ولا نظير، ولا عدل ولا مثيل؟ .

فإن قال : الله أوقع ذلك فى قلبه .

قلنا له : أفصدق الله فيما أوقع من ذلك فى قلبه، أم لا ؟

فإن قال : صدق الله .

(١) وردت فى الأصل : ها ولا أولاً .

(٢) وردت فى الأصل : كذى وكذى .

قلنا له : صدقت ، وقلت الحق .

ثم نقول له : فما تقول فى رجل وقع فى قلبه أن الله ، عز وجل ، ثالثُ ثلاثة ، وأن له شريكاً وضداً . مَنْ أوقع ذلك فى قلبه ؟
فإن قال : الله .

قلنا له : أفصدق ، سبحانه ، فيما أوقع فى قلبه ، أم لا ؟

فإن قال : إن الله ، عز وجل ، صدق فيما أوقع فى قلبه .

قلنا له : فقد لزمك أن قول المشركين : إن الله ثالث ، صدق وحق ؛ لأن الله ، تعالى ، لا يفعل إلا الصدق والحق . . . وقد كفرت وخرجت من الإسلام !!
وإن قلت : إنه لم يصدق . كفرت أيضاً ، وغلطت وخرجت من الإسلام
(بقولك) ^(١) : إنه لم يصدق .

الله أعدل وأحكم من أن يوقع فى قلب أحد كفراً أو إحاداً أو تشبيهاً ،

ولا مخرج لك من هذه المسألة ، إلا بالرجوع إلى قولنا ، والتوبة إلى الله ، عز وجل ،
ومن ظلمنا ، قولك : إنا قدرية مفترون على الله ، تبارك وتعالى ، فمن المفترى على الله ،
عز وجل ، أنحن أم أنت ؟ . . . ألا لعنة الله على الظالمين !
ولا نجاة لك من النار حتى تقول : إن الله ، سبحانه ، أجل وأعظم وأعدل وأحكم ،
من أن يوقع فى قلب أحد كفراً ولا إحاداً ولا تشبيهاً ، عز عن ذلك وتعالى رب
العالمين .

ثم نقول لك : هل يجب على الخلق أن يعملوا بما يشاء الله ، عز وجل ، منهم ،
وأحب وأراد ، أم يجب لهم أن يخالفوه فى مشيئته ^(٢) ومحبته وإرادته ؟
فإن أقررت أنه يجب عليهم الله ، عز وجل ، أن يوافقوه فى جميع ما أراد وأحب
وشاء .

لا يشاء الله الكفر ولا يحبه ولا يريدُه ،

٢٥ ط / قلنا لك : فهل شاء الله الكفر وأحبه وأرادَه / وخلقَه ؟

(٢) وردت فى الاصل : مشيئته .

(١) مطبوعة فى الاصل ، ومصححة بالهامش .

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فقد يجب على الناس أن يكفروا بالله جميعاً ، أن كان يجبُ عليهم أن يوافقوه في إرادته ، وقد أراد الكفرَ وخلقه ، زعمت ! .

وإن قلت : إنه لا ينبغي للناس أن يوافقوا الله ، عز وجل ، في مشيئته ^(١) لكفر الكافرين ، وظلم الظالمين .

قلنا لك : فإذا يلزمك أن تخالفه في ذلك !

فإن قلت : نعم .

قلنا لك : ومخالفة الله في ذلك ، أصلح لك وللخلق من موافقته ، فلا بد لك من ذلك ، على قود قولك واعتقادك ، والرجوع الى قولنا بالعدل ، ويلزمك أن الكفر أصلح من الإيمان !! .

ومن الشاهد لنا على بطلان ما قلت . قول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ ^(٢) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِينَ يُمِيزُونَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٦) ، ولا نعلم عسراً أعسر ولا أعظم من الكفر ، الذي قلت أنه اراده لعباده وخلقه فيهم ، ومن قال بقولك من المنجبرة ، سبحانه الله وتعالى عما يشركون !!! ..

ثم نسالك فنقول لك : هل لله على العباد حجة ؟ .. فإذا قلت : نعم .

قلنا لك : أو ليس قد أمرهم بالطاعة ، وأعطاهم القوة عليها ، وعلى ما أمرهم به ؟

فإذا قلت : نعم . قلنا لك : فما حجتهُ عليهم فيما يفعلون ؟

فإن قلت : أمره ونهيهِ .. قلنا لك : فهل تجدون في عقولكم أنه أمركم ، ولم يجعل لكم السبيل إلى ما أمركم به ، ولا غناء عما نهاكم عنه ، فحجته عنكم ساقطة ،

(١) وردت في الاصل : مشيئته .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٢٦ .

(٤) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٥) سورة غافر : الآية ٣١ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

لعذرکم القائم الواضح ١٩.. فلا يوجد ما سألنا عنه في عقل أحد من الناس ، فكفى
(١) بهذا جهلاً ١١.

وإن كان الله، عز وجل، قد أمر ونهى ، ولم يقو (٢) الخلق على ما أمرهم به ، ولم
يُغْنِهِم عما نهاهم عنه، فما حجة الله على عباده إذا سألهم يوم القيامة، فقال لهم: لم
لم تفعلوا ما أمرتكم به ١٩.. فقالوا: لم تجعل لنا السبيل إلى الطاعة، وحلت بيننا وبين
النجاة؛ لأنك، على قول عبدالله بن يزيد البغدادي، لم تُرد أن تؤمن، فيبطل
علمك ١١

وقد قلت في كتابك: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٣)، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٥) ، ﴿فَمَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هَذَا الْجَهْلُ
اعتقادهم في صفة الله، عز وجل وقلة المعرفة بعدله، وترك التدبر لكتابه، وقد قال:
٢٦ و / ﴿لَئِلَّا / يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٦) ، لما أعذر وأنذر، وحذر
ورغب، وأبلغ في المواعظ، وضرب الأمثال.

رد دعاوى المجبرة في الاستطاعة :

فلم يلتفتوا إلى ذلك، والزموه ذنوبهم، ونسبوا إليه فواحشهم، بعدما قال: ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧) ، وزعموا أنه لا يجوز لقائل أن
يقول: إنه لا يستطيع شيئاً من جميع الأشياء قبل أن يفعله، ولا يستطيع أن يفعل ما
علم الله منه أنه لا يفعله!

وزعموا أن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم قالوا: إن العباد لا يستطيعون الأفاعيل
كلها ، قبل أن يفعلوها ، و(٧) أنهم قبل أن يفعلوها فاعلين لغيرها، وأنهم زعموا أنهم
في حال الكفر، يستطيعون الإيمان، يجب عليهم - زعموا - أن يزعموا أنهم
يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك الذي زعموا ، محال.

(٢) جاءت في الاصل : يقو .

(٤) سورة الانشقاق : الآيتان ٢٠ - ٢١ .

(٦) سورة الاعراف : الآية ٢٨ .

(١) في الاصل : فكفا .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٩ .

(٥) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٧) ليست بالاصل .

وزعموا أن الذى دعاهم إلى أن يزعموا أن من علم الله منه أنه يفعل شيئاً، أنه لا يستطيع أن يفعل خلافه؛ لأنهم قالوا: لو قلنا: إن ذلك أمراً يستطاع، للزمنا أن العباد يستطيعون تجهيل الله، عز وجل، ففسد القول - زعموا - بأنهم يستطيعون أن يفعلوا ما علم الله أنهم لا يفعلونه؛ لأن ذلك - زعموا - يوجبُ على قائله أن يقول: إن العباد يستطيعون تجهيل الله، سبحانه، فمنعهم - ذلك - أن يقولوا: إن العباد لن يستطيعوا أن يفعلوا ما علم الله أنهم لا يفعلونه، فذلك - زعموا - أن العباد يكلفون من الفعل ما لا يستطيعون.

جواب الناصر أحمد بن يحيى:

الجواب، قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليه - : ثم نقول لهم: أليس إنما كرهتم أن تقولوا: إن العباد يستطيعون الإيمان فى الحال التى هم عليها كفار، من قبل أن ذلك يوجبُ عليكم أن تزعموا أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك محال عندكم؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: أليس قد أمرهم الله، عز وجل، فى حال الكفر أن يكونوا مؤمنين؟ فمن قولهم: إن الله، عز وجل، قد أمرهم فى تلك الحال من الكفر أن يكونوا مؤمنين.

فنقول لهم: أو ليس قد لزمهم فى حال الكفر أن يكونوا مؤمنين؟ وذلك، عندكم، المحال الذى كرهتموه، وزعمتم أنكم إذا أثبتتم الاستطاعة لأنفسكم عليه، أثبتتم الاستطاعة على المحال، فإن كان من أثبت أنه يستطيع الكفر فى حال الإيمان أثبت بذلك أنه يستطيع المحال /

٢٦ ظ / فلم لا يكون من زعم أنه مأمور بالإيمان فى حال الكفر، زاعماً أنه مأمور بالمحال، كان المأمور به هو الذى أحلتم أنه يستطيع، وكانت الحال التى قلتم هو فيها مأمور بالإيمان؟

فإن قالوا: من قبل أنا قلنا: إنه فى حال الكفر مأمورٌ بأن يفرّد الإيمان فيها، فيكون بدل الكفر، ولا يكون الكفر، فلا يستحيل ذلك.

قلنا لهم عند ذلك : فلم لا تقولوا : إنه أيضاً^(١) ، يستطيعُ في حال الكفر أن يفردَ الإيمان فيها ، فيكون كفراً ، فلا يستحيل ذلك ؟
ونقول لهم أيضاً^(٢) : خبرونا عن قولكم إن العبد لا يكون مستطيعاً للفعل إلا في حال الفعل .

مثال يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل ،

فأخبرونا عن رجل أعتق عبده ، متى استطاع أن يعتقه ؟ .. في حال هو فيها عبد ، أم في حال هو فيها حر ؟^{١٩}

فإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه في حال هو فيها عبد . لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل ، وذلك الحق ، وهو قولنا ؟ لأن حال العبودية قبل حال العتق ، وقد تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا .

وإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه وهو حر . لزمهم في قولهم أن الناس يستطيعون عتق الأحرار !! وهذا خروج من المعقول .

ثم نقول لهم خبرونا عن الأحرار ، محتاجون هم إلى العتق ؟^{١٩}

فإن قالوا : لا .. قلنا لهم : فإذا كانوا في حال الملك لا يقدرّون على أن يعتقوهم وفي حال الحرية لا يحتاجون إلى العتق ، وإذا استغنوا عن العتق ، استغنوا عن الاستطاعة على العتق في تلك الحال ؛ وهي حال الملك ليست حالهم ، وقد أعتقوا ، فقد فعلوا إذا العتق بغير استطاعة ، فيلزمهم ترك قولهم .

وإن زعموا أنهم في حال العتق محتاجون إلى العتق ، قلنا لهم : أو ليس هم في تلك الحال أحرار ؟^{١٩}

فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : فإذا كانوا أحراراً فما حاجتهم إلى العتق ؟^{١٩}

وكيف يحتاجون إلى العتق أن يكون ، وقد كان ؟^{١٩} ... وليس تخلو^(٣) حاجتهم إلى أن يكون العتق في حال العتق ، من أن يكون قد قضيت أو لم تقض ، فهم عبيد

(٢) في الأصل : يحلوا .

(١) ، (٢) وردت في الأصل ابضى .

فى تلك الحال التى فيها استطاع المعتق عتقهم... وفى ذلك ترك قولهم، والرجوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل ، إذ^(١) كانت العبودية قبل الحرية .

وإن كانت حاجتهم إلى أن يكونَ قَدْ العتق قَدْ قضيت، فمن قد قضيت حاجته مستغن، فهم مستغنون فى حال العتق عن العتق، وإن استغنوا عنه فى تلك الحال، ٢٧ و / استغنوا عن الاستطاعة^(٢) عليه ، فهم قبل تلك الحال لا استطاعة لهم، ورجع لهم الأمر إلى أنهم قد فعلوا العتق بغير استطاعة، وكفى^(٣) بهذا حجة لمن عقل .

ومثال آخر،

ونقول لهم : خبرونا متى استطاع الرجل أن يطلق امرأته؟

فإذا قالوا : مع الفعل .. وكذلك يقولون .

قلنا لهم : ومع الفعل هى امرأته، أم ليست امرأته؟

فإن زعموا أنها امرأته .. تركوا قولهم ولزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأنها إذا كانت امرأته فى تلك الحال، فتلك الحال قبل حال الطلاق؛ لأنه لو كان الطلاق فى تلك الحال لم تكن امرأته .

فإذا استطاع طلاقها - وهى امرأته - فقد استطاع الطلاق قبل الطلاق ، وأنه - زعموا - إن استطاع تطليقها وليست بامرأته - زعموا - لزمهم أن الناس يقدرّون أن يطلقوا غير نسائهم ، وهذا نحو ما أوجبناه عليهم فى العتق .

ومثال ثالث،

ثم نقول لهم أيضاً^(١) . خبرونا عمن كان فى يده حجر، فالتقاء من يده، متى استطاع ذلك .. والحجر فى يده أو خارج من يده؟

فإن قالوا : استطاع ذلك والحجر فى يده، لزمهم لنا أن الاستطاعة قبل الفعل، وذلك

(١) بالاصل : إذا .

(٢) فى هامش تلك الصفحة شرح لى من صلب الكتاب ولا تعليقاً عليه، بخط حديث .

(٣) وردت فى الاصل : وكفى .

(٤) فى الاصل : ابغى .

عندنا هو الحق، وترك قولهم؛ لأن الحجر إن كان فى تلك الحال فى يده، فتلك الحال حال إمساك، وليست بحال إلقاء، والإمساك قبل الإلقاء، وذلك الرجوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل.

وإن زعموا أنه استطاع إلقاء الحجر، والحجر خارج من يده. لزمهم أن الناس، فى قولهم، يقدرّون على أن يلقوا ما ليس فى أيديهم... وهذا الخروج من المعقول.

مثال رابع:

ثم يقال: خبرونا عن رجل ملك مائتى درهم قُفْلَةً^(١). أليس قد فرض الله، سبحانه، عليه الزكاة؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فإنه قد دفع منها خمسة دراهم إلى إمام هدى^(٢)، أليس قد استطاع دفع ما افترض عليه، وأمر به فى تلك الحال.

فإن قالوا: نعم. ولا بد لهم من ذلك، قلنا لهم: فكم يملك فى حال الدفع، مائتين^(٣) أم مائة وخمسة وتسعين؟

فإن زعموا أنه يملك مائتى درهم. قلنا لهم: فهو فى حال دفع الخمسة الدراهم إلى إمام عادل لم يدفعها؛ لأنه لو دفعها لم يكن بمالك^(٤) لها. فإذا كان فى تلك الحال - زعموا - أنه استطاع دفع الخمسة الدراهم، وهو مالك لها، وحال الملك قبل حال ٢٧ ظ / الدفع، وذلك الإثبات للاستطاعة قبل / الفعل. وهو الحق، وهو قولنا: وإن زعموا أنه فى تلك الحال دفع، وليس يملك منها إلا مائة وخمسة وتسعين. لزمهم فى قولهم أن الله، عز وجل، افترض الزكاة على من لا يملك، إلا مائة وخمسة وتسعين درهما... وهذا الخروج من دين الإسلام، والرد للحق عياناً بالمكابرة، وذلك أنهم زعموا أن الله، عز وجل، فرض عليه فى حال دفع الخمسة أن يدفعها، وهو فى حال دفعها لا يملك إلا مائة^(٥) وخمسة وتسعين درهماً، فوجب عليهم أن يزعموا أن الله، جل ثناؤه، فرض على من لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً، أن يزكيها فى قولهم، وحاشا لله من ذلك.... وكفى^(٦) بما قلنا قاطعاً لهم.

(٢) فى الاصل: هذا.

(٤) فى الاصل: لمالك.

(٦) فى الاصل: وكفا.

(١) أى جمعها، وصارت له فى حرزه.

(٣) فى الاصل: مئتين.

(٥) فى الاصل: مئة.

ثم نقول لهم: اليس فى قولكم واعتقادكم واحتجاجكم علينا، فى كتابكم الذى وضعتم، وزعمتم انا نفرٌ منه، وانا لا نقدرُ لكم فيه على جواب ١٩..
وقلتُم: إن الناس لا يقدرُون على شئ من جميع الاشياء، حتى يحدث لهم قوةٌ لذلك الشئ؟

يسمع المجبرة ضعيف الأصوات ولا يسمعون الرعد ١١

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم. فهل تدرون لعلكم الساعة ليس فىكم قوة على استماع الرعد والصواعق. ولعلها موجودة عندكم، وليست فىكم القوى على استماعها؟
فإن أجازوا ذلك، لزمهم أنهم لم يدروا لعل الصواعق تكون عندهم، ويستمعها أهلُ بلد هم غيرهم، فلا يسمعون ذلك، ولعلهم لم يعطوا القوة على استماع الرعد والصواعق، واعطوا القوة على استماع السرار والخافتة الغامضة ١١..

ولا يرون الجبال ويدعون رؤية الذرة

وكذلك لعل الجبال، والجبال الرواسى بين أيديهم وهم لا يرونها، ويرون الذرُ فى صفره، وما هو أصغر من الذرة ١١.. من قبل أنهم أعطوا القوة على أن يروا الذر ويستمعوا السرار الخفى، ولم يعطوا القوة على أن يسمعوا الصواعق، ويروا الجبال الرواسى، فهذا غاية التجاهل والتعالى، وقلة النصفة للعقول ١١

ومع أنه يجب عليهم إذ أجازوا هذا القول، أن يضربوا بالسياط ويحرقوا بالنار، فلا ٢٨و/ يعلمون ذلك ولا يألون له ١١.. وإن كرهوا الإقدام على هذا القول، وقالوا: إذا / سمعنا السرار، فنحن للرعد أسمعُ.

قلنا لهم عند ذلك: اليس القوة على استماع الرعد، هى غير القوة على استماع السرار؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: فلم لا يجوز أن تعطوا القوة على السرار، وتمنعوا القوة على استماع الرعد ١٩..

فإن أجازوا ذلك، وجبَ عليهم الكلام الاول، حتى يقولوا أنهم فى الحال التى يسمعون فيها السرار، لا يسمعون فيها الصواعق وصوت الرعد، وإن هم لم يجيزوا

القوة على السرار، إلا وقد أعطوا القوة لاستماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك يجب أن من أعطى^(١) القوة على حمل مائة رطل فحملها، أنه يقدر على حمل رطل واحد لم يحمله، إذ^(٢) كان لا يُعطى القوة على شيء، إلا أعطى القوة على ما هو أيسر منه.

وفى هذا ترك قولهم؛ لأنهم يزعمون أنه قد يكون الرجل حاملاً لمائة رطل، وهو عاجز عن (حمل)^(٣) رطل واحد في ذلك الحال!

وإن زعموا أن القوة على استماع السرار، هي القوة على استماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك القوة على حمل مائة رطل، هي القوة على حمل رطل واحد.

فإن قالوا: لا.. قلنا لهم: فما الفرق بينهما، ولا نعلم له فرقاً؟!

فإن قالوا: نعم. القول كما قلتم. خرجوا من قولهم، وبطلت دعواهم، ولزمهم أن من حمل مائة رطل، فقوى على حملها، أنه يقدر على حمل رطل واحد لم يحمله، إذ^(٤) كانت القوة على شيء، فهي القوة على ما هو أخف منه وأيسر، ولا يقدر على ردّ هذا إلا جاهل أو متجاهل، مكابر ليس مثله يكلم.

حول الاستطاعة الإنسانية وعلم الله:

ونقول لهم: ليس نحن إذا قلنا: إنا نستطيع أن نفعل ما علم الله، عز وجل، أنا لا نفعله، فقد زعمنا، ولزمنا أنا نستطيع أن نجعل الله، عز وجل؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فخبرونا عن الله، جل ثناؤه، هل يقدر أن يجعله فينا؟

فإن قالوا: نعم؛ فقد زعموا أنه^(٥) يقدر على تجهيله، وذلك مثل ما زعموا أنا نصير إليه، بكذبهم علينا وفريتهم.

وإن زعموا أنه لا يقدر على شيء؛ وصفوه بالعجز، ومن عجز عن شيء، فليس بإله، وإن الجأته^(٦) حجتنا، هذه القاطعة العظيمة الجليلة، إلى أن يقولوا: إن هذه مسألة محال، فلا يقال فيها، يقدر ولا يقدر.. استكباراً منهم عن الحق وجحوداً، خوف الغلبة.

(١) وردت في الأصل: يعطا، ومعنى كلامه أن من أعطى القوة على حمل الكثير حمل القليل والبسير.

(٢) في الأصل: إذا.

(٣) ليست بالأصل.

(٤) في الأصل: إذا.

(٥) في الأصل: المنهم.

قلنا لهم: فخبرونا عن قوله، عز وجل، ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۖ﴾ (١)،
 ٢٨ ظ / وقد علم أنه لا يفعله، وقوله: ﴿وَلَوْ / شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا ۖ﴾ (٢)، وقوله:
 ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۖ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
 بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ۖ﴾ (٤)، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
 مِثْلَهُمْ ۖ﴾ (٥)، واشباه ذلك من القرآن يطول ذكره.

مثال على أنهم يستطيعون الإيمان ولا يفعلونه،

فنقول: كيف يجوز عندكم أن يقول، عز وجل: لو شئت لفعلت كذا وكذا (٦)،
 وذلك محال؟! زعمتم - حيث اضطرركم احتجاجنا، فلم تقدرُوا على حيلة،
 إلا أن قلتم: هذه المسألة محال!

وكيف يجوز أن يقول، جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۖ﴾ (١)، ﴿وَلَئِنْ
 شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..﴾ (٢)، والقدرة على ما يعلم أنه لا يفعله عندكم -
 زعمتم - محال!

وإن تابوا ورجعوا إلى أن الله، سبحانه (٧)، يقدر على فعل ما يعلم أنه لا يفعله، ولا
 يكون يلزم أحداً تجهيله، فذلك الحق، وهو قولنا: قد يقدر الناس على ما علم الله، عز
 وجل، أنهم لا يفعلونه، ولا يكون ذلك بتجهيل الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأنهم
 يقدرُونَ أن لا يكفروا وأن لا يعصوا، وأن لا يشركوا، وأن لا يعملوا الكبائر.

ونقول: أليس قد أمر الله، عز وجل، المشركين بالإيمان أن يفعلوه ١٩

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فإذا أبوا أن يؤمنوا، فقد أمرهم، سبحانه، بتجهيله!..

فإن قالوا: لا .

قلنا لهم: فكيف وجب علينا، عندكم، الخطأ حين قلنا لهم أنهم مستطيعون
 لتجهيل ربهم، وقول القبيح فيه، عز وتعالى، ولا يلزمكم لنا أن تقولوا أنهم مأمورون

(٢) سورة السجدة: الآية ١٣ .

(٤) سورة الاسراء: الآية ٨٦ .

(٦) في الاصل: كذى وكذى .

(١) سورة القيامة: الآية ٤ .

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٧٦ .

(٥) سورة يس: الآية ٨١ .

(٧) في الاصل: سبحانه .

بتجهيله، إذ أمرهم بفعل ما علم أنهم لا يفعلونه ، والمأمور به من الإيمان هو المستطاع، فكيف يجب علينا فى إثبات الاستطاعة عليه، إثبات الاستطاعة على التجهيل ١٩.. ولا يلزمكم أنتم فى إثبات الأمر به، إثبات الأمر بالتجهيل ، وهو واحد مأمور به - عندكم - مستطاع فعله عندنا ١٩

فإن زعموا أن الأمر ليس أمراً بالتجهيل، قلنا لهم: فكذلك الاستطاعة، ليست بالاستطاعة على التجهيل ، فكلما ألزونا شيئاً فى الاستطاعة ^(١) ، عارضناهم فى الأمر حتى يرجعوا إلى أنه ليس الاستطاعة عليه، استطاعة على التجهيل، ولا الأمر به أمراً بالتجهيل وذلك هو الحق ، وقهرناهم عند ذلك ، وبانت غلبتهم.

مثال آخر على الاستطاعة للحج وعدم فعله،

ونقول لهم : اليس إنما فرض الله، عز وجل، الحج على من استطاع؟

فإن قالوا: لا . فرضه على من لا يستطيع. /

٢٩و / ردوا قول الله، عز وجل، وكذبوا كتابه حيث يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ^(٢) .

وإن قالوا: لم يفرضه إلا على من استطاع.

قلنا لهم : خبرونا عن استطاع هل يمكنه ألا يحج؟

فإن قالوا: نعم . تركوا قولهم فى أنه لا يستطيع الشئ من علم الله أنه لا يفعله، إذا استطاعه، ومن لم يفعله فقد استطاع ما لم يفعله ، وما علم أنه لا يفعله وذلك ترك لقولهم، إذ زعموا أنه لا يستطيع الحج إلا من حج، وإنما فرضه الله، جل ثناؤه، على من استطاع، فإنما فرض الحج على من قد حج، فأما من لم يحج، فلم يفرض الله عليه الحج؛ لأن الذى لم يحج، لم يستطيع الحج، وإنما الحج على من استطاع.

فقد لزمهم بذلك أن يزعموا أن الحج ليس بفرض، على من لم يحج، والذى لم يحج ليس يستطيع الحج، إنما الحج على من قد حج؛ لأن الذى حج يستطيع الحج!!.. وفى هذا الذى قالوا ، ترك قول أهل الصلاة، ومفارقة دين محمد، صلى الله عليه.

(١) فم، الاصل: والاستطاعة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

مثال ثالث على العتق :

فنقول لهم : خبرونا عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُكْرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ۝٢٧ ﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٨ ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴿ ٢٩ ﴾ ، فخبرونا عن (٢) كان صحيح البدن ، قد ظاهر من امرأته ، ولم يجد رقبة ، فترك العتق ، وأطعم ستين مسكيناً ؛ أكان مستطيعاً للعتق ؟ ..

فإن زعموا أنه كان مستطيعاً للعتق ، فقد زعموا أنه يستطيع العتق من يدعه ، وذلك ترك ما بنوا عليه كلامهم ؛ لأنهم زعموا أنه لا يستطيع أحد شيئاً إلا فعله .

وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع العتق إذ تركه ، فقد زعموا أنه من كان صحيح البدن سليم الجوارح ، وظاهر من امرأته ، فأطعم المساكين ولم يعتق ، أن ذلك جائز له ، إذ كان لا يستطيع ؛ لأن الله ، عز وجل ، إنما فرض إطعام المساكين ، على من كان لا يستطيع العتق ، فإذا كان تاركاً للعتق ولا يستطيعه ، فليس عليه العتق ، وإنما هو على من يستطيعه ، وفي إثبات أنه لا يستطيع العتق تاركه ، إثبات أنه ليس عليه ؛ لأن العتق على من يستطيعه ! .. وفي ذلك القول الخروج من دين الإسلام ، والخلاف لمحمد ، عليه أفضل السلام ، فيما جاء به من الأحكام .

٢٩ ظ / وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع ، وأنه قد فرض / عليه ، رده قول الله ، جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ وردوا على جميع الأمة .

مثال رابع على استطاعة المتأقنين الخروج ولم يخرجوا :

ثم نقول لهم أخبرونا : ما تقولون في قول الله ، عز وجل : ﴿ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝٤٢ ﴾ (٣) ، فهؤلاء (٤) القوم الذين تخلفوا عن

(٢) في الأصل : عن من .

(٤) في الأصل : مها ولا .

(١) سورة المائدة : الآيات ٢ - ٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٤٢ .

الخروج مع النبي ، صلى الله عليه ، فكذبهم الله ، عز وجل ، فيما قالوا ، وبطل قولهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾^(١) ؛ لأن الله ، سبحانه^(٢) ، علم أنهم يستطيعون الخروج قبل الخروج ، ولذلك لزمهم الذنب وصاروا عصاةً .

الدليل القرآني على أن الاستطاعة قبل الفعل ،

ونقول لعبد الله بن يزيد البغدادى ، ولمن قال بقوله من المجبرة الكاذبين على الله ، عز وجل : ومن الدليل علينا لكم ، وظهور حجتنا على حجتكم ، وغلبتنا لكم ، أن الاستطاعة قبل الفعل ، بشواهد قوية من كتاب الله ، عز وجل ، وقد قال ، عز وجل ، : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣) ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٤) ، وقال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٥) .

فمن ذلك الآية الواضحة الصادرة القاطعة لكم من كتاب الله ، عز وجل ثناؤه ، حين يقول : ﴿إِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ﴾^(٦) ، فاخبر ، عز وجل ، أن وليه قد يستطيع الإملاء ، والإملاء^(٧) معدوم لم يفعل بعد ، ولو كان الولي لا يستطيع أن يُمِلَّ أيضاً ، كما الضعيف الزمُّ لا يستطيع أن يُمِلَّ ، لم يكن للآية معنى ، ولكان تاويلهم على قود قولكم !

فإن لم يستطيع هذا الضعيف أن يُمِلَّ هو ، فليُمِلْ وليه الذى لا يستطيع أيضاً^(٨) ، إذا كانت الاستطاعة مع الفعل ، زعمتم !!

والله ، عز وجل ، متقدسٌ عن مثل هذا الكلام الذى لا يجوز ؛ لأن الرجل الضعيف الذى توجد فيه الاستطاعة ، وعدمت عند الإملاء ، قد صحَّ أنه لم يقدر لضعفه وزمانته ، إن الله ، عز وجل ، قد أخبرنا وأعلمنا أن قرينه ووليه ، الذى هو أقوى منه ، السالم من الضعف ، فيه الاستطاعة موجودة قبل الإملاء ، وكفى بهذه الآية شاهداً عدلاً ، والحمد لله .

(٢) فى الأصل : بهاض .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٧ .
(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .
(٨) فى الأصل : أبهى .

(١) سورة التوبة : الآية ٤٢ .
(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .
(٥) سورة النساء : الآية ٨٢ .
(٧) فى الأصل : إملا والإملا .

الاستدلال من جهة القياس أن الاستطاعة قبل الفعل،

ومما يدل على ذلك من القياس، أن الأمر لو كان على ما ادّعت المجهرة من كذبها على الله، عز وجل، من أن الاستطاعة مع الفعل تحدث في حال الفعل، لكان الكافر لا يؤمن أبداً حتى تأتيه استطاعة الإيمان، وكانت الاستطاعة لا تأتيه أبداً، وهو كافر بالله؛ لأن الكافر لا يستحق من الله، جل وعز، لطيفة ولا مادة ولا معونة، ولو كان هذا ٣٠ / هكذا^(١)، لما جاز أن يؤمن كافر^(٢) أبداً بوجه من / الوجوه، حتى تأتيه مادة من الله، عز وجل، تجبره على الإيمان^(٣).

الا ترى أن رجلاً لو كان في بشر فقيل له: إنك لا تخرج من هذا البشر، حتى تؤتى بحبل، ولن تؤتى^(٤) بحبل، وأنت في البشر!!

ما جاز في المعقول أن يخرج ذلك الرجل، من تلك البشر أبداً، على هذا الشرط بوجه من الوجوه، وكذلك إذا كان الكافر لا يؤمن أبداً، حتى يؤتى باستطاعة ينال بها الإيمان، ولن يؤتى باستطاعة الإيمان، وهو كافر عدو لله، عز وجل. ويلزم في ذلك أنه قد جبر على الإيمان جبراً، فلا يكون له أجر ولا حمد.

فإن قال قائل: فإن استطاعة الإيمان، قد تأتيه وهو كافر.

قلنا له: فهذا يوجب لنا عليكم تقدم استطاعة الإيمان قبل الفعل، وهو قولنا. قد رجعتم إليه، وتركتم قولكم، فافهم هذه الحجة، فلا مخرج لهم منها، بحيلة من الحيل.

يستطيع الشيء من لا يفعله،

ثم نقول لهم: ما تقولن في قول الله، عز وجل: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مِنْكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢) ﴿٥٠﴾.

أخبرونا عن هؤلاء^(٦) القوم الذي تخلّفوا عن الخروج مع النبي، صلوات الله عليه

(٢) في الأصل: كافراً.

(٣) يقول أهل العدل باللفظ، وبذهب المعتزلة إلى حد القول بوجوب اللطف (انظر القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٥١٨، وما بعدها).

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢.

(٤) في الأصل: توتا... توتا.

(٦) وفي الأصل: هاولا.

وعلى آله ، فكذبهم الله، عز وجل، فيما قالوا^(١)، خبرونا عنهم أصدقوا فيما قالوا، أم كذبوا فى قولهم : لم نكن نستطيع الخروج مع النبى، صلى الله عليه؟

فإن زعموا أنهم كذبوا فى ذلك، تركوا قولهم، ولزمهم أنه قد يستطيع الشئ من لا يفعله ، وذلك هو الحق وهو قولنا .

وإن زعموا أنهم قد صدقوا فى ذلك، لزمهم أنهم قد صدقوا من كذبُ الله، عز وجل، وكُفوا؛ لأن من صدق من كذبُ الله، عز وجل، فقد أكذب، الله، جل ثناؤه ، وذلك الكفر بالله، سبحانه، المصرح .

يستطيع الكفار الإيمان فى حال كفرهم :

ثم نقول لهم : خبرونا عن الكفار، أيستطيعون الإيمان فى الحال التى هم فيها كفار؟

فمن قولهم : إنهم لا يستطيعون ذلك .

فنقول لهم : أفليس قد كلفهم الله، عز وجل، الإيمانَ وافترضه عليهم، وهم لا يستطيعون؟

فمن قولهم : أنهم كلفوا بما لا يستطيعون، لعله كانت من الكفار وهى كفرهم، فقالوا: إنما مُنعوا الاستطاعة؛ لأنهم تمسكوا^(٢) ولو آمنوا اعطوا القوة على الإيمان .

فيقال لهم : أخبرونا عن المقعد، الذى لا يقدرُ أن يقومَ ، هل عليه أن يصلى قائماً؟

فإن قالوا: لا .

قلنا لهم : ولمَ ذلك؟ .

قالوا: من قبل أنه لا يستطيعُ أن يصلى قائماً .

قلنا لهم : وكذلك الكافر، لا يستطيعُ الإيمانَ - زعمتم .

فلم أوجبتم عليه أن يؤمن ، ولم توجبوا على المقعد أن يصلى قائماً ١١٢ .

(١) فى الاصل : (فإذا قالوا : نعم صدقوا، قلنا لهم :) وهى عبارة ستانى، جواباً على تمام السؤال .

(٢) أى تمسكوا بكفرهم واصرؤا عليه .

كيف فرق المجبرة بين المقعد والكافر؟

٣٠ ظ / فمن قولهم : / إن الكافر إنما صار لا يستطيع الإيمان، لعله كانت فيه، وهى الكفر، والمقعد إنما كان لا يستطيع القيام، لعله كانت من الله، سبحانه، وهو أنه فعل به الإقعاد، فصار المقعد ليس بتارك للقيام، وصار الكافر تاركاً للإيمان.

قلنا لهم : اليس كل واحد منهما، لا يستطيع خلاف ما هو عليه؟.

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فما جعل الكافر أولى^(١) بأن يكون تاركاً مستطيعاً للترك من المقعد، والمقعد لا يستطيع القيام؟!... وفى ذلك كفاية كافية.

وإن سألوا فقالوا: أخبرونا عن الكافر، هل يستطيع أن يؤمن؟.. يريدون أن نقول: نعم. وكذلك نقول.

فيقولون: قد يستطع أن يكون مؤمناً، وهو قد يستطيع أن يكون كافراً مؤمناً، وذلك محال - زعموا.

يؤمن الكافر بعد كفره باستطاعته للإيمان،

فجوابنا لهم، والقوة لله وحده فى ذلك، أنا نقول: إن الكافر يستطيع فى حال الكفر، أن يكون بعده مؤمناً، ولسنا نذهب إلى أنه يستطيع الجمع بين الإيمان والكفر، لأن ذلك هو المحال، كما النائم لا يكون مستيقظاً فى حال واحدة، ولا القاعد قائماً فى حال واحدة، ولا الليل والنهار يجتمعان فى حال واحدة.

والكافر فهو مستطيع، وهو كافر، أن يكون مؤمناً قادراً على ذلك بعد حال الكفر، نريد أن الاستطاعة له فى حال كفره على الحال بعدها.

فإذا قالوا: فإذا كان بعدها كافراً اليس قد يستطيع فى الحال الأولى. وهو فى حال الكفر، أن يكون فى الثانية مؤمناً، والثالثة أيضاً^(٢) حال الكفر؟

الاستطاعة تجوز للكفر أو الإيمان،

قلنا لهم: إن من كان مستطيعاً أن يكفر فى حاله الأولى، مستطيع أن يؤمن، إذ

(٢) فى الأصل : والثانية ايضا .

(١) فى الأصل : باولا .

هو ممكن من الاستطاعة، موجودة فيه، يفعل بها ما أراد من كفر أو إيمان، غير مقهور ولا مجبور على واحد من الفعلين.

والدليل على ذلك شهادة الله، تبارك وتعالى، حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُفْقِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (١٢٧) ﴿١﴾، إلا ترى أن معهم استطاعة غير مجبورين فيها، إلا بالأمر والنهي، فإذا شاؤوا آمنوا، وإذا شاؤوا كفروا، بالاستطاعة الموجودة فيهم، لكنتي الحالتين من قبل فعلهم، فهذا دليل واضح، والحمد لله.

مثال على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الرامي والسهم) :

٣١ و / ومن الحجة عليكم أن الاستطاعة قبل الفعل، أن نقول لكم: ما تقولون في رجل ركب سهمه على قوسه، رامياً لرجل بين يديه، فلما خرج فقو (٢) السهم من وتر القوس، سقط الرامي ميتاً، ووقع السهم في المرمى فقتله، فنقول لكم: خبرونا متى قتل هذا الرجل صاحبه المقتول بالسهم، أو هو حيٌ مستطيع للقتل، أم وهو ميتٌ لا استطاعة فيه؟

فإن قالوا: قتله بعد ما مات؛ لأن الاستطاعة عندهم مع الفعل لا قبله.

لزمهم أن الموتى يقتلون الناس، وأن فيهم الاستطاعة موجودة، وألزموا الموتى (٣) القود، وحمل الديات للمقتولين، وبأن كذبهم وصح إبطالهم، وافتضحوا عند جميع الخلق.

وإن قالوا: إنه قتله برميته، وهو حيٌ، وهو مستطيع.

لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل، ورجعوا إلى قولنا، ولزمهم أن دعواهم، واعتقادهم في الاستطاعة مع الفعل، باطلٌ، ووجب عليهم الرجوع والتوبة، والقول على الله، عز وجل، بالعدل.. فما بعد هذا من البيان والحجة القاطعة، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة النساء: الآية ١٣٧.

(٢) هكذا في الأصل: ورمما كانت: فقو، وتعني الرمية، أو الأثر (انظر: المعجم الوسيط: ج ٢ / ٧٥٨، ٧٥٩).

(٣) في الأصل: الموتى

أدلة أخرى على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الحركة والسكون)،

ومن الحجة لنا عليكم في أن الاستطاعة قبل الفعل، أنا نسألكم فنقول لكم: خبرونا عن الحركة والسكون في بنى آدم، هل هي موجودة في بنيتهم وجوارحهم قبل أفعالهم، أم لا ؟

لأننا نجدهم يتحركون ويسكنون من قبل فعلهم للأشياء، كلما أرادوا؛ لأن الحركة والسكون فرع الاستطاعة، والاستطاعة فعل الله، سبحانه، الذى ركب فى عباده، والحركة والسكون فعل بنى آدم، وليست بفعل الله، عز وجل، فإن قالوا: نعم . نحن نقرُّ أننا نجد فيهم الحركة والسكون قبل فعلهم . تركوا قولهم، ورجعوا إلى أن الاستطاعة قبل الفعل .

ولأننا ، نحن وهم، نجد الإنسان يقبض ويبسط، ويتحرك ويسكن، بلا عمل شيء يعمل، يحرك يده ورجله، ورأسه ولسانه، ويفتح عينيه ويغمض، إذا أراد ذلك، ويقوم ويجئ، ويذهب كل هذا الفعل موجود فيه مشاهد من قبل نظره إلى المحارم، ومن قبل سرقة أموال الناس، ومن قبل سفكه للدماء، ومن قبل قوله القبيح والحسن، ومن قبل فعل الشيء مما يفعل، فهذا موجود مشاهد من فعل بنى آدم .

٣١ ط / فإن قالت المجرة : لسنا نقول ذلك، ولكننا نقول : إن بنى آدم لا ساكنون ولا متحركون حتى تاتيهم / الاستطاعة مع الفعل .

لزمهم أنهم قد خرجوا من التوحيد، الذى ادّعوا أنهم فيه مقدّمون ، ولزمهم أنهم قد وصفوا بنى آدم بصفة الله الواحد الفرد، الذى لا يجرى عليه الحركة ولا السكون، ورجعوا عن القول بالتوحيد .

الله ليس كمثله شيء فلا تجرى عليه الحركة أو السكون،

فإذا بهم قد خرجوا من التوحيد الذى ادّعوا، والعدل جميعاً؛ لأن الله، عز وجل، لا يجرى عليه الحركة ولا السكون لقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١)، وليس لشيء من جميع الأشياء، إلا والحركة والسكون، يلزمه ويجرى عليه .

(١) سورة الشورى : الآية ١١

فلا بد لهم من إبطال التوحيد الذى انتحلوا، أو يرجعوا عن قولهم، فيقولون: إن الحركة والسكون موجودان فى بنى آدم من قبل أفعالهم، فتركوا قولهم، ويصيرون إلى الحق والعدل وهو قولنا.

مثال من القرآن الكريم على أن الاستطاعة قبل الفعل،

ثم نقول لهم: أليس قد افترض الله، عز وجل، على جميع الخلق فى كتابه، فرضاً لازماً لهم، حيث يقول فى كتابه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(١)، فإن قالوا: نعم، هذا فرض لازم للناس كلهم.

قلنا لهم: فهل افترض الله، عز وجل، عليهم ما يملكون غَضُّه، ويستطيعون حفظه قبل فعله، أم لا ١٩

فإن قالوا: قد افترض الله عليهم ما يملكون غَضُّه، ويستطيعون حفظه قبل فعلهم.. تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا، وهو دين الله، عز وجل.

وإن قالوا: إن الله، جل ثناؤه، افترض عليهم ما لا يملكون غَضُّه ولا يستطيعون حفظه قبل فعلهم له.. كفروا بقول الله، عز وجل، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢)، ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٣)، ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٤)، ولانعلم عسراً أعسر من تكليفهم أن يغضوا أبصارهم، ولا يملكون غضها قبل نظرها إلى المحارم؛ وأن يحفظوا فروجاً لا يستطيعون حفظها من الزنا قبل مواقعتها؛ وأن يكفوا أيديهم عن القتل الذى لا يقدرון على تركه قبل اكتسابه!!

ثم نقول لهم: ما الفرق بين تكليفهم بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم، وكف أيديهم عن قتل المؤمنين، وهم لا يستطيعون شيئاً من ذلك ولا يقدرون عليه، وبين تكليفهم لتناول النجوم، والطيران فى الهواء، والمشى على وجه الماء ١١٩

﴿نَبُؤُنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥)، فلا بد لكم مما قلنا، ولا مخرج لكم من حجتنا هذه الواضحة، وبعد هذا فانظروا كيف يفسد عليكم القول بالتوحيد، بجهلكم بالعدل، وقولكم بالجبر.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(١) سورة النور: الآية ٣٠.

(٣) سورة العلق: الآية ٧.

(٥) سورة الانعام: الآية ١٤٣.

ضرورة النظر في معرفة الخالق،

٣٢ و/ فانعموا النظر في هذه الحجج، التي نوردتها عليكم، فإن الرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل، والحق فيما جاءت به الانبياء، وليس الحق فيما اخذ من جهلة الرؤساء، والحمد لله رب العالمين.

فإن قلتم: إنما فرض الله علينا غض الأبصار، وحفظ الفروج، وكف الأيذى والالسة، مع فعلنا لا قبله .

ما تلزم مقالة الجبيرة،

قلنا لهم: فإذا يلزمكم أن قول القائل منكم: إن صيام شهر رمضان، ليس مفروضاً على الخلق من عام قابل .. ولا يجوز أن يكون اعتقادكم، أن رمضان المقبل عليكم فريضة، وأن الله، عز وجل، يقول ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾^(١).

وكذلك يقول القائل منكم: ليس على صلاة غدٍ بفريضة، وليس على زكاة مالى من السنة المقبلة بفريضة، وليس الحج علينا بفريضة لازمة فى وقتنا هذا، ولا جميع الفرائض حتى يكون الوقت الذى يفعلها فيه!!

فيلزمكم أن فرائض الله، عز وجل، التى افترضها على عباده، وعلى لسان نبيه، صلى الله عليه، قبل فعلها لا يقع اسم فرضها على الخلق؛ إلا عند فعلهم لها، فتزول الفرائض المرسومة^(٢) فى القرآن، وهذا ما يقول به مسلم!

لأن الفرض لازم واجب محتوم من قبل فعلهم له، يلزمهم الإقرار بذلك الفرض والاعتقاد، وأنه دين الله المفروض عليهم، الذى لا تزول فرضه فى ساعة من الساعات، ولا وقت من جميع الاوقات، إلا من علة تحدث من العلل التى تنزل بها الفروض وتقومُ بها، مثل المرض والحوادث الموجبة للعذر، إلا خطئان بعد العدل والتوحيد وإثبات الوعد والوعيد، والإقرار بالرسول والكتاب، فإنهما لا يزولان عن المسلمين فى

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣ .

(٢) وربما كانت: الموسومة . وكلاهما يؤدى المعنى .

حالة من جميع الحالات كلها، ولا يسقطان عن عليل ولا غيره، ولا عذر فيها لأحد من المتعبدين اللازم لهم الفرض ، وهى طاعة أئمة الهدى ومودة ذوى القربى^(١) .

ضرورة طاعة الأئمة ومودة ذوى القربى :

فكل الفرائض تزول بكون الحوادث الحائلة، إلا هاتان الخصلتان، فإنهما لا يزولان عن صحيح ولا عليل ، ولا شاهد ولا غائب، إلا طفل لا يعقل، أو مجنون ذاهب العقل، لا حجة عليه .

ألا ترى أن الصلاة قد تزول فى بعض الأوقات بالمرض وغيره، ولا تزول مودة ذوى القربى، ولا طاعة الإمام، واعتقاد إمامته .

٣٢ ظ / وكذلك مودة آل محمد، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وكذلك تزول الزكاة عند الإعدام، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى ، وكذلك يزول الصيام / بالعلل التى تزيله، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى، وكذلك يزول الحج بالمرض والإحصار وقلة الجدة، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى .

أصول العدل والتوحيد :

فكل الفرائض تزول بقيام العذر، الذى تصح عله، ولا يزول التوحيد ولا العدل ولا إثبات الوعد والوعيد، ولا طاعة كل إمام هدى فى عصره، ولا مودة ذى القربى قربى رسول الله، صلى الله عليه، الطاهرين المطهرين، أهل الفضل والمودة المفروضة فى القرآن .

ولا يزول شئ من هذه الأشياء، التى سمينا ، لا بمرض ولا غيره إلا عمن زال عقله ، وسقط التكليف عن مثله، أو طفل لا تلزمه حجة ، ولا على مثله تباعة، فافهم هذا الباب، وأنعم النظر فيه، فإنه حق لا يدفعه دافع ، ولا يقطعه قاطع ، والحمد لله رب العالمين .

(١) فى الأصل : القربا، وهذان الشرطان اللذان ذكرهما من عقائد الشيعة فى آل البيت .

السؤال الخامس

مقالة الجبرة في القضاء

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي :

أخبرونا عن العلم - وقد أخبرناه في العلم بما فيه الكفاية في أول كتابنا هذا، وفي أجزائه - ثم قال أيضاً ^(١) : عن قول الله، عز وجل، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ ^(٣) . أخبروني ما يعنى بهذا ؟

فإن قلنا له - زعم - : قضى ^(٤) عليهم ذلك، فقد أعطيناه - زعم - أن الله، عز وجل، عما قال - قضى الفساد في الأرض، ونحن - زعم - نقول : إن الله، جل ثناؤه، لم يقض الفساد، وأن من قضى الله عليه شيئاً فإنه لا يعذبه بذلك القضاء، هذا قولنا - زعم - ولعمر الله، إنه لكما قلنا، وإنه لا اعتقادنا.

فإن أعطيناه - زعم - أنه قضى عليهم الفساد، تركنا كلامنا - زعم، وإن قلنا : - أخبر أن بني إسرائيل يفسدون في الأرض مرتين، فقد صدقناه - زعم، وذلك عنده هو العدل، أن يكون الله، سبحانه ^(٥)، رضى عنى بني إسرائيل الفساد !

ثم قال : أخبرونا الآن هل كان بنو إسرائيل في هذا الخبر، الذى أخبرنا الله عنهم باطلاً، لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون فيهم ما أخبر الله أنه كائن منهم، فهم يستطيعون أن يكون خبره باطلاً وكذباً!!؟

فهذا - زعم - قول عظيم، تعالى الله عنه علواً كبيراً !!

و٣٣ / وإن قالوا / : إنهم لا يستطيعون أن يكون الذى أخبر الله به، فهم إذاً لا يستطيعون أن يفسدوا، ولا يستطيعون أن يصلحوا!

فقد كلفهم الله، سبحانه، الإصلاح، فهذا قولنا - يعنى نفسه - زعم.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٤ .

(٤) فى الأصل : قضى :

(١) فى الأصل : أبهى .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥ .

(٥) فى الأصل : سبحانه .

رد أحمد بن يحيى : القضاء فى القرآن على معانٍ مختلفة :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنا نقول إن الله ، عز وجل ، ذكر القضاء فى كتابه فى ثلاثة مواضع من القرآن ، وكل قضاء منها لا يشبه الآخر فى معناه ، وكل واحدٍ منها له معنى^(١) ، غير معنى الآخر .

١ - أما واحد منها : فهو قضاء خبر أخبرهم به أنه يكون من اختيارهم ، واتباع أهوائهم ، وهو قوله ، عز وجل ، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾^(٢) ، أى أعلمناهم ، والإعلام غير الحتم والقسر .

٢ - والقضاء الثانى : قوله ، جل ثناؤه : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٣) ، وهذا قضاء الحتم والجبر الصحيح ، الذى لا مخرج لأحد منه ، ولا دافع له ولا راد^(٤) .

٣ - والقضاء الثالث : قوله ، عز وجل ، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٥) ، وذلك قضاء حكم لا قضاء حتم ، ولو كان قضاء حتم ، ما عصاه أحد من جميع خلقه ، ولا قدر له على معصيته .

ووجب أنه ليس فى جميع الأرض ، إلا عابد لله ، سبحانه ، كما حتم وجبر وحزم ، وهذه قاطعة لقولكم واعتلالكم ، بقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾^(٥) ، لأنه لو كان قضاء حتم ، لم يبق على وجه الأرض إلا عابد له ، عز وجل ، لقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٦) ، وكفى بهذا بياناً ، وقاهراً لحجتكم .

ومن الحجة عليه فى قوله : « أخبرونى عن من أخبر الله منه بهذا الخبر ، هل يستطيعون أن لا يفسدوا »^(٦) ١٢

فإن قلنا : نعم . لزمنا - زعم - أن يكون خبر الله الذى خبر به (عن)^(٧) بنى إسرائيل باطلاً ؛ لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون منهم ما أخبر الله أنه كائن منهم ،

(٢) سورة الإسراء : الآية ٤ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٦) فى الأصل : يفسدون .

(١) فى الأصل : معنا .

(٣) سورة فصلت : الآية ١٢ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٤ .

(٧) ليست فى الأصل .

فهم يستطيعون أن يكون خبره باطلاً وكذباً، وهذا قوله - زعم - عظيم يريد به الشنعة علينا، لجهله بعدل الله، عز وجل.

علم الله لم يدخلهم في معصيته ...

ونحن نقول: إن علم الله، عز وجل، لم يدخلهم في معصيته، ولم يخرجهم من طاعته، ولم يعاقبوا على تصريف العلم، ولا سمعوه، عز وجل، قال في شيء من كتابه، ولا على لسان نبيه، صلى الله عليه، وعلى آله، للكفار، ادخلوا النار بما علمت منكم، ولا للمؤمنين ادخلوا الجنة بما علمت منكم!

وإنما قال للفريقين جميعاً: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧)، و ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢)، و ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣)، وأن ما علم الله فليس له خلاف إلا وهو يعلمه؛ لأن الأشياء لا تخلوا من أحد أمرين .. أحدهما: علم، عز وجل، أنه ٣٣ ظ / يكون. والآخر: علم أنه لا يكون، فكلاهما قد علمه، عز وجل، علم / ما يكون أنه يكون، وعلم ما لا يكون أنه لا يكون، وليس غير هذين الوجهين الذين علمهما، عز وجل، فإين الخلاف لما علم ١١٩ هل تجد ها هنا خلافاً لما علم، فأنعم النظر في هذه، فإنها حجة قاطعة.

علم الله كاشف،

وإن العباد يقدرُونَ أن لا يعلم الله منهم المعاصي، ويقدرُونَ أن يعلم منهم المجرأ... وليس تحولهم يكره يفسد علمه؛ لأنه أمرهم أن لا يكون منهم ما علم، ولو كان ذلك يفسد علمه ما افترض عليهم الخروج من المعاصي، ألا ترى أنه قد علم أنه منهم من

(١) ما ذكره المؤلف معنى آية، وليس نصها؛ وجاءت هذه المادة في القرآن الكريم على النحو التالي: ﴿فَكَيْتَ وَجوههم في النار هل تجزؤون إلا كنتم تعملون﴾ ٩٠ / النمل، ﴿فاليوم لا تغلم نفس شيئاً ولا تجزؤون إلا ما كنتم تعملون﴾ ٥٤ / يس، ﴿إنما تجزؤون ما كنتم تعملون﴾ ١٦ / الطور. وقريباً مما ذكر المؤلف قول الله، تعالى: ﴿.. جزاء بما كانوا يعملون﴾ كجزء من آيات، سورة السجدة / ١٧، والاحقاف / ١٤، والواقعة / ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٢.

(٣) ليست آية، ولكنها آية قريب من قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت أنفُسكم﴾ ١٨٢ / آل عمران، ﴿ليس ما قدمت لهم أنفسهم..﴾ ٦٢ / النساء، ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ ٤٠ / النبا، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ ١١٠ / البقرة، ٢٠ / الزمر.

يعبد الأصنام ، ثم قال لهم ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾^(١) ، وجعل لهم الطاقة والسبيل ، على ترك ذلك الرجوع إلى ما يرضيه ، فلم يفعل ذلك كثير من الناس ١١ .

القرض الله على عباده الخروج من معاصيه ، لا من علمه :

فليس ما ندب الله ، عز وجل ، إليه من الطاعة يفسد علمه ، إذا تركوا المعصية ؛ لأنه افترض عليهم الخروج من معاصيه ، ولم يفترض عليهم الخروج من علمه .

أنت مقرر لنا بذلك : لأنك تعلم وتعتقد أن الله ، عز وجل ، قد افترض على الخلق ، أن لا تكون منهم معصية ، ولم يفترض عليهم أن يخرجوا من علمه ، حتى لا يعلمهم ولا ما عملوا .. هذا هو المحال ، وإذا خرجوا من المعاصي ، علم بذلك ، وهو الذي أراد منهم ، وإذا أقاموا على المعاصي ، علم بذلك ، وهو الذي كره منهم .

فلا تلزموا الله ، عز وجل ، فعل الظالمين ، ولا جور الجائرين ، ولا شرك المشركين ، إنه برئ^(٢) من ذلك كله ، سبحانه ، وهو العلي العظيم .

والشاهد على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٣) ، فلا تجده ها هنا برئ من شئ من جميع أمورهم إلا من أعمالهم .

وأنت تلزمه ، عز وجل ، ما برئ منه ، فلا يبعد الله إلا من ظلم : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٤) .

القول بالعدل هنا فساد لحكم الله عند المجبرة ١١

والله ، عز وجل ، لم يكلف العباد الخروج من علمه ؛ لأن العلم ينتقل بتنقل الأفعال ، كيفما^(٥) تنقل العباد . فالله ، عز وجل ، يعلمه ، ولا يدخل بذلك عليه فساد في علم ولا غيره ، وإنما يدخل الفساد في حكمه ، على قود قولك .

(٢) في الأصل : برئ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٢) بالأصل كيف ما

تقول المجبرة : إن الله يعذب العباد على ما علم ، لا على ما عملوا :

وفى مذهبكم ، أيها المجبرة ، أن يكون الله ، عز وجل ، علم من قوم أنهم لا يؤمنون ، ثم أرسل إليهم رسولا قاصداً ، يأمرهم بالدخول فى الإيمان ، فإن أبوا خلدتهم فى النار أبداً لا يبد .

وقد علم الله ، تعالى ، أنه قد حال بينهم وبين الإيمان ، فسبحان الله العظيم هذا أعظم الجور !!

٣٤ و / والدليل على ذلك / أن ليس لحال العلم عذبا ، ولا لحالة كذبوا ، ولا لحاله أشركوا وامتنعوا من الطاعة ، ولا لحاله قتلوا الرسل ، وأئمة الهدى ، عليهم السلام .

مثال من تزوج أخته وأنجب منها وهو لا يعلم :

ومثل ذلك أن رجلاً لو كان باليمن ، وله ابن صغير مع أمه ، ثم إن الرجل خرج مسافراً ، حتى ^(١) وصل إلى أقصى خراسان ، فأقام بها مدة من دهره ، وتزوج بها مرة ، فأقامت معه وولدت له بنتاً ، ثم إنه مات وترك البنت بخراسان ، ثم إن ابنه الذى باليمن ، نشأ وبلغ مبالغ الرجال ، فخرج يطلب التجارة ، وليس له علم بابيه ، ولا أين مات ولا ما أحدث ، حتى وصل إلى خراسان ، وليس له علم أن لابيه ولد غيره ، فأقام وقتاً ثم طلب زوجة ، فوصف له الناس أن عندهم مرة ابنة لرجل غريب ، مات وتركها ، فخطبها الرجل وتزوجها ودخلت عليه ، فأقامت معه سبعين سنة ، وولدت له عشرين ولداً ، وهو لا يعلم أنها أخته ، ولا تعلم أنه أخوها !

فعند ذلك نقول لكم : أليس قد علم الله أنها أخته ؟

فلا بد من : نعم . فإذا أقررتكم بذلك ، قلنا لكم : فهل عليه عقوبة من الله ، سبحانه ، أو عليه ذنب أو حد ، أو هل يلزمه ، جل ثناؤه ، حجة ، بما علم الله ، عز وجل ، من مقامه ينكح أخته سبعين سنة ، وما ولدت له من الأولاد ؟ !!

فإن قالوا : نعم تلزمه الحجة ، وتجب عليه النار بما علم الله ، عز وجل ، منه .

كذبهم جميع أهل الإسلام ، وكفروا فى قولهم : إن الله ، عز وجل ، إنما يُعَذَّبُ على

(٣) بالاصل : حنا .

ما علم، إذ ليس فى القرآن آية واحدة، تدل على أن الله، عز وجل، يعذب العباد على علمه .
وإن قالوا: إنه لا يلزمه الله، عز وجل، حجة، ولا عليه عذاب بما علم الله، عز وجل،
من نكاحه لأخته، تركوا قولهم، وبطل اعتلالهم علينا بالعلم، وفلجوا وانقطعت
حجتهم .

ثم نقول لهم أيضاً: خبرونا عن حجة لا تنفع المحتج بها فى الدنيا، ولا تنفعه فى
الآخرة، هل للاحتجاج بها معنى ^(١) ؟ ..

فإن قالوا: نعم، قد يجوز أن يحتج المحتج فى الدين، بحجة لا تنفعه فى الدنيا، ولا
فى الآخرة فلا بأس بذلك، خرجوا من المعقول، وصاروا ضحكة عند الناس؛ لأن هذا
كلام من لا عقل له، ولا معرفة عنده .

وإن قالوا: إن من احتج بحجة فى الدين، لا تنفعه فى الدنيا ولا فى الآخرة، جاهلٌ
مخطئ ^(٢) لا تجوز حجته .

مثال الزانى المحتج بعلم الله :

قلنا لهم : صدقتم هذا هو الحق، وهو قولنا .

٣٤ ظ / ما تقولون فى رجل زنا، أتى به إلى امام هدى ^(٣) عادل / ممن أوجب الله،
عز وجل، طاعته، فشهد عليه أربعة شهود عدول بالزنا، على الإيلاج والإخراج، ما
يكون حكم الإمام عليه؟

فإذا قالوا: لابد أن يقيم عليه الحد .

قلنا له ^(٤) : فإنه احتج عند الإمام أن الله، عز وجل، قد علم منه أنه يزنى ، وسأله
أن لا يجلده لما علم الله منه . ما كان ذلك الإمام فاعلاً فى حجة؟ .. هل يخلية من
إقامة الحد . أم ينفذ الحد عليه، والحكم الذى فى القرآن ، أم يكف عنه، ويخلية
لحجته؟

فإن قالوا: يخلية لحجته الواضحة القاطعة، التى احتج بها أن الله، عز وجل، قد علم

(٢) فى الأصل : مخطئ .

(٤) الصواب : لهم .

(١) فى الأصل : معنا .

(٣) فى الأصل : هداً .

منه أنه يزني، وجب عليكم أن كل زان زنا، إذا احتج بمثل حجة هذا الزاني، وجب تخليته وطرح الحد عنه، وبطل ما رسم الله، عز وجل، فيما ^(١) فرض من حد الزاني في قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، ومن قال بهذا القول الذي قلتم، فقد خرج من الإسلام، وفارق دين محمد، عليه أفضل السلام..

ثم كذلك إن احتج هذا الرجل يوم القيامة عند الله، عز وجل، فقال : إنما زنيتُ بعلمك يارب فلا تعذبني ، وإنني مت وأنا مُصِرٌّ على الزنا . هل يعفو عنه من العذاب بحجته هذه، إن علم الله منه الزنا؟..

فإن قلتم : إن هذه الحجة تنفعه ، ويجب أن لا يعذب، لما علم الله، عز وجل، من زناه . اَكْذَبْتُمْ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴿ (٣)

أفلا تراه يدعو ^(١) إلى التوبة، ولم يحل علمه بين التائب والتوبة!..

وإن قلتم : ليس تنفعه حجته في الزنا، بأن الله، عز وجل، علم ذلك منه، بطلت دعواكم في العلم، ولزمكم لنا الغلبة، وبان جهلكم وخطوكم، والحمد لله رب العالمين.

لا يجوز لأحد أن يحتج بعلم الله ،

وإن قالوا : إنه لا يجوز لأحد أن يقول هذا القول، وإن من احتج بعلم الله، سبحانه، في المعاصي لا ينفعه ما احتج به في الدنيا ولا في الآخرة.

قلنا لكم : فلم تنكروا أن من افترض الله، تعالى ، عليه الخروج من معاصيه أنه يلزم الله، عز وجل، أن من لم يعلم الله منه الخروج من المعاصي أنه مجهل لله!؟...

وهذا أحول المحال؛ لأن العلم إنما وقع على ما اختار العباد؛ وليس بحامل لهم على معصية ولا مخرج لهم من طاعة.

(٢) سورة النور : الآية ٢ .

(٤) في الاصل : يدعوا .

(١) في الاصل : و .

(٣) سورة الفرقان : الآيات ٦٨ - ٧٠ .

علم الله محيط بالخلائق كإحاطة السموات والأرض بهما ،

٣٥ و / وإنما مثل العلم وإحاطته بالخلائق ، مثل / السموات والأرض وإحاطتهما بالخلائق .

فنقول للمجبرة: خبرونا عن السموات والأرض ، هل لكم منهما مخرج؟

فإن قالوا: نعم .. كذبهم جميع الخلق ، وخرجوا من المعقول .

وإن قالوا: لا مخرج لنا منهما .

قلنا لهم: فإذا زنا الزاني، وكفر الكافر، وأشرك المشرك، وقتل القاتل، وسرق السارق، هل يكون للسموات والأرض في فعلهم فعل أو معناً ^(١) أو شاركتهم السموات والأرض في شيء من أفعالهم، من الفجور والطاعة، بقليل أو كثير؟!

فإن قالوا: نعم، قد شاركتنا ^(٢) السموات والأرض، في كفرنا وشركنا، وفجورنا وقتلنا النفس، وقولنا أن الله ثالث ثلاثة، عز عن ذلك وتعالى ، وكذلك شاركت السموات والأرض أهل الطاعة في طاعتهم .

قلنا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ١٩ ..

فلا يقدرّون على حجة، ولا ملجأ لهم إلا فرج ^(٣) أن السموات والأرض، يشركن معهم في شيء من أفعالهم!! ..

فإذا صح ذلك ولزمهم وانقطعوا؛ قلنا لهم: فأوجدونا هل لكم من العلم مخرج إلى غيره؟ ..

فإن قالوا: نعم ... كفروا ، ولزمهم أن لهم مخرجاً من علم الله، تبارك وتعالى .

قلنا لهم: فأوجدونا حجة أن العلم شرك في أفعالكم، بقليل أو كثير؛ فلا تجدون ذلك أبداً بحيلة محتال .

فإن ألجأهم الأمر إلى أن يفتروا على الله، عز وجل، ويقولوا: إن علم الله هو الذي حال بينهم وبين الطاعة، وأوقعهم في المعصية!

(١) في الأصل: معنى .

(٢) هكذا في الأصل: والفرج: الشق .

قلنا لهم : هاتوا آية واحدة من كتاب الله، عز وجل، تشهد على ما قلتم، ونسلم لكم؛ لأن الله، عز وجل، يقول في كتابه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۖ ﴾^(١)، ويقول : ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۖ ﴾^(٢)، ويقول : ﴿ وَلَوْ كُنَّا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ ﴾^(٣).

فإن وجدوا آية واحدة تشهد لهم، بأن العلم هو الذى حال بينهم وبين الطاعة، وأدخلهم فى المعصية، فالقول قولهم ولا حجة لنا عليهم.

وإن وجدوا القرآن من أوله إلى آخره، يشهد لنا عليهم، بأن الحائل بين العباد وبين الطاعة، والمدخل لهم فى المعصية اتباع الهوى، وإثارة الشهوات والحمية والعصبية، وأن فى جميع القرآن أن الله يلزمهم أفعالهم ويبتبرا منها، وأنه يقول، ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾^(٤)، و﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾^(٥)، وأنه قال فى ملكة سبا: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾^(٦)، ولم يقل صدقتها ولا علمى صدها!

فنقول لهم : خبرونا عن قوله : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٦)، هل صدق ٣٥ / الله عليها، أن الذى كانت تعبد من دون الله، هو الذى صدها لا غير؟ .. فإن قالوا : لا . لم يصدق . كفروا ، وخرجوا من الإسلام جملة .

وإن قالوا : صدق الله، وذلك هو الحق .. قلنا لهم : فقد بطل ما قلتم، وفسدت دعواكم فى العلم، الحمد لله رب العالمين.

(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٤) فى القرآن : ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لجزء من آيات كثيرة منها، سورة الاحقاف، الآية ١٤ .

(٦) سورة النمل : الآية ٤٣ .

(٥) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

المسألة السادسة

الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند الجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، لأم موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾^(١)، أقد كان فرعون يستطيع قتل موسى ولا يرده الله إلى أم موسى^(٢) ١٩؟

فإن قالوا: نعم، ققلنا: أفليس قد كان فرعون يستطيع أن يخلف الله، تبارك وتعالى، لأم موسى حتى لا يتم الله وعده، ويكون ما وعد أم موسى باطلاً وكذباً؟..

فإن قالوا: نعم، فقد أعظموا الفرية على الله، عز وجل، ولا أراك تريد أن توقفهم على أعظم من هذا، ولا أراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامهم لا يسقيهم إلا أن يعطوك هذا؛ ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيع قتل موسى، وهو في يديه، لأن الله وعد أم موسى أن سرده إليها، فكذلك كل خبر وكل وعد أخبر الله، سبحانه^(٣)، به وأوعده، فلا يستطيع العباد رد ذلك، وإن لا يكون منهم غير ذلك.

رد أحمد، وهو يلور حول حرية الاختيار،

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: إنا نقول إن الهادي إلى الحق، صلوات الله عليه، قد كان أجاب على هذه المسألة بما أنا ذاكره، وهو هذا، فافهمه، إن شاء الله، ثم لي جواب - من بعد ذلك - ستقف عليه، والقوة بالله تعالى.

جواب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٣٩٨) ،

قال، عليه السلام: وأما ما سألت عنه في قول الله، سبحانه، في أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾^(١)، فقال: هل يستطيع فرعون أن يقتل موسى حتى لا يرده الله إلى أمه، ولا يجعله من المرسلين؟

(٢) بالأصل: أمه، وفوقها مكتوب (أم موسى).

(١)، (٤) سورة القصص: الآية ٧.

(٣) في الأصل: سبحانه.

الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية،

فقال، عليه السلام؛ إن الله، عز وجل، لو أخرجَ فرعون - من أكبر المعاصي، بعد الشرك - من قتل نبيه، إخراجاً ومنعه من معصيته منعاً، وقسره على الخروج قسراً، ولو جاز أن يُخرجَ عدوّه من معاصيه قسراً، لكانَ قد أدخله في ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج العاصي، من معاصي رب العالمين، نكان عباده المؤمنين أولى^(١) بذلك.

ولو أخرج عباده، ومنعهم من معاصيه قسراً؛ لأدخلهم في طاعته جبراً، ولو فعل^{٣٦}و/ ذلك بهم؛ لأسقط معنى الأمر والنهي، ولكان/ العامل دونهم، والفاعل لأفعالهم، تعالى الله عن ذلك، فلم يُطع، سبحانه، كرهاً^(٢) ولم يُعص، جل جلاله، مغلوباً.

إن الله لم يُطع كرهاً ولم يعص مغلوباً،

ثم نقول^(٣) في ذلك بالحق، إن شاء الله، فنقول: إن الله، سبحانه، لما علم أنه إذا ألقى^(٤) على موسى، صلى الله عليه، المحبة^(٥) التي ذكر أنه ألقاها عليه، في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾^(٦) أحبته^(٧) لذلك امرأة فرعون، فسالت فرعون تركه، عندما همّ به من قتله، حين تبين له ما كان من فعله^(٨)، فتركه لها وصفح عنه لحبّ محبتها، واتباع سارّها^(٩) فكان ذلك نجاة لموسى من ما همّ به فيه فرعون الكافر الملعون.

فلما أن علم الله، عز وجل^(١٠)، أن ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة مرته^(١١) إلى ما طلبت، من ترك قتل موسى^(١٢)، حكم عليه بما علم من صيور أمره، فكان ما ألقى^(١٣) عليه من المحبة منه، سبحانه، لنجاته، فنجاه، سبحانه^(١٤)، من فرعون، ورجّعه^(١٥) إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك^(١٦)، ووعدّها

(١) في الأصل: أولاً.

(٢) في رسالة الهادي: ولم يطع، سبحانه، والتي ستمرّ لها بالتلحرف (هـ) مكرها.

(٣) في هـ: بل نقول.

(٤) في هـ: من الغبة.

(٥) في هـ: فلما ألقى عليه المحبة أحبته.

(٦) في هـ: شاوها.

(٧) في هـ: امراته.

(٨) في الأصل: القا.

(٩) في هـ: وردة.

(٤) في هـ: أن علم أنه إذا ألقى.

(٦) سورة طه: الآية ٣٩.

(٨) في هـ: فعله في صفوه.

(١٠) في هـ: سبحانه.

(١٢) في هـ: بنى الله.

(١٤) في هـ: الله.

(١٦) في هـ: فأخبر الله في ذلك.

ما وعدوها؛ لعلمه بما سيكون من مرآة فرعون، وطلبها في موسى، وإجابة فرعون لها، كما أخبر عما يكون في يوم الدين.

فهذا معنى ما ذكر الله من ذلك، إن شاء الله، لا مقال^(١) الفاسقون وذهب إليه الضالون. ثم وانقضى^(٢) كلام الهادي إلى الحق، صلوات الله عليه^(٣).

في الأجل :

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما : ومن الحجة عليكم أنا نقول : إن الله، تبارك وتعالى، جعل الآجال التي جعلها لعباده، إلى مدة غير محتومة، ولا ممنوعة ولا محصورة، ممن أرادها من القائلين، ولو جعلها محتومة محصورة ممنوعة، ثم اجتمع جميع أهل السموات والأرض، على أن يقتلوا رجلاً واحداً، ما قدروا على ذلك، ولا نالوه أبداً؛ لأنه ليس لما منع الله، عز وجل، قاتل ولا خاتل.

فمن أراد قتل أحد، لم يحل بينه وبينه حائل، إلا بما حرم الله، جل وعز، في كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٤)، يعني نفساً بنفس مثلها قُتلت، أو بكفر أو بارتداد عن الإسلام، أو بحد من بعض الحدود الواجبة، لا غير ذلك.

مثال بمن قتل الحسين، عليه السلام، وقتل عبيد الله بن زياد :

فنقول لعبد الله بن يزيد البغدادي، ولمن قال بقوله أخبرونا عن قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٥)، وإنما خلق الله، سبحانه، أفعال القائلين وأرادها وقضاها وقدراً، في قولكم واعتقادكم، لا في قولنا ولا اعتقادنا، أفرأيتم من قتل ٣٦ ظ / نفساً / بغير حق، مثل الحسين بن علي، عليه السلام^(٦)، ومن قتل عبيد

(٢) في الأصل : انقضا.

(١) في هـ : قاله.

(٣) انظر رسالة الهادي إلى الحق في الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، ج ٢ / ٢٥١-٢٥٢ - من رسائل العدل والتوحيد، تحقيق د / محمد عمارة، ط ثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر ١٩٨٤ م.

(٥) الهامش السابق.

(٤) سورة الأنعام : الآية ٥١.

(٦) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله السبط، ولد سنة ٤ هـ أمه فاطمة الزهراء، وجدته رسول الله ﷺ، وفي الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» خرج ملبياً لدعوة أهل الكوفة فلقته جهوش زياد بن أبيه في كربلاء، وقتلوه شهيداً سنة ٦١ هـ.

الله بن زياد^(١) ، عليه لعنة الله ، طالباً له بدم الحسين بن علي ، عليه السلام ، أليس كلاهما إنما قتل المقتول ، بما خلق الله ، عز وجل ، من فعله ، وقدره وقضاه وأرادته...!!

فإن قلتم : لا نقول ذلك . لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم ، وبأن خطؤكم^(٢) .

وإن قلتم : نعم ، كلاهما إنما الله ، سبحانه ، خلق فعله ، وقدره وقضاه وأرادته .

قلنا لكم : فايها الحق وأيها الباطل ؟ .. فإن قلتم : من قتل الحسين بن علي ، عليه السلام ، هو الحق ، كفرتم ، وخرجتم من الإسلام ، نقول النبي ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، : « الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خيرُ منهما »^(٣) .

فإن قلتم : بل نقول : قَتَلَ عبيد الله بن زياد ، عليه لعنة الله ، هو الحق ، وقتل الحسين ابن علي ، عليه السلام ، هو الحرام والباطل والظلم .

قلنا لكم : فقد لزمكم ، ووجب عليكم في قولكم هذا ، أن بعض خلق الله ، سبحانه ، وتقديره وقضائه وإرادته باطل ، وبعضه حق ، لأن كلا الفعلين - زعمتم - إنما هو خلق الله ، تبارك وتعالى ، وقضائه وإرادته وتقديره ، وقد سمعنا الله ، عز وجل ، يقول في كتابه ﴿ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥٧) ،^(٤) ، زعمتم ، أنه يقضى الباطل .

فإن قلتم : إن كلا الفعلين حق . لزمكم أن قتل الأنبياء وأئمة الهدى حق !!

وإن قلتم : إن كليهما باطل ، لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطل...! ولا مخرج لكم من هذا ، والإقدام عليه هو الكفر .

منع الله فرعون من قتل موسى وأقنر قاتل يحيى !

وكذلك نقول لكم : خبرونا عن منع الله ، عز وجل ، لفرعون عن قتل موسى ، عليه السلام ، حتى رده إلى أمه كما وعدها ، أليس في قولكم : إن الله حال بين موسى وبين فرعون قسراً وجبراً حتى لم يُقدر فرعون على^(٥) قتل موسى ؟

(١) عبيد الله بن زياد من الشجعان ، ولاه عمه على خراسان ، ثم ولاه يزيد بن معاوية على البصرة ، اعترض على الحسين بن أبي طالب ، وقتلته جيوشه ، وقتله ابن الأشتر ، ناراً للحسين سنة ٦٧ هـ .

(٢) في الأصل : خطاؤكم .

(٣) أخرجه الترمذى ٦١٤/٥ (٣٧٦٨) ، وأحمد في مسنده ٣/٣ ، ٦٢ ، ٥/٣٩١ - ٣٩٢ وغيرهما .

(٤) سورة الانعام - الآية ٥٧ .

(٥) في الأصل : علا .

فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم: وكذلك لم يحل بين يحيى بن زكريا وبين من قتله ، وكذلك من قتل جميع الانبياء ، عليهم السلام ١٩!

فلا بد لكم من نعم؛ لأنهم قد صبح قتلهم . وشاهد ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(١)، فنقول لكم: اليس في قوتكم ودينكم أن الله، عز وجل، خلق فعل فرعون وقدره وقضاه وأراد ، وهو الذي منع فرعون قتل من موسى جبراً وقسراً ١٩؟ فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم: وكذلك خلق وأراد وقدر وقضى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام ، على قاتليه ١٩؟

فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم فلا نجد التارك لموسى، ولا القاتل ليحيى ، عليهما ٣٧و / السلام، غير الله، عز وجل، على ماتقولون !! لانه / يقول في كتابه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ يَقْصُرُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ^(٢)، وزعمتم ، أن أفعال العباد مخلوقة، فقد سقطت عنهم الحجة؛ لأنهم لا فعل لهم.

لم يخلق الله أفعال العباد ١

وإن لا ^(٣)، فوجدونا شيئاً نستدل به، ويصح عندنا بعد الاستطاعة المركبة في العباد، والجوارح السالمة، والحديد الذي قتلوا به، فلا نعرف الله، عز وجل، في الباب الذي ادعيتم عليه خلقاً، يلزم به لكم حجة، غير الاستطاعة المركبة في الجوارح، والحديد الذي لا حجة على الله، سبحانه، فيه ، الذي قتلوا به من قتلوا . وليس تجدون معناً ^(٤) غير ما ذكرنا ، يجب به أن الله خلق أفعالهم .

وإن لا ، فإين هذا الخلق الذي لا يرى ولا يسمع، ولا يذاق ولا يشم، ولا يلمس ولا تدركه الحواس ، ولا تقاس بالناس ، ولا تحيط به الاقطار، وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار، الذي لا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تحيط به الاقطار!

وإن لا ، فوجدونا هذا الخلق الذي ادعيتم أن الله، عز وجل، خلقه ، غير الاستطاعة المركبة والجوارح السالمة، والحديد الذي قتلوا به الانبياء، وأئمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله، تبارك وتعالى ، في تركيب الاستطاعة فيهم ، ولا خلقه

(١) سورة البقرة: الآية ٦١ . (٢) سورة الانعام: الآية ٥٧ ، وفي الاصل: يقضى .

(٣) معنى : وإن قلتم : لا ، وسيكرها في بداية كل دليل على المهمة . (٤) في الاصل : معناً .

للحديد، حجة ولا علة لمعتل؛ لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفي هذا الموضوع تبينُ
فضيحتكم، وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم في قولكم: إن الله، عز وجل، خلق
أفعال العباد.

فأرونا أين هذا الخلق، الذي ذكرتم، غير ما قلنا؟!!

فلن يجدوا ذلك أبداً، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع
الاسباب، وتفسير ذلك، أن الحركة موجودة في بني آدم، قبل أفعاله، والحركة فهي فرعُ
الاستطاعة المركبة في البنية؛ لأن بني آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم
هم، وليس هو فعل الله، عز وجل، وكذلك خلقهم الله، عز وجل، قادرين على الحركة
والسكون، مملكين لذلك، مأمورين منهيين، وخلق الجبال، وما أشبهها من الجمادات
٣٧ ظ / ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة في بني آدم، هي قبل / أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم، في دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله، ونحن
نقول: إن الاستطاعة قبل الفعل، وهي أصل الحركة التي أتوا بها عليها، وهي موجودة
في بني آدم، قبل أفعالهم^(١).

مناظرة بين أبي الهذيل وحفص الفرد؛

فإن قلتم: إن الحركة ليست بشئ. اجبناكم بجواب أبي الهذيل^(٢) لحفص
الفرد^(٣)، فإنه بلغنا أن أبا الهذيل، وكان يقول بالعدل، تناظر هو وحفص الفرد في
الحركات فابطلها حفص الفرد، وزعم أنها لا شئ، فقال له أبو الهذيل: يا حفص كم
حد الزاني الذي أمر الله به؟ فقال له حفص: مائة جلدة، قال فكم حد القاذف؟ قال:
ثمانين جلدة، قال له أبو الهذيل: فأخبرني الحركة هي يد الضارب؟ قال: لا.

قال: فهي جنب المضروب؟ قال لا. قال: فهي السوط. قال: لا. قال أبو الهذيل:
يا حفص فقد أعلمتنا أن لا شئ أكثر من لا شئ بعشرين!! فانقطع حفص الفرد.

فكذلك ينقطع عبد الله بن يزيد البغدادي.

(١) تكملة من الهامش.

(٢) أبو الهذيل العلاف من كبار المعتزلة توفي سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م راجع لسان الميزان ٥ / ٣١٤.

(٣) حفص الفرد من المجبرة، الذين ناظروا العلماء قبلاً، وكان معتزلياً، وقال فيه الذهبي، مبتدع. وكفره الشافعي في

مناظرته، كما ناظر أبا الهذيل العلاف، انظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٤.

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وإنما أخبر الله ، عز وجل ، أم موسى ، صلى الله عليه ، برجوع موسى إليها ، لما علم من اختيار فرعون وأنه لا يقتله ، وأنه لا تساعد مرتته على قتله .

الأجال غير محتومة ،

والآجال على ما قلنا غير محتومة ، والشاهد على ذلك قول الله ، عز وجل ، يخبر عن نوح ، عليه السلام وقوله لقومه : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (٢) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿ (١) ، فنقول لك : أليس ترى أنه قد أوجب لهم أن يبلغوا ذلك الاجل المسمى (١) ، ما لم يقدموا على المعاصي ، التي توجب تعجيل العذاب من الله ، جل ثناؤه ؟!

الا ترى كيف يقول : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، الا ترى انه لم يكن هناك تاخير إلا وثم تقديم ؟ .. الا تره مُّسَمًّى ، وقد هلكوا دونه بإخبار الله ، عز وجل ، فى كتابه ؟!

وقد دعاهم ، نوح عليه السلام ، إلى أن يطيعوا الله ، جل ثناؤه ، فيؤخرهم ذلك الاجل ، الا تره مُّسَمًّى (١) لم يبلغوه ؟

او لا ترى نوحاً ، صلوات الله عليه ، لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتأخير اجل الموت ، الذى سماه الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، يقول : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (٥) .

فالاجل الذى جعل الله ، عز وجل ، للموت المسمى ، لا يطمع احد فيه ، وليس له راد ، وقد قال الله ، عز وجل ، فى آية من كتابه يدل فيها على من سلف ، ويؤدب بها من خلف ، وفيها حكمه على الاولين والآخرين ، وهى قوله ، عز وجل ، : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٩)

(١) سورة نوح : الآية ٣ ، ٤ ، ورد فى الاصل (واعبدوا...) وهو خطأ .

(٢) فى الاصل : المسما .

(٣) سورة نوح : الآية ٤ .

(٥) سورة المنافقون : الآية ١١ .

(٤) فى الاصل : مسمى ، وكذا كل كلمة مثلها تاتى بعد .

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١﴾ أَفَلَا تَرَىٰ أَنَّ لَهُمُ أَجْلاً مُّسَمًّى، قد وعدوا التأخير إليه، فلم يطيعوا الرسل، ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم، ما شرط لهم من بلوغ الأجل، فاخذهم الله، عز وجل، بتعجيل العقوبة، فاحترمهم ^(٢) دون ما سمى لهم لو أطاعوا، ورجعوا إلى دينه، وفى هذا كفاية، والحمد لله.

مثال آخر بتأخير العذاب عن قوم يونس :

ومن الحجة أيضاً قوله، عز وجل، ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨ ﴾ ^(٣)، أفلا ترى أن الله، عز وجل، قد كان أعلم يونس، صلوات الله عليه، أن العذاب واقع بهم، فاعلمهم يونس بذلك، فآمنوا بعد انصراف يونس عليهم، فأخر الله عنهم العذاب، بعد ما كان قد حتمه عليهم، فهذا أكبر الدليل، وأوضح شاهد، والحمد لله.

(١) سورة إبراهيم : الآيتان ٩ - ١٠ ، وردت بالاصل ﴿ باتهم لم ﴾ وهو خطأ.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) سورة يونس : الآية ٩٨.

المسألة السابعة

الجدل حول مدى تأثير علم الله في الاستطاعة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾^(١)، اليس قد كره الله أن ينبعثوا وثبطهم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: اليس الله ثبطهم عن الخروج مع رسوله، وكره أن ينبعثوا معه، والانبعث معه طاعة، والتخلف عنه كفر؟!!

فإن قالوا: بلى^(٢) فقل: أفليس الله قد كره أن يطيعوا، إذ علم أنهم لا يطيعونه؟.

فإن قالوا: نعم: فقل. اليس كل من علم الله منه أنه لا يطيعه، فقد كره أن يكون منه، غير ما علم؟

فإن قالوا: نعم. فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل، ودخلوا معك فيه.

وإن قالوا: إن الله لم يكره انبعاثهم، ولم يشبطهم، تركوا القرآن.

فسلهم عن ذلك: اليس قد أنزل الله هذا القرآن؟

فإن قالوا: بلى^(٣).. فقل: فما معنى ذلك، إذ يقول: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾؟!

فإنهم لن يأتوا بحجة، وأنهم عسى^(٤) أن يقولوا: أحبرونا عن أول هذه الآيات، اليس قد قال، عز وجل، ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥)، إنهم يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله، وما لا يعلم الله، أنهم يصنعونه؛ ولكنه إنما عني حلفوا بالله، ما لنا استطاعة مال، فشهد الله ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥)، لقد كانت لهم استطاعة مال، وتصديق ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ / يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾^(٦).

(٢) في الأصل: بلى.

(٤) في الأصل: عسا.

(٦) سورة التوبة: الآية ٩٣.

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦.

(٣) في الأصل: بلى.

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢.

٣٨ ظ / وقال : استأذنك أولوا الطول منهم ، وحلفوا ما لهم طول ، فشهد الله أنهم لكاذبون ، وقال فى بعض ما أنزل الله فى كتابه : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ (١) ، يقول : من لم يكن له مالٌ ، أن ينكح المحصنات ، فسمى المال استطاعة الطول ، وذلك حين استنفرهم ، اعتلوا له بأن ليس لهم طول مالٍ ، فكذبهم الله .

الرد على المجبرة :

الجواب ؛ قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : أما ما سألت عنه من قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ ، فإن نقول لك : إنما جئت بوسط الخبر ، الذى ذكره الله ، عز وجل ، عن العاصين لنبيه ، صلى الله عليه ، ولم تعقل ما قبله ، ولا ما بعده من شواهد حجج الله ، جل ثناؤه ، المؤكدة ، وبرأته من ذنوبهم الواضحة ، إذ قال ، عز وجل ، ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ (٢) .

الجهاد فريضة على كل مسلم :

ونحن نقول لك أخبرنا : هل افترض الله ، عز وجل ، الجهاد على من بعث إليهم محمداً ، صلى الله عليه ، أم لا ؟

فإن قلت : لا ، أكذبك جميع الخلق ، من أهل الإسلام .

وإن قلت : نعم . . قلت فى ذلك الحق ، إن الله ، عز وجل ، قد افترض الجهاد على جميع أمة محمد ، صلى الله عليه ، ولم يفرضه على بعضهم دون بعض ، إلا من عذره الله ، عز وجل ، من المريض والاعرج والاعمى (٣) ، أو الضعيف أو المجنون أو الطفل .

فإذا ألزمتك هذا القول ، قلنا لك : أفليس قد أمرهم رسول الله ، صلى الله عليه ، بالخروج للجهاد فى سبيل الله ؟ .. فإذا قلت نعم . . قلنا لك : فأخبرنا عما نحن سائلون عنه ، وفيه قطع دعواك جميعاً ، فى العلم والاستطاعة مع الفعل ، والقضاء والقدر ، وأنتك مبطلٌ ، فى جميع ما ادعيت من ذلك كله ، مسخطةً لله ، جل ثناؤه ، بما

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٦ .

(١) سورة النساء : الآية ٢٥ .

(٣) فى الاصل : الاعما .

وضعت من باطل، على أهل العدل؛ لأنه يلزمك في قولك، أنهم لا يقدرُونَ أن يصنعوا خلاف علم الله منهم.

فنتقول لك : فهل لهم حيلةٌ على أن يدفعوا ما خلق الله، عز وجل، من أفعالهم، وقضائه وقدره وأرادته من أعمالهم، كما لم يقدرُوا أن يفعلوا خلاف ما علم الله ، سبحانه ، منهم ؟!

فإن قلت : لا يقدرُونَ على خلاف ذلك، والخروج منه ..

قلنا لك : فما معنى قول الحليم ، الذي لا يظلم ولا يجور ، في قوله : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ ^(١) ، وهم ليس لهم إرادة ولا لهم حيلة، في الخروج من خلقه، ولا من قضائه وقدره وإرادته، ولا إلى ترك ما علم من أفعالهم، ونحن لا نجد لهم أمراً يجب عليهم فيه عذاب، ولا يلزمهم به معصية؟!!

٣٩و / إذا الفعل فعل ربهم بهم، وهو الخالق أفعالهم / والمقدر لها عليهم - زعمتم - وهو القوى، الذي لا يغلب ولا يقهر!!

وأخبرونا عن قوله ، سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٢) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(٥) .

كلام المجبرة يبطل الدين رسالة وتكليفاً

فهات، أخبرنا أنت، ما معنى إرساله الرسل وإنزاله الكتب، على قوم لا يقدرُونَ على أن لا يعلم الله منهم فعلاً قبيحاً ولا معصية ، ولا يقدرُونَ على الخروج من خلقه لأفعالهم، ولا تقديره عليهم، وقضائه الذي حتم من معاصيهم؟!!

وهل رأيت أحداً قط يقيدُ عبده، ثم يأمره بالحضراء ^(٦) ، ويكلفه الطيران في الهواء، والمشى على وجه الماء، أو يكون هذا من صفته حكيم عدل رحيم؟!!

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٦) العدو والوثب.

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٥) سورة النساء: الآية ٨٢.

نقض نظرية الكسب (١)

فإن قلت : إن فعالهم خلقٌ لله ، عز وجل ، وإنهم اكتسبوا ذلك الخلق .
قلت لك : فإن الحجة عليك ، بعدُ قائمةٌ يلزمك أن اكتسابهم هو خلق الله
أيضاً^(٢) ، وإذا كان الله خالق كل شيء ، على قولكم ، واكتسابهم أيضاً^(٣) ، هو خلقه
الذى هو المعاصى !!!

وإن قلت : إن لهم فعلاً ، والله ، عز وجل ، فعلٌ ، وكل واحد منهما غير الآخر .
قلنا لك : فقد لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا : إن فعل الخالق
غير فعل الخلق ، وأن فعل العباد غير فعل المتعبد ، ولذلك استحقوا بأفعالهم الثواب
والعقاب .

نقض فكرة الفعل بين فاعلين ،

وإن قلت : بل فعلهم هو فعلُ الله . لزمك أن الله ، عز وجل ، هو الفاعل لكل قببح
وفاحشة ، عز وجل عن ذلك وتعالى البرئ من أفعال عباده ، الطاهر من ظلمهم !
وإن قلت : إنه فعل بعضها ؛ لأن من قولك أنه فعلٌ من فاعلين . لزمك أنه فعل بعض
الفواحش والقبائح ، وهم بعضها !!

فلا مخرج لك من أى هذا القول دون الكفر ، أو الرجوع إلى الحق ، والقول بالعدل ،
الذى هو العدل والحق ، لا جورك الذى وصفت وسميته عدلاً !!

ولا عجب أعجب من تسميتك وتكريرك ، كلما احتججت ، سميت الجبر عدلاً !
تعالى الله عما قلت .

(١) الكلام الذى يذكره أحمد بن يحيى ، يدل على أن نظرية الكسب ، لم تكن لأبى الحسن الأشعرى ، ولكنها ظهرت
قبله بزمان بعيد ، وكانت مقررة عند فريق كبير من المسلمين ، فأحمد من وفيات (٣٢٥هـ - ٣٢٧م) ، والأشعرى توفى
سنة (٣٢٤هـ) على الأرجح ، مما يعنى أنهما كانا متعاصرين ، والمعاصرة حجاب ، وكتاب أحمد رد على كتاب عبد الله
ابن يزيد المذكور ، مما يدعونا إلى الشك فى نسبة أصول هذه النظرية للأشعرى ، لأنه لا يعقل أن يقرر الأشعرى هذه
النظرية بعد تركه الاعتزال ، والذى يرجح أن يكون بعد الثلاث مائة للهجرة (٣٠٠هـ) ، ويقرر نظريته ، وتروج فى
العالم الإسلامى ، فيرد عليها الإمام أحمد بن يحيى ، عن طريق كتاب عبد الله بن يزيد المجهول ، وإن كان الاحتمال قائماً
بأن يكون عبد الله هذا أحد أصحاب الأشعرى !

(٢) فى الأصل : أبهى .

(٣) فى الأصل : أبهى .

تفسير أحمد لقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ... ﴾

واعلم أن معنى الآية التى ذكرت، من قول الله، عز وجل، ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ (١)، فإننا نقول: إنه لما دعاهم رسول الله، صلى الله عليه، إلى الخروج والجهاد فى سبيل الله، لم يريدوا ذلك، ولم يجيبوا، اتباعاً للهوى، وميلاً إلى الردى، ولم يعدوا العدة التى بها يقوم الجهاد ويجب الاجر، فكان تثبيطهم لما فعلوا، وما حكى الله، عز وجل، منهم - وعلم أنهم لو خرجوا مع نبيه، صلى الله عليه، لفعلوا به .

٣٩ ظ / كما علم، أنهم لو أرادوا ما علم الله ذلك / منهم، ولا علم منهم إلا الخير والطاعة والعدة للجهاد، وترك التسمع (٢) والتجسس على رسوله، صلى الله عليه، فقال: ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٣).

ثم قال لنبيه، صلى الله عليه، ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤٨) (٤).

أفلا ترى ، أيها المهلك لنفسه، ولمن معه، أن الله، عز وجل، لم يشبطهم عن دينه، ولم يحل بينهم وبين طاعته، والجهاد فى سبيله، والخروج مع رسوله، صلى الله عليه، إلا لمعصيتهم أولاً وآخرأ، التى كان منهم فيها البدؤ؟!

١ - فاما أولاً: فما كان منهم من ابتغائهم للفتنة، وتقليبهم لرسوله الامور، حتى ظهر الحق الذى كرهوا، وأعرضوا عنه، بكفرهم وظلمهم وعدوانهم، الذى استوجبوا به فى الدنيا الخزى من الله، عز وجل، وسوء الشاء، الذى ذكرهم به فى كتابه، لا يزال يقرأ قبح أفعالهم، وابتداءهم بالظلم والإعراض عن أمر الله، عز وجل، وأمر رسوله، عليه السلام، أبدأ حتى تقوم الساعة.

٢ - وأما آخرأ: فما كان من كفرهم، الذى أضمره لرسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، من الغش والخيانة والتسميع، والذى قال الله، عز وجل:

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦ .

(٢) املئ منها مكتوب : التشميع .

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٦ .

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ، وقوله : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولا وضعوا
خلالكم يغفونكم الفتنه ، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . ﴾

وإنما كره انبعاثهم وثبطهم ، لما علم من كفرهم ، وسوء اختيارهم ، وإفسادهم على
رسوله ، ﷺ ، : « لو خرجوا معه » .

فلهذه الأسباب كره ، عز وجل ، انبعاثهم وثبطهم . لا ما ذهبت إليه أنت ، من أن
الله - عز وجل عما قلت - كره انبعاثهم مع رسوله ، صلى الله عليه ، وجهادهم
لأعدائه ، لغير علة من العلل ، ولا حجة لزمته ، وثبطهم عن الجهاد ؛ لا لسبب
استوجبوه ، ولا أمر استحقوه ، إلا ابتداءهم بالكراهية ، والتسييط من غير علة وجبت
له عليهم ، ولا ظلم أتوه ، ولا عدوان بدءوه به ، تعالى عما قلت علواً كبيراً !!

في نفي الجور والظلم عن الله ، عز وجل ،

والشاهد لنا في تصديق قولنا وصواب حجتنا قول الله ، عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ ^(٤) ، وذلك بعد
٤٠ و / استحقاقهم له ، وإعراضهم عن الطاعة ، فأما ما قبل قيام الحجة / فلا يجوز
ذلك ، على العدل الذي لا يجور !!

كيف ؟ .. وهو الذي يقول ، وقد أخبر عن قوم ظلموا أنفسهم ، وجحدوا بآياته :
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٥) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٦) ، أفلا ترى ^(٧) أنهم لما جحدوا بعد المعرفة ، لما
جعل الله لهم الاستطاعة إلى تركه وفعله ، نفى ^(٨) ذلك عن نفسه ، عز وجل .

فإذا كان جحدانهم آياته عنده ، ظلماً وعلواً ، فعاب ذلك عليهم . ثم أخذهم

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٤) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٦) في الأصل : ترا .

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٥٣ .

(٥) سورة النمل : الآية ١٣ ، تكررت في الأصل : وهو خطأ من الناسخ .

(٧) في الأصل : ونفا .

وعذبهم على أمر لم يكن فيه معنى لزمهم به حجة، فلم إذن سماه ظلماً وعلواً
وفساداً؟.. وإلا فإين العدل والحق، وترك الجور والظلم ۱۱۹

هل من علم الله منه أنه لا يؤمن يكره منه الإيمان ۱۱۹

وأما قولك: ليس من علم الله منه أنه لا يطيعه، فقد كره أن يكون منه غير ما
علم؟. فإن قلنا - زعمت: نعم. فقد أعطيناك ما عينا عليك، من جورك الذي
سميته عدلاً؛ عز الله عما قلت.

وبالله، ما نعلم للمشركين حجةً على الله، عز وجل، ولا على رسوله، صلى الله
عليه، تقوم بعذرهم، وتقطع من خالفهم، أقوى من حجتك هذه، التي احتججت
علينا بها!..

لأنه لا يجب للمشركين، على قود قولك هذا، وفريتك على الله، عز وجل،
ودعواك الباطلة، أن من علم الله، عز وجل، فيه أنه لا يطيعه أنه قد كره منه أن يكون منه
غير ما علم الله، سبحانه.. (ولذلك يجوز) (١) أن يقول المشركون لمحمد، صلوات
الله عليه وعلى آله وسلم: أخبرنا يا محمد ليس قد علم منا أن لا نؤمن ولا نتبعك
أبداً ۱۹

فما قولك، يا عبد الله بن يزيد البغدادي، في جواب رسول الله، صلى الله عليه وعلى
آله، لهم، هل يجوز له أن يقول: لا لم يعلم الله أنكم لا تؤمنون ولا تقبلون مني!..
فإن جوزت ذلك على رسول الله، صلوات الله عليه، كفرت، وخرجت من الإسلام.
وإن قلت: إن الواجب أن يقول لهم رسول الله، صلى الله عليه: بلى (٢)، قد علم
الله أنكم لا تؤمنون بي، ولا تتبعوني أبداً.

فإذا قال ذلك النبي، عليه السلام، قالوا له: كما قلت أنت: أخبرنا يا محمد قلم
أرسلك إلينا، وقد علم أنا لا نؤمن أبداً ولا نتبعك!.. وكيف يجوز عندك يا محمد
في حكم ربك، أن يأمر أن نتحول عن عبادة الأصنام إلى عبادته هو، وقد علم أن ذلك
لا يكون منا أبداً ۱۱۹

لأنه إن كان منا إيمان أو توبة، أو رجعة إلى الإسلام، بطل علمه !!

٤٠ ط / فنحن نقول لك أيها المجبر الجاهل والمفتري على الله / ، جل ثناؤه ، هل مع نبيك، هذا المصطفى والمنتجب ^(١) للوحى، والمختومة به الرسل، حجة يقطع بها المشركين، ويورثها أمته من المسلمين ، ليحتجوا بها على المدعين، إلى يوم الدين؟

فى إثبات الحجة ونفى العبث عن الله ، تعالى :

فإذا قلت : نعم، معه حجة يقطع بها المشركين .

قلنا لك : ما هى ؟ هاتها، وعرفنا بها، إن كنت من الصادقين؟

فإن ادعيت، غير ما احتججت به علينا فى العلم، سقطت حجتك علينا، فى العلم التى اعتللت علينا بها، لأنه ، صلوات الله عليه، إذا احتج على المشركين، لم يكن احتجاجه إلا بما يقطع به حجة المشركين.

وذلك الذى احتج به المشركون، قولكم وحجتكم، التى احتججتم بها على أهل العدل، فى دعواكم أن من علم الله، سبحانه، منه أنه لا يؤمن أنه لا يكن منه غير ما علم الله.

ولو كان منه الإيمان، لبطل ما علم الله، عز وجل، فيه أنه لا يؤمن، وهو قول المشركين، الذى قلنا لك أنهم احتجوا به، على رسول الله، صلى الله عليه.

وإن قلت : أن ليس مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله، حجة ، غير ما ادعيت أنت وإخوانك المجبرة، وقلتم به فى العلم، لزمك أن الرسول، عليه السلام، لم يحسن يحتج على المشركين ، وأنهم قد فلجوه، ولم يقدر لهم على جواب، غير ما قلتم، فيلزم النبى ، صلى الله عليه ، أن يرسله عبثاً ولعباً ، إذ علم الله، عز وجل، أنهم لا يؤمنون!

ثم بعثه إليهم، يطلب منهم ما لا يقدرون عليه... وهذا غاية الكفر والشرك، والعبث والنعب، وفساد الحكمة، وغاية الطعن على الله، عز وجل عما قلتم، وعلا علواً كبيراً.

(٣) المختار والمصطفى.

علم منهم أنهم لا يؤمنون مع علمه قدرتهم على الإيمان كذلك:

وكذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، ولكننا نقول : إنه كما علم الله منهم أنهم لا يؤمنون ، كذلك علم الله أنهم يقدرُونَ على الإيمان ، وعلى أن لا يعلم الله منهم الشرك ، لأنه افترض عليهم الخروج من الشرك ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ لأن الله ، عز وجل ، قد أحاط بكل شيء علماً .

على العباد إنفاذ ما أمر بترك ما علم ،

ولا مخرج لأحد من علم الله ، عز وجل ، والدليل على ما قلنا لك ، في بعض كتابنا هذا ، من الحجة القاطعة ، أنا نسالك : هل أراد الله من العباد ، إنفاذ ما أمر بترك ما علم ، أو ترك ما علم بإنفاذ ما أمر ؟!

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق إنفاذ ما علم بترك ما أمر ، لزمك وأنت ٤١ و / مفلوج الحجة ، أن الله ، عز وجل ، أراد إنفاذ ما / علم من الظالمين ، وترك الفرائض التي جاءت بها المرسلون ، وفي هذا القول يلزمك الشرك ، والخروج من دين الإسلام كافة ، إن - زعمت : أن الله ، عز وجل ، أراد أن تترك فرائضه وكتبه ، ودينه الذي شرع ، وأمره ونهيه وطاعته وطاعة رسله ، عليهم السلام ، إذ يقول : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُتُبَكُمْ سَتَرِ الدِّينِ مِنْ قَلْبِكُمْ ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣) .

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم . لزمك أنك رجعت عن جهلك ، وأن الحق معنا ، وهذا قولنا أن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق إنفاذ ما أمر به من طاعته ، بترك ما علم منهم ، من اتباعهم للهوى ، والميل إلى الكفر والردى ، والصد عن الهدى ، إذ أمر تخييراً ونهى ^(٤) تحذيراً ، فلم يُطع كرها ولم يُعص مغلوباً .

ولعمرُ الله ، إن مسألة ^(٥) واحدة من مسائلنا هذه ، لتقطعُ جميع أهل الجبر ، وتجزئ عن الاحتجاج بغيرها ، ولكن لا بد من جوابك على كتابك كُلِّه ؛ لتعلم موضع خطابك

(٢) سورة النساء : الآية ٢٦ .

(٤) في الأصل : ونها .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٢٧ .

(٥) في الأصل : مسئلة

واحتجاجك علينا فى مسالتك هذه بالقرآن ، وأنت لا تعرف القرآن ، ولو عرفت القرآن لم تقل بالجبر.

الجبرة تعذر للتافقين :

وأما قولك : إن الله، جل ثناؤه، لم يُكذِّبَ المذافقين فى قولهم : ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ يعنى ، زعمت ، حلفوا أنهم لا يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله ، وإنما عنى الله، عز وجل، بذلك ، زعمت ، أنهم حلفوا ؛ لأنهم لا يقدرُونَ على الاستطاعة والمال، وزعمت، أن الله شهد إنهم كاذبون.

وقد قال، عز وجل، زعمت، فى حجتك : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١).

كان للمنافقين استطاعة مالية وبلدية :

الجواب قال أحمد بن يحيى عليهما السلام ، فقد يلزمك فى هذا القول، الذى احتججت به علينا، أن الاستطاعة قبل الفعل، إذ أقررت ، زعمت، من لسانك، أن الله، عز وجل، شهد عليهم، أنهم حلفوا مامعهم استطاعة المال، وهى معهم ، على قولك ، وذلك عندنا، نحن، الأمر الذى عاب الله، عز وجل، عليهم ، إذ كانت معهم استطاعة المال، ثم حلفوا ما هى معهم، وهى معهم، قبل الخروج مع النبى، صلى الله عليه، وزعمت أنها التى عنى الله، عز وجل، ففررت (٢) من شئ وقعت فيه ١١

٤١ ظ / فإذا لم تُقر لنا أنهم إنما حلفوا / على أنهم لا يقدرُونَ على الخروج بالأبدان؛ لأن ليس معهم استطاعة الخروج بالأبدان ، على قولك .

وزعمت أن معهم استطاعة المال ، وقلت : إن الله شهد عليهم بذلك، فقد وقعت فيما فررت منه ، وليس نريدُ منك أكثر من هذه الآية .

قد لزمك أن الله، عز وجل، شهد عليهم، أن معهم استطاعة المال، ولم يخرجوا مع، رسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا قولنا ، وبه وجبت لله، عز وجل، عليهم الحجة .

(٢) فى الأصل : ففرت .

(١) سورة النساء : الآية ٢٥ .

وقد شهدت للمنافقين بالبراءة، ودافعت عنهم، ولزمتك في قولك أن الاستطاعة قبل الفعل لقول الله، عز وجل، على إجماعنا وإجماعك معنا : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا ، لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ، فافتررت أن معهم المال، ولكون المال معهم، لزمهم الخروج مع النبي، صلى الله عليه، ولزمتهم الحجة ؛ لأن كون المال موجود عندهم قبل الفعل ، وهو خروجهم مع النبي، صلى الله عليه وعلى آله، فافهم ما وقعت فيه .

من كان له مال استطاع الخروج :

ثم أكدته لنا على نفسك بقولك، وتصديق ذلك قول الله، عز وجل : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ (١) ، وقال : ﴿اسْتَذْنَكَ أَوْثَلُوا الطُّولَ مِنْهُمْ﴾ (٢) ، فآخبر أنهم ظنوا ما لهم طول ، فشهد الله «إنهم لكاذبون» .

وهذا هو الحق، وهو الدليل الأعظم على أن الاستطاعة قبل الفعل، وهو قولنا ، وقد وافقتمونا، واستشهدتم القرآن، وقد قبلنا هذا الموضع من قولكم ؛ لأن من كان له مال، فقد لزمه الخروج في سبيل الله، مع صحة البدن، بعد ملك المال، فقد صحح أن الاستطاعة قبل الفعل .

ولذلك لزمهم ما قال الله، عز وجل ، منهم : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ (٣) ، لما قد فسرناه من أول أمرهم إلى آخره ، وفي هذا كفاية، والحمد لله، ولولا خوف التطويل لزدنا من الحجج غير هذا .

الاستطاعة في الآية الطول قبل النكاح :

وكذلك قوله : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ (٤) ، والطول لا يكون إلا قبل النكاح ، وإن لا، فبماذا ينكح إذا كان فقيراً؟! .. غير أني أظن أنك شهوت في احتجاجك بهذه الآية ؛ لأنك احتججت بأنه يشهد عليك، ولا يشهد لك . وكل القرآن على ذلك، يشهد للعدل ؛ ولاهله ، ولا يشهد عليهم، والحمد لله رب العالمين .

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٦ .

(٤) سورة النساء: الآية ٢٥ .

(١) سورة التوبة: الآية ٩٣ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٦ .

السؤال الثامنة

إن الله قدير معاصي البشر عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه ، ^(١) : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) ﴾ ^(٢) ، ما يعنى بذلك ؟

فإن قالوا : عنى بذلك أنه يخبرنا أنه خلقنا من ماء مهين ، فجعله فى قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، يُخرجه ويولجه ، فقل : ذلك كذلك .

اخبرونا الآن عن رجل ، شق بطن امرأة حبلى ، فاخرج ولدها ظلماً وعدواناً ، اليس بقدر معلوم خرج ؟

فإن قالوا ^(٣) : خرج بغير قدر الله . فقل لهم : فما كان يقدر الله له قدراً غير هذا ؟ فقل : اليس قد يستطيع العباد أن يكون منهم ، الذى قال الله أنه معلوم ، أن لا يكون معلوماً ؟

فإن قالوا : نعم .. فهذا أعظم الفرية ، وقد أعطوك ، ما كنت تجترئ منهم بدونه .
فإن قالوا : خرج حين شق بطنها بقدر . فقد قدر الله المعصية ؛ لأن شقه بطنها معصية ، وبذلك خرج ، فقد قدر الله أن يخرج من بطنها بمعصية ؟
فإن قالوا : نعم .. فهو قولك ، الذى عابوا عليك من العدل ، قد دخلوا فيه ..

رد أحمد بن يحيى وبيان معنى القدر المعلوم :

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : قد قال الله ، عز وجل ، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) ﴾ ^(٤) . فنحن نقول : صدق الله فى قوله ، وفلجت حجته أنه خلق الولد فى البطن ، وجعل له أجلاً غير محتوم ، ولا مجبور ولا محذور على الخلق التعدى عليه ، ولا على أمة ، إلا بالأمر

(٢) سورة المرسلات : الآيات من ٢٠ إلى ٢٣ .

(١) فى الأصل : سبحانه .

(٤) سورة المرسلات : الآيات ٢٠ - ٢١ .

(٣) يبدو أن جواباً محذوفاً فى هذا الموضوع نقديده : « نعم » .

والنهي، ولو كان ذلك محظوراً على الخلق، حتى لا يجدوا السبيل إليه ولا إلى أمه، من قتل أو شق بطن، و ذبح طفل أو قتل كهلاً، لما قدر فرعون اللعين ولا غيره، على شق بطون الحبالى، ولا قتل الأطفال، ولا إهلاك الرجال.

هل خلق الله فعل فرعون؟

فإن قلت: إن فرعون فعل ذلك بما خلق الله، سبحانه، (فيه) ^(١) من فعله وقدره من ظلمه، وقضاه من سيرته، وأراد من كفره وعلوه، فليس على فرعون حجة، ولا يجب عليه عذاب؛ لأنه مثل الباب، على قود قولكم، الذى متى شاء صاحبه فتحه، ومتى شاء أغلقه، وإذا احتج فرعون بين يدي الله، عز وجل، يوم القيامة، إذ قال له: يا فرعون لم قتلت الأطفال وشققت بطون الحبالى؟.

فقال فرعون: فعلت ذلك يارب بما قضيت على وقدرت من معصيتي، وخلق من فعلى. فنقول للمجبرة عند ذلك خبرونا: هل صدق فرعون، أم كذب فى حجه هذه، إذا احتج بها يوم القيامة؟

فإن قلتم: كذب. رجعتم عن قولكم، وصرتم إلى قولنا بالعدل، وإن قلتم: صدق فرعون، أن الله قضى عليه ^(٢) قتل الأطفال، وشق بطون الحبالى.

جعل المجبرة فرعون مع الصادقين؟

قلنا لكم: فما جزاء من صدق بين يدي الله، عز وجل، فى ذلك اليوم؟.. اليس قد ٤٢ ظ / قال، عز وجل، / ضامناً لمن صدق: ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٣) إلى آخر الآية؟

فيجب، فى قولكم، أن يأمر بفرعون إلى الجنة؛ لأنه صدق، وقد وعد الله الصادقين الجنة، وهو لا يخلف الميعاد، وكفى ^(٤) بهذه فضيحة وبلاء!!

وبعد، فلم قلت، فى مسألتك ^(٥) هذه: فأخبرونى عن رجل شق بطن امرأة

(٢) فى الأصل: قضا.

(٤) فى الأصل: وكنا.

(١) ليست بالأصل.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٩.

(٥) فى الأصل: مسألتك.

حبلى^(١)، فأخرج ولدها ظلماً وعدواناً، زعمت .. أخبرنا أنت أين موضع الظلم والعدوان الذى قلت، وهذا الرجل الذى شق بطن المرأة، يحتج عليك بأن الله خلق فعله، وقدره عليه، وأرادهُ وقضاه، وأن الله، سبحانه، علم أنه يشق بطن المرأة، ثم لا يقدر هذا الرجل، أن يفعل من ترك شق بطن المرأة، على غير ما علم الله منه، وقدره عليه وأرادهُ منه، وخلقهُ من فعله!!؟

فأخبرنا، ياعبد الله بن يزيد البغدادي، وإخوانك المجبرة، لم سميت شقه لبطن المرأة ظلماً وعدواناً؟

العدل الذى خلقه الله شئ واحد،

وأعلمنا أين الظلم والعدوان، وكيف هيئته حتى نعرفه، كما قد عرفته بحجة قاطعة وببيّنة عادلة ١٩

فإن الجنة لا تُدخلُ إلا بالحق، وإن النار لا تدخلُ إلا بالحق أيضاً^(٢)، إذ القاضى من شأنه العدل، وترك الجور والظلم.

وقد قال، جل ثناؤه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣)، فإن كان شق بطن هذه المرأة فعلاً لله، تعالى عما قلتم، خلقه وقدره، وأرادهُ وقضاه، ظلماً وعدواناً، فقد ظلمت الرجل، فى إضافتك إليه الظلم والعدوان، وهو فعل غيره، لأنه فعل ربك، زعمت!!

فليس لك أن تسألنا؛ لأن الله، عز وجل، قال: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣) وما قولك؛ إن سالناك: أهو فعل الله، جل ثناؤه، تفرّد به دون الرجل الذى ذكرت، أم لا؟.

فإن قلت: نعم، لزمك أن كتابك هذا، وحجتك باطل، وسؤالك عن فعل الله، عز وجل، خطأ عظيم، وكفر بين، لقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾.

وإن قلت: إن شق بطن المرأة، فعل للرجل والله جميعاً، لزمك، فى حكم الإسلام،

(٢) فى الاصل: ابغضى.

(١) فى الاصل: حبلا .

(٣) سورة الانبياء: الآية ٢٣ .

أن لو أن رجلين شقا بطن امرأة ، فأخرجوا ولدها، أن عليهما جميعاً دية المرة، وغرة
في ولدها، إلا أن يكون حكمكم، أن الدية لاتلزم إلا أحد القتاتلين، وتسقط عن
الآخر !

ومن قال بهذا ، فقد خرج من حكم الاسلام، وقد قال، عز وجل، يحكى عن نبيه
شعيب، صلوات الله عليه، وصدقه، الذى قال لقومه، وهو من عدل الله الذى بعثه، عز
وجل : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنِّي أُبِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (١) .

٤٣ و / فذلك الدليل على أن / الله، عز وجل، لا يحكم على العباد بعدل، ثم يخرج
نفسه من ذلك العدل .

وإن قلت : إن عليهما جميعاً الدية، لزمك أن على هذا الرجل، الذى أدعيت أنه
شق بطن المرأة، نصف الدية، وعلى الله، عز وجل، نصفها !

وبعد، فلم قلت فى مسالتك هذه : فأخبرونى عن رجل شق بطن امرأة حبلى
فأخرج ولدها ظلماً وعدواناً ، زعمت ؟! .. أخبرنا أنت، أين موضع الظلم والعدوان،
الذى قلت ؟!

وإن قلت : أن ليس يلزم الله، عز وجل، شئ من ذلك .

قلنا لك : فكيف حكم علينا بأمر من العدل، وأخرج نفسه من ذلك العدل، الذى
شرع لعباده وأمرهم، وقد قال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ..!

وإن قلت : إنك لاتقول بأحد القولين، وأن الرجل هو الذى شق بطن الامراة ظلماً
 وعدواناً وحده، وليس لله، عز وجل، فى فعله فعل .. فذلك هو الحق والعدل، وهو
قولنا، وقول الملائكة، والمرسلين، وجميع المؤمنين ، ولزمك أن تكفر بكتابك، الذى
وضعت علينا، وأن تتوب مما افتريت عليه، والزمته فيه، ذنب شاق بطن الامراة ظلماً
 وعدواناً ، وإخراجه لولدها !

تزعّم المجبرة إرادة الله للمعاصي :

وإن الله، عز وجل، زعمت ، أراد تلك المعصية وقدرها فى كتابه، ثم سميت

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(١) سورة هود : الآية ٨٨ .

الرجل عاصياً وظالماً ومتعدياً، سبحانه الله العظيم عما قلت، فايكما الآن الظالم العاصي المتعدي .. أنت أم هو، إذ أوجبنا عليك الحجة القاطعة ١١٩

وأما قولك : ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢) ﴿١﴾ ، فذلك القدر المعلوم، إنما هو إلى مدة، إن تركها الظالمون المجترؤون، المكلفون للفرض، لاجباً ولا قسراً، والممنوعون عن الظلم، بالكتب والرسل، لا كرهاً ولا اضطراراً، سلمت وبلغت الاجل الذي سمي لها، وإن اعتدى عليها معتد، فلا حائل بينها وبينه، من غير غلبة لله، عز وجل، إذ أمر، جل ثناؤه، تخييراً ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً ولم يعص مغلوباً، ولا مخرج لك مما قلنا، والحمد لله رب العالمين، فقد سقطت دعواك، في ولد المرأة وشق بطنها؛ ولأنه لا يجوز في الحكمة والعدل، أن يفضى على أحد بشق بطنها أو قتل ولدها، ثم يقول : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴿٢﴾ .

استدل المجبرة بآية الزخرف / ٣٣ ،

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله، عز وجل : ﴿وَلَسَ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ، سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿٣﴾ .

أليس لو جعل ذلك على الإيمان، لآمن الناس كلهم، كما أنه لو جعله للكافرين لكفروا كلهم، ولو جعله للمؤمنين مع الثواب في الآخرة، لكان الناس أجدر أن يؤمنوا كلهم؟

فإن قالوا: بلى (٤). فقل فما منعه أن يفعل ذلك؟

٤٣ و/ فإن قالوا: لم يردّه، فقل: أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار، فيكفر الناس جميعاً؟

وهذا باب ليس فيه خبر؛ لأنه لو فعل ذلك، لم يكونوا مجبورين؛ لجعله للمؤمنين لببوتهم السقف من الفضة والمعارج. أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا؟

(٢) سورة التكوير: الآية ٨ - ٩ .

(٤) في الأصل: بلا .

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٢ .

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٣ .

فإن قالوا: بلى^(١)، فقل: قد أقررتم بأن الله، عز وجل، لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً، ولم يُرد أن يجعل ذلك للكفار في كفرهم، فيكفروا جميعاً.

فإن قالوا: نعم.. فقل: هذا قولنا، إنه لم يرد أن يؤمنوا جميعاً ولا يكفروا جميعاً؛ لأنه قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يرد أن يكون ما علم غير ما علم، ولا أن يكون من العباد، ما لا يعلم أنه كائن منهم.

جواب أحمد الناصر:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، عليهما السلام، ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِسْلَامِ لَبِئُوتَهُمْ سَفْهُاً مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٢) وَلِبِئُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴿٢﴾.

فإنما هذا إخبارٌ من الله، عز وجل، لم يفعله ولم يرده، ولم يحكم به على أحدٍ. وسؤالك عما لم يفعله الله، عز وجل، خطأ منك، وجهل بكتابه؛ لأنه يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣) ﴿٣﴾، فانت تسمعه، عز وجل، يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، ونهى^(١) عن سؤاله عما قد فعل، فكيف يسأل عما لم يفعل؟..! هذا أعجب العجب، وكفى^(٢) بهذا جهلاً، وكفراً بالآية.

وهو، عز وجل، فقد أنزل هذا الوصف الذي وصف، وليس لأحد أن يقول: لم لم يفعله، ولو أنه أنفذه، ولو أنه لم ينفذه.

هل أراد الله قوماً مؤمنين وقوماً كافرين؟

فيجب على من يسأل عن ذلك، الخروج من حكم الآية، والمعصية لله، جل ثناؤه، فيها، وهو قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، وهذا هو الحق.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٤) في الأصل: بها.

(١) في الأصل: بلا.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٥) في الأصل: وكفا.

وأما قوله: ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)، فهذا يوجبُ عليك أنه لا يسألهم إلا عن أفعالهم، التي هو برئ منها، ليس له فيها فعل، بوجه من جميع الوجوه، ولا بسبب من جميع الأسباب، إلا أمره لهم بالفرائض ونهيه لهم عن المعاصي، ولو كان له فيها سببٌ بمقدار شجرة، لم يجز في الحكمة، ولا في العدل أن يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)، فعم^(١) يسألون إن كان الفعل كله، هو خلقه وقدره^{١٩}.. فهذا أعظم الدليل، واكبر الحجة لنا عليكم.

إنه، عز وجل، لو كان فعل شيئاً من أفعال الخليقة، لكان أصح الكلام، وأوجب في العدل، وأبين للحكمة، وأبعد من الظلم، أن يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، ثم يقف، إذ كان جميع ما ادعيت وذكرته، وبه احتججت، هو فعله وخلقته، وتقريره ٤٤و/ عليهم/ ولا يقول: ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)، وعم^٢ يسألون، وهو الذي فعل أفعالهم، وجبرهم عليها^{١٩}.

زعمت، وأراد أن يكون قوم مؤمنين فكسوا، وأراد، زعمت، أن يكون قوم كافرين فكانوا، وعلم، زعمت، أنهم لا مخرج لهم من الكفر، فصاروا بما علم منهم، لا يقدرّون على الخروج من الكفر، بعد ما افترض عليهم الخروج من الكفر. فعم^٣ يسألون، وهو الذي حال بينهم وبين كل طاعة، وأراد منهم كل معصية وبلية - على قولك ١١٩ تعالى الله عن فهمك عليه، وجل جلالاً كبيراً.

التفسير الصحيح للآية، أراد الله أن يغيّرهم

وإنما معنى^(٢) الآية أنه، عز وجل، أخبر أنه لو فعل لهم من سقف الفضة، والسرير والمعارض، والأمر الذي ذكر، عز وجل، لم يكن ذلك بدائم لهم ولا مغيّر، ولكنه، عز وجل، لم يحب أن يكون له فعل، يخرجهم إلى معصية قسراً، ولا طاعة جبراً، بل خيرهم تخييراً، وصير لهم السبيل إلى ذلك، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر، ولا خيرة لهم في تنعيم أيام يسيرة، ثم تصير عاقبته إلى العذاب المقيم.

وقد قال الله، عز وجل: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر

(٢) في الأصل: معنا.

(١) في الأصل: فعم.

فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ قَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾ .

وأما قولك : فلو جعله للمؤمنين ، مع الثواب في الآخرة ، لكان الناس أجدر أن
يؤمنوا كلهم ، فإن قلنا ، زعمت ، : بلى ^(٢) ، قلت : ما منعه أن يفعل ذلك ؟ .. ١ . وقد
أعلمناك كيف عاب الله ، عز وجل ، عليك أن تسأله ما منعه ، ولم فعل ولم يفعل ؟
وأعلمناك ما يدخل عليك في سؤالك الله ، عز وجل ، من الفساد والمخالفة للآية .

في نص كلام الجبر الرد على حججه :

ولسنا نقول : بلى ^(٣) ، ولا نجعل عدل الله ، عز وجل ، كما جهلته ، وإنما أنت تحتج
علينا ، ثم تحجب نفسك عنا بالخطأ ، ولا تدري ما نورده عليك من البرهان القاطع ،
بحول الله وقوته ونصره .

لا يحتاج الله لرشوة عبادة حتى يؤمنوا :

فاسمع إلى ما قلنا ، وانصف عقلك ، واعلم أن الله ، عز وجل عما قلت ، لو جعل
سقوف الفضة والمعارج والسرر ، حتى يؤمنوا - كما زعمت - كلهم ، لأوجب ذلك
عليهم أنهم لم يدخلوا في الإسلام إلا بالجعل والرشوة ، والعطية من عرض الدنيا
الفانية ، فيسقط أجرهم ويزول حمدهم وشكرهم ، ولم يجب الثناء من الله ، عز وجل ،
عليهم ، ٤٤ ط / ولم يقل : ﴿ الصَّابِرِينَ فِي / الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ يَخْسِبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ^(٦) ، ويقول : ﴿ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ، ولكان مثلهم - على قود قولك - مثل أجناد السلاطين ،
الذين يقاتلون معهم بالاجرة ، فلم يجب لهم عليهم منة ، إذا أخذوا منهم الاجرة
والعطاء ^(٨) .

(٢) ، (٣) في الأصل : بلا .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٧٣ .

(٧) سورة الواقعة : الآية ٢٤ ، وفي أخرى ذكرنا بعضها من قبل .

(٨) ويسمون المرتزقة ، وقد عرفتهم النظم القديمة ، وما زالت تستعين بهم العديد من الدول ، مع تطور لمفاهيم هذا النظام ،
الذي تعد الجاسوسية والإرهاب ، وما يسمى بالطاير الخامس ، شكل من أشكاله

ترى المجبرة أن الله لا يريد إيمان الناس جميعاً ولا كفرهم جميعاً .

وأما قولك : أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا ؟ .. فإن قلنا : زعمت - بلى .. قلت لنا فقد أقررنا بأن الله لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً ، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار فيكفروا جميعاً .

وإن قلنا لك ، زعمت ، : نعم .. قلت لنا أن ذلك قولك . وقول أصحابك « أن الله لم يرد أن يؤمنوا جميعاً » . ولم يرد أن يكفروا جميعاً ، لأنه ، زعمت ، قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن ، فلم يرد أن يكون غير ما علم ، على غير ما علم ، ولا أن يكون من العباد ما لا يعلم أنه كائن منهم .

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى : عليهما السلام : فَتَبَّتْ يَدَاكَ ^(١) - لقد هلكت وأهلك ، من قبل عيك ، وجهلك وجبرك وخطئك ^(٢) ، وفريتك على خالقك ولم تدبر كتابه ، ولم تعرف محكمه من منشايبه ، ولا الشافى الكافى من معانيه ، الدالة على عدله والبراءة له من أفعال خلقه ، والنزاهة عن ظلمهم ، والقضاء بالفساد عليهم ، والبعد والتقديس عن القول الخطل ، الذى ينقض بعضه بعضاً ، جل ثناؤه ، حاشاه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

ألا تسمع أيها المهلك نفسه ، ولمن اتبعه من - ترانه ، كيف قال ، عز وجل ، لنبيه ، صلى الله عليه ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وآله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(٥) .

فهذا يكذب قولك ، ويبطل حجتك ، أنه أراد أن يكون بعضهم مؤمنين ، وبعضهم كافرين ، وقوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(٦) ، يدعوهم إلى الهدى والطاعة ، يدل ويشهد على بطلان قولك ، وأن الله ، عز وجل ، أراد منهم الإيمان والطاعة جميعاً ، ولم

(١) دعاء بالهلاك ، ومثل يقال على كل ظالم ومكابر عنيد ، وأصله قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ ﴾ سورة المسد الآية الأولى .

(٢) وردت فى الأصل : خطاك .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٥) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

يرُدُّ منهم الكفر والمعصية، ولم يقل: «إني رسول الله إلى بعضكم دون البعض»، وقوله، عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(١)، و«الكافة» في لغة العرب^(٢): هو الجميع الذي لا يبقى منهم أحدٌ لا ذكر ولا أنثى، هذا يوجب عليك أنه أرسله إلى جميع أهل الأرض ليؤمنوا كلهم، وبطل قولك: إنه أرد أن يكفر بعضهم، وأن يؤمن بعضهم!.. لا بد لك من ذلك، إلا بجحود هذه الآيات، ومخالفتك جميع الأمة، على إجماعهم أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، قد دعا الناس كلهم إلى ٤٥ و/ الطاعة، ولم يكتف / ببعضهم دون بعض، إلا أن تقول: إنه لم يبلغ!.. فإن قلت: إنه لم يبلغ. كفرت، وعذرت بعض الناس، ولم تعذر رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

واعلم أنه لا يجوز على الله، عز وجل، أن يقول لرسوله، صلى الله عليه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٣)، ثم يقول ذلك القول، خديعة وطيراً واستهزاء، والامر على غير حقيقة، بعد قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٤).

فلا يجوز هذا، وهو لا يريد أن يؤمنوا كلهم، فأظهر لهم، زعمت، قولاً في الظاهر، ثم دسَّ محمداً، صلى الله عليه، إلى بعضهم حتى آمنوا كما أراد، وكفر الآخرون كما أراد، وهذه صفة المخادع والماكر، والذي يقول ما لا يفعل!!

وقد عاب الله، عز وجل، مثل ذلك على عباده فقال: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ^(٦) ﴿٣﴾^(٥)، فكيف يدخل، عز وجل، فيما عاب!!؟ ثم يقول لنبيه، صلى الله عليه: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٦)، ويقول لموسى وهارون، صلى الله عليهما، حيث أرسلهما إلى فرعون الملعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٧) ﴿٤٤﴾^(٦)، يأمرهما، كما تسمع، بالرفق به والحرص على إيمانه، وخشيته وتذكيره.

(٢) انظر المعجم الوسيط، مادة كفف، ج ٣ / ٧٩٨.

(٤) سورة النساء. الآية ٨٧.

(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(١) سورة سبا: الآية ٢٨.

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٥) سورة الصف: الآيتان ٢ - ٣.

(٧) سورة طه: الآية ٤٤.

إرسال الرسل عند المجبرة شكلي وغير حقيقي !!

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادي، ومن قال بقوله من إخوانه المجبرة، أن هذا القول، على قود قولهم، كان على المخادعة وغير الصحة، ولم يكن على الحقيقة، ولم يكن من الله، عز وجل، على ثقة من القول ولا عدل، وإنما كان عن طريق الظن والاستهزاء، والامر الذي لا يريد أن يكون له حقيقة؛ لأنه أرسلهما، عليهما السلام، إليه بهذا القول، وقد علم أنه لا يقدر على إجابتهما ولا اتباعهما.

زعمتم - فأرسلهما في العبث واللعب، وترك الحكمة ^(١) والعدل، بغير إيجاب حجة ولا إبلاغ في عذر، ولا على أن يعذب بعد استحقاق وكمال حجة، وإرسال نبين اثنين بالقول اللين والرفق، والفعال الحسن الجميل، والدعاء إلى الخروج من الكفر، فخلده في العذاب المقيم، زعمتم، على غير جرم ولا حجة لزمته، على قول المجبرة.

فإن قال قائل: إنا نشنع عليهم، ونقول عليهم خلاف ما قالوا، قلنا له: أليس هذا كتاب عبد الله بن يزيد البغدادي، أقرب الحجج، الذي كتابنا هذا جوابه ١٩..

يقول فيه: «إن الله، عز وجل، أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم ٤٥ ط / مؤمنين، وكرر ذلك في / كتابه مراراً، واحتج علينا به، فإن الذي حال بين الكفار وبين الإيمان علم الله، زعم ١١

لأنه لم يرد أن يكون منهم خلاف ما علم مع قوله: «إن الله، عز وجل، خلق أفعالهم وأرادها وقدرها وقضاها عليهم» ١٠.. فالويل له، ولمن قال بقوله!!

ماجوابه لمن سألته فقال له: أخبرنا عن قول الله، جل ثناؤه، لنبيه، صلى الله عليه،: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ^(٢)، هل تقرأ هذه الآية في القرآن ١٩

لا إكراه في الدين:

فإن قال: لا.. كفر، وإن قال: نعم. قلنا له: فما معنى هذه الآية؟ فهي قائمة بنفسها، شاهدة لنا على من خالفنا، بأن الله، عز وجل، أراد أن يكون الدين كله له، إرادة

(١) جاءت في الأصل: «الحكمة وهو خطأ.

(٢) سورة الانفال: الآية ٣٩.

أمر، لا إرادة جبر وقسر، بل أراد أن يكون ذلك طوعاً من أنفسهم؛ لأنه لو أراد القهر والجبر، لم يُغلب ولم يكن في الأرض إلا ما أراد، ولا في السماء.

وإذا كان الدين كله لله، عز وجل، لم يبق في الأرض كافرٌ واحدٌ... وفي ذلك بطلان قولكم: إن الله، عز وجل، أرد الكفر من الكافرين، ويلزمك أيضاً، في دعواك، أنه أراد الكفر من الكفار.

زعمتم أن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يزول ما علم. وكذلك يزول ما أراد من الكفر، فإن قلت: إن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم حتى يزول ما علم من كفرهم.. رجعت عن قولك، وبطلت دعواك، ولزمك التوبة من فريتك، وصرت إلى قولنا بالعدل، وبأن جهلك لإصحابك وغيرهم.

وإن قلت: إنه لم يأمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم، حتى يزول ما علم من كفرهم.. قلنا لك: فما معنى قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (١)؟ والفتنة، في غير موضع من القرآن، الكفر خاصة، معروفٌ ذلك في كتاب الوحي، فلا تجد حجة تلجأ إليها، ولا وزراً تاوى إليه، إلا الكفر بالآية، والتكذيب لها، أو الرجوع (٢) إلى قولنا اضطراراً وقهراً.

قصد الله قتال المشركين:

إن الله أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يكون الدين كله لله، عز وجل، ويخرجوا مما علم من كفرهم وظلمهم، وجورهم وشركهم، وعداوتهم وجميع معاصيهم، والتي كرهها الله، عز وجل، وحرّمها عليهم.

فخرجوا من قبيح ما علم، إلى أحسن ما علم، وهذا هو دين الله، جل ثناؤه، الذي بعث به المرسلين وجاءتهم به الملائكة المقربون.

لا بد لك مما قلنا: إما الكفر بالآية والجمحان لها، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل، لا جورك الذي سميته عدلاً، عز الله عن ذلك، وعند ذلك تفتضح، ويتبين خطؤك (٣) وفريتك وخديعتك لأصحابك.

(٢) في الأصل: والرجوع.

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٩.

(٣) في الأصل: خطاؤك.

بِرَآءَةِ اللَّهِ مِنْ فِعْلِ الْكَافِرِينَ:

٤٦ و / من الدليل / على تصديق قولنا ايضاً ^(١) قول الله، عز وجل، **يَحْتَاجُ لِنَفْسِهِ**
عَلَى الْكُفَّارِ، وَيَبْرَأُ مِنْ عَظِيمٍ فَعَلَهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُمْ بِالْعَذَابِ إِلَّا بَعْدَ الْحُجَّةِ
الْقَاطِعَةِ، وَالْإِبْلَاجِ فِي الْعَذْرِ، وَالْإِصْرَارِ مِنْهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي، فَقَالَ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَا
أَمْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ، لَقَالُوا: رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَتُبْعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
وَنُخْزَىٰ﴾ (١٣٤) ﴿٢﴾.

أهذا ويحك قول من أراد كفرهم ، أو قضاء المعاصي عليهم ؟! أفلا تراه كيف لم يهلكهم إلا بعد الإعذار والإنذار ، وقيام الحجة البالغة ، وشاهد ذلك قوله ، عز وجل ،
أصديق شاهد ، وأصبح حاكم بيننا وبينك : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١٥) ،
وقوله ، جل ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١٦) ، وقوله ،
عز وجل : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١٧) ، وقوله : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خِطْبَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٨) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٩) . فأي ظلم أظلم ، أو أي جور أعظم ، من
أنه أخرجهم من العدم إلى الوجود ، ثم أراد ، زعمت ، أن يكفر به بعضهم ، وأن
يؤمن بعضهم ، على غير حجة ولا أمر لزمهم به العذاب ، ولا وجب للمؤمنين به

الثواب ؟!

وإلا فاوجدونا حجة لزمتهم بها حجة، هو خلى منها أو برئ من مشاركتهم فيها، ونسلم لك!! لا تجحد، والله، ذلك أبداً، إلا أن تجحد الحيتان في عقد الرمل، والضباب في لجة البحر!.. وهذا غاية المحال، والحمد لله رب العالمين.

فهذا جواب ما ادعيت في قول الله، عز وجل، في آية الزخرف: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ رُحْمًا يُضَعُّ مِنْ فَضْلِهِ غِثًّا وَغَرَارَ مَاطَرٍ﴾ (٣٢) ﴿٣٣﴾ (٨)، الا ترى (٩) كيف قال، عز وجل، في آخر القول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ عَن

(١) في الأصل: أبيض.

(٢) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤) سورة هود: الآية ١١٧.

(•) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٦) سورة البقرة: الآية ٨١.

(٧) سورة العنكبوت : الآية ٤٠ .

(٨) سورة الزخرف : الآية ٢٢ .

(۹) فی الاصل: لاترا.

ذَكَرَ الرَّحْمَنُ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴿١﴾، افتراه هو الذى عشى عن ذكر الرحمن، بإعشائه لنفسه واتباعه لهواه... ثم قال، عز وجل: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿٢﴾، وهذه الصفة فقد أصابتك، ومن قبل عنك، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ألا ترى كيف هذا القول، يوجب عليهم الظلم، ويوجب براءة الله، عز وجل، من أفعالهم كلها، لما ينسب إليهم من ظلمهم، ولا ينسب شيئاً منه إلى نفسه، جل عن ذلك ربنا وتعالى علواً كبيراً!!

٤٦ ظ / وأما «التقييض» الذى ذكر، عز وجل، وما كان مثله فى جميع القرآن، فإنما هو عقوبة / بعد استحقاق، لا عقوبة للإجرام، ولو كان ذلك لم يصح قوله، عز وجل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٣﴾، وقوله: ﴿لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٤﴾، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥﴾.

احتجاج الجبر بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ ﴿١﴾:

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ ﴿١﴾، أتخير هذا أم وعيد؟..

فإن قالوا تخيير. فقل: هل سمعتم الله خير قوماً قط، ثم عنفهم، بأن يأخذوا ببعض ما خيرهم، أليس إنما ينفع التخيير فى كلام العرب، أن المخير ليس بمذنب إذا اختار؟

وذلك فى كتاب الله قوله: ﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ ﴿٧﴾، فهو إن أرجى أو آوى، فلا ذنب عليه ولا اتباعه، وقوله: ﴿فَأَمَّنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٨﴾، فهو إن من أو أمسك، فليس مذنباً ولا حساب عليه، أفهكذا؟ ﴿٩﴾ خيرهم؟

(٢) سورة الزخرف: الآيات من ٣٧ - ٣٩.

(٤) سورة غافر: الآية ١٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٨) سورة ص: الآية ٥١.

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٧) سورة الاحزاب: الآية ٥١.

(٩) فى الاصل: انه كدى.

فإن قالوا: نعم. فهم إن أخذوا بالشرك بالله، فلا ذنب عليهم ولا تباعة؛ لأنهم إنما اختاروا ما جعل لهم فيه الخيار!!

وإن قالوا: ذلك وعيد من الله لهم، كقولك: أما والله، لئن فعلت لتعملن، وكقول الله، سبحانه: ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا﴾^(١)، فقد قالوا فيه بالعدل، وذلك ما عابوا عليك، قد أعطوكه.

جواب أحمد:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: عن قول الله، عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢)، ثم بلغت إلى ما هنا، ثم وقفت عن آخر الكلام، الذى فيه الشرط الذى شرط الله، عز وجل، فلم تذكره، حيث قال، عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٣).

فنقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، لما بعث رسله، وأنزل عليهم كتبه، بالأمر والنهي، والفرائض والترك للشرك وجميع الظلم، ووعد الجنة من أطاع، وأوعد النار من عصاه، وأحكم ذلك كله، ووكله فى كتبه وعلى السنة رسله، صلى الله عليه وسلم، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، فلما أكد ذلك الأمر كله، بالحكمة البالغة، أحب أن يعلمهم، عز وجل، أنه غير جائز لهم، ولا قاسر على طاعة ولا معصية، وأنهم مخيرون بعد الشرط، الذى اشترط عليهم، لئن لا يكون لهم عليه حجة، وتصديق ذلك قوله: ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٥).

اللفظة العربية تعرف التخيير بشرط:

٤٧و/ هذا تخيير بعد شرط. / مشروط، ولا محيص عنه، وليس هو على ما ذهبت إليه، أنه تخيير لا شرط فيه، وقلت: إنه يجوز فى لغة العرب، أن التخيير فى الشئ لا يلزم ذنب، ولا عليه تبعه.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(١) سورة التوبة: الآية ٦٤.

(٣) سورة الكهف: الآية نفسها.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

ولعمرُ الله، ما يجوز ذلك في لغة العرب، ولا في عقولهم، ولا في تعارفها، إلا أن يكون فيه شرط.

فإن العرب تعرفُ في عقولها ولغاتها، أن رجلاً لو قال لرجل: أنا أهبُ لك أحدَ فرسي هذين، أو أحد سيفي هذين، على أن تخرجَ إلى البصرة، وتأتني منها برطب، أراد في الشتاء. كان هذا التخيير في الفرسين والسيفين، يجوز على إنفاذ الشرط.

فأما لو قال: أنا أهب لك أحد الفرسين، أو أحد السيفين تختاره. ولم يذكر شرطاً، ولم يشرط عليه شيئاً، لم يكن عليه ذنبٌ فيما اختار ولا تبعه، ولا لوم ولا تعنيف.

وإنما وقع اللوم والتعنيف، والمطالبة على من عصى^(١) الله، عز وجل، من جميع العصاة؛ لأجل الشرط الذي شرط عليهم، والفرائض التي افترضها، عز وجل، ووضعها^(٢) وأوجب لهم على أدائها الجنة، وعلى تركها النار، بالحكمة والموعظة الحسنة وطرح الجبر والقهر والقسر، ومعرفة كلِّ بما يأتي به وما يذر، مما يصلحه ويهلكه والإقرار بالعلم.

ومما يعرف في تصديق حجتنا، من التخيير في لغة العرب، التي ادعيتُ بجهلك باللغة، قول الشاعر يخير قوماً في الحرب، أو الكف عن الحرب فقال:

وأطلقنا أساراهم فراحوا وكانوا في المنازل مكرمين
وقلنا ثم وعزنا إليهم إذا أنتم بلغتم سالمينا
فإن شئتم فزورونا، نزركم وإن شئتم فقروا راغمينا

فجعل الخيرة إليهم، وإن شاءوا رجعوا إلى الحرب والقتل والأسر، وإن شاءوا قروا في مواضعهم راغمين.

وهذا تخيير بلا شرط، فهذا الصحيحُ في لغة العرب، أنه تخيير لا شرط فيه، وإنما التخيير بعد الشرط المؤكد فهو قول الشاعر:

أقول لقيس بعد ما قد دلته على خطة الرشد التي لا تعصفُ /
٤٧ ط / إذا نسيت أن تمضي على ما شرطته^٣ فعلت، وإن لا، فالظلم الموقوف.

فهذا تخيير في شرط مشروط، وتنشدُ المعنفُ، فهذا شاهد لنا من لغة العرب،

(٢) في الأصل هكذا: ووطقها.

(١) في الأصل: عصا.

التي احتججت علينا بها: إذ لا تعرفُ اللغة، ولو عرفت اللغة، لم تقل بالمجبر؛ لأن اللغة تكذب قولك، وتصديق قولنا، كلا هذين الشاهدين من اللغة يوجب ما قلنا، ويبطل ما قلت.

صفات الاختيار الذي لا تبعه عليه:

ثم نقول لك: وكذلك يلزمك لنا ما احتججت علينا، فقلت: إنه يجب علينا أن يقال لنا: هل سمعتم الله خَيْرَ قوماً، ثم عتفهم بأن ياخذوا بعض ما خَيْرهم الله؟

ثم قلت: أليس إنما يقع التخيير في كلام العرب، أن المخير ليس بمذنب إذا اختار؟
وقولنا لك: أنا نقول معاذ الله وحاش لله، ما على المخير ذنب إذا اختار ما قيل له، وكان ذلك التخيير بلا شرط قبله يلزمه فيه حجة، ولو خيرهم الله، عز وجل، فاختراروا أحد وجهين بلا شرط شرطه عليهم، ثم عذبهم على ذلك، لكان ظالماً لهم، ولخرج من صفة الحكمة، والعدل والحق، ولفسد التخيير.

عرف العرب أن التكليف لا يكون إلا بقدر الوسع:

ثم نقول لك: وكذلك أنه يلزمك لنا أيضاً، أن نسالك فنقول لك: هل سمعت أنت، وأصحابك المجبرة، في كلام العرب أن عادلاً حكيماً لا يجور، ولا يظلم ولا يعيث ولا يخرج فعله من العقول، أمر قوماً قط بامر لا يقدرّون على بلوغه أن يبلغوه؟ أو هل يجوز لمن هذه صفته أن يقدرّ على قوم تقديراً، أو يريد منهم أن يفعلوه، أو يقضيه عليهم، ويخلقهم من فعلهم، فإذا فعلوه وصار إلى مراده، غضب عليهم، وأنكر فعلهم وسخط قولهم وصنعهم، وكادت جباله أن تخر هدأً، وأرضه أن تنشق غضباً، وسماواته أن تنفطر، إنكاراً أن دعواه ولدأً، قدّر عليهم تلك الدعوى، وأرادها من فعلهم، وخلقها في السنتهم، وقضاها عليهم، ثم قال بعد ما خلقها في السنتهم - زعمت المجبرة - وقضاها عليهم وقدرها وأرادها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَهْوَ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)﴾^(١)، ما معنى هذه الآية؟

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٣ - ٧٤.

ولا يجد بداً أن يقول: إن الله، عز وجل، ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وعاب عليهم التقصير في ذلك، وإن لم تقل هذا كفرت بالقرآن.

٤٨ و / فإذا قلت ذلك / قلنا لك : أفليس ، قد علم أنهم لا يفعلون ؟

فإن قلت : بلى ^(١) ، قد علم أنهم لا يفعلون . قلنا لك : فما معنى قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٤) ﴿ ١٩ ^(٢)

ثم قال هذا القول، وقد علم أنهم لا يتوبون!؟ ..

فإن قلت : إنه قول ليس له معنى . لزمك أن الله ، عز وجل ، يقول قولاً ليس له معناً . فصار قوله من العبث والنقص ، إلى مثل قول أهل العبث والنقص ، ولزمك الكفر بهذا القول !

وإن قلت : إن له معنى .. قلنا لك : فما ذلك المعنى الذي لامهم على ترك التوبة فيه ، وحضهم على التوبة والاستغفار ، وإنه من قولهم بأنه ثالث ثلاثة ، وأخبرهم أنه غفور رحيم إن تابوا ١١٩

جملة مقالة العدلية :

فلا تجد حجة ، من جميع الحجج ، تلجأ إليها إلا أن تقر أنه ندبهم إلى التوبة والاستغفار ، وأنه يغفر لهم ذلك ، إن رجعوا عنه وتابوا واستغفروا ، وهذا هو الحق ، وهو قولنا ، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك ، وأن علم الله ، عز وجل ، بكفرهم ، ليس لهم فيه حجة على الله ، عز وجل ، ولا عذر من التوبة ، وأنهم يقدرّون على التوبة حتى لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم شركاً ولا كفراً ولا قولاً أنه ثالث ثلاثة ؛ لأن علم الله ، عز وجل ، هو المحيط بكل شيء ، فما فعلوه من كفر وإيمان ، فالله ، عز وجل ، يعلمه ، ومعهم الاستطاعة إلى فعل ما أرادوا لو أرادوا ، لم يعلم الله منهم الكفر ، وشاهد ذلك القوى الواضح قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٤) ﴿ ، يوجب ، عز وجل ، على نفسه ، كما تسمع أنهم إن رجعوا عن قولهم ، أنه ثالث ثلاثة ، أنه يغفر ذلك لهم ، ألا تراه كيف يحضهم على التوبة والاستغفار ، ولم يذكر لهم ما علم ؛ لأن علمه ليس بمانع لهم عن التوبة .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(١) في الأصل : بلى .

ولو كان قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧١)، على قود قولكم، أنه قد علم أنهم لا يؤمنون، فعلمه بذلك، هو الذى حال بينهم وبين التوبة؛ لوجب أنه مستهزئ بهم، وأنه يقول من الشرط المؤكد، ما ليس له حقيقة ولا تمام ١١ وهذا أقبح ما يكون من الكفر بالله، عز وجل، وأعظم الفرية عليه، وأشد التكذيب لكتابه، عز عن وتعالى علواً كبيراً.

مفتاح سورة الكهف حجة على المجبرة :

ثم قال، سبحانه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ (١) قِيمًا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ (٢) مَا كُنْ فِيهِ أَبَدًا ۖ (٣) وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ۖ (٦)﴾ (١).

٤٨ ظ / فاسمع إلى هذا الموضوع / من سورة الكهف، ما فيه عليك من الحجج القواطع، فى جميع ما افتريت على الله، عز وجل.

(١) اما واحدة فرد عليك، فى قولك جعل بعض الناس مؤمنين، وبعضهم كافرين.

أفلا تسمع إلى قوله، عز وجل: ﴿وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾، فنسب عمل الصالحات إليهم، وبذلك وجب لهم الاجر، الماكثون فيه ابدًا، غير مجبورين ولا مفسورين، ولا مخلوقة افعالهم.

(٢) ثم وصف الكتاب الذى أنزل، تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ (١) قِيمًا﴾، والذى ليس فيه عوج، يوجب أنه لا ظلم فيه، ولا جبر على طاعة ولا معصية، ولا خلق فعل متعبد من الناس. إذاً للزومه اشد العوج والتخليط، إذا عاقب على فعله، وغضب من إرادته، وانهدت سماواته وأرضه وجباله، وأمر من الأمر بما لا يعلم أن أحداً لا يقدر عليه، فأى عوج أوضح من هذا العوج، وأى جور أبين من هذا الجور، أو أى ظلم أشد من هذا الظلم ١١٩.

(٣) ثم قال: ﴿قِيمًا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾، وه القيم: هو الذى لا عيب فيه

(١) سورة الكهف: الآيات ١ - ٦.

ولا ظلم ولا تباعة لمعتل، اعتل فيه بحجة واحدة، ولو كان في كتاب الله، عز وجل، عُلقة أو تباعة لمعتل اعتل فيه بحجة واحدة، تثبت الجبر له لا غيرها، لبطل كله؛ لأن الحق لا باطل فيه بمقياس رأس الشعرة، ولا أقل منه ولا أكثر، الحق أشرف شرفاً، وأقوى دعائماً وأعز سلطاناً وأوضح برهاناً، وأمنع أركاناً من أن يوجد فيه مدخل لداخل، أو علة لمعتل أو حجة لمفسد، كيف وهو، عز وجل، يقول: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ (١).

(٤) ثم قال، عز وجل: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾، فنقول لك: خبرنا عن هذا الكذب الذي عنى الله في هذه الآية، الله الذي خلقه وأراده وقدره وقضاه؟

(فإن قلت: نعم. قلنا لك: استعظم ما خلق من الكذب، وأراده وقدره وقضاه) (٢)، وهو فعل فعله لا فعل الكفار!!.

لم نجد لهذا القول أمراً تدفعنا به، ولزمك أنه غضب من فعله، فأخرجته من العدل والحكمة؛ لأن الحكيم لا يعيب فعله، ولا يعاقب عليه، ولا يغضب منه.

وإن قلت: هو فعلهم. رجعت عن قولك. ومهما قلت لزمك فيه الغلبة، وانقطاع الحجة.

وإن قلت: فعل من فاعلين. لزمك أنه غضب من نصف فعله، وقبحه وأنكره، وليس هذا فعل حكيم.

ما كان بعضه باطلاً لزم بطلان جميعه :

واعلم عما يقينياً أنه لو كان للمجبرة في كتاب الله، عز وجل، حجة واحدة، توجب لهم علة يقهرونا بها؛ لبطل كله؛ لأنه ما كان بعضه باطلاً، يلزم الخصوم فيه الحجة التي لا يجدون لها دفعاً، وبعضه حقاً لم يكن ذلك لله، عز وجل، بحجة على خلقه، يُوجبُ بتلك الحجة، الخلود في الجنة، والخلود في النار.

٤٩ و / فالقرآن مبرراً من كل عيب، ومن كل جبر، ومن كل ظلم، ومن / كُلِّ تناقض واختلاف.

(٢) تكملة وزيادة من الهامش.

(١) سورة فصلت : الآيات ٤١ - ٤٢ .

وأما ما قال عبدالله بن يزيد البغدادي، ومن قال بقوله من المجبرة، من أن الله، عز وجل، خلق أفعال العباد وقدرها وقضاها وأرادها، وأنه علم أن الكفار لا يؤمنون، فلم يرد منهم غير ما علم، زعموا، وأن ذلك القول كله، الذي ادعت المجبرة، يوجب للكفار على الله، عز وجل، أعظم الحجة، فإنه عذبهم في أمر، حال بينهم وبينه، وقضاه وقدره عليهم، وأرادهم منهم.

بِمَ تَقُومُ الْحُجَّةُ ؟

فما يكون العدوان، إن لم يكن هذا عدواناً ؟ .. وما الفرق بين الحق والباطل ؟ وأين موضع كفر الكافرين مَيَّزوه لنا، حتى يتميز، من فعل رب العالمين ؟

فإن ميزتموه، قامت على الكفار الحجة، ووجب العذاب، وإن لم تميزوه، ولم تفردوه من فعل الله، عز وجل، فحجة الكفار قائمة واضحة على الله، جل ثناؤه وتعالى عما قلتم علواً كبيراً.

إقرار الكفار بأن معاصيهم كانت منهم ،

الا ترى كيف قال لهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ (١٧) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (١٨) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (١٩) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ (٢٠) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٢١) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٢٢) ﴾ (١)، ثم قال في موضع آخر : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (٢٣) ﴾ (٢)، ولم يقل أهل النار على الله، عز وجل، بعد إذ صاروا إليها، كما قالت المجبرة : إن الله قدر فعلنا ولاقضاه علينا، ولا جبرنا ولا خلقه أعمالنا.

مقالة المجبرة في تخيير النبي في أزواجه ،

أما قولك في أزواج النبي، صلى الله عليه، وما خيره الله، جل ثناؤه، من إرجاء من شاء منهن، وإيواء من شاء، فذلك تخيير صحيح، أي الفعلين فعله، صلوات الله عليه وعلى آله، لم يكن فيه ذنب ولا تباعة ؛ لأنه تخيير بلا شرط قبله.

هو تخيير بلا شرط ،

وتخيير الناس في الدين، الذي اعتللت به، إنما هو بعد إحكام الشرط، وبعد

(٢) سورة الملك : الآية ١١ .

(١) سورة المدثر : الآيات من ٤٢ - ٤٧ .

الوعيد الذى أخبرهم الله، عز وجل، أنهم إن لم يأتوا بالفرائض على وجهها، إن ذلك الوعيد لازم لهم، ثم قال: إن شئتم الآن فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فقد تقدمت بما فيه الكفاية، وشاهد ذلك قوله، عز وجل، لهم يوم القيامة: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ (١)، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (٢)، وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ (٤)، فنقول لك: ما تقول فى هذه الآيات، هل تصدق، الله، جل ثناؤه، فيها، أنه قد تقدم إليهم بالوعيد، وأنه لهم غير جابر على ظلم ١٩؟

فإن قلت: نعم قد صدق. قلنا لك: فإين قولك فى هذه المسألة، أنا قد قلنا معك بالجبر الذى سميته عدلاً، وأنا قد أعطيناك ما عبتا عليك، زعمت ١١؟

وأما قوله، عز وجل، الذى اعتللت به: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩) (٥)، فهو تخيير فى نعمة أنعمها عليه بلا شرط فى ذلك التخيير، وهو قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٦)، وليس هذا بنظير لقوله، عز وجل: ﴿فَمَنْ عَظَىٰ ط / شَاءَ / فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٧)، ألا ترى كيف قال بعد التخيير: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩) (٨) ١

أفلا ترى أيها المهلك لنفسه، ولمن تبع، إلى قوله " ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، فلم سماهم ظالمين إن كنت صادقاً؟ .. وأين موضع ظلمهم الذى ألزمهم فيه النار المحيطة بهم سرادقها؟ .. وبأى حجة ألزمهم الشراب، الذى كالمهل يشوى الوجوه، وسوء المرتفق ١١١؟

فلا بد لك أن تقول: إنه فعله متفرد به دونهم.

(٢) سورة ق: الآية ٢٨ - ٢٩.

(٤) سورة يس: الآيتان ٦٠ - ٦١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

(٨) الآية السابقة.

(١) تكملة من الهامش.

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٥) سورة ص: الآية ٣٩.

(٧) سورة الكهف: الآية ٢٩.

فتلزمه أنه سماهم ظالمين ، ولم يظلموا ١١١ . فتخرجه من الحكمة والعدل ، وأنه أوجب النار المحيط بهم سرdaqها ، والماء الذي كالمهل يشوى الوجوه ، ظلماً على غير أمرٍ فعلوه ، فتكذبه وتنقض قرآنه ، وتبطل حجته ، وتقوم بعذر من عانده ١

وإن قلت : بل له بعض فعلهم ، ولهم بعضه ، على قولكم ، ففعل من فاعلين ، فيصيرون بذلك ، على قولك ، شركاء لله ، جل ثناؤه ، في فعله ولزمك الشرك ؛ لأن من قولك أنه خلق أفعالهم ، وقدرها وقضاها وأرادها ، ثم سماهم ظالمين ، وهو شريكهم في ذلك الظلم ، الذي عابه عليهم ، وأعد لهم عليه النار ، وهم شركاؤه الذين أدخلهم في فعله ، وقدره عليهم ، وأرادهم منهم وقضاه عليهم ، وقد علم أنهم لا يقدرُونَ على إبطال قضائه وقدره ؛ لأنه حال بينهم وبين إنفاذ أمره حتى لا يبطل ، زعمت ١١١

وهذا هو الشرك الأكبر ، والكفر الأعظم ، والتعطيل الاجل ، والبراءة من الإسلام ، واليهود والنصارى وعبداء الأصنام أحسن حالاً ممن قال بهذا القول ، واعتقده ديناً وعلمه الناس ، ودعا إليه ، وضع فيه الكتب بالرد على أهل العدل ١١

وإن قلت : إنك لاتقول بأحدٍ من القولين ؛ لا أنه منفرد بالفعل دون العباد ، ولا أنه فعل بعض أفعالهم ، ولا حال بينهم وبين أمر دعاهم إلى دخول فيه ، وعلم أنهم لا يفعلوه ، ولم يرد أن يكون منهم غير ما يعلم .

أهلك المجر نفسه ومن معه ،

فإن رجعت عن هذا كله ، لزمك أنك كنت مقيماً على الكفر والشرك ، وأنت لم تكن بمسلم ؛ لأنك قد أهلكك جميع من أخذ بقولك ، وتعلم منك ودان بدينك ، ورجعت إلى قولك بالعدل ، وذلك أنك تقول القول الثالث ، الذي هو الحق والعدل ، وهو دين الله ، عز وجل ، ودين ملائكته ورسله ، عليهم السلام ، إن ذلك الأمر الذي هو / أعد الله ، عز وجل ، للظالمين من النار ، التي أحاط بهم سرdaqها ، والماء الذي كالمهل يشوى الوجوه ، وسوء المرتفق ، وخلود الأبد إنما هو بما استحقوا ، واختاروا لأنفسهم ، واتبعوا فيه أهواءهم / الذي ذكر الله ، عز وجل ، في كتابه حين يقول :

(١) في الأصل : فعلاً .

(٢) في الأصل : معنا .

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) ﴾ (١)

فإن قلت بهذا القول، وبرأت الله، عز وجل، من أفعال عباده، ودخلت في الإسلام من ذى قبل، فقد سلّمت ونجوت، وبطل ما كنت عليه، والحمد لله رب العالمين.

ثم يجبُ عليك أن تستغفر الله، عز وجل، من التعليم الذى مضى (٢) منك إلى من مات ومن بقى، ومن سمع كتابنا هذا، فعليه التوبة واجبة، وأن يشيعَ هذا الكتاب فى الآفاق؛ ليتوب من يقول بهذا القول، الذى وضعتموه لأهل الجبر. وإلا فالنار.

فلا يبعد الله إلا من ظلم، وأصرَّ على الكفر الواضح، الذى لا شك فيه. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ (٣).

(٢) فى الاصل: مضى.

(١) سورة النازعات: الآيات من ٣٧ - ٤١.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

المسألة التاسعة

الله يحب كون المعصية عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(١)، هل أحب الله أن يستشهد أحدٌ من خلقه؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس إنما تكون الشهادة بأن يقتل الرجل؟.. أفليس قد أحب الله أن يقتل؛ لأنه قد أحب أن يستشهد، والشهادة لا تكون إلا بقتل من عاصي؟ أفليس قد أحب الله أن تكون إذن المعصية؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصية، فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصى^(٢)؟

فإن قالوا: لم يحب الله أن يستشهد أحدٌ^(٣) من خلقه.

فقل: أفليس قد كره الله ما صنع حمزة بن عبد المطلب^(٤)، ولم يحب ما يصنع، ولا أن يستشهد أحداً^(٥) ممن كان مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أمر الله بما لا يحب؛ لأنه قد أمر بالقتل وفيه الشهادة فقد أمر بما لا يحب وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، فهو لا يحب ما قال إنى متخذه منكم ومثيبكم عليه الجنة^(٦)؟..

فإن قالوا: نعم. فهو تكذيب لكتاب الله، فابصر مواضع هذه المسائل، فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

رد أحمد بن يحيى:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: قد فهمنا ما اعتللت به، من قول الله، جل ثناؤه: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، واعتقادي في ذلك أن الله، عز وجل عما قلت، هو الذي قتل الشهداء، أو سفك دماءهم، وأراد ذلك

(٢) في الأصل: أحدًا.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٣) في الأصل: أحدًا.

(٤) هو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، أسلم قبل الهجرة، وكان قوى الشكيمة، أسد لله ولرسوله، هاجر وشهد بدرًا، وكان فتحاً للإسلام والمسلمين، فجاهروا بالدعوة، قتل شهيداً بأحد، ودفن بالمدينة سنة ٣هـ.

من المشركين وقدره عليهم، وخلق فعلهم بالمؤمنين، وقضاه على الفرقين جميعاً، فقتل أولياءه وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه، صلى الله عليه، بأيدي أعدائه المخالفين له، والمشركين به والمحاربين له ولنبيه، صلى الله عليه ولمن ولاه ووالى رسله من المؤمنين!

٥٥ ظ / وهذا القول يوجب عليك، أن حسن نظره ورضاه ومحبته. / وإرادته لظفر المشركين بأوليائه، وأهل طاعته، وقتل حمزة بن عبد المطلب، رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين، على قولك، إلا ما أراد الله، عز وجل، من قتلهم لأهل طاعته وأنصاره، وأوليائه وصفوته، فذلك قولكم أيها المجبرة، وعليه وضعت حجتك هذه علينا، في اتخاذ الشهداء من المؤمنين، وأنه هو الذى أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين، زعمت!

الفعل بين إرادة الله وإرادة إبليس،

ونحن نقول لك: إن إرادة الله، عز وجل، فى قتل المؤمنين، على قولك، موافقة لإرادة إبليس اللعين فى قتل المؤمنين؛ لأن إبليس أراد أن يقتل الأنبياء والمؤمنين، وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين؛ لأنهم أولياءه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرة والحسرة، على أعدائه المؤمنين؛ لأنهم أبغض الفريقين إليه.

وكذلك أراد الله، زعمتم، فى حجتكم هذه علينا، أن إبليس أحسن نظراً لأهل طاعته من الله، عز وجل، لأهل طاعته؛ لأن إبليس يريد أن يكون الظفر للمشركين على المؤمنين، وأن الله، عز وجل، كما قلتهم، أراد قتل المؤمنين وسفك دمائهم، وظهور المشركين عليهم، وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون فى قتلهم، فبين إرادة الله، عز وجل، فى أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه، والأئمة من عباده، من زوال الأقدام، وظهور الأعداء، وبين إرادة إبليس فى ثبات أقدام أوليائه، وظهورهم على حزب الله، عز وجل، وغلبتهم للمؤمنين، فرق عظيم!!!

إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس،

وهذا لازم لكم، وفيه خروجكم من الإسلام، أو الرجوع إلى التوبة، وأن إرادة

إبليسُ قد وافقت إرادة الله، زعمتم، فى قتل الشهداء ، وأن رسول الله (محمد المصطفى) ^(١) صلى الله عليه . مخالفةً لإرادته لإرادة الله فى قتل الشهداء ؛ لان النبى ، صلى الله عليه، قد أحب بقاء عمه حمزة، وعمه قتله، وبلغ منه، وأوجع قلبه، ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، جميعاً، وعمه أيضاً، وبلغ منه ظفر المشركين به وبأصحابه .

إلا ان يقول : إن النبى ، صلى الله عليه، كان شامناً فرحاً بقتل الشهداء... فوافق إبليس فى فرحه بقتلهم وشماتته عليهم، كما زعمت، ان الله، عز وجل، أراد قتلهم، وأن يعصيه المشركون فى ذلك، فاتفقت إرادة الله، عز وجل، وإرادة نبيه، صلى الله عليه، وإرادة إبليس، عليه لعنة الله، جميعاً فى قتل الشهداء، والرضا به والمحبة لزوالهم من الدنيا، وراحة المشركين منهم واختلال موضعهم من الإسلام ، وظهور المشركين على الرسول ، صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله، على قود قولكم!

وهذا أعمى العمى ^(٢)، واكفر الكفر؛ لان الصحيح فى إرادة إبليس، المخالفة لله ٥١ و / ولرسوله؛ وأن الله ورسوله لم يريدوا ، ولم يحبوا قتل المؤمنين ، وأن إبليس أراد قتلهم وظهور المشركين عليهم .

ثم نقول لك : يا عبد الله بن يزيد البغدادى : أخبرنا : هل كانت العربُ، أهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة، عند فصل الخطاب، الذين خاطب الله، عز وجل، محمداً ، صلى الله عليه، بلغتهم ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فهل كانت العربُ والنبى، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، رحمة الله عليهم، يسمون حمزة بن عبدالمطلب ، رضى الله عنه، «سيد الشهداء» قبل أن يقتله المشركون فى يوم أحد؟!

فإن قلت : نعم . أكذبك جميعُ أهل الإسلام، وعلموا أنك قد قلت غير الحق ، وشهدوا لنا عليك جميعاً ، بأنك افتريت الباطل، وما لا يعرف فى الإسلام .

(٢) فى الأصل : عما العما .

(١) زيادة من الهامش .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

حمزة شهيد بعد قتله:

وإن قلت : إن النبي ، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان ، إنما سموا حمزة، رضوان الله عليه، سيد الشهداء ، بعد ما استشهد في يوم أحد، هو وأصحابه . لزمك أن الله!، عز وجل، إنما اتخذ الشهداء شهداء، بعد ما قتلهم المشركون؛ لأنه سلط عليهم أعداءه المشركين، حتى قتلوهم ، وأدخلوا بقتلهم البهين على نبيه، صلى الله عليه!! عز ذلك الواحد العدل، الذي لا يجور ولا يقضى بالفساد ، الذي لا يرضى لأوليائه، وأهل طاعته، إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم ، وأن يكون لهم العاقبة والغلبة، والظهور والرياسة، هذه إرادة الله، عز وجل، في أهل طاعته، وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه، عز وجل، الذي حرّم دمائهم غاية التحريم، وأكد في قتلهم على الظالمين، غاية التأكيد، وهذا القرآن، أكثر شاهد لنا، وأفلح حجيج .

قال الله، عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾^(١) ، فبلغنا أن عبد الله بن العباس^(٢)، رحمة الله عليه، قال لما نزلت الآية: ما كان الله، عز وجل، أن يقطع عنه، يعنى القاتل، مع قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ﴾^(٤)، فسمّاه مظلوماً، وجعل لوليه الحكم والحجة، ولو كان الله، عز وجل، في قتل المؤمنين سبباً سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها، لم يسم المقتول مظلوماً، فيكون الله: عز وجل، قد دخل في ذلك الظلم، وعاب ما فعل وزراً، ٥١ ظ / نفيما هي عن فعله، عز وجل عن ذلك، العدل الذي لا يجور، ولا يفعل إلا الحكمة، ولا يريد الباطل ولا يقضى بالفساد، ولا يخلق الكفر، ولا يقتل الأولياء بأيدي الأعداء / ولا يظهر عليهم الأشقياء، ولا يُعذبُ على ما صنع، ولا يؤاخذ بما قدر، ولا يعيب ما خلق، ولا يضطر إلى ما علم ، ولا يوجب النار على أمرٍ هو فعله،

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) هو عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، نشأ في الإسلام، وروى عن رسول الله، وشهد صفين والحمل مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولد في ٣ ق هـ، وتوفي في الطائف ٦٨ هـ بعد ماملا الدنيا علماً وفقهاً . انظر ، ترجمته الزركلى : الاعلام ٩٥ / ٤ .

(٣) ، (٤) سورة الإسراء : الآية ٣٣ .

ولا يغضبُ مما أدخل فيه، وحمل عليه وقدره ، قدوس رب الملائكة والروح ، (و) كذبَ العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً .

ثم قال، عز وجل : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١) .

افهَذَا ، أيها المهلك لنفسه ، والمفتري على خالقه، قول من أراد قتل أوليائه بأيدي أعدائه ١١٩ قاتلكم الله أنا تؤفكون .

فاتخاذ الله، عز وجل، للشهداء، إنما هو بعد قتلهم لا قبله، جزاء بما نالهم في جنبه، وتشريفاً لهم وتفضيلاً ، بما وفوا به من الشراء، الذي باعوا فيه أنفسهم وأموالهم، رحمة الله عليهم ورضوانه، وإنما اتخذ الله، جل ثناؤه، شهداء من المؤمنين، لما قتلوا في سبيله مجاهدين للكفار، ناصرين للحق دافعين عن الرسول، صلى الله عليه وعلى آله، راغبين في الثواب ، مستبشرين بالبيع الذي قال الله، عز وجل : ﴿ إِنْ السَّلَـةَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١) ﴿ (٢) .

فاخبرهم ، عز وجل، أن لهم الجنة، والملك الذي لا يزول، على أن يقاتلوا دون الإسلام ، وأعداء الله المشركين ، فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله، عز وجل، الخلود في نار جهنم أبداً الأبد، بما عصوا الله ورسوله، وكذبوهما ، واتبعوا أهواءهم في ذلك، وجعلوا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، إذ لم يحملهم الله ، عز وجل، على قتل أوليائه، ولم يردده منهم، ولم يقضه عليهم ولم يقدره من فعلهم، ولم يخلقه فيهم، بل قال ، جل ثناؤه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِنْكَا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) ﴿ (٤) .

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٤) سورة النساء : الآيات ٢٦ - ٢٧ .

(١) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

فأخبرنا ، عز وجل ، كيف إرادته ، وكيف العدل فيها ؟ وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها ، مع قوله إن الله برئ من المشركين ورسوله ، ليس براءته إلا من فعلهم ، وقد فسرناه فى صدر كتابنا هذا .

فالله ، عز وجل ، إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم ، لا قبله ، أى سماهم وحكم لهم أنهم شهداء تجب لهم الجنة .

٥٢ و / فاما أن يكون نجبراً وقسراً ، وأراد من أعدائه المشركين قتل / أوليائه المؤمنين ، فحاشاه وتقدم عما قلتم ، والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة ، فيه قوله ، تبارك وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، فأوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولا فتنة ، ويكون الدين كله لله ، عز وجل ، ولا يبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة فى أرضه .

وأراد أن يبقى دينه الذى ارتضاه لنفسه ، وفى هذا أكبر الدليل وأبين الحجة على أنه لم يرد قتل أوليائه ، ولا ظفر المشركين بهم ؛ لأنه لو أراد قتل أوليائه ، فيمن إذن تقتل أنبيأؤه أعدائه ؟ حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله !!

ومن الحجة أيضاً ما يوجب بطلان قولكم ، ويدحض حججتكم ، أن نقول لك : هل أراد الله ، عز وجل ، من المشركين أن يقتلوا أوليائه من المؤمنين ؟

فإذا قلت : نعم .. كما قد قلت ، أكذبك الله ، عز وجل ، فى قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، فيلزمك أنه إذا لم يكن فتنة ، وكان الدين كله ، عز وجل ، على فرض لم يبق فى الأرض فتنة ، ولا مشرك يقتل المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، فهذا يوجب عليك أنك قد أبطلت وأخطأت فى قولك : إنه ، عز وجل ، أراد قتل أوليائه ؛ لأنه لو أراد قتلهم لم يعن أعداءهم بالقتال الذى افترض على النبى ، صلى الله عليه ، والمؤمنين ، تخييراً لاجبراً ، حتى تكون لهم العاقبة والملك والسلامة من القتل ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق ، وتاب عن الفرية على الله ، جل ثناؤه .

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين ، ولم يقضه على المشركين . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل ، وذلك هو الحق ، ولا نعلم لك مخرجاً من

(١) سورة النساء : الآية ١٩٣ .

هذه الحجج، وفيها بطلان حجتك في قولك : إن الله، عز وجل ، اتخذ الشهداء بإرادته لمعصية الأعداء، وهذا أعظم الغربة على الله، جل ثناؤه ، مع آيات كثيرة تشهد عليك، مثل قوله، عز وجل، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(١) ، وفي هذه الآية حجة عليك أيضاً، في أن الاستطاعة قبل الفعل.

لأن إعداد القوة، ورباط الخيل، إنما يكون قبل القتال لا مع القتال ، وهذا يبطل قولكم أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله، وقوله، عز وجل، في التحريض على قتال المشركين، وإرادته لفنائهم، وبقاء المؤمنين من بعدهم وسلامتهم: ﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُ بِأَسْ / الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسْ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ ^(٢) ، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ^(٣) ، إلى آخر الآية ، كل ذلك يدل على أنه يريد قتل المشركين ، وحقق دماء المؤمنين، لا ما قالت المجبرة الكاذبة على الله، عز وجل، أنه أراد قتل الشهداء والأولياء ، وظفر المشركين والكفار والأعداء.

الفرق بين الأولياء والأعداء، هو أن إرادة الله مع أوليائه :

فإن كان الله، عز وجل، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب، رضوان الله عليه ورحمته، يوم أحد، وأراد قتل أبي جهل بن هشام ^(٤) ، لعنة الله عليه وغضبه ، يوم بدر، فما الفرق بين الإرادتين ، وما الفصل بين الحكيمين، وأمين الحق والعدل في هذين المعنيين ١٩

فإن الله ، زعمتم ، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب وسماه مطيعاً ، وحكم له بالجنة وأراد قتل أبي جهل بن هشام وسماه عاصياً وحكم عليه بالنار ؛ لأنكم ، زعمتم ، أن الله، عز وجل، أراد أن يكون بعض الخلق مؤمنين، وبعضهم كافرين بلا استحقاق واحد من الفريقين ، زعمتم ١١١

(٢) سورة النساء : الآية ٨٤ .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٥ وفي الأصل : اقتلوا . وهو خطأ .

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة الهذلي القرشي ، كان من أشد الناس عداوة للنبي والإسلام ، من سادات قريش ، خرج مع المشركين في بدر فقتل سنة ٦٢هـ . انظر ترجمته الزركلي : الأعلام ٥ / ٨٧ .

ثم قال فى كتابه للكفار: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧) ﴿١﴾ ، ويحك فاخبرنا، ماذا عملوا ، وإنما بإرادته قتلوا، وبإرادته دخلوا النار، جل الله عما قلتم!!

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) ﴿٢﴾ ، وهو ، زعمتم ، الذى أراد قتلهم، وبإرادته قتلوا ، وبإرادته دخلوا الجنة لا بعمل ، زعمتم ، فى قود قولكم ؛ لانه ، زعمتم ، فى قود قولكم ؛ لانه - زعمتم - جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين .

ثم قال لهؤلاء: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿٣﴾ ، ولم يقل ما قالت المجبرة من أن ذلك الجزاء كله كان بإرادته وباستحقاق، وكان من فعل الفريقين، ولا أنه دخل بمقياس ذرة فما دونها .

أدلة المجبرة متناقضة :

أفترى ، أيها المفترى، أن البهائم لو علمت، واحتج عليها، بدون هذه الحجج ، هل كانت تستجير أن تقول مثل مقول المجبرة، المفترية على الله الزور والبهتان ١١٩

وهؤلاء المجبرة المفترون على الله، جل ثناؤه ، يسمعون القرآن يتلى عليهم فى كل يوم، ويحتج به أهل العدل فى رده دعواهم، وهم مع ذلك يصرون ويستكبرون على الجهل، والتعلى عن الحق، وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من خالفه ، ولو كان فى القرآن آية واحدة، توجب لهم علينا حجة، أو تقطع لنا مقالة، ٥٣و / لانقدر لها على جواب ؛ لفسد جميع العدل، ولم تقم لأهله حجة؛ وإنما تعلقوا بايات متشابهات، ولم يعرفوا معانيها / وقلدوا كبراءهم، وما غروهم به فى تأويلها، مع جهلهم باللغة العربية وتصرفها فى القرآن، وجهلوا التأويل الموروث عن أهل بيت النبوة ، عليهم السلام، وأبغضوا الحق وأهله ، ونصبوا لهم العداوة

(١) سورة التحريم: الآية ٧.

(٢) سورة محمد "الايات ٤ - ٦ .

(٣) إشارة لعدة آيات من القرآن سبق تخريجها من قبل وليس بها: « بما كنتم » ، ولكن يوجد بالقرآن « بما كانوا » ، كقوله تعالى : « جزاء بما كانوا يعملون » سورة الواقعة الآية ٢٤ .

وتعاموا عن قوله، عز وجل، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٣) ﴿١﴾.

فى فضائل آل البيت :

والمطهر من الرجس، لا يكون فى دينه زلل، ولا فى قوله ميل، ولا فى تاويله للقرآن خطئ، فلم يكن، عز وجل، ليظهر من يكذب عليه، ويكون من عانده أولى بالحق منه، وهو، عز وجل، أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم أن أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه، والامر الذى زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون، من قولهم بالعدل والتوحيد، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة.

ما أذهب الله، عز وجل، الرجس عمن يعلم أنه يكذب عليه، ويعتقد غير دينه الذى ارتضاه، وإذن لم يطهرهم تطهيراً، وهو يعلم أن فى الأمة من هو أبصر منهم بالدين، وأقوم بالحق، وأقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق.

ثم يصطفى أهل البيت دونهم، ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة، وهو يعلم أن فى أمة محمد، صلى الله عليه، من هو خير منهم، ثم طهرهم وأذهب عنهم الرجس، وفى الأرض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل، ولا مفضل لأهل الفضل، ولا مُعَرَّفٌ بقدر مستحق، ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذى قال، عز وجل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) ﴿٢﴾، وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (٣١) ﴿٣﴾، وقال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿٤﴾، أى: سبأهم ضللاً بفعلهم وظلمهم، لا أنه أضلهم جبراً وقسراً.

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) ﴿٥﴾، فالواجب عليه، عز وجل، إذا كان الخلق لا يستوى عنده أن جعل التطهرة وإذهاب الرجس، للفرقة التى هى أقوم بدينه، وأعرف بحقه، وأقوم بطاعته، وأعلم بكتابه، وأحكم بسنته، وأقول بعدله

(٢) سورة الكهف: الآية ٣٠، وجاءت فى الأصل خطأ بهياً.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٥) سورة الزمر: الآية ٩.

وتوحيده ، وإثبات وعده ووعيده ، وأولى ^(١) أن تثبت بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قبل الآخرة .

فلما علمنا أن ربنا ، عز وجل ، قد طهر أهل بيت نبينا ، صلى الله عليه ، فى كتابه ، وأذهب عنهم الرجس ، وذلك للسابقين ^(٢) منهم بالخيرات دون غيرهم ، علمنا أنهم ٥٣ ظ / أهل الحق ، وأهل العلم بالدين ، والقومة بالكتاب ، والحكام / على الناس ، وإن من خالفهم هو المبطل الهالك ؛ لأن الله ، عز وجل ، أكرم وأعدل وأحكم ، من أن يذهب الرجس ، ويظهر من الدرن والعيوب ، من يكذب عليه ، ويخالف كتابه ورسوله ، صلى الله عليه ، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم .

فقد صح وثبت ، والحمد لله ، أن الحق ، والدين الصحيح ، والمذهب المرضى ، مع القوم المطهرين ، فى القرآن المذهب عنهم الرجس ، وأن الباطل والضلال ، والجبر والتشبيه والخطأ والفساد ، مع القوم الذين عاندوهم ، ولم يطهروا فى القرآن ، ولم يذهب عنهم الرجس ، فوجب أن الحق الحق ، مع القوم الذين أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، ومن قال بقولهم على الحقيقة ؛ أن الله ، عز وجل ، لا يغلط ولا يخطئ ولا يجر ، ولا يضع الصفوة فى غير أهلها ، ولا يعطى الحجج القاهرة من يكذب عليه ، كما لا يجوز أن يعطى الله ، عز وجل ، المعجزات ، من يكذب عليه ، ممن يدعى النبوة وليس بنبي ، ويغوى العوام وجهال الناس .

لا يعطى الله المعجزات لكذابين ،

وذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخبر الذى سأل الله فى ، زعمهم ، فأرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف ، ولوجاز أن يكون هذا حقاً ، لم يكن بين معجزة فرعون ، ومعجزة موسى ، عليه السلام ، فرق ، تجب به نبوة موسى ، صلوات الله عليه ، من إلقائه العصا وخلق البحر ، وغير ذلك من الآيات .

فافهم هذا ، أنت يا عبد الله بن عمر ^(٣) ، أكرم الله وجهك ، أعنى ولينا عبد الله عمر ، أكرمه الله .

(١) فى الأصل : وأولا .

(٢) ولذلك قال بعض علماء الزيدية ، بأن اجتهدات الأئمة السابقين منهم والسلف ، حجة لازمة .

(٣) هذا الرجل هو الذى اطلع الإمام أحمد بن يحيى على كتاب عبد الله بن يزيد البغدادي ، فقام بالرد عليه فى كتابنا هذا .

واعلم يا أبا محمد ، أكرمك الله ، أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبد الله بن يزيد البغدادي ، ليوقفوك أن معهم من الحجج في إثبات الجبر ، ما لا يقدر له أحد على نقض ، ولا رد جواب .

فقد أتاك من حجج الله ، وتصديق كتابه ، ما فيه الشفاء لكل مسلم ، والمعرفة بكذب من كذب ^(١) على الله ، عز وجل ، وافترى عليه ، وتناول كتابه على الكفر به ، والإلحاد في صفته ، وإقامته لعذر المشركين وجميع العاصين ، واسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد ، إلى رب العالمين ، عز عن ذلك أكرم الأكرمين .

فانعم النظر فيما رسمنا لك ، وعلمه المسلمين ، وأشهره فيما قبلك ؛ ليعرف الناس الحق من الباطل ، والمحق من الكاذب ، إذ لا يسع غير ذلك ، وحرّج على من وصل إليه كتابنا هذا كتماناً ، حتى يبينه للناس ، وكفى ^(٢) بالله شهيداً .

احتج الجبره بقول الله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ^(٣) ، أليس قد جعلها قاسية ؟

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك بأن جعل بعض قلوب العباد قاسية ، فسلهم عند ذلك ٤٥٠ / فقل : أخبروني عمن جعل الله قلبه / قاسياً ، أمكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً ؟

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل . وإن قالوا : لم يجعلها الله قاسية ، فقد تركوا الكتاب .

فسلهم : أرايتهم قوله : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، هل أنزل الله هذا ؟ إن قالوا : بلى ^(٤) . فقل : فإنه قال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، فإن قالوا : إنما عني بذلك جعلها قاسية بالنقض ؛ لأنه قال : ﴿ لَيْمَّا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ^(٥) ، فقل لهم عند ذلك : إنا لانبألى على أى الوجهين جعلتم كلامكم ؛ لأنه عندنا لنا فيه حجة ، فلا نبألى قلتم الطبع قبل النقض ، أو بعد ؟

(٢) في الأصل : وكفا .
(٤) تكررت العبارة في النص مرتين .

(١) في الأصل : كذب .
(٣) سورة المائدة : الآية ١٣ .
(٥) الآية السابقة .

أخبرونا الآن، إذ زعمتم أنه طبع بعد بالنقض، وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذ به بمعصية، وإن الله لا يفعل ذلك إلا بعد النقض، لأن وصف الله بأنه يطبع ثم يكلف فقد وصف الله بالجورا

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع النقض، وزعمتم، أكلفهم الإيمان من بعد ما طبع على قلوبهم؟

فسلهم عند ذلك عن اليهود والنصارى، وجميع الكفار، واليسوا ناقضين؟ فإن قالوا: بلى^(١).

قل: أفليس قد طبع الله على قلوبهم؟ فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع فقد يطبع الله على قلوب قوم، ثم يكلفهم الإيمان؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا يظلمهم؟

وأخبرونا عن سأل الله أن لا يظلمه، أعرف الله أم لا؟

فإن قالوا: نعم، إنه يعرف الله.

فقل: أفليس يعرف الله من لا يدري لعل الله سيظلمه؟ فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به، في غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يخلقهم، فذلك العدل قد أقروا به.

رد الإمام أحمد بن يحيى،

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: وسالت عن قول الله، عز ٥٤ ظ / وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٢)، ونسبت العدل في ذلك، ووقع عندك وفي اعتقادك أن الله، تبارك وتعالى، العدل الذي لا يجور، ولا يقسى قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول في دينه.

لو كان ذلك فعله، عز وجل، لما افترض عليهم الإسلام، ولا الاقتداء بمحمد، عليه

(٢) الآية السابقة

(١) في الأصل: بلا

أفضل السلام، ولا جاز في عدله ولا في حكمته، ولا نفى الجور والظلم عن نفسه، أن يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١)، وهو الذى أقساها وحال بينها وبين الطاعة، بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه، عز وجل، هو الذى أقساها، لم يكن لإرساله لنبيه، صلى الله عليه، معنى فى مجيئه إليهم، ليثبت عليهم الحجة، فيقول لهم: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢)، فقد أرسلنى الله، عز وجل: إليكم، لأن تدعوا قساوة القلوب، وترجعوا إلى الإيمان بالله، والإقرار بانى رسول الله.

وإنما المعنى فى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٣)، فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم فى أول الآية، فقال: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ ثَمًّا قَدْ قُضِيَ لَهُمْ نِجَاةً وَمِنْهَا لَنُصِيبَهُمْ ذُرِّيًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾^(٤)، فبهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة، وسماهم قساة القلوب بفعلهم، لا أنه أقسى قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم، وحرفوا القول عن مواضعه، ولا يزال الرسول، صلى الله عليه، يطلع على خائنة منهم.

جعل التسمية أراد لا جعل الجبر :

فهذا الذى به قامت عليه الحجة، ولم تقم على الله، جل ثناؤه، لهم حجة، وإنما سماهم، عز وجل، قساة القلوب، تسمية لا أنه جبرها على القساوة جبراً.

فالذى أراد من ذلك، عز وجل، من الجعل الذى غلطتم فيه، جعل الحكم والتسمية، لا جعل الجبر، وذلك جائز فى لغة العرب، تقول العرب: ضللنى فلان، أن سماه ضالاً، وكفرنى فلان: أى سماه كافراً.

قال الكميت^(٥):

فطائفة قد أكفرونى بحبكم وطائفة قالوا مسيئاً ومذنباً

وزناني فلان : أى سماه زانياً ، فعلى هذا القياس يخرج الكلام، فعبد الله بن يزيد

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٥) فى الأصل: أقسا.

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٣)، (٤) سورة المائدة: ١٣.

(٦) الكميت بن يزيد بن خنيس الأسدى، شاعر الهاشميين، اشتهر فى العصر الأموى وكان عالماً بأدب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، تعصب للمضريين، قبل فيه: لولا الكميت لم يكن للغة ترجمان، انظر الزركلى: الأعلام.

البغدادى، يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله، ويثبت عذرهم فى نقض العهد والكفر، وتحريف القول والخيانة.

ونحن نحتج لله ، عز وجل، ونزودهم عن قوله؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ٥٥و/ بعد الرسل، والمجبرة المفترية / على الله، جل ثناؤه، يطلبون إبطال قوله: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (١)، وتكون الحجة لهم على الله، يدورون فى كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، ﴿ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٢).

فانظر أى الفريقين يحتج لله ، عز وجل، ومن الذى يحتج عليه، ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى (٣) به قلوبهم ، لسلموا من النار، ونجوا من العقوبة!

سبحان الله العظيم، ما أقبح هذا القول، وأشنع هذا من مذهب قوم، يسمعون القرآن ويقولون به ، أنه من عند الله، عز وجل، ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار، ونفيهم العيب عن جميع العصاة، وإلزامهم العيب والجور لربهم، عز وجل عن ذلك وتعالى.

الا ترى كيف قال فى القوم الذين أراهم آيته ، ليؤمنوا به، فلم تزدتهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً ، حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله، عز وجل، إليه، حيث يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (١).

أفلا ترى أن قسوة القلوب، إنما هى بعد ما راوا الآيات، وبأن لهم الحق، وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم، لا هو، عز وجل، إنما سماهم بما فعلوا واختاروا، وضرب لهم المثل العظيم فى الحجارة ، أنها ألين من قلوبهم القاسية، التى أقسوها عن الله، عز وجل، عدواناً وظلماً ، وحمية وعصبية على الكفر.

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢ وفى الاصل : وبها.

(٤) سورة البقرة : الآية ٧٤.

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥.

(٣) فى الاصل : أقسا.

أقسام الجعل في كتاب الله:

وقد أعلمناك أن الجعل في كتاب الله، جل ثناؤه، على وجهين: جعل حكم وتسمية، وجعل جبر وقسر وحتم، لا مخرج منه لاحد من الخلق.

جعل الحكم والتسمية:

فالجعل الذي هو جعل الحكم والتسمية، مثل قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٣)، ذلك كله مما ليس لله، عز وجل، فيه جبر خلقه، ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم، وحكم عليهم بفعلهم.

جعل الجبر والقسر والحتم:

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذي لا مخرج لاحد فيه، ولا حيلة فيه ولا محيص عنه، فهو ما لم تعقله، أنت وأصحابك المجبرة، ولم تأخذوه من عين صافية ولا منهل روي، ولا ورائة عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب، من اغترف من البحر المالح الا جاج!!

٥٥٥ ظ / فذلك قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا / السَّاءَ سَقًّا مَحْفُوظًا﴾^(٤)، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾^(٥)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٦)، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾^(٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٨).

مقالة المشبهة والمجبرة في الحقيقة الواحدة:

وهذه من حجتكم على أهل التشبيه في إثبات التوحيد، إذا قالت لكم المشبهة: إن القرآن كلام الله نطق به بآلة كآلة المخلوقين. واحتججتم عليهم بأنه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد، ويسقط دعواكم فيه، لما تقولون به من الجبر.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٨) سورة الزخرف: الآية ٣. كتبت خطأ هكذا: وجمعناه.

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٧) سورة النبا: الآية ١٣.

فلا يزال الكلام يدخل عليكم في اعتقادكم للجبر، بما يبطل عليك ما قلتم به من التوحيد؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدل، لأن من وصف الله، عز وجل، بالجبر، فقد شبهه بالمخلوقين، وهذا معنى جوابنا في هذا من فساد التوحيد عليكم، بما فيه الكفاية إن عقلتم؛ لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل؛ لأنه لا يوحد الله، عز وجل، من شبهه بالجائرين؛ لأنه مشبه كالمشبهين.

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(١)، فإنما هو جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق ولا جبر، ولو كان، عز وجل، إنه هو الذي خلق ذلك إلاك؛ لأن أفعال العباد، على زعمكم، مخلوقة. فانهم هذا الباب الذي غلطت فيه، وأهلكت من اتبعك^(٢)، وإلا^(٣) لزمك أن الله، عز وجل، خلق إلاك الأفاكين؛ ثم عذبهم على خلقه، لا على أمر فعلوه هم، ولا خلقوه!!

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين، على قولكم، إذ زعمتم أنه خلق خلقاً لله، واكتساب من العباد!

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذي خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب، إن كان ثم عدل أوحكم حق لاجور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان، على قولك هذا، أن قالوا: إن الأوثان أرباب مع الله، عز وجل، وأنهم عملوا بأيديهم، ثم زعموا أنها التي ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم: إنه خلق الشرك والكفر، وأقسى^(٤) القلوب. ثم خلد من فعل ذلك في العذاب الاليم!!

ثم نقول لك: خبرنا عن خلق أعيان العباد؟.. فإذا قلت: الله. قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم، وإلى عورات النساء، وجميع القبائح!!.. فإن قلتم: نعم. قلنا لك: فلم عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولم يعذبهم على خلقه لأعينهم^(٥)، التي خلق في رؤسهم!! فلا تجد حجة تجيبنا بها.

(٢) في الأصل: اتبعك.

(٤) في الأصل: وأقسى.

(٥) في الأصل: لأعينهم. وهو يقصد العين: عضو الإبصار ويجمع على أعين، وعيون، انظر المعجم الوسيط: ٦٤٧/٢.

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٣) في الأصل: وإن لا.

وكيف ما ادعيت من امر فى النظر المحارم، لزمك مثله فى خلقه للأعيان، وكذلك الاسماع والالسنه والايدي والأرجل. لقولك: أليس قد خلق الله، عز وجل، يد السارق؟

فإن قلت: بلى^(١). قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لاستار الكعبة، وأكفان ٥٦ و/ الموتى^(٢)، وأموال المؤمنين، فإذا قلت: نعم. قلنا لك: ما^(٣) عذرک وما حجتك إذا سالناك / : لم يعذبه على سرقته^(٤)، أستار الكعبة، وأكفان الموتى، وأموال المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التى بها سرق وظلم؟!

فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من الحيل، إلا أن ترجع عن قولك، وتصير إلى العدل، فنقول: إن السرقة فعل العبد، ولذلك أمر بقطع يده، وأن السرقة ليست خلقاً لله، وأن اليد هى خلق لله، جل ثناؤه، لا عذاب على العبد فيها، وهذا هو الحق والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلق الله، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذبه على خلق يده، كما عذبه على سرقته؟! فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لم يعذب على بعض خلقه، ولم^(٥) يعذب على بعضه؟ وهذا غاية الفلج، وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله، عز وجل، يحكى عن الكفار ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾^(٦)، فنقول لك: كيف جعل الكفار الملائكة إناثاً؟ وكيف هذا الجعل الذى ذكر الله، عز وجل، فإنه لا بد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم، بما قالوا فيهم أنهم أناث غير ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك، والتصديق لنا أن الجعل فى كتاب الله، عز وجل، على وجهين.

(١) فى الاصل: بلا.

(٢) فى الاصل: بما.

(٥) ليست فى الاصل.

(٢) فى الاصل: الموتى.

(٤) فى الاصل: سرق.

(٦) سورة الزخرف: الآية ١٩.

وإن قلت : جعلوهم جعل خلق؛ لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة !! فأى هذين الوجهين قلت به، غلبت وسقطت حججتك في قولك أن الله، عز وجل، هو الذى جعل قلوب الكفار قاسية، جبراً وقسراً وحتماً؛ لأن الله، عز وجل، هو الجاعل للأجساد، لا جاعل لها غيره، وذلك قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٨) ﴿ ١١ ﴾ .

وكذلك جميع المعاصى الله، عز وجل، منها برئ لم يجعلها جعل خلق، ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا، وتقليد الرؤساء والحمية على الكفر والخطأ، والرغبة فى التافه الأدنى (٢)، وليس لله، عز وجل، فى فعلهم فعل قل ولا كثير، صغر ولا كبير، عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الكسب يدل على الشرك :

ومن الدليل على تصديق قولنا، وبرهان حقنا، أن الله، عز وجل، لم يخلق أفعال العباد، ولم يقض على خلقه بالفساد، ولم يرد الإلحاد، ولم يقدر العناد، ولا العبادة للأنداد؛ أن يقال لك : يا عبد الله بن يزيد البغدادى، ولمن قال بقولك من المجبرة؛ ٥٦ ظ / خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة، أيهما عندكم أفضل، خلق الله، جل ثناؤه، الذى / ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل، أم خلق الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟

فإن قلتم : إن خلق الله الذى فيها اكتساب وفعل أفضل . قلنا لكم : فقد أوجبتم فى قولكم، ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والكبائر، أفضل من الملائكة والنبیین والمرسلين، والائمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل.

وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله، عز وجل، ومن اعتقده ودان به، قد بان خطؤه (٣) ولم يجز خطابه، وانقطعت حجته، وانهتك ستره، ولا ينبغى الكلام عندنا لمثله.

(٢) فى الأصل : الأدنى .

(١) سورة الانبياء : الآية ٨ .

(٣) جاد فى الأصل : خطأ .

وإن قلتم ، ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم : بل نقول : إن خلق الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب ، ولا فعل أفضل .

قلنا لكم : فقد أوجبتم فى قولكم هذا ، ان الخنزير والكلب والحمار ، والقرد والبغل واليهودى والنصرانى ، خير من الإيمان ، ودين الإسلام ، وكفرتم بالله العظيم ، جل الله عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً .

وإن قلتم : لسنا نقول إن أحداً منها أفضل من الآخر ، ولكننا نقول هما سواء .
لزمكم أنكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير ، واليهودى والنصرانى سواء هم عندكم ، وعلى قولكم ، والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم ، عليه السلام ، والمؤمنين والشهداء والصالحين ، والمشعر الحرام ، سواء هو عندكم ومن ذكرتم !!!

فليس لكم ، ولا لأحدٍ من جميع أخوانكم المجبرة ، أهل الفرية على الله ، جل ثناؤه ..

من هذه الثلاثة الوجوه مخرج ، ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها ، ولا سبب من الأسباب !

وفى هذا تقوم الحجة بالحق ، ويسقط الباطل ، ويبين من المحق ومن المبطل . إلا أن ترجعوا إلى القول على الله ، سبحانه ، بالعدل ونفى الجبر ؛ وتقولون بقولنا بالعدل ، وهو دين الله ، عز وجل ، فتقولون : إن الله ، جل ثناؤه ، برئ من أفعال العباد كلها ، وأنه لم يخلق منها شيئاً ، قل ولاكثر ، صغيراً كان ذلك أو كبيراً ، ولا حسناً منها ولا قبيحاً ، ولا طاعة منها ولا معصية ، وتقولون : إن ذلك كله أمر ونهى ، لأجبر ولا حتم ولا قسر ، وإنما أمر الله ، جل ثناؤه ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأمر والنهي محتوم ، أى مفروض لا جبراً وقسراً ، ويصدق ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ (١) ، و ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٢) ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٤) ،

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

ولم يقل، عز وجل ، انه خلق واحداً من هذه الاشياء، التى افترضها وأمر بها، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ ^(١) ، ولم يقل خلق تاديتكم للأمانات، وانه، عز وجل ، أرسل رسله بالدعاء إلى الإيمان ، فسارع إليه المؤمنون ، غير مكرهين ولا مجبورين ، وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصي، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبرين .

وتصديق ذلك وشاهده قوله، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه وعلى آله، : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ ^(٢) ، ولم يقل كما خلقت فعلكم وجبرتكم، ولم أرد إيمانكم، وقوله، عز وجل، للظالمين : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ^(٣) ، ولم يقل عما خلقت فيهم، وأردت منهم، ولو خلقه فيهم وأراده منهم ، لم يجوز فى الحكمة ولا فى العدل ان يقول : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ^(٣) .

وكيف يعتو من فعل عتوه غيره؟ فى أى لغة وجدتم هذا ، أم فى أى نَجْوٍ ^(٤) أم فى أى قرآن ، أم فى أى شعرٍ قالتها العرب ، أم فى أى خبر عن رسول الله ، صلى الله عليه، أم فى أى حرية ، أم مروءة أم فى أى سيرة، أم فى أى سنة، أم فى أى عقل أو جميل أدب ، إلا فى سيرة سدم ^(٥) وسنته، وأدبه وأحكامه التى هى تتحرى ^(٦) للصبيان ، ويتحدث الناس بها فى المجالس ، تعجباً من جور سُدْم، وقبح حكمه، وسخافة عقله .

فيا سبحانه الله العظيم ، لقد جعلتم ، أيها المجبرة المفترون ، أحكام الله ، جل ثاؤه، وأفعاله كأحكام سدم وأفعاله، بل سدم عند أهل المعرفة ، يكبر عن كثير مما أسندتم إلى الله العدل، الذى لا يجوز، سبحانه وتعالى عما يصفون .

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .

(٤) النَجْو : ما يخرج من البطن من ريح وغازات ، أو السحاب يريق ماءه ثم يمضى (انظر المعجم الوسيط : ٩١٢/٢) مادة : نجا .

(٥) السُدْم : من أصابه الهم والغيظ والحزن فهو (سدمان ندمان) ، أو السُدْمُ : من الفحول : الهائج، وعاشق سدم : شديد العشق ، ولعل المؤلف يقصد المعنى الأخير . (انظر المعجم الوسيط : ٤٢٦/١ مادة : سدم) ، وسدم : أحد ملوك اليمن المجائرين، أصحاب السيرة القبيحة .

(٦) هكذا فى الأصل

ثم زعمتم أنه غير جائز . . . وهذا الخروج من المعقول ، فليت شعري ، كيف يكون الجور إلا ما قلتم وعليه اعتمدتم . . . وهذه حجة لا مخرج لكم منها ، في قولكم بخلق الافعال . وعندها بيان فضيحتكم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله ، عز وجل : ﴿ وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ ^(١) ، فإن ذلك ليس بنسيان من وجوه ^(٢) النسيان ، الذي يجب فيه العقاب ؛ لأنه قد روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أنه قال : « رفع القلم عن ثلاث ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يبلغ ، وعن الناسى حتى يذكر » ^(٣) .

تفسير النسيان في الآية :

وأما هذا النسيان الذي ذكر في القرآن ، فهو الترك متعمداً ^(٤) لا نسيان سهو ، وذلك النسيان المتعمد ، يجب على صاحبه العقاب ، وهو نسيان الترك متعمداً ^(٥) ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(٦) ، أي تركوا أمر الله ، فتركهم ٥٧ ظ / من رحمته / والله ، عز وجل ، لا ينسى ، ولا يؤاخذ بالنسيان ، إلا نسيان العمد الذي ذكرنا ، مما يجري في اللغة ^(٧) ، فافهم هذه اللغة العربية التي جهلتها ، واحتججت فيها بأول الآية ، في قساسة قلوبهم ، ولم تذكر أول القصة ، ولا آخرها ، وجئت بالوسط في الآية ، ورجوت أن تتعلق في الوسط ، بحرف تنفجر إليه ؛ وتزين به ، عند أصحابك ، وتفترى على الله ، عز وجل ، فيه ، ما قد قلت ، فانظر ما حل بك . . . والحمد لله الموضح لدينه ، المعز لكتابه ، وهو القوى العزيز .

قَسَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِمَا نَقَضُوا مِنَ الْمِيثَاقِ :

وأما قولك أنا سوف نحتج عليك ، في هذا الموضع ، بأن الله ، عز وجل ، لم يقس

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ . جاءت في الأصل : فنسوا .

(٢) في الأصل : وجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ، (٥) في الأصل : معتمداً .

(٦) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٧) في اللغة : نَسَى فلان الشيء نَسْوَةً ونَسَاوَةً ونَسْيَانًا : تركه على دُھولٍ وَغَفْلَةٍ ، أو تركه على عمد . (انظر المعجم الوسيط

٩٢٧/١ مادة : نَسَا) .

قلوبهم ، إلا بما نقضوا من الميثاق ، فذلك لعمر الله ، من أقوى حجج الله ، عز وجل ، وحججنا عليك ؛ لأن الله ، جل ثناؤه ، لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ، ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب ، إلا بعد ما اختاروا القساوة ، وصدوا عن الحق ، والشاهد لنا على ذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ (١) ، وأنت تقول : (٢) إنه أقسى قلوبهم ، بغير جرم ، ولا ذنب كان منهم .

والضلال منه أيضاً ، إنما هو ضلال حكم وتسمية ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦) (٣) ، وقوله : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) ، فإين ماجبرهم عليه ، زعمت ، من قساوة قلوبهم بعد هذه الحجج ، التي لا مخرج لك منها (ولا) (٥) لمجبر مثلك أبداً ؟

فلكم جهدتكم ، في إبطال ما قلنا ، فإن جئتم بحجة – ولن تجيئوا بها أبداً – سلّمنا لكم ، ومحال أن يقوم ، الباطل أبداً (٦) ، والحمد لله رب العالمين .

المجبرة والطبع :

وأما ما قولك أنك تسألنا ، زعمت ، عن طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم ، بعد النقض لعهدهم ، وأنه يلزمنا أنهم مطبوع على قلوبهم ، ثم كلفهم الله ، عز وجل ، الإيمان ، بعد ما طبع على قلوبهم .

وشاهد ذلك عندك ، زعمت ، في كتابك ، أن اليهود والنصارى اليوم ، قد طبع الله على قلوبهم ، وهم مع ذلك الطبع ، مكلفون للإيمان ، والخروج من الكفر .

نفي العدلية أن يكون طبع قسرو قهر :

فإن أقررنا لك ، زعمت ، بذلك فهو قولك ، زعمت ، والعدل عندك ، زعمت ،

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٢) في الأصل : تقول أنت ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

(٥) هكذا في الأصل على تقرير : ولا لمجبر مثلك أبداً الخروج منها .

(٦) أي حجة .

فاسمع إلى جوابنا ؛ وليس قولنا أن الطبع الذى طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم طبع جبر ولا قسر ، فتلزمه الجور والظلم والخروج من قرآنه الذى قال فيه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(١) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا رُبُّكَ بظَلَامٌ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(٥) ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ^(٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ ^(٨) .

هو طبع حكم وتسمية ،

٥٨ و / وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية ، حكم عليهم ، عز وجل ، وسماهم مطبوعاً على قلوبهم ، بما اختاروا من الضلال ، وتركوا الحق وما جاءت به الرسل ، صلى الله عليهم ، ولو كان الأمر على ذهبت إليه ، لم يكن اليهود والنصارى اليوم مكلفين الإيمان ، وكيف يكلفون الإيمان ، وقد حال بينهم وبينه بالطبع . على قلوبهم - زعمت ؟!

وفى هذا الخروج من حكم القرآن . والجبر لرب العالمين ، وهذا يوجب على أهل الإسلام أن لا يقاتلوا الروم ، ولا يسبوا حرماهم ، ولا يغنموا أموالهم ، ولا يسفكوا دماءهم ، وأن لا يدعوا يهودياً ولا نصرانياً إلى الدين أبداً ؛ لأنهم فى قولكم ، قد طبع الله على قلوبهم ، ولا حيلة لهم فى الرجوع إلى الإيمان ، من أجل ذلك الطبع الذى قام به عذرهم فى قولكم .

وهذا أعظم الجور ، وأبين الكفر ، إذ نزل الله ، عز وجل ، علينا قرآناً (أخذناه من) نبي صادق ، يقول لنا فيه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(٨) ،

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨ .

(٧) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٨) سورة الانفال : الآية ٣٩ .

فكيف يكون الدين كله لله ، وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر ، حتى لم
يقدرُوا على الخروج من الكفر، الذى فى زعمكم ١؟

ونحن فلا ننسبُ إلى ربنا هذا ، عز وتعالى أن يكون هذا فى حكمته ، وفى ملكه
وإتقانه ، عز عن هذا القول الذى قلت .

وكذلك قوله فى اليهود : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ (١) ،
وإنما الطبع على قلوبهم ، اسم سماهم به بفعلهم ، وحكم (حكم) (٢) عليهم به
بفعلهم ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ (٣) ، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٤) أى
حكم عليها بأنها زائغة عن الحق ؛ لا أنه هو الذى أزاعها عن الهدى (٥) ، ولو أزاعها
عن الهدى ، لم تلزمها حجة ؛ إذ لا طاقة لها بالزيغ لقلوبها ، ولا قوة لها عليه ، ولو
كان ذلك منه ، عز وجل ، لم يكن بينه وبين إبليس فرق ، فى عداوة بنى آدم
وصدهم ، وإضلالهم وإفساء قلوبهم ، وإمالتهم عن الهدى ! جل الله عن ذلك ،
وتعالى علواً كبيراً .

تم الجزء الأول وتتلوا الجزء الثانى

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الصف : الآية ٥ .

(٥) فى الأصل : الهدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المسألة العاشرة

الله يكلف ما فوق الطاقة عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي : أليس قد ترعمون أن من قال : إن الله قد كلف عباد ما لا طاقة لهم به ، فقد وصف الله بأنه يظلم العباد ؟

فإن قلنا : نعم .. قال : فسألهم عن المؤمنين حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾^(١) ، أليس قد قالوا : ربنا لا تظلمنا ؟

٥٨ ظ / فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا / يظلمهم ؟

وخبرونا عن من سال الله أن لا يظلمه ، أعرف الله أم لا ؟

فإن قالوا : نعم ، إنه قد عرف الله . فقل : أفليس (يتقى) الله ، من لا يدرى لعل الله سيظلمه ١٩ .. فإنهم لن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إنهم إنما فعلوا ذلك ؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به ، في غير ظلم من الله لهم ، فسألوا الله أن لا يكلفهم ذلك ، فذلك العدل ، قد قالوا به .

رد أحمد بن يحيى :

الاجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسالت عن قول الله ، عز وجل ، يحكى عن المؤمنين إذ قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾^(١) ، وزعمت أن ذلك التكليف ، كان من الله ، عز وجل ، وأنه ، عندكم في دينكم ، قد كلفهم ما لا طاقة لهم به في غير ظلم ، زعمت ، من الله لهم .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وإننا إن أقررنا لك بذلك ، أنه عندك العدل ، فقد لزمنا وأقررنا به ، زعمت ، فعند ذلك نقول لك ، على قود قولك ، ماتقول فيمن ادعى أن الله ، عز وجل ، كَلَّفَ قوماً أن يقلعوا النجوم من السماء ، فلما لم يقدرُوا على ذلك ، عذبهم بخلود الأبد في النار الكبرى ^(١) ، وهو غير ظالم لهم ١٩

فما تقول (وما) يكون ردك ، على السائل في هذا الباب ؟

فإن قلت له : إن هذا عدلٌ غيرُ جورٍ .

قال لك : أفليس قد وصفَ الله نفسه ، بالعدل ونفى عنه الجور ، وجعل في عقولنا معرفة العدل والجور ، ومعرفة الحق والباطل ، والحسن والقبح ؛ حتى لا يسقط علينا منه صغيرٌ ولا كبير ، وهذا كله ما لا يجوز فسادُه أبداً ، ولا قلبه عن وجوهه ، ولا عن معانيه التي جعلها الله ، عز وجل ، في عقول بني آدم أبداً ١١٩

لو جاز ذلك لبطلَ الحق ، ولم يفرق بينه وبين الباطل ، فإن أنت لم تقرب بهذا القول ، قلنا لك : فما حجتك على من قال لك : إنك بقرة ، وأنت تظنُّ أنك رجلٌ ، وما يدريك لعل الدين والحق عند الله ، عز وجل ، غير الدين الذي أنت عليه ؟ وما يدريك لعل السماء هي الأرض ، والأرض هي السماء ١١٩

هذا يلزمك ، إذا أبيتَ إلا التجاهلَ والخروج من المعقول والصحيح ، الذي لا فساد فيه ، من التعارف الذي أوجبَ الله ، عز وجل ، به الحجة ، ثم صرتَ أنت إلى إبطالِ المعقول والعارف ، لقولك أن الله ، عز وجل ، عذب قوماً على ما أرادهم منهم ، وقضاه عليهم ، وهو غير ظالم لهم .

وكذلك ، زعمتَ ، أنه خلقَ الزنا والسرقة ، على غير معنأ ^(٢) ، ولا أمر يندب إليه به أنه فعلَ الزنا والسرقة ، وهذا الخروجُ من المعقول ، وليس من قال بمثل هذا القول ، يخاطبه الرجال ، إذا أبى ^(٣) إلا التجاهلَ والخروج من الحق ، وقد عاب الله ، عز وجل ،

(١) في الأصل : الكبرى .

(٢) في الأصل : معنى .

(٣) في الأصل : أبى .

الظلم ونهى عن التظالم ، وقال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) ، كيف يجوز هذا على الحكيم الاكبر ، والإله الاعظم ، ان يدخل فيما عاب ، أو يصير إلى ما عنه نهى / ؟!

٥٩ / وقد حكى عن نبيه ، صلى الله عليه ، حيث يقول لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (٢) ، وبعد هذا فنحن نحب أن تعرفونا الفرق بين تحميله للمؤمنين ما لا طاقة لهم في غير ظلم - زعمتم - وبين العدل والجور ، حتى نعرفه ، كما عرفتموه ؟ .. وأين موضع العدل ، في هذا الباب ، الذي هو ظلم عند أهل العقول والمعرفة ، وليس هو عندكم بظلم فلا تجدون فرقاً في ذلك أبداً ؟ ..!

لأن هذا العدل ، الذي زعمتم أنه عدلٌ وليس بظلم ، لا يقبله منكم إلا جاهل مثلكم ؛ لأنه لا يجوز في المعقول ولا في التعارف ، أن يقول رجل لجماعة من الناس : عندي لكم رجل أعمى (٣) خفيف ، يبصرُ النجوم مع نصف النهار ، ويدخل الخيط في الإبرة مع نصف الليل في الليلة الظلماء ؟ ..! لأن هذا من القول لا تقبله العقول ولا يجوز عند ذوى الالباب ؛ لأنه محالٌ ولا يجوزُ مثله على الرجال ، ولنم يجعل الله ، عز وجل ، لنا العقول لأنْ يجوزَ عليها الفساد ، وما لا يعقل من أن يكونَ العادلُ يفعل الجور ، ثم لا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً !

نقد المجبرة عقلاً ولفظة ،

هذا الخروج من العقول المركبة التي جعلها الله ، عز وجل ، حججاً ، بها يشيب وبها يعاقب ، وكذلك لو قال رجل : إن الأمير قتل اليوم من المشايخ العباد في المسجد الأعظم مائة (٤) شيخ من المؤمنين العباد الصالحين ، في غير جرم اتوه ولا ذنب اكتسبوه ، وكان فعل الأمير ذلك بهم ، في غير ظلم ولا جور ، لم يكن هذا القول بصائغ لقائله عند الناس ، ولا بجائز في لغة العرب ، ولا في التعارف الذي به لزم الحجاج ، وانقطع عذر كل معتذرٍ بباطل .

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٣) في الأصل : أعما .

(٤) في الأصل : مئة .

فإن قلتم : إن الله لا يجوزُ عليه ما يجوزُ على المخلوقين ، قلنا لكم : فكيف يجوز على الله ، سبحانه ، أن يفعل الظلمَ ثم لا يسمى ظالماً ؟

فهو إذن يلزمكم ويجبُ عليكم - إن صح ما قلتم - أن يجوزَ عليه أن يدخلَ الأنبياءَ والصالحين والآئمة الراشدين والشهداء والمؤمنين ، النار ، ويدخلَ المشركين والكافرين والعصاة الظالمين الجنة .. ولا يكون بذلك منه بظلم ولا جور ..

نقد المجبرة في مقالتهن بأن الله يكلف عباده ما لا يطيقون :

وكذلك لو قال رجل : إن الله ، عز وجل ، أمرَ قوماً أن ينزعوا ما فى البحر ، من مائه حتى لا يتركوا فيه قطرة واحدة ، فلما لم يقدرُوا على ذلك أوجبَ عليهم الخلودَ فى النار ، ولا يكون ذلك منه بظلم لهم ، بعد ما عرَّفَ الخلقَ ، وأنزلَ عليهم الكتبَ ، وأرسلَ إليهم الرسلَ ، يخبرهم أنه عادلٌ ، وأنه لا يريدُ ظلمهم ، وأنه قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(١) ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣) .

فهذا خبره عن نفسه ، عز وجل ، وعمن خالف أمره ، وهو الذى قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ^(٥) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(٦) ، فالويل لك كيف يكون الحيف إلا ما قلت ١٢ .. وكيف يعقلُ الحيف والجور والظلم ، إلا ما ذكرتَ وبه احتججت على الله ، عز وجل ، وألزمته إياه ، وبرأت أعدائه ، وأقمت عذرهم ، وخالفت الكتاب ١١٩ فإى حيفٍ أعظم وأجل من أن يكلفهم الله ، عز وجل ، ما لا طاقة لهم به ، ثم لا يكون ذلك جوراً ولا ظلماً ، وهو يخلدهم بذلك فى العذاب المقيم ، والنكال الأليم ، الذى لا راحة لهم منه ، ولا انقطاع لسرمدته ١١٩

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٠ .

ثم يخبرنا ، عز وجل ، عن قولهم يوم القيامة ، لملك خازن النار ، حيث يقول : ﴿ وَنَادَا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (٧٨) ، ويلكم الا تدبرون القرآن ، كما امركم الله ، عز وجل ؟

أهذا تحميل ما لا يطاق ؟ أم الحجي إليهم بالحق فتركوه وكرهوه ، وأعرضوا عنه ، ظلماً وعدواناً ؟

ثم نقول لك : أخبرنا عما أخبر الله ، عز وجل ، في كتابه ، من احتجاج مالك خازن النار ، أصدق قوله أم لا ؟ فإن قلت : صدق في قوله . انقطعت حججك ، وفسد عليك قولك : إن الله حمل العباد ما لا يطيقون ، في غير ظلم ولا جور ، وفلجناك وانت صاغر ؛ لأن الله ، عز وجل ، إنما أخبرنا بفلج مالك لهم ، وإيجابه الحجة لله ، عز وجل ، عليهم ، ورضى بقول مالك خازن النار ، وأخبر به نبيه ، صلى الله عليه ، لعلمه بصدق حجة مالك ، وفلجه لجميع من دخل النار .

وإن قلت : كذب مالك فيما احتج به عليهم ، لزمك أن الله ، عز وجل ، احتج بالباطل فإن الذي قال مالك لأهل النار : ﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (٧٨) ، كان باطلاً ولم يكن الله ، عز وجل ، جاءهم ، ولا لزمهم الله ، عز وجل ، حجة . . . وقائل هذا كافر بالله العظيم ، وخارج من دين الإسلام . فلا بد لك من القول بأحد هذين الوجهين ، وفيه بطلان ما قلت ، وفساد حججك .

فضل أهل العدل ،

ثم نقول لك من بعد هذا أيها المغرور في دينه والجاهل بكتاب ربه ؛ إن القوم الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) ، وهذا كله لم نأت به ، في حججك إلا بالطاقة وحدها ، وقد

(١) سورة الزخرف : الآيات ٧٧ - ٧٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

زدناك أمثالها من المعاني ، التي تحتاج إلى التاويل ، ويبين فيها فضل أهل العدل ، على
٦٠ و / أهل الجبر ، ولو فطنت / لتذكرتها ، لتقوى بها حجتك في الجبر ، والمدل
بالعلم لايبالي من أى طريق قدم السائل عليه .

واعلم أن الذين دعوا بهذا الدعاء ، وسألوا الله ، عز وجل ، هذا السؤال هم
المؤمنون ، ولم يقله ، ولم يدع به الكافرون ، ولو كان الأمر في هذا الدعاء ، على ما
توهمت واعتقدت ، من جهلك وفريتك على الله ، عز وجل ، العادل الذي لا يظلم ،
لكان الأمر على ما ذكرت أنهم سألوه أن لا يظلمهم ، والمؤمنون أعرف بالله ، عز
وجل ، وبعدله وحمكته ، وصدق وعده ووعيده ، من أن يطلبوا منه أن لا يظلمهم ،
ولكنه ، عز وجل ، افترض عليهم الدعاء والتضرع ، وعاب على من لم يتضرع إليه ،
فقال : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٧٦) ﴿ (١) ، وقال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥) ﴿ (٢) ، وقال :
﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (١) ، فافترض
عليهم الدعاء بالغدو والآصال ، دائباً ما عاشوا .

وقال : ﴿ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴾ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا
يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمْنًا رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) رَبَّنَا
وَأَتْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤) ﴿ (١) .

وقد علم المؤمنون أن الله ، عز وجل ، سيصدقهم فيما وعدهم على رسله ، وأنه لا
يخزيهم يوم القيامة ، ولكن الدعاء من الله ، عز وجل ، بمكان ، وهو فريضة لازمة
جهلت معناها ... ومثل هذا في القرآن ما يكثر عدده ، وفيما ذكرنا كفاية .

(١) سورة المؤمنون : الآية ٧٦ .

(٢) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٥ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ٢٠٥ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ - ١٩٤ .

فلما افترض الله ، عز وجل ، على المؤمنين الدعاء ، كان الدعاء من شأنهم ودينهم وشريف مذهبهم ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاضِعْنَا إِن نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ^(١) ، والنسيان : ها هنا هو الترك معتدين ؛ لانه قال فى تصديق ذلك : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(٢) ، والله ، عز وجل ، لا ينسى ولا يؤاخذ بالنسيان ، الذى هو نسيان ، لا العمد .

ثم قالوا : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ^(٣) ، فقد جاء فى التفسير أنهم سألوه ، عز وجل ، أن لا يمتحنهم بغيبة محمد ، صلوات الله عليه وعلى آله ، وكما امتحن بنى إسرائيل بغيبة موسى ، صلوات الله عليه .

ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ^(٤) ، يعنون النار التى لا طاقة لهم بها ، يارب لا تعذبنا بالنار التى لا طاقة لنا عليها .

٦٠ ظ / فإن قال قائل : أو ليس هم مؤمنين ، / والمؤمنون فقد أمنوا من العذاب ١٩ ؟ فما معنى طلبتهم أن لا يعذبوا ١٩ .. قلنا : إنه قد أعلمناك أن الله ، عز وجل ، افترض على الانبياء والمؤمنين الدعاء ، وليس هذا الدعاء جهلاً منهم أن الله ، عز وجل ، يعذبهم بغير جرم ، كما قال عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانه المجهرة ، ثم لا يكون ذلك ظلماً لهم .

حد الظلم :

وكذب عدو الله ، عبد الله بن يزيد البغدادى ، ما نعرف الظلم إلا المؤاخذة على غير جرم ، ولا يفعل الظلم إلا الظالم .

تفسير دعاء الملائكة للمؤمنين :

فَسأَلوه أن لا يعذبهم بالنار ، وهو ما لا طاقة لهم به ، والشاهد لنا على ذلك (الامر) الواضح ، دعاء الملائكة ، عليهم السلام ، لعباد الله المؤمنين ، حيث أثنى الله ، عز وجل ، عليهم بذلك ، وأخبر نبيه ، صلى الله عليه ، فى كتابه بفعل الملائكة ، صلى الله عليهم ، وحسن دعائهم للمؤمنين ، على معرفة الملائكة بعدل الله ، جل

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

ثناؤه ، وأنه لا يخلف الميعاد ، وأنه لا يعذب المؤمنين ، وأنه قد أوجب لهم الجنة ، وحكم لهم بها ، لا شك في ذلك عند الملائكة ، ولا خلف في صدقه ، فقال ، عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) ﴾ (١) .

وقد علمت الملائكة ، صلوات الله عليهم ، أن الله ، عز وجل ، لا يعذب المؤمنين ، ولا من اتبع سبيله ، وأنه يقيهم عذاب الجحيم ، ويدخلهم جنات عدن التي وعدهم ، لا شك فيه عند الملائكة ؛ ولكنهم دعوا لهم ، إذ كان الدعاء عند الله ، عز وجل ، بمنزلة شريفة ، وهو الأمر الحسن المقبول المفترض .

إن أنكر المجبر التأويل في الدعاء أنكرت عليه المشبهة تأويله للعرش :

فإن أنكر عبد الله بن يزيد البغدادي ، وأصحابه ، هذا التأويل أنكرت عليه المشبهة دعواه في العرش ، وقالوا له : قد تسمع إلى قول الله ، عز وجل ، ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ (١) ، وحمل العرش عنده تشبيهه إن كان موحداً ، فإن أنكر التأويل في الدعاء أنكر عليه التأويل في العرش ، والا فما جعله أحق بالتأويل من الناس !

ومن ها هنا أعلمناك أنك لا تقوم بالتوحيد ، لجهلك بالعدل ، فافهم ما لزمك في احتجاجك ، بأن الله ، عز وجل ، يحمل العباد ما لا طاقة لهم به ، في غير ظلم ، زعمت ، فاعرف ما لزمك ، فلا مخرج لك منه بحلية محتمل ، وهذا هو العدل ، لا جبرك الفاحش الذي سميته عدلاً !

دليل آخر على أن الله لا يكلف شيئاً فوق الطاقة :

ومن الحجة لنا عليك قوله ، عز وجل : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

٦١ ظ / عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا / مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴿١﴾ ، فنقول لك : الا تسمع إلى قوله ، سبحانه ، يحكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ١٩٤ وانه صادق فيما وعدهم على رسله ، لا شك عندهم فى ذلك ، وانه لا يخزى المؤمنين يوم القيامة ؛ لانه قال : ﴿ وَهُمْ مِنْ قَرَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (٢) .

وقد سمعوه يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ (٤) .

أفلا ترى ، بعد ما وثقوا بهذه الآيات التى ذكرنا ، أنهم سألوه تمام النور والمغفرة ، بعد اليقين أنه لا عقاب عليهم ، فكل هذا شاهد لنا فى دعاء المؤمنين بانه ، عز وجل ، فرض عليهم الدعاء ، فدعوا وهم واثقون أن الله ، عز وجل ، لا يخلف الميعاد ، ولا يخزى المؤمنين يوم القيامة ؟! وهو الذى يقول ، عز وجل ، ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (٥) .

وهذا كله مثل ما اعتللت به من دعاء المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (٦) ، يعنون : النار .

فإما أن يكون المؤمنون جهلوا العدل ، واعتقدوا الجبر ، كما جهلته ، واعتقدت أن الله ، عز وجل ، يحملُ العبادَ ما لا طاقة لهم به - وهو عندك أنه يعلم منهم أنهم لا يؤمنون ، ثم يامرهم بالإيمان ، ويفرضه عليهم ، وهو لا يريد ، زعمت ، أن يؤمنوا ، فيفسد علمه ، زعمت . . . لأنك أقمت العلم ، مقام الشئ المانع الحائل بينهم ، وبين الدخول فى الإيمان .

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ - ١٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٨٩ .

(٣) سورة الانبياء : الآيتان ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٥) الهامش السابق .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وهذا أعظم كفر قاله ملحدٌ ، وقد مضى في صدر كتابنا هذا ، من الحجج عليك في العلم ، ما لا مخرج لك فيه ، ولا حجة لك تدفعه ، ولا طاقة تفسده ، ولا عذر لك من التوبة ، أنت وأصحابك ، من الفرية على الله ، عز وجل ، بعد سماعه - وفيه الكفاية الكافية الشافية ، والحمد لله رب العالمين .

دليل قرآني على إثبات العدل :

ألا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٧) وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْدُرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴾ (٣٢) وَبَدَأَ لَهُمْ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْدُرِي بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴾ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) وَلَهُ ٦١ ظ / الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ / وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٧) ﴿ (١) .

فنقول لك : والله ، لو لم ينزل الله ، جل ثناؤه ، على نبيه ، صلى الله عليه ، في باب العدل والبراءة من خلق أفعال العباد ، والقضاء بالفساد ، غير هذه الآيات وحدها ؛ لكان فيها من الكفاية والشفاء ، والدلالة على العدل ، وإسقاط الجبر ، وأنه لم يحملهم فوق الطاقة ، ولم يرد منهم الكفر ، ولم يحببه من فعلهم ، ولم يحل بينهم - بعلمه - وبين النجاة ، فإن علمه بكفرهم ، لم يحل بينهم وبين ترك ما علم من اختيارهم ، وأنه يعلم أنهم يقدرُونَ على الخروج من الكفر ، كما علم أنهم يقدرُونَ على أن يختاروا الدخول في الإيمان ، ففي ذلك من الكفاية الشافية ، ما يجزئ كل من له أدنى (٢) لب

(١) سورة المجاثية : الآيات من ٢٧ - ٣٧ .

(٢) في الأصل : أدنا

وتمييز عقل ، أو تفكُّر ، أو يسير من نصفة ، وإن في هذه الآيات لاوضح البرهان ،
وأبين البيان .

ألا تراه ، عز وجل ، كيف ألزمهم فعلهم وتبرأ منه ، وأسندهم إليهم ... والمهمرة
تقولُ هو منه ، وهو إرادته وخلقهُ ، بلا حجة ، ولا كتاب مبين ، إلا التجاهل والإصرار
على العمى^(١) ، فنعوذ بالله من الحيرة في دينه ، والغلط في عدله ، والخروج من
توحيده ، إنه منانٌ كريم .

(١) في الاصل : العما .

الحسنة الحادية عشرة

تري المجبرة أن الله يضل عباده ؟

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ^(١) ، يعنى بذلك ؟

فإنهم يزعمون أن الله لا يريد أن يضل أحداً ، وأن من وصف الله بهذه الصفة ، فقد وصفه بالظلم ، فسألهم عن قول الله ، عز وجل ، فى هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ^(١) ، اليس إنما نقول : إن من أراد الله أن يضلمه ، يجعله كذلك ؟

فإن قالوا : نعم . فقل : (أفليس الله يقول ذلك ، ويصف نفسه بذلك ؟

فإن قالوا : إن الله لا يصف نفسه بهذه) ^(٢) ، فقل : فما يعنى بذلك ؟

فإنهم لن يجدوا حينئذ بداً من أن يقولوا : إن الله قد يريد أن يضل العباد بلا ظلم منه لهم ، وإنما وصف ذلك من نفسه ؛ لانه قد أضل قوماً ، بما علم أنهم يفعلونه ، فذلك العدل . فقد تركوا حينئذ قولهم .

وجوب الاجتهاد وطلب العلم وسؤال العلماء :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما :

وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ^(١) ، وقد أعلمناك أنك لم تلق العلماء ، ولم تعلم تأويل الكتاب ؛ وإنما سمعت جاهلاً فتنك ، فأخذت عنه دينك تقليداً ، بلا تمييز ولا كشف ، ولا سؤال لأهل الذكر الذين أمرك الله ، عز وجل ، أن تسألهم ، فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ، وهو محمد ، صلى الله عليه ، والذي عنى الله ، عز وجل ؛ لانه

(١) سورة الانعام : الآية ١٢٥ ، وكتب مكذافى الأل : ومن يريد الله ...

(٢) زيادة وتكملة من الهامش .

(٣) انظر الهامش السابق (١) .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٣ .

قال : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ ﴾ (١) ، وقد أعلمناك في صدر كتابنا هذا أن الجعل في كتاب الله ، عز وجل ، على وجهين .

١ - أحدهما : جعل حكم وتسمية .

٢ - والآخر : جعل حتم وجبر وقسر ... لا مخرج منه ، وهذا الجعل الذي سألت ٦٢ و / عنه ، جعل حكم وتسمية ، لا جعل حتم ولا جبر ولا قسر ، فإذا لم تلزمهم / حجة ؛ لانه ، عز وجل ، سماهم وحكم عليهم ، بانه جعلهم بفعلهم ضيقة صدورهم حرجة ، ولو أرادوا الحق لاتسعت صدورهم في طلب الهدى ، وقبول القرآن ، ولذلك عنفهم وعاب فعلهم ؛ لانه أخبر عن نفسه ، عز وجل ، أنه يريد بخلقه اليسر ، ولا يريد بهم العسر ، وهذه الإرادة هي إرادة الحكم ، الذي حكم عليهم به ، وسماه من فعلهم ، وشاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ، لَقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُبِّحَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُّدْلَ وَنَخْرَىٰ ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنِ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥) .

وأما قوله ؛ أنا نسال ، فيقال لنا : أليس إنما يريد الله أن يضله ، فهذه الحجة عليك لنا ؛ لانا نحن نقول إن كان تاويل الآية : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا ﴾ (٦) ، بلا سبب كان منه ولا معنى ، ولا جرم تقدم من فعله ، ولا أمر دعا إليه فتركه ، ولا نهى نهى عنه فلم ينته عن فعله ، وإنما أضله الله بلا حجة لزمته به ، فإن كان هذا هكذا ، فالقول قولكم ، ووجب بلا شك أن التاويل للآية : فمن يرد الله أن يضله ، لا محالة يجعل صدره ضيقا حرجا !

ولكنه ينتقض عليكم ، بما ذكره عن نفسه ، عز وجل ، في القرآن المبين ، الذي قال

(١) سورة الطلاق : الآيات ١٠ - ١١ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٥ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٤) سورة غافر : الآية ٣١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٦) سورة الانعام : الآية ١٢٥ .

الله فيه : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ، الا تسمع إلى قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَأَن لِّسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُرُوبِ فِيْ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَا أَمَلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٩) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١٠) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ ^(١١) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١٢) . وفي هذا ما لا نحصى من الحجج ، ولولا طول الكتاب لا وسعنا في شرحه .

أفلا ترى كيف يحتج ، عز وجل ، عن العدل ونفى الجور والظلم ، والابتداء لخلقهم بتضييق الصدور ، وإقصاء القلوب ، والتحميل فوق الطاقة على غير جرم ، وكان الواجب لو كان هذا ، علام يعذب من أراد أن يعذبه بلا جرم اجترمه ، ويدخل الجنة من أراد بلا ٦٢ ظ / عمل عمله / ولا يغنى (إرساله) إليهم الرسل يلبسون الدروع ، ويلقون الرماح ، وخذ السيوف ، ويحصنون المدن ، ويخندقون الخنادق ، ويعقدون الرايات ، ويجمعون العساكر ويسفكون الدماء ، وتُسفك دماؤهم على أمر قد جبر

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٤) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

(٦) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٨) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .

(٩) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(١٠) سورة النساء : الآية ٢٦ .

(١١) سورة النساء : الآية ٢٧ .

(١٢) سورة يونس : الآية ٤٤ .

الخلق عليه، قبل إرسال الرسل، وإيراد المواعظ والكتب، وإن لا، فأي حكمة تسمى هذه الحكمة، والتي ذكرتم، وأي عادل حكيم يسمى هذا الرب العظيم، الذي وصفتموه بالعبث والجور على عباده، والجبر لهم على الأمور التي كرهها، ثم يعذبهم عليها في خلود أبد الأبد ۱۱؟

ويفترض عليهم الفرائض، ثم يحول بينهم وبين أدائها؛ لأن لا يفسد علمه - زعمتم - تعالى الله العدل العلي الحكيم البرئ المتنزه القدوس عما قلتم، وبه دنتم، وإليه دعوتكم، وبه احتججتم، كذب العادلون بالله، وضلوا بعيداً، وخسروا خسراً مبيناً.

نقد المجبرة للمشبهة:

ثم نقول لك: أخبرنا عن الأمر الذي عبته أنت وأصحابك على أهل التشبيه في قولهم، واحتجاجهم في قوله، عز وجل: ﴿ خَلَقْتُ بَيْدَيَّ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٥)، ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(٧)، وقوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(٨)، وقوله: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾^(٩)، وقوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾^(١٠)، وقوله: ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيعِهِ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾^(١١)، وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(١٢)، وما أشبه هذه الآيات في القرآن.

(١) سورة ص: الآية ٧٥.

(٢) سورة طه: الآية ٣٩.

(٣) سورة القمر: الآية ١٤.

(٤) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٥) سورة طه: الآية ٥.

(٦) سورة القلم: الآية ٤٢.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٢٨.

(٨) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٩) سورة غافر: الآية ١٥.

(١٠) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

(١١) سورة النور: الآية ٢٩.

(١٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.

أليس إنما غلطت المشبهة في تأويلها فشبهت الله ، عز وجل ، بخلقه ، وخرجت من توحيده ؟ أليس هذا من قولكم واحتجاجكم على المشبهة ، وأن لذلك عندكم تأويلاً جهلته المشبهة وغلطت فيه ١٩

وكما أخطأت المشبهة أخطأتم :

فإذا قلت : نعم . قلنا لك : فكذلك جهلت وغلطت أنت ، ومن قال بقولك ، في الآيات التي اعتقدت بها الجبر ، والفرية على الله ، عز وجل ، بلا برهان ولا بينة ، فلا فرق بينك وبينهم في ذلك ، إذ جهلت وشبهت - كما شبهوا - ولم يصح توحيدك .

والدليل على صدق قولنا ما قد نقضناه عليك من التوحيد ، فيما جهلت من العدل في غير موضع ، وكله قد جمعه هذا الكتاب ، وكل ما جهلت من العدل في الآيات التي تعلقته بها ، فاعلم يقيناً أنها على مثل ذلك القياس ، الذي تعلقته به المشبهة ؛ لأن العدل حكم واحد ، لا خلل فيه ، كما التوحيد حكم واحد ، لا خلل فيه ، ولا فساد في واحد منهما ، ولا علة ، ولا حجة لمبطل ؛ لانهما أصل دين الله ، ٦٣ و / عز وجل ، الذي / تعبد به الأولين والآخرين ، ولا يصح الإسلام إلا بهما ، ولو أنك تعلقت علينا بحرف واحد ، حتى لا نقدر له على جواب ، ولا نخرج منه بحجة ، لفسد جميع العدل ، ولم يبق حق ؛ ولبطل قوله ، عز وجل : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) ، فالحق حق في نفسه لا باطل فيه ، والباطل باطل في نفسه لا حق فيه ، ولو كان الأمر على ما ذكرت واعتقدت واحتججت به في كتابك ، لكان الحق والباطل ممتزجين ، لا يخلص واحد منها من الآخر ، ولا يبين عدل من جور ، لا حكمة من ظلم ، ولا صواب من عبث ، ولا فساد من صلاح ، ولا حق من باطل ، ولا حسن من قبيح ، ولا محق من مبطل ، ولا نبي من متنبئ ، ولا حكم الرحمن من حكم الشيطان ، ولا هدى من ضلال .

فكل حجة لك هي في معنى واحد ، لا تقتضي (٢) إلا إثبات الجبر والجور ، والظلم والفساد ، والخروج من الحكمة ، وإبطال الربوبية .

(١) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٢) في الأصل : تفصى ، والتصحيح من الهامش

وجوابنا : عندنا إثباتُ العدل بشواهد الكتاب ، وتهذيبُ الحق ونفى الجبر والجور والظلم ، فقد رأينا جوابك إلى آخر كتابك ، بحول الله وعونه .

وليس الجعل ، من الله ، عز وجل ، إلا على ما ذكرنا لك ، من أنه جعل حكم وتسمية ، والجعل الآخر جعلُ جبر وقسر ، لا بد من ذلك ، وإلا لزم كل مدع بطلان الكتاب ، والخروج من العدل والحكمة ، لأنه لا بد لكم ، على قود قولكم ، من تجوير الخالق ، عز وجل ، وتكذيب رسله وكتبه ، وتناقضهما واختلافهما .

وقد قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) ، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل ، وترك قولكم من الجبر ، للفرية على الله ، عز وجل ، والطعن على حكمته ، وشماته اليهود والنصارى بكم ؛ لأنهم لا يقولون بالجبر - كما قلتم .

وأما قولكم : إن الله ، عز وجل ، جعل صدورهم ضيقة حرجة ، وكذلك جميع ما اسندت من الظلم إلى الله ، سبحانه ، إنما يكونُ منه إلى عباده ، زعمت ، بغير ظلم ولا يسمى (٢) ظلماً . قلنا لك : فما حجتك على من قال لك : وكذلك هل يجوز أن يدخل الله النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين والمؤمنين النار . وإن يدخل المشركين والكافرين وجميع الظالمين والعاصين الجنة ، ولا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً ؟!

فإن قلت : إن ذلك شيء لا يجوز ، قلنا لك : من أين قلت بأنه لا يجوز ؟ فإن قلت : لأن الله ، عز وجل ، عدلٌ لا يظلم ولا يجور ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : إنه جائز أن يدخل الله الأنبياء والمؤمنين النار ، ويدخل المشركين والكافرين الجنة . ولا يكون ذلك منه بظلم ، تركت القرآن صراحاً ، وخرجت من حد ٦٣ ظ / من يكلم عند جميع الناس ، وبان جهلك ، وفارقت الإسلام ، وخرجت من قوله ، عز وجل : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٣) ، مع آيات كثيرة ، قد أوجب فيها على نفسه الجنة للمطيعين ، والنار للعاصين .

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) في الأصل : يمسأ .

(٣) سورة الانعام - الآية ١٢ .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾ ^(٣) ، وقد كفاك آخر الآية التي ذكرت في ضيق الصدور وخرجها ، قوله ، عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤) ، فوجب أنه إنما جعل ذلك التضييق والخرج ، حكماً حكم به عليهم ، وتسمية سماهم بها ، لم استحقوا بتركهم لدينه ، وأنهم لم يستعملوا عقولهم ، التي وهبها لهم ، وركبها فيهم ، في طلب الحق والنجاة من النار ، فهذا هو جواب ما سألنا عنه ، والحمد لله رب العالمين .

احتجت المجبرة بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهِرْ قُلُوبَهُمْ ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهِرْ قُلُوبَهُمْ ﴾ ^(٥) ، ما يعنى بذلك ؟

إرادة إبليس أمضى من إرادة الله عند المجبرة !

فإن قالوا : إن الله لم يرد تطهير قلوب بعض العباد ، فذلك العدل قد أقروا به ، وإن وجهوا تأويلها على غير هذا ؛ فسلهم : اليسوا يستطيعون أن يكون منهم ما لم يرد الله أن يكون ؟ فإن قالوا : بلى . فقل أفليس قد يريد الله أن يكون أمر ويريد إبليس أن يكون غيره ، وأرادتهما فيه على وجه واحد ، ليس على وجه جبر ولا قسر ؛ فيكون ما يريد إبليس أن يكون ، ولا يكون ما يريد الله أن يكون ؟

فإن قالوا : نعم . فقل : لم ذلك ؟ أمن عجز من إرادة الله ، وقوة من إرادة

إبليس ؟

(١) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤١ .

فإن قالوا : نعم . . فقل : أفليس قد يريدُ الله أن يكن أمر على وجهه ، ويريد إبليس ألا يكون ذلك الذي أراد الله على وجه ما أراد الله ، وإرادتهما على وجه واحد ، فيكون ما أراد إبليس ولا يكون ما يريد الله أن يكون ؟!

فإن قالوا : نعم . فقل : أليس قد أرادَ الله وأحبَّ أن يكون ما أراد أن يكون ، ولم يرد يحب أن يكون ما أراد إبليس ، فغلبت إرادة إبليس ومحبته إرادة الله ومحبته ، وكانت أقوى منها ؟

فإن قالوا : نعم . فهذا من أعظم الافتراء على الله ؛ لأنهم يسألون عن ذلك ، أليس قوة إبليس أقوى من قوة الله ، فقد يكون بعض خلقه أقوى منه في بعض الأمور ؟! . . ولن يعطوك هذا .

فإن قطعوا به ، ولم يجيبوك فيه ، وقالوا : بل يكون ما أراد الله أن يكون ، ولا يكون ما أراد إبليس أن يكون ، وإرادة الله ومحبته أقوى من إرادة إبليس ومحبته ، فذلك تعالى الله وتبارك ، وما أراد الله أن يكون فسوف يكون ، كما أراد الله ، أن يكون ، لا يعجزه شيء ولا شيء أقوى منه ، ولا مثلُ الله ولا شبيهه ولا ندُّ ، تبارك وتعالى .

رد أحمد بن يحيى :

٦٤ و / الجواب قال الإمام الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما / : سألت عن قول الله ، جل ثناؤه ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(١) ، قلت : ما يعنى بذلك ؟ متعنتاً لنا ، وزارياً علينا .

القرآن جميعه يشهد بالعدل ونفى الظلم والجور عن الله :

فاسمع ما يردُ عليك ، بحول الله وطوله ، من إثبات العدل ، ونفى الجور ، والقول على الله ، جل ثناؤه ، بالحق ، وبالله نستعين وعليه نتوكل .

وأنا نقول لك : اعلم علماً يقيناً ، لا كذب فيه ، أن ليس في جميع القرآن ، من

(١) الهامش السابق

أوله إلى آخره، آية واحدة يثبت بها الجبر، ولا يتعلق أهله منها بشعرة واحدة، وليس من سورة إلا وفيها العدل قائم واضح، شاهد لله، عز وجل، بعدله ونفى الجور عنه . ونحن نسألك ، فنقول لك : إن سالك سائل فقال لك : هل لله ، سبحانه ، حق فيه باطل ، أو باطل فيه حق ؟ ! ..

فإن قلت : لا يجوز ذلك . أجبت بالحق ، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : نعم، لله حق فيه باطل ، وباطل فيه حق، اكذبت القرآن، وكفرت بالرحمن ، وصرت إلى قول عبدة الأوثان ؛ لأنه ، عز وجل ، يقول، وقوله الحق : ﴿ هَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) ﴿ ١ ﴾ ، وهذا أكبر الدليل أن ليس لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، أو باطل فيه حق ؛ وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى .

ثم نقول لك أيضا : خبرنا عن قول الله ، سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٤) ﴿ ٢ ﴾ ، هل أنت مقر بهذه الآية ؟ فلا بد لك من نعم .

فإذا قلت ذلك قلنا لك : فهل صدق الله ، جل ثناؤه ، فى هذه الآية ، أنها كما قال، وأنه يوم القيامة لا يظلم أحدا شيئا ، ولا يجزيهم إلا ما كانوا يعملون ؟ .. فإن قلت : لا . كفرت وإن قلت : نعم . لزمك أن جميع ما عدت وطرقت فى كتابك، وتاولت من الفرية على الله ، عز وجل ، باطل قد كذبت فيه .

إذ قررت أنه لا يظلم ولا يجزى الخلق إلا بما عملوا .. فإن قلت : إنه ما فعل من ظلم لم يكن بظلم .. قلنا لك : فهذا كلام المجانين ، قد احتججنا عليك فى بطلان ذلك ، فى هذا الكتاب، بما لا تدفعه أنت ، ولا غيرك أبداً .

النهى عن اقتطاع بعض الآية والاستشهاد بها . وإن التشابه يرد إلى المحكم :

ثم نقول لك : هذه الآية، التى سالت عنها ، من قوله ، عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ

(١) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٢) سورة يس : الآية ٥٤ .

يُرِدُّ اللَّهُ أَنْ يُظَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴿١﴾ ، هي من وسط كلام ، تركت ما قبله وما بعده ، وما عليك فيه وجوب الحجة ، وثبات العدل ، وفساد دعواك في الجبر والفرية على الله ، عز وجل ، وذلك أن القرآن عربي نزل بلسان العرب ، قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢) ، وقد تكون الآية من المتشابه وغيره ، تُرَدُّ على المسأول (٣) ، وتفسيرها في أول القصة أو في آخرها ، أو في أول السورة أو في آخرها ، ٦٤ ظ / أو يوجد تفسيرها في سورة أخرى ، غير السورة التي هي / فيها ، مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٤) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) ، فخرج جوابها في سورة أخرى ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٦) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (٧) ، ردأ عليهم فيما قالوا على رسول ، صلى الله عليه ، من الجنون ، فنفاه الله ، عز وجل ، عنه ، ومثل قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (٨) ، فخرج جوابها في موضع آخر ، ومثل هذا كثير في القرآن يطول شرحه .

فاما الآية التي سألت عن وسطها ، وتركته ما قبلها ، من قوله الذي يوجب له ، عز وجل ، العدل على عباده ، والبراءة من الجور والظلم ، وخلق أفعال عباده ، وإرادته لكفرهم ، وقضائه الفساد عليهم ، قوله ، عز وجل ، في أول الكلام وبيان حكمته وعدله ، جل ثناؤه : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾ (٩) ، ولم يقل : جزاء بما قضيت عليهما ، ولا قدرت من فعلهما ولا ما أردت من سرقتهما ، ولا ما خلقت من فعلهما .

ثم قال : ﴿ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) ، ي ، عنى بالنكال ، إقامة الحد على من سرق ؛ لأنه عزيز حكيم ، والحكيم فلا يفعل إلا الحكمة والعدل .

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٣) في الأصل : المسؤل .

(٤) سورة الحجر : الآيتان ٦ - ٧ .

(٥) سورة القلم : الآيتان ١ - ٢ .

(٦) سورة النساء : الآية ٣ .

(٧) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

ثم قال : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) ،^(١) فنسب الظلم والإصلاح إليه .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) وزعمت ، أنت وإخوانك المجبرة ، أن من علم الله منه أنه لا يتوب ، أن الله لا يريد منه التوبة ؛ لأن في ذلك ، زعمتم ، فساد علمه ١١ . ولو كان الأمر على ما زعمتم ، ما جاز في الحكمة أن يقول : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) ، كأنكم ما سمعتم هذا القول في كتاب الله قط ، ولا قرأتموه ، ولا فكرتم فيه ساعة واحدة ، حباً للمكابرة وعصبية على الجهل ، وتقليداً للكبراء ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

ثم قال ، عز وجل ، على إثر هذا القول الذي شرحنا من القرآن : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١) ،^(٢) فوالله ما عني^(٣) ، عز وجل ، أنه يغفر لكافر ولا مشرك ماتاً على الإصرار ، ولا لغيرهما من الظالمين ، ممن أصرَّ على الظلم والعدوان ؛ ولا أنه يغفر لمؤمن لم يأت بجميع فرائضه ، وإنما عني بذلك أفعل^(٤) الاستحقاق ؛ لأنه ، عز وجل ، يشاء أن يغفر للمؤمنين ، ويشاء أن يعذب الكافرين والمشركين ، تصديق ذلك قوله ، عز وجل : ٦٥ و / ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢) ، يعني لمن تاب ورجع إلى الحق وأقلع عن الخطايا ، وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (٤١) ، ويقول : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ،^(٥) .

ثم قال مع هذا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (٦) ، فاسمع أنت إلى هذه الصفة ، وهذا العدل من الله ، عز وجل ، أنه عزى نبيه ، صلى الله

(١) سورة المائدة : ٣٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٠ .

(٣) في الأصل : عني .

(٤) في الأصل : افعل .

(٥) سورة النساء : الآية ١١٦ .

(٦) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ ، فيها اصل ، ورحمته .

(٧) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٨) سورة المائدة : الآية ٤١ .

عليه ، ان لا يحزنه مسارعتهم فى الكفر الذى اختاروه ، وأثر فيه الهوى على اتباع الحق ، وأنهم آمنوا بالقول بالأفواه ، لا بالصحة من القلوب واعتقاد الضمائر .

ثم قال ، عز وجل ، ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ (١) .

معانى الفتنة فى القرآن الكريم :

فإن قال قائل : فما هذه الفتنة فى هذا الموضوع ١٩ نحن نجد الله يريد فتنة الناس ، قلنا له : إن الفتنة تصرف فى كتاب الله ، عز وجل ، على عشرة أوجه واضحة فى القرآن ، فمنها عذاب ، ومنها فتنة سيف ، ومنها فتنة محنة .

(١) وهذه الفتنة فى هذه الآية يجوز أن تكون عذاباً . والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (١٣) ، (٢) ، وليس فى الآخرة فتنة إلا العذاب ؛ لان الفتنة عندك فى الحرب ، وليس فى الآخرة حرب ولا إغراء ولا سيف .

(٢) والفتنة أيضاً هى محنة ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، فى موسى ، صلى الله عليه : ﴿ وَفَتَّاكَ فُتُونًا ﴾ (٣) ، وموسى ، صلى الله عليه ، غير مفتون بالفتنة التى ذهبت إليها المجبرة والعوام .

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٤) ، أى ايقن أنا امتحنه ؛ لأن الظن فى مواضع من القرآن يقين ، من ذلك قوله : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ (٥) ، فظنهم فى هذا الموضع يقين جائز فى لغة العرب .

قال الشاعر ، وهو دريد بن الصمة الجشمي (٦) :

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة الذاريات : الآية : ١٣ .

(٣) سورة طه : الآية ٤٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٤ .

(٥) سورة الكهف : الآية ٥٣ .

(٦) هو دريد بن الصمة الجشمي البكري بن هوازن : شجاع ، من الشعراء المعمرين فى الجاهلية ، كان سيد قومه وقائدهم ، غزا أكثر من مائة غزوة ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم ، وقتل يوم حنين سنة ٨ هـ ، انظر : الزركلى : الاعلام ٢ / ٣٢٩ .

فقلتُ لهم: ظُنُّوا بِالْفَى مُقَاتِلِ سَرَابِيلِهِم بِالْفَارِسَى الْمَسْرُودِ^(١) .

يعنى قلتُ لهم: أيقنوا بالفى مقاتلٍ، وكذلك قوله، عز وجل، فى الفتنة : ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) ، أى وهم لا يمتحنون ، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٣) ، أى لقد امتحنا الذين من قبلهم .

ولو كان الله ، عز وجل ، يفتن الخلق على ما ذهبتم إليه ، لم يكن بين فعله وبين فعل ٦٥ ظ / إبليس فرقاً فى الغش للخليفة، والحسد، وإرادة التلف / والخلود فى النار ، سبحانه الله العظيم ، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً .

فهذا هدى .. ثم قال ، عز وجل ، فى إثر هذه الآيات ، التى أوجب فيها على الظالمين الحجة وقطع عذرهم ، والزمهم الخطأ لمعصيتهم ، وبرأ نفسه ، عز وجل ، من ظلمهم وفعلهم ، والزمه إياه ، عبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة ، فقال ، عز وجل : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) ، فيا لك الويل ، هل يكون من الله ، عز وجل ، الخزي والعذاب العظيم على غير جرم ولا ذنب ١٩

وإنما أراد بهذا القول، عز وجل، أنه لم يرد أن يطهر قلوبهم، التى نجسوها ، وأصرأوا على نجاستها، فلم يطهروها بالدخول فى الإيمان، فآخبر ، جل ثناؤه ، أنه لم يرد أن يطهرها، ولا يحكم لها بالتطهير ، وهم^(٥) لم يطهروها ، ولم يحسنوا النظر لها، ولو طهرها ولم يطهروها ؛ لكان ذلك هو نفس الجبر والقسر ، ولم يجب لهم حمد ولا شكر، ولا حسن ثناء ولا أجر ، فهذا معنى^(٦) ما سألت عنه ، فأنعم فيه النظر.

(١) وقد ورد البهت برواية أخرى على هذا النحو :

فقلتُ لهم : ظُنُّوا بِالْفَى مُدَجِّجِ سَرَاتِهِم لَهَا الْفَارِسَى الْمَسْرُودِ .

والبهت من بحر الطويل، ورد بالأصمعيات ١ ص ١ ، وجمهرة أشعار العرب ١ ص ١١٧ ، وفى الأغاني ٩ / ٤ ، وفى مراجع أخرى، كالاضداد لابن الأنبارى ، ص ١٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات ١ - ٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٥) زاد فى الأصل : هم .

(٦) فى الأصل : معنا

والعجب كيف استجرت في ملك الله ، وعظمة سلطانه وعدله ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١) ، أن تغلب ذلك القول كله ، فنسبته إلى الله ، عز وجل ، وقد سمعته يقول : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

فاسمع أول الكلام إلي ما قاد ، وكيف خرج فيه صحة العدل ، وبيان كذبك على الله ، عز وجل ، وفريتك عليه ، ما ليس من دينه ، وهو البرئ من ذلك ، جل ثناؤه ، بل ليت شعري ، فيما استخفوا الخزي في الدنيا ، والعذاب العظيم في الآخرة ، أعلى أمر هو فعله ، أم هم فعلوه بأنفسهم ١٩ ..

فإن كان هو الذي فعله ، فقد صح فيه الجور ، وإن كانوا الذين فعلوه فهذا القرآن يشهد بفعلهم وبراءة الله ، عز وجل ، مما قلت : إنه لا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً عليهم ؛ فليت شعري ، كيف يكون الظلم عندك ، وعند جميع الناس ١١٩ لا ما لا يعقل ، ولا سبيل إلى الوقوف عليه ١٩ .. فسبحان الله العظيم وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

واخبرنا أيضاً عن قولك : إن الله ، عز وجل عما قلت ، أراد من الكفار الكفر ، ولم ٦٦ و / يرد منهم الإيمان . أقولك عندك أصدق ؟ أم قول الله ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ / إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٣) ٩٠ .. فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، في هذه الآية أصدق منك فيما ادعيت ، لزمك أنك قد رجعت إلى قولنا بالعدل ، ولزمك أنك كنت مبطلاً في دعواك : (لا بد من ذلك ، وإن قلت أنك أصدق من الله ، عز وجل ، كفرت عند) (٤) جميع أهل الإسلام ، ووجب عليهم قتلك ، من آخر ساعتك ، لا بد لك من ذلك .

وأما قولك أنا نقول : إنا نستطيع أن يكون منا ما لم يرد الله ، عز وجل ، أن يكون . فإن قلنا : بلى (٥) - زعمت . قلت لنا : أفليس قد يريد الله أن يكون أمر ، ويريد

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٤) زاد في الأصل : عند .

(٥) في الأصل : بلى .

إبليس ، أن يكون غيره، وإرادتهما ، زعمت ، على وجه واحد ، ليس على وجه جبر ولا قسر ، فيكون ما يريد إبليس أن يكون ، ولا يكون ما أراد الله أن يكون ١٢ وقد فهمنا ما أردت كله، واختصرنا عن التطويل فى الكلام الفاسد الذى لا وجه له، فاسمع إلى قولنا، وانعم النظر فيه .

فإننا نقول : إنه قد يكون منا ما لم يرد الله ، عز وجل ، ونستطيع أيضاً أن يكون منا ما أراد الله ، فالذى يريد الله ، عز وجل ، منا الطاعة ، والذى لا يريده منا المعصية ، ولم يجبرنا على واحد منهما جبراً ، ولم يقسرها عليهما قسراً ، ونحن مخيرون غير مجبورين على شرط منه، عز وجل، أن الجنة واجبة للمطيعين ، وأن النار واجبة للعاصين .

وقد يفعل الخلق ، وهو أكثر فعلهم ، ما لا يريد الله ، عز وجل ، من الكفر ، وجميع المعاصي ، يفعلون ما يريد إبليس منهم من جميع الشرك والكفر والمعاصي . وليس ذلك بمدخل على الله ، عز وجل ، عجزاً ولا وهناً ولا ضعفاً ولا نقصاً ولا عيباً ولا غلبة ولا قهراً، على أنه ، عز وجل ، الذى قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢) ، وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَاوَةٍ بَعْضُكُمْ يَبْعُضٍ ﴾ (٤) ، يريد أنه يفترض على المؤمنين جهاد الكافرين .

ومثل هذه الآيات (٦) كثيرة فى القرآن، يخبرنا ، عز وجل ، أنه لو شاء فعل ذلك الذى سمينا قسراً وجبراً ، ولو فعله لم يقم له قائمة، ولم يعجزه شئ، ولم يقو على أمره أمرٌ ، ولم يعانده معاند، ولم يحل دون إرادته حائل، إذ هو، عز وجل ، الذى لو

(١) سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٠٧ .

(٤) سورة هونس : الآية ٩٩ .

(٥) سورة محمد : الآية ٤ .

(٦) فى الاصل . الاثناث .

أراد أن يفنى جميع من تحت أديم السماء، بذرة من هذا الذر ، لاهلكهم كلهم جميعاً، فى أسرع من لمح البصر ، إلا أنه ، عز وجل ، أمر تخييراً ونهى تخييراً ، فلم يطع ٦٦ ظ / كرهاً ولم يعص مغلوباً .

وهذه الآيات إنما دلّ بها على أن نعمل من فعل ظلماً ، وعصى ^(١) الرسل وخالف الكتب ، لم يكن ذلك عن عجز ولا غلبة ، ولا أن مراد إبليس الضعيف الدليل غلب مراد الله القوى العزيز ، ولا أنا قلنا ذلك ولا جهلناه ، كما جهلت الحق .

ولكنه لما كان التخيير، صار إلى إرادة إبليس من جنوده وأوليائه ، من أحبه ومال ميله ، وهم أنتم ومن أشبهكم من العصاة ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل ، أولياؤه وأحباؤه وحزبه المؤمنون ، وهم أهل القول على الله ، عز وجل ، بالعدل والتوحيد ، ونفى الظلم والشبه .

فهذا هو الحجة ، ودليل ذلك وشاهده من كتاب الله ، عز وجل ، ما لا نحصىه من الشواهد لنا ، مثل قوله ، عز وجل ، ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠) ^(١) ، وقوله ، عز وجل ، يحكى عن حجة إبليس على الكفار التى علم الله ، عز وجل ، أنه قد صدق عليهم فيها ، حيث يقول : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٨) ^(٢) وقوله ، عز وجل ، يحكى عن فلج إبليس للكفار ^(٣) ، ويبرىئ الله ، عز وجل ، من فعلهم ، وفعل نفسه .

وعبدالله بن يزيد البغدادى ، وإخوانه المجبرة ، يلزمون الله ، عز وجل ، أفعال المشركين والكفرة المعاندين ، والدهرية الاخسرين ، والزنادقة الكاذبين ، وعباد النور والسنمة المعاندين ، وعباد البددة الأذلين ، وجميع الظالمين والعاصين .

وهذا القرآن أكثر شاهد ، وأعظم حجة ، وأوضح برهان ، حيث يحكى ، عز وجل ،

(١) فى الاصف : وعصا .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٠ .

(٣) سورة الانفال : الآية ٤٨ .

(٤) فى الاصل : لهم للكفار .

عن قول إبليس واحتجاجه عليهم يوم القيامة ^(١) ، حيث يقول : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

أفلا تسمع إلى قوله أنهم هم أشركوا باتباع الهوى ^(٣) ، والإعراض عن الهدى !
ثم نقول لك : أخبرنا هل صدق إبليس فيما حكى الله عنه ^(٤) ، عز وجل ، في هذه الآية على الكفار ، أم كذب عليهم ؟

فإن قلت : صدق إبليس . لزمك أنك لنا ظالم ، ومماحك ^(٥) لنا ، وكفرت بالله العظيم ، وأن كل ما ادعيت قد كذبت فيه ، وبأن جهلك وفريتك على الله ، عز وجل .

٦٧ و / وإن قلت : بل كذب / إبليس ، ولم يصدق فيما حكى ^(٦) الله ، عز وجل ، عنه في هذه الآية ، لزمك أن الله ، تبارك وتعالى ، أخبر عن إبليس ، وعن احتجاجه على أعداء الله ، عز وجل ، بالكذب ، والمحال والباطل ، وأنه أنزل على نبيه ، صلى عليه ، قرآناً لا معنى له ، ولا حجة فيه على أعدائه .

وإن الله ، عز وجل ، قد احتج في هذا الموضوع بحجة باطلة فاسدة ، لا وجه لها ، وكفرت بهذا القول ، وخرجت من الإسلام ، وهذا أقوى وأوضح وأبين عند كل سامع ، من قولك أنا نَعْظُمُ الْفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ ، عز وجل ، ومن تكريرك ، في أن قُوَّةَ إبليس أقوى من قوة الله ، تلزمنا ذلك - زعمت ١١ .

فاسمع ما حل بك من النكال ، في الدنيا قبل ورودك ، وأن محمداً ، صلى الله عليه ، أراد الله ، عز وجل ، من أبى جهل الكفر في قولك ، وأن محمداً ، صلى الله عليه ،

(١) في الأصل : القيمه .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

(٣) في الأصل : الهوا .

(٤) تكررت في الأصل .

(٥) مطبوسة في الأصل : ولم يظهر منها إلا ما قرأناه .

(٦) في الأصل : حكا .

أراد منه الإيمان ١٢.. فأيهما أولى ^(١) أن يكون ولياً لله وصفوته ^(٢) الذى وافق إرادته،
أو الذى خالفها؟

وقوله ، عز وجل ، ينفى عن نفسه ما أسندت إليه المجبرة ، ويعلمنا أنه لم يضل
خلقه ، ولم يرد كفرهم ، وأن إبليس هو الذى أراد منهم ، فإنهم أطعوه باتباع
أهوائهم ، بعد البيان والإعذار والإنذار . فقال ، عز وجل : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي
النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧) ^(٣) ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى
عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٨) ^(٤) ،
فأى ظلم تراه يلزمهم ، إن كان الأمر ، على قولك أن الله ، عز وجل ، أراد أن يكون
بعض الناس ظالمين ، وبعضهم مؤمنين ١٢.. عز الله عن ذلك ومن الرد عليك فيما
احتججت به فى أمر إبليس ، الحجة لنا الواضحة ، فاسمع إلى ما قلنا ، فإننا نردُّ عليك
السؤال الاول .

الإمام أحمد يسأل المجبرة:

فنقول لك : أخبرنا عن محمد رسول الله ، صلى الله عليه ، وما أراد من الكفار
حيث بعث إلى جميع أهل الأرض ، هل أراد منهم الكفر أو الإيمان؟

فإن قلت : أراد منهم الكفر . اكذبك الله ، عز وجل ، فى قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) ^(٥) ، وقوله ، سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨) ^(٦) ، ويلزمك الكفر ، إذ قلت : إن رسول
٦٧ ظ / الله ، صلى الله عليه ، أراد ^(٧) الكفر من الكافرين ، قلت / أراد منهم الإيمان ،
كان ذلك هو الحق ، وهو قولنا وقول المسلمين جميعاً .

(١) فى الأصل : أولا .

(٢) فى الأصل : صفوة .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٦

(٤) سورة الانفال : الآية ٤٨

(٥) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .

(٦) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٧) فى الأصل : رد .

فنقول لك عند ذلك : فاخبرنا ما أراد الله من الكفار ١٩

فإن قلت : أراد منهم الكفر ، لزمك من التكذيب ما يشهد عليك به القرآن ، مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٦) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴿ (٧) ، ثم نقول لك : فما أراد إبليس من الكفار ، هل أراد منهم الكفر ، أم أراد منهم الإيمان ؟.

ماذا أراد إبليس من الكفار؟

فإن قلت : إن إبليس أراد من الكفار الإيمان . أكذبك ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴿ (٧) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦٠) ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) ﴿ (١) ١٩

وهذه الآية ايضا رادة عليك ، ومكذبة لك في قولك : إن الله ، عز وجل عما قلت ، أراد الكفر من الكافرين .

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٦) سورة آل عمران : الآيتان ١٠٢ - ١٠٣ .

(٧) سورة فاطر : الآية ٦ .

(٨) سورة يس : الآية ٦٠ .

(٩) سورة المائدة : الآية ٩١ .

وإن قلت : أراد إبليسُ الكفر من الكافرين . قلنا لك صدقتَ ، ولكن انظر ما يلزمك منه الهلاك والفضيحة الفاضحة ، فإنه يلزمك أن إرادة محمدًا رسول الله صلى الله عليه ، مخالفة لإرادة الله ، سبحانه ؛ لأن محمدًا ، صلوات الله عليه ، أراد من الكفار الإيمان ، والله ، عز وجل ، أراد منهم الكفر ، على قولك ، وكذلك الشيطان أيضا أراد منهم الكفر !!

فأيهما الموافقة لإرادته لإرادة الله ، عز وجل ، أمحمد نبي الله ، صلى الله عليه ، أم إبليس عدو الله ، عليه لعنة الله ۱۹..

فإنه لابد لك أن تقول : إن إرادة إبليس موافقة لإرادة الله ، عز وجل ، وإرادة محمد ، صلى الله عليه ، مخالفة لإرادة الله ، عز وجل . هذا لازم لك ، إلا أن ترجع عن هذا القول ، فتسلجك ، وأنت مقهور مغلوب ، فاختر من سدا ما بدا لك .

واعلم أن الموافق أولى ^(١) أن يكون رسولا لله ، عز وجل ، ووليا وصفيا ، من المخالف لله ، جل ثناؤه ، فإبليسُ أحق بالرسالة ، في قولكم ودينكم واعتقادكم ، من ٦٧ و / محمد بن عبد الله رسول الله ، صلوات الله عليه ، لموافقته لإرادة الله / ، عز وجل ، ومخالفة محمد ، صلى الله عليه ، لإرادة الله ، عز وجل ۱۱.. وهذا القول لازم لك بالحجة الواضحة ، ولكل مجبر على وجه الأرض ، لا مخرج لكم منه ، إلا بالتوبة والرجعة عن هذا البهتان العظيم والجهل الكبير ، وما في حسابي أن حمية الجاهلية التي اعتصم بها أهل الأصنام ، بخارجة من قلوبكم إلى القول بالعدل ، فلا يبعد الله إلا من ظلم !!!

واعلم أن الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة ، إنما يقعان بعد إثبات الحجة ، وإبلاغ الرسل وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، والحمد لله رب العالمين .

هذه الآية من أحكام الآخرة:

وأما الآية التي ذكرناها قبل هذا الموضع ، التي قال فيها ، عز وجل ، :

(١) في الأصل - أولا

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٣) ﴿ (١) .

فتفسير قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٣) ﴿ ، فهذه الآية من أحكام الآخرة ، وليس من أحكام الدنيا ، شاهد ذلك الواضح ، قوله ، عز وجل ، في آخر الآية : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) ﴿ (٢) ، فتراه قال ، عز وجل : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) ﴿ ، أنت وإخوانك المجبرة ، تلزمونه ذنوبهم وخلق أفعالهم ، وإرادة (٣) الكفر منهم ، وأنه لم يرد ، زعمت ، منهم أن يؤمنوا ، فيبطل علمه ، ونسيت ترغيبه لهم في التوبة ، والرجوع إلى الحق ، فهربت من أمر ، ووقعت في أعظم منه .

ولو كنت نظرت في باب العلم ، نظراً شافياً ، لعلمت أن الله ، عز وجل ، ليس لأجل العلم أثاب ولا عقاب ، ولا خلق جنة ونارا ، ولا أرسل الرسل ولا أنزل الكتب ، ولا حذر ولا أنذر ولا أعدل ، ولا عنه سأل ، ولا به أخذ ، ولا أنزل فيه قرآناً ولا حجة مع نبي ، ولا نجد في العلم حجة توجب لك أن العلم حائل بين العباد وبين الطاعة أبداً .

المجبرة ونفى الدهر

أما نفى الدهر ، فاعزل العلم من فريتك على الله ، عز وجل ، ناحية ، فقد اهلكت من أخذ عنك ، وقلدك أمر دينه ، فلا يبعد الله إلا من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) ﴿ (١) .

واسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٦٠) ﴿ (٢) ، هذا - ويحك - قول من أراد منهم ، الكفر / ٦٨ ظ / يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) ﴿ (٣) ، وقدره عليهم ، وخلقهم فيهم من فعلهم !

(١) سورة السجدة : الآية ١٣

(٢) سورة السجدة : الآية ١٤

(٣) في الأصل : أراد

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧

(٥) سورة النساء : الآية ٦٠

سبحانه الله العظيم، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً، ألا ترى كيف تضربون وجه القرآن، وتردون عليه مكابرة للعقول، وتركاً لاستعمال النظر وتدبر القرآن، فالله المستعان.

والدليل على أن الله ، جل ثناؤه ، عدلٌ لا يجورُ على خلقه ، ولا يقضى عليهم بالفساد إقرار المخالفين لنا، أنه، عز وجل، غنيٌّ ، فلما صحَّ أنه غنيٌّ، نظرنا ما سبب جور الجائر ، وما الذي حمّله على الجود، فإذا الجائر لم يحمّله على الجور لا استجلاب منفعة لنفسه ، أو دفع مضرة عنها ، ولولا ذلك لم يجر ولم يظلم، وأن^(١) ذلك الفعل لا يفعله إلا فقير محتاج، غير غني عن فعل ذلك، وإذا الواحد الرحمن، الكبير المتعال، القوى القادر القاهر ، عز وجل ، غني على الحقيقة لا على المجاز ، وهو غني عن عباده، ولا يحتاج إلى شيء من جميع الأشياء كلها، والغنى عن عبادة لا يستجلب لنفسه منفعة ولا يدفع عنها مضرة ، فصح وثبت أن الجور والظلم عنه منفي، إذ لا فاقة ولا حاجة تضطره إلى استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة ، تقدس عن ذلك رب العالمين، الذي لا يأمر بالجور ، ولا يرضى^(٢) به ، ولا يقضى بالفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، ولا يقدر عليهم العبادة للأنداد ، ولا الموالة للأضداد، ولا قتل أهل الرشاد، ولا القول بالإلحاد، ولا ما ادعوا عليه من الصواب والأولاد، قدوس قدوس رب العرش العظيم .

احتج الجبر بقوله تعالى ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه ، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦)^(٣) ، أليس هو فعال لذلك ؟ فإن قالوا : بلى^(٤) . فقل : أفليس قد أراد أن يكون الناس جميعاً مؤمنين؟ .. فإن قالوا : بلى .

فقل لهم : فما لهم لم يكونوا كما أراد أن يكونوا ؟!

فإن قالوا : إنه لم يرد أن يكونوا مؤمنين، إرادة قسر ، وإنما أراد أن يكونوا مؤمنين

(١) في الأصل . إذا

(٢) في الأصل : ولا يضا

(٣) سورة البروج : الآية ١٦

(٤) في الأصل بلا . وكذلك كل حرف رحانه يأتي بعد

على وجه التفويض إليهم ، فقل لهم عند ذلك ، أليس لله إرادتان ومحبتان ، أحدهما لا تكون كما أراد أن تكون ، والأخرى تكون كما أراد وأحب ؟ .

فإن قالوا : بلى . : فقل : أفليس تختلف إرادة الله محبته ؟ .

فإن قالوا : نعم . فقد أعظموا الفرية على الله ، حيث ، زعموا ، أن إرادته ومحبته مختلفة . أحدهما : قاهر ، والأخرى : مقهورة ، واحدة نافذة ، والأخرى ليست نافذة . /
فإن قطعوا بها ، فليس لها وجه إلا ما أراد الله فهو كائن ، ولم يرد الله أن يؤمن الناس ٦٩ و / جميعاً ولا يكفرون جميعاً ، وإن ما أراد الله أن يكون / فهو كائن ، كما أراد أن يكون ، فذلك العدل قد أقروا به .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : سألت عن قولك الله ، سبحانه : ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٦) ، وزعمت أنا إن قلنا : إن لله ، عز وجل ، إرادتين ومحبتين ، لزمنا ، زعمت ، أن له إرادة مقهورة ، والأخرى قاهرة ، وأنا قد أعظمنا على الله ، عز وجل ، الفرية ، أن قلنا : إن إرادته ومحبته مختلفة ، وأن أحدهما نافذة والأخرى غير نافذة ، وقلت : إنه يلزمنا - إن قلنا ذلك - أنا نوجب عليه الضعف والقهر .

إرادة الخلق : إرادة قاهرة نافذة :

وإنما يجب الضعف والقهر على من عجز عن إنفاذ إرادته ، وقهر عن بلوغ أمره ، وحيل بينه وبين مشيئته ومحبته ، وهذه صفة العاجز المقهور ، والضعيف المكثور (٢) ، فاما من أراد الأمر والخلق لما خلق ، والابتداع لما ابتدع ، والإنفاذ لما أمرهم ، عز وجل ، ولم يجعل فيه الخيرة إلى عبيده ، ولا الظلم لأحد من بريته ، فخلق ما أراد وأنفذ ما أحب ، مما تولى (٣) صنعه ، فتلك إرادته التي حتم نفاذها ، وقضى (٤) كونها ، وقهر سلطانه ، فطرتها .

(٢) المغلوب .

(٤) في الاصل : قضى

(١) سورة البروج - الآية ١٦

(٣) في الاصل : تولا

مثل السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والنجوم والرياح ، والسحاب والجبال ، والأشجار والأمطار والأنهار ، والأجسام والأعراض ، وما كان من خلقه الذى لم يشاور فيه أحداً ، ولم يشركه فيه شريك ، ولم يعانده فيه معاند ، ولم يعب كونه على أحد ، ولم يعذب عليه مضاداً ولا عاصياً ، وحتمه حتماً لا حيلة فيه ، فذلك خلقه ، عز وجل ، وإرادته النافذة غير المقهورة ولا مردودة

إرادة الأمر :

وأما الأمر الآخر الذى أراد أن يكون عباده ، بالتخيير منه لهم ، لا بالجبر ولا القسر ولا الحتم ، فهو ما أمرهم به من الطاعات ، واجتناب المحرمات ، التى جاءت بها الرسل ، صلوات الله عليهم ، ونزلت بها الكتب ، من الفروض الواجبة المحتومة عليهم ، وأمرهم أن لا يتعدوا حدوده فى ذلك ، لا جبر ولا قسر ، بل خيرهم فى ذلك تخييراً ، قال لهم ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (٣٢) وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٣٤﴾ ، ولو جبرهم جبراً على الطاعة ، لم يكن لهم حمد ولا أجر ، كما لم يكن للسماوات والأرض حمد ولا أجر ، لما فطرهما عليه من الفطرة ، وكذلك لما وقع التحيير لبني آدم ، وجب الثواب والعقاب .

ولو كان جبر الكفار على الكفر ، ثم عذبهم ، لم يكن بعادل ولا صادق فى قوله : ٦٩ ط / ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) ﴿ ١١ ﴾ ، مع آيات / تكثير وتطول . منها : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدٍ ظَلَمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٦٠٨) ﴿ ١٢ ﴾ ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَصلِحُونَ ﴾ (١١٧) ﴿ ١٣ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤١) ﴿ ١٤ ﴾ ، فهذا قوله ، وخبره الذى لا ينتفض .

وأما الدليل أنه له إرادة نافذة قاهرة لا مرد لها ، فقوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤١) ﴿ ١٥ ﴾ ، بلا فاقة إلى ذلك القول ، ولا حاجة إلى قول : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤١) ﴿ ١٦ ﴾ .

(١) سورة الانفطار الآيات ١٣ - ١٤

(٢) سورة فصلت الآية ٤٦

(٣) سورة النجم الآية ١١

(٤) سورة النجم الآية ١٢

(٥) سورة النجم الآية ١٣

(٦) سورة النجم الآية ١٤

إنما المعنى فيه ، إنه كلما أراد شيئاً ، كان ذلك الشيء ، بلا امتناع ، طرفه عين ؛ لأنه حتم وقسر وجبر ، وليس ثم حاجة ولا افتقار ، إلى قول « كاف ونون » .

إرادة النهى :

وأما الإرادة الأخرى ؛ فهي أنه أراد من العباد الطاعة ، وترك المعصية ، مخبرين غير مجبورين ، ليجب الثواب والعقاب ، بالحكمة الظاهرة ، وإتقان الصنع ، وقوام العدل الذى لا ضلل فيه .

فالدليل على تلك الإرادة ، والشاهد لها قوله ، عز وجل للكفار لما ادعوا الأولاد والصواحب والشركاء والانداد ، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ، فقال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ ^(١) ، وزعمت أنت وأصحابك المجبرة أن الله ، عز وجل ، أراد من الكفار أن يدعوا له الصواحب ، والأولاد والشركاء والانداد ، فقد نسبوا إليه ، عز وجل ، ما لا يعلم ، فيلزمكم أيها المجبرة أن له إرادة لا يعلمها ، ومن كانت له إرادة لا يعلمها ، فهو أجهل الجهال ، وإرادته أحول المحال ، وهذا فابطل مقال ، وأضل ضلالاً ، وكفى بهذه الحجة القاطعة ، لنا عليك ، إن عقلت وعزلت الهوى ؛ لأنه أراد ما لا يعلم ، فى قولكم ، وهذا أحول المحال ، الذى لا محال أوضع منه ، وفى هذه الحجة وحدها ، انقطاعك فى الإرادتين جميعاً ، وبيان غلبتنا لك ، وسقوط حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

إرادة بيان وهدى :

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْإِيمَانِ مِنْكُمْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْإِيمَانِ مِنْكُمْ أَجْرَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ^(٣) ، وذلك الأمر الذى أراده الذين يتبعون الشهوات ، هو إرادة الله أيضاً ، زعمت ، لأنه عندك فى قولك ، خلقها وقدرها وقضاها .

فعند ذلك نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، التى ذكر من التبیین لعباده ، والهداية للسنن الماضية من الحق ، اليس هى إرادة الله ، جل ثناؤه ، ١٢ .. فإن قلت : لا .

(١) سورة الرعد : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النساء : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

٧٠ و / كفرت بالقرآن . وإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل هي إرادة حق وعدل ورشد وصواب . فإن قلت : لا . كفرت . وزعمت أن إرادة الله ، عز وجل ، للبيان لعباده ، والهداية لهم إلى سنن الذين أنعم عليهم من قبلنا ، أنها غير حق ولا رشد ولا عدل ولا هدى^(١) .. قلنا لك : هذا خروجك من الإسلام جملة ..

وإن قلت : إنك لا تقول ذلك ، وأنها إرادة عدل ورشد وهدى^(٢) وصواب . قلنا لك : هذا هو الحق ، وهو قولنا .

ثم نقول لك : فأخبرنا عن إرادة الذين يتبعون الشهوات ، أليس هي عندك أيضاً إرادة الله التي أراد منهم أن يفعلوها ؟ ..

فإن قلت : لا . لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وبأن جهلك ، وأن الله ، عز وجل ، لم يرد منهم أن يتبعوا الشهوات ، وأن يميلوا ميلاً عظيماً ؛ وأن للكفار إرادة هي غير إرادة الله ، وذلك الحق ، وهو قولنا وقول الأنبياء والمرسلين ، وقول الملائكة المقربين .

وبأن خطؤك^(٣) وفريتك على الله ، عز وجل ، وإخوانك المجبرة ، وإن جسرت وأدركتك الحمية على العمى والكفر ، وتقليد الرجال أمر دينك ، فقلت : بل إرادة الذين يتبعون الشهوات ، هي إرادة الله ، أراها الله منهم أن يكونوا متبعين للشهوات . قلنا لك : فأخبرنا عن إرادتهم هذه ، التي أضفتها إلى الله ، عز وجل ، ما هي ، هل هي إرادة رشد وحق وعدل وصواب ؟

فإن قلت : لا .. لزمك أن الله ، عز وجل ، يريد غير الرشد والصواب والعدل ، ورجعت عن قولك ، ولزمك أنك كنت مقيماً على الفرية على الله ، عز وجل .

وإن قلت : إنها إرادة رشد وعدل وحق وصواب . لزمك أن إرادة الكفار المتبعين للشهوات المرادين للميل العظيم ، هي إرادة رشد وحق وعدل وصواب ، ولا فرق بين إرادة الله ، وإرادتهم - على زعمك - في الصواب والرشد والعدل .

(١) في الأصل : هدا

(٢) في الأصل : هدا

(٣) في الأصل : خطاك

ويلزمك أيضاً أن الله ، عز وجل ، عاب عليهم في كتابه إرادة الصواب والرشد والحق والعدل ، وأنه لم يعب عليهم جواراً ولا خطأ ولا ظلماً ، وهذا أعظم كفر قال به كافرٌ ، وأعظم فرية افتراها مشرك ، وفي هذه بيان خطأ ما قلت ، وسقوط قولك ، لو كانت كل إرادة من العباد هي إرادة الله ، عز وجل ، للزمك أن الله ، تبارك وتعالى عن قولك ، حيث قال : ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٦) ، (١) ، أنه أراد الفواحش كلها ، وقتل الأنبياء ، وأئمة الهدى ، وإرادته ، زعمت ، فعله . فيلزمك أنه فاعل الفواحش ، تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

٧٠ ط / وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ / يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) ، (٢) ، يكفيننا عن قول غيره من القول ، لو وَجَدَ عقولاً تقبله !

وقوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) ، فالبغي منهم والاختلاف منهم ، وانت وإخوانك المجبرة ، تقولون أن جميع ذلك من الله ، عز وجل ، خلق وإرادة وقضاء وجبر ، سبحان الله ، جل عن ذلك العزيز الرحيم ، الذي لا يحب الفساد ، ولا يظلم العباد .

احتج الجبر بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ !

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ (٤) ، أخاصة هي لثمود أم عامة للناس ؟

فإن قالوا : إنها خاصة لثمود ، فقل لهم : فأخبروني عمن لم يخصه الله بالهدى ، أيستطيع الهدى ، ولن يخصه الله به ، ولم يعطه إياه ؟

فإن قالوا : نعم . . فقل لهم : (إذا يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه ؟ فإن قالوا : نعم . فقل) (٥) : فهم إذا أقوى من الله حين يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه ؟ وإن لم ينفذوا هذا ، وفروا منه ، وقالوا : إنها للناس جميعاً .

(١) سورة البروج : الآية ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٤) سورة فصلت : الآية ١٧ .

(٥) زيادة من الهامش

فقل : أفليس قد هدى المشركين إلى ما هدى إليه المؤمنين ؟ .. فإن قالوا : نعم ^(١) .
 فقل : قد هداهم الله ، عز وجل ، جميعاً يعنون قد دعاهم جميعاً . فقل : إنا لا
 نسألكم عن هذا ، هذا عدلٌ نحن نقول : إن الله قد دعا ^(٢) الناس جميعاً ، وذلك
 معنى هذه الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ ^(٣) ، يعنى دعوناهم إلى الهدى . ونحن
 نلزمهم أن الله ، سبحانه ، قد خص بالدين قوماً دون قوم ، وأن المؤمنين لم يكونوا
 يشككون فى توحيد الله ولا فى القيامة ، وأن الكفار كانوا شاكين جهلاً ، لقول ، عز
 وجل ، : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) ، وقوله عنهم : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ ^(٥) ،
 وقوله : ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٦) .

جواب أحمد :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن
 قول الله ، سبحانه ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ ، قطعت آخر الكلام
 الذى فيه انقطاع دعواك ، وذلك أنك علمت أنك مغرور ، وأن فى آخر الآية فضيحتك
 وبراءة الله ، عز وجل ، فى فريتك ، وما أسندت إليه والزمته كفر ثمود ، وبراءتهم منه ،
 فإفهم أيها الأعمى القلب ، والمفارق للحق إلى حجة الله ، جل ثناؤه ، على ثمود التى
 أوجبت عليهم الخلود فى النار الكبرى بفعلهم وظلمهم واختيارهم ، واتباع أهوائهم ،
 لا فعله هو ولا تقديره ، عز عن ذلك وتعالى ، فقال يخبر محمداً ، صلى الله عليه ، من
 كفرهم واختيارهم للعمى على الهدى وتركهم للهدى ^(٧) ، عياناً بعد البيان ، والدعاء
 ٧١ و / الذى أقررت به ، فقال ، عز وجل : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ / فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى
 الْهُدَى ﴾ ^(٨) ، أفلا ترى كيف أخبر الله ، عز وجل ، عنهم أنهم استحبوا العمى على
 الهدى ، استحباباً لا كرهاً ولا قسراً !!

(١) فى الأصل : نعم . فقل : وهى زيادة بلا معنى .

(٢) فى الأصل : دعى .

(٣) سورة فصلت : الآية ١٧

(٤) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٦) سورة النجم : الآية ٣٠

(٧) فى الأصل : للنا . . . لهذا ومستكرر كثيراً فى الصفحات التالية .

(٨) سورة فصلت : الآية ١٧

ونحن نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ، هل صدق الله ، جل ثناؤه ، عليهم أنهم استحبوا العمى على الهدى ، أم لا ؟ .. فإن قلت : لا ، لم يصدق عليهم .. كفرت ، وخرجت من الإسلام جملة .

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، قد صدق على ثمود ، أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى واختاروه على الطاعة . لزمك أنك تركت قولك ، ورجعت عن فريتك على الله ، عز وجل ، واحتججت بآية من القرآن ، هى عليك لا لك . مرسل سيف البغى قتل به !!

وأما قولك : هل اهى خاصة فى ثمود ، أم عامة للناس ؟ فإن جميع ما القرآن من العدل يجرى مجرى واحداً ، وعدل الله ، عز وجل ، فيه واحد ، وأن جميع ما دعا الله ، عز وجل ، إليه جميع الكفار واستحبوا فيها العمى على الهدى ، أنه عام لفاعليه كلهم ، وقد يخص الله ، عز وجل ، قوماً بمخاطبة يدخل فيها غيرهم ، مثل قول : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (١) ، يريد بذلك ، جميع الناس كلهم ، وهى من حجتنا فى العدل حيث قال ، جل ثناؤه ، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٢) ، يعنى : وما الذى غرك من الطاعة له ، ولو كان هو الذى غره ، ما سأل عما غره هو به ، رجع الكلام ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ بِصُرَّةٍ مَبْصُورَةٍ فَاظْلَمُوا بِهَا ﴾ (٣) ، ولم يقل فقضيت عليهم الظلم والعقر لها ، بل قال ، عز وجل ، : ﴿ فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ (٢٩) ، ولم يقل : فعقرت ناقتى ، ولا قضيت عليهم عقرها ، ثم ألزمتها قساراً وقومه ، وعذبتهم بالنار فى خلود الأبد على عقرها لها ، وإرادتى لعقرها ، وعنت ثموداً ، وعبت فعلها ، عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً !!

أعطى الله الدين للجميع :

وأنت مخطئ فى سؤالك فى هذا الموضع عن الاختصاص بالدين ، وتريد أن الله ، عز وجل ، خص به بعضاً دون بعض ، وهذا من قولكم وهو مما لا يجوز ، لأن الناس كلهم فى الدعاء إلى الدين سواء ، والإعطاء للطاقة على أخذه ، فهم فيه سواء ،

(١) سورة الانفطار : الآية ٦

(٢) سورة الإسراء : الآية ٥٩

(٣) سورة القمر : الآية ٢٩ .

والتعريف لجميع الدين، فهم فيه سواء، لم يجبرهم عليه جبراً، ولم يفضل بعضهم على بعض، بأنه أعطى بعضاً ديناً وحرمه آخرين، حاش لله من ذلك، عز وجل رب العالمين .

الدين واحد، والدعوة واحدة، والأمر بالدين واحد، وليس الله، عز وجل، يمنع أحداً عن دينه، ولا يحول بينه وبين أخذه، بل لطف بهم فى الدعاء، وسألهم الدخول فى ٧١ ظ / الطاعة بأرفق الرفق، وأحسن الدعاء، وأبين رحمة، وأوجب / حجة، وأكمل عدل، وأبعد ظلم وجبل وهزل .

الا ترى كيف قال لموسى وهارون، صلى الله عليهما، : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ ﴾ (١) .

وأما زعمك أنا نفر من طريقك وحججك، فلعمري الكفر أحقُّ ما فرَّ منه المؤمنون، فاما مسائلك ورد جوابها، فليس مثلنا فرُّ عن مثلك، والحقُّ هو القاهر للباطل .

وأما قولك إنك سالتنا، زعمت، فتقول : أفليس قد هدى الله المشركين لما هدى إليه المؤمنين ؟ فإذا قلنا لك : نعم قلت لنا، زعمت : قد هداهم الله جميعاً، يعنون قد دعاهم جميعاً، وهذا عندك - زعمت - معنى الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ۖ ﴾ (٢)، ثم أمسكت عن آخر الكلام، وهو : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ۖ ﴾، ونحن نقول : إن الهدى من الله، عز وجل، هو الدعاء إلى الدين لا الجبر، ولا القسر ولا الحتم، فانت تجعل الهدى إدخالاً فى الهدى كرهاً وجبراً، وكذلك الكفر تجعله إدخالاً فيه جبراً وقسراً .

الهدى هو الدعاء :

ولم نجد فى كتاب الله، عز وجل، آية واحدة، تشهد لكم فى القرآن بذلك، بل الآيات كلها كاملة، تشهد لنا بأنه، عز وجل، لم يعاقب، ولم يشب، إلا بما فعل الخلق، لا بما فعل هو، جل ثناؤه، والهدى هو الدعاء، وأى هدى أعظم من الدعاء الذى دعا الله، عز وجل، خلقه إليه، فاستحب من استحب منهم العمى على الهدى

(١) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧ .

هو الدعاء، وليس لك فيه حجة، تسقط العدل بوجه من جميع الوجوه ، ثم قلت فى آخر مسالتك : ولكننا إنما نسألكم عن التعريف للهدى : اليس قد عرّف المشركين - زعمت - جميعاً من توحيده ، ورسالة رسله ، ما عرف المؤمنين ؟! ..

فإن قلنا لك : نعم ، قلت لنا : فإن الله يذبُّ قولنا ، زعمت ، بقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ ^(٢) ، وبقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، وبقوله : ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٤) ، واشباه ذلك من كتاب الله ، عز وجل ، والمؤمنين ، زعمت ، لم يكونوا فى شك من ذكر الله ، ولا فى شك من القيامة ، زعمت ، ولا فى مرية من لقاء ربهم ، وأنا لا أنجد ، زعمت ، ها هنا مخرجاً ، ولا حجة ندفع ما قلت ؛ لأن تنزيل القرآن يكذبنا ، زعمت ، وقد كتبت هذه فى أول مسائلك ، زعمت ، فقلت : إنه قد دخل فيها شئ أحببت تفسيره !

فالجواب ؛ قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : ونحن نجيبك ، فنقول لك : ٧٢ و / إن الله ، عز وجل ، قد عرف المشركين جميعاً من توحيده ، ورسالة رسله ، ما عرف المؤمنين ولا يجوز غير ذلك فى عدل الله ، عز وجل ، وإلا لم تلزم المشركين حجة ، ألا ترى كيف قال : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٥) ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَاَلَمَّةٍ لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٦) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ ^(٩) وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ^(١٠) ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ .. ثُمَّ قَالَ .. لِيَقُومَ النَّاسُ

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة ص : الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٤) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

(٦) سورة سبا : الآية ٢٨ .

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٨) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

(٩) سورة الليل : الآيتان ١٢ - ١٣ .

بِالْقِسْطِ ﴿١﴾ ، لم يخص أحداً دون أحد بتعريف ولا هدى ، وقال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٩) ﴿ (٣) .

أفلا ترى أنه أراد أن لا يكون فى جميع الأرض، كلها دين إلا دينه وحده ، ولادين معه تخييراً ، وأنه قد دعا جميع الخلق إلى تعريف ذلك الدين ، شاهد (٤) ذلك قوله ، عز وجل ، يدل على أنهم قد عرفوا الدين كله ، حيث يقول : ﴿ وَجَعَلُوا بِهَا أَسَاقِيقَتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعَلَوًا ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (٣٨) ﴿ (٦) ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٧) ، ثم قال ، عز وجل ، الحجة القاطعة ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٩) ، ثم قال ، عز وجل ، الحجة القاطعة ، التى ليس لأحد بعدها عذر ، وهى قوله ، عز وجل ، : ﴿ لِفَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١٠) ، فإى حجة أقوى من حجة من خص بأمر على صاحبه ، وكلف صاحبه من العمل مثل ما كلف ، فلما قصر خلد فى العذاب المقيم ، وقد عرف صاحبه من التوحيد ، ورسالات الرسل ، زعمت ، ما لم يعرف الآخر ، وكذلك يقضى قائدكم سُدَم ، فى مجلس قضائه ، فإما رب العالمين ، العدل الذى لا يجور ، فليس هذا حكمه ، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(٣) سورة الصف : الآية ٩ .

(٤) فى الأصل : شاهدك .

(٥) سورة النمل : الآية ١٤ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .

(٩) هكذا تكررت فى الأصل .

(١٠) سورة النساء : الآية ١٦٥

يعنر الجبرة المشركين بأن كفرهم كان تجهيلاً من الله لهم به ،

وأما قولك تعتذر على المشركين ، وتحتج لهم على رب العالمين ، وأنه قصدهم بالجهل ، وخص المؤمنين بالعلم والهدى ، مثل ما ذكرت : ﴿ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ ^(١) ، وشك ، ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٢) ، وقولهم : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، وجميع ما دفعت به عنهم ، من الآيات التي جهلت معناها ، والزمت الله ، عز وجل ، كفرهم ، وأنهم لم يؤتوا في كفرهم إلا من قبله ، إذ جهلت تأويل التشابه ، ولم تكن من أهل العلم الراسخين فيه ، فذهبت عن الهدى مذهباً بعيداً .

ثم قلت لمن غررتهم من أصحابك واتباعك ، وأهلكتهم في دينهم ، أنا لم نجد ها ٧٢ ظ / هنا ، مخرجاً ولا حجة ، زعمت ؛ لأن تنزيل القرآن يكذبنا على قولك ، زعمت ! فاسمع الآن ما ياتيك من القرآن ، وغيره من الحجج القواطع ، بحجة الله ، عز وجل ، أما قوله ، عز وجل : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) ، وجميع ما ذكرت من الحجج ، فذلك الذي فعلوه من المرية ، والإعراض عن ذكر الله ، عز وجل ، والشك في لقائه ، وأنه مبلغهم من العلم ، فذلك كله الذي اعتللت به ، إنما اختاروه بعد إبلاغ الرسل لهم ما حُمِلَتْ إليهم ، وبعد تعريف التوحيد والفرائض ، وإرسال الرسل في دعائهم ونصحهم لهم ، وتعليمهم والحرص عليهم والرفق بهم ، فلما صدوا وعتوا ، واختاروا العمى والجهل ، على الهدى والطاعة ، واستعملوا الشك والارتباب والتجاهل بعد البيان ، سماهم الله ، عز وجل ، بما اختاروا من ذلك ، ونسب إليهم ما عملوا ، وقص ذلك عليهم في كتابه ؛ لا أنهم جهلوا الله . عز وجل ، ولا رسله ولا توحيده ولا خلقه لهم ، ولا أنه ربهم ، ولا تبليغ الرسل إليهم .

والشاهد لنا على ذلك ، وإبطال حجتك ، قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ، وقولهم في الأصنام : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ^(٦) ،

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٤) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(٦) سورة الزمر : الآية ٣ .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ (٩) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٣﴾ وَجحدوا بها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ (١٤) ، وقوله ، عز وجل ، : يشهد عليهم بالبصائر : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾ (٣٨) ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۝٤٩﴾ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥٠﴾ (٥٠) ، الا ترى كيف اقرؤا بان الرسل قد جاءتهم بالبينات ، وأكبر البينات تعريف التوحيد والعدل .

أقر الكفار بالرسالة :

الأتري كيف أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ۱۴

فأى شك فى التوحيد والعدل، أو فى القيامة^(٥)، بعد إقرارهم بأن الرسل قد جاءوهم بالبينات، كما قال الله، عز وجل ١٩... كأنك لم تسمع الله، جل ثناؤه، يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ظَلَمُوا وَعَلَوْا﴾^(٧)، وقوله: ﴿اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٨)، وقوله فى فرعون اللعين: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٩)، فإين كانت أذنك عن هذا كله، يا أيها الهالك فى دينه ١١؟

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَا هُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا
۷۳ و / كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ / الْبَصِيرُ ﴿ ٥٦ ﴾ ١٠١ ، وقوله ، عز
وجل ، : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٥٩ ﴾ ١١١ ، وكل ما (٥٠)

- (١) سورة الزخرف : الآية ٩
- (٢) سورة النمل : الآيات ١٣ - ١٤ .
- (٣) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .
- (٤) سورة غافر : الآيات ٤٩ - ٥٠ ،
- (٥) في الأصل : القيمة .
- (٦) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .
- (٧) سورة النمل : الآية ١٤ .
- (٨) سورة فاطر : الآية ٤٣ .
- (٩) سورة القصص : الآية ٣٩
- (١٠) سورة غافر : الآية ٥٦
- (١١) سورة غافر : الآية ٥٩
- (*) في الأصل : وكلما

ذكر الله ، عز وجل ، عنهم من شك أو مرية أو ارتياب أو تجاهل ، فإنما ذلك كله بعد لزوم الحجة لهم ، وإبلاغ الرسل ، ووضوح القرآن ، وقطع عذر جميع من تحت أديم السماء ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨٣) ﴿ ١ ﴾ .

كان للكفار علم ،

أفلا ترى أن الله ، عز وجل ، أخبر أن عندهم علماً ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿ ٢ ﴾ ، وكذلك لم ينفع فرعون إيمانه ، لما رأى بأس الله ، عز وجل ، وقوله ، سبحانه ، : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنَكْشِفَ عَنْكَ الرِّجْزَ لَتُؤْمِنُنَّ لَكَ وَلَتُرْسِلُنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْقُوَّةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ (١٣٥) ﴿ ٣ ﴾ .

اختاروا الكفر ،

أو لاترى أكبر شاهد عليك ، أنهم إنما اختاروا الكفر على الإيمان ، اختياراً لاجبراً ، فلما رأوا بأس الله ، عز وجل ، تركوا ما اختاروا من الشرك ، حين عاينوا العذاب وعرضوا عليه ، وحيث أرادوا الإيمان آمنوا ، كما كفروا حيث أرادوا الكفر ، وهذا (٤) أكبر شاهد ، فى إثبات العدل ، وإبطال الجبر ، وفى هذه الآية التى قبل هذه الآخرة ، لنا عليك ثلاث حجج ، واحدة فى اعتلالك بالعلم ، والآخرى قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، والثالثة قولك أنهم مجبورون على الشرك جبراً .

١- فتراهم حيث أرادوا ورأوا بأس الله ، عز وجل ، فأيقنوا بالعذاب ، كفروا بما كانوا به مشركين ، حيث أرادوا الرجوع عن الشرك . فصح أنه لاجبر كان لهم ١١

٢- والآخرى أنهم كانوا مستطيعين للإيمان ، قبل فعل الإيمان ، لما آمنوا حيث أرادوا .

٣- والحجة الثالثة : قد لزمك أن العلم لم يحملهم على الشرك ، ولا أن قولك : إن

(١) سورة غافر : الآية ٨٣ .

(٢) سورة غافر : الآيتان ٨٤ - ٨٥ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٣٤ .

(٤) فى الاصل : وهذاذا .

الله لا يريد أن يؤمنوا ، فيبطل علمه ، زعمت ، أفلا تراهم قد آمنوا حيث
أردوا ، كما أراد منهم أن يؤمنوا تخييراً لا جبراً ، ولم يحُل العلم بينهم ، وبين
التوبة !

الا تسمع كيف حكى الله ، عز وجل ، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا
۷۳ ط / كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ (١) ، فأى برهان أوضح من هذا البرهان ١١ ..
وأى حجة أقوى من هذه الحجة الدامغة لكل مجبر على وجه الأرض .

لا توبة عند حضور الموت والكشاف العذاب :

ثم قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ (٢) ، وكذلك قال ، عز وجل ، فى إيمان فرعون ،
سواء سواء ، إنه آمن حيث أراد ، وكفر حيث أراد ، ولم ينفعه إيمانه ؛ لأن السنة قد
جرت من الله ، عز وجل ، أنه لا يقبل التوبة عند حضور العذاب ؛ لأنهم كانوا
يستطيعون الإيمان قبل ذلك ، الا ترى كيف قال : ﴿ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ
وَهُمْ مُّالِمُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ (٣) ؛ لأن الاستطاعة موجودة فيهم قبل الفعل ، وإنما تقبل التوبة
والناس فى مهل ، والإيمان لهم ممكن ؛ لأنهم يقدرّون عليه ويستطيعون ، ولذلك لم
يقبله ، عز وجل ، عند حضور العذاب والاخذ بالكظم ، وهذا أكبر دليل ، وأقوى حجة
على أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولذلك لزمتهم الحجة .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ، فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ
الْعَذَابِ الَّتِي هُمْ بِهَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (٤) .

أفلا ترى ، أيها المغبون فى عقله ، أن الصاعقة أخذتهم بكسبهم ، لا بما ذكرت من
أن الله ، عز وجل ، أخذهم بلا كسبهم ، وزعمت ، أنه أراد منهم الكفر ١١

الا تسمعه كيف يقول : ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي هُمْ بِهَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (٥) ؛
ولم يقل بما خلقت من فعلهم ، سبحانه الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم على الله ، عز وجل ، .

(١) سورة غافر : الآية ٨٤

(٢) سورة غافر : الآية ٨٥ .

(٣) سورة القلم : الآية ٤٣ .

(٤) سورة فصلت : الآية ١٧

ومن الحجة عليك ، فى عذرك للمشركين ، أنهم فى مرية وشك ، وأنه لا علم لهم ولا بصيرة عندهم ، واحتججت بقوله ، عز وجل ، ﴿ ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(١) ، فاین نسیت قوله ، عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(١٣) وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا ، وَعَلَوْا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(١٤) ^(٢) .

وزعمت أنا لانجد فى هذا الموضع حجة تدفع بها قولك ، جهلاً منك بكتاب الله ، عز وجل ، وإعجاباً بالخطأ ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢٦) فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٢٨) ^(٣) ، فهل تسمعه ، عز وجل ، يقول كما قلت ، أو ينسب إلى نفسه ما نسبت إليه ، من أنه أراد ذلك منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقه من فعلهم !!!

وزعمت أنهم لا عقول لهم ، ولا بصائر عندهم ، ولا معرفة توجب عليهم حجة ، فأى ظلم أو جور أجور ، من ظلم عَذَّبَ من هذه صفته ، بل عذرتهم والزمته خالقك خطاياهم ؟!

٧٤ و / ألم تسمعه ، عز وجل ، يخبر أنه خَلَّدَهُمْ فى النار / ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٨٢) ^(٤) ، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٥٠) ، ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٧) ^(٦) ، ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٢٨) ^(٧) ، وتبرأ ، عز وجل ، مما ادعيت عليه ، والزمته من خلق أفعالهم ، وقضى الفساد عليهم ، وقوله ، عز وجل : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(٥٣) ^(٨) ، ثم

(١) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النمل : الآيات ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة فصلت : الآيات ٢٦ - ٢٨ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٨٢ .

(٥) سورة النساء : الآية ٦٢ ، وقد اخطأ المؤلف فى ذكرها فاضاف لها : (جزاء ..) حيث توجد هذه المادة فى عدة صور ،

أقربها للمعنى المقصود ما ورد فى سورة آل عمران / ١٨٢ ، وسورة الروم / ٣٠ ، وما أشرنا إليه .

(٦) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٢٨ .

(٨) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

قال ، عز وجل ، : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤ ﴾ (١) ، أفلا ترى ، أيها المغرور ، أن المرية إنما اختاروها لانفسهم !

واتبعوا الأهواء فيها ، مكابرة لعقولهم ، بعد ما تبين لهم الحق ، الذي أعلمك الله ، عز وجل ، (أنه أراهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم ، ولزمتهم فيه الحجة ، وتبين لهم فيه الحق ، ثم اختاروا التعامي) . عن ذلك الحق ، فاحتج عليهم وعلى غيرهم من الظلمين ، أنه لا عذر لأحد بعد البيان وإرسال ، الرسل ، عليهم السلام ، وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝١٨ ﴾ (٢) ، أفلا ترى إنما يمارون بالمشاقة والمكابرة ؛ لا أنهم جبروا على ذلك ، ولا قسروا عليه ١١

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ، أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ، قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ۝٤٨ ﴾ (٣) .

أفلا ترى ، قد كانوا يعلمون بما أوتي موسى ١٩ . . . وزعمت أنت أنه لا علم عندهم وقوله ، عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْتِيَ نَارُ سُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٨٣ ﴾ (٤) . ولنا في هذا الباب من الرد عليك ، من شواهد القرآن ، ما يطول به الكتاب .

وأما ما ذكرت من المؤمنين ، أنهم لم يكونوا في شك من ذكر الله ، جل ثناؤه ، ولا في شك من توحيده ، ولا في شك من القيامة ، ولا في مرية من لقاء ربهم ، فنحن الآن نقول لك : خبرنا عن هؤلاء المؤمنين ، وهل هم مجبرون على ما ذكرت ، لا تخيير لهم ، كما قلت ، أم مخيرون تخييراً ؟

حرية الاختيار مقررة عقلاً ونقلاً :

فإن قلت : إنهم مخيرون تخييراً ، قلنا لك : لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٨ .

(٣) سورة القصص : الآية ٤٨ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨٣ .

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، جبرهم على الإيمان جبراً ، وعلى أنهم لا يشكون في توحيدهم ، ولا في القيامة ، ولا في لقاء ربهم - أعني المؤمنين .

قلنا لك : أخبرنا (متى) جبرهم الله على هذا الذي ذكرت ، أكان ذلك الجبر منه لهم ، وهم مشركون قبل أن يؤمنوا ، أم وهم مؤمنون ؟!

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، جبرهم على الإيمان ، بعد ما كانوا مشركين ، ٧٤ ظ / قلنا لك : فقد أكذبك الله ، عز وجل ، / بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣) ، وقوله : ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (١٠٧) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ، وقوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزِينَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٥) ، فاسمع إلى هذه الآيات في مسالتك عن ثمود خاصة ، كيف جاء لك فيه الجواب القطاع لك في براءة الله ، عز وجل ، من كفرهم ، وإضافته لكفرهم إليهم ، وإلى ما زين لهم الشيطان ، وصددهم عن السبيل ، وكانوا مستبصرين .

فلم يستعملوا تلك البصائر في طاعة الله ، عز وجل .

وانت وإخوانك المجبرة ، تقولون : إن الله ، عز وجل ، هو الذي صددهم عن السبيل ، وأرادهم منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقهم من فعلهم ، فانقهر المفتري على الله منا ، والراد لكتابه صراحاً : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١١) .

ما يلزم المجبرة إن كانوا مجبورين على الإيمان :

ثم يلزمك من بعد ذلك ، أنه لا حمد لهم ولا شكر ، ولا أجر تجب به الجنة ، لو كانوا مكرهين على الإيمان ، وإذا لم يجز في حكمة الحكيم الصادق ، أن يقول :

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٧ .

(٣) سورة المنافقون : الآية ٦ .

(٤) سورة النساء : الآيات ١٦٧ - ١٦٩ .

(٥) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١١١ .

﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) ﴿١﴾ ، ولا يقول : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨) ﴿٢﴾ ، وقال : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٢٤) ﴿٣﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠) ﴿٤﴾ ، وإن قلت : إنه خيرهم من بعد ما هم مؤمنين .

قلنا لك : فقد لزمك أن أصل إيمانهم كان بلا جبر ، وبطلت دعواك .

ثم زعمت أنه جبرهم بعد ما اختاروا هم الإيمان ، زعمت ، وصار فعلهم للإيمان باختيارهم ، لا جبر لهم على الإيمان ؛ ثم جبرهم ، زعمت ، على أن لا يكون منهم شك في توحيدده ، ولا في قيامته ، ولا من لقاء ربهم ، زعمت ، بعد ما لزمك أن إيمانهم كان بلا جبر ولا قسر .

ويلزمك أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وكل مجبور على شيء لا تجب له مكافأة ، ولا يعقل هذا الذي قلت ، في لغة العرب ولا خطابها ، ولا غير ذلك .

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٦٠) ﴿٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٦١) ﴿٦﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ (٦١) ﴿٦﴾ ، وقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) ﴿٧﴾ ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٨) ﴿٨﴾ ، وقوله : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣) ﴿٩﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٩) ﴿٩﴾ ، ولو كان مجبوراً لم يوجد في العقول أن له أجراً ، إلا أن تزعم أنه يجوز في اللغة ، أن باب دارك إذا أغلقتك عليك ، أن له حمداً أو ٧٥ و / شكراً ، وإذا . / فتحتك ، وجب له حمد وشكر ، وأنت المحرك له والفاتح . . . فإن كان - لعمرى - هذا يجوز في لغة العرب ، ولا يذم قائله ، فلا بأس بما قلت ؛ وإن لم يجز عند العرب ، وكان قائله في العقول مذموماً ، لم يجز ما قلت !!

(١) سورة السجدة : الآية ١٧

(٢) سورة الذاريات : الآيتان ١٧ - ١٨ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٣٠ .

(٥) سورة الرحمن : الآيتان ٦٠ - ٦١ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

(٧) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ - ٨ .

(٨) سورة مريم : الآية ٦٣ .

(٩) سورة النساء : الآية ١٠٠ .

وهذا القرآن أكبر شاهد عليك ؛ قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِنَّمَا تُولَٰئُونَ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ (١٨٥) ﴾ (١) ، والآخرة لا تكون إلا للعاملين ولا تجب للمجبروين ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) ﴾ (٣) ، فهل نراه أدخل الجنة أحداً بلا عمل ، أو أدخل النار أحداً بلا عمل ؟ لا .. لا نجد ذلك أبداً .. إلا أن نجد سمكاً في الهواء ، وطيراً في أسفل الماء . فإن وجدت ذلك ، فسوف تجد آية توجب لأحد من بنى آدم الجنة ، أو توجب عليه النار ، بلا عمل عمله ، ولا امر استحققه ، إلا أن يكون طفلاً أو مجنوناً لا عقل له ، أو معذوراً ممن عذره الله في القرآن ، فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، ولوجهدت جهدي ؛ لأن الباطل لجأج ، والحق أهلك ، وكفى (٤) بهذا باهراً وكاسراً عليك .

عرّف الله المشركين توحيده ،

ومن الدليل على أن الله ، عز وجل ، قد عرف المشركين من الدعاء إلى توحيده ، ما عرف المؤمنين ، من إقرار أبي طالب بن عبد المطلب (٥) ، عم النبي ، صلى الله عليه ، بأن الله ، عز وجل ، هو الذى أرسل محمداً ، وأن محمداً رسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وإن الله ربه وخالقه ؛

وَحُصًّا مِنْ لُؤْيِ بْنِ كَعْبٍ	أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ نَبِيٍّ لَزِيًّا
نَبِيًّا كَمُوسَى ، خُطِّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ	أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ	وَأَنْ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةٌ

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٤) فى الاصل : وكفى .

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ، (عبد مناف) ولد سنة ٨٥ ق م ، وناصر النبي وآفقه حتى مات ،

وبلى فى ذلك بلاء حسناً ، ومعتقد الشيعة وأكثر الزيدية انه مات مسلماً ، كاثماً لإسلامه ، سائرأ له ، تقية من

قريش ت ٣ ق هـ .

وَأَنَّ الَّذِي سَوَّدْتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كِرَاعِيَّةُ السَّقْبِ (١)
وهي أبيات اختصرناها .

أفلا ترى إقراره ، بالله ، عز وجل ، وبوحدانيته ، ونبوة نبيه ، وإقراره بموسى ، صلى الله عليهما ، وإقراره بناقة ثمود ، حيث قال : وَأَنَّ الَّذِي سَوَّدْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كِرَاعِيَّةُ السَّقْبِ ، وِرَاعِيَّةُ السَّقْبِ ، هي ناقة ثمود ، يقول لقريش : إِنْ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبُوهُ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، وَعَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فِي قَطِيعَةِ ٧٥ ظ / الأرحام ، سَوْفَ يَكُونُ نَحْسًا عَلَيْهِمْ ، كما كانت الناقة نحساً على ثمود / وله أيضاً:-

والله لا أخذل النبي	ولا يخذله من بنى ذوحسب
حتى تذهب الرؤوسُ عابرة	منا ومنهم ، بالقُطْعِ القُضْبِ
وترجع الخيل بعد شدتها	مردودة نحو وجهة الهرب
نحن وهذا النبي أسرته	تضرب عنه العداة بالشهب
بمرهفات عن هاشم ورثت	بيض خفاف ، وعبد مطلب
إننا إذا رام ضيمة أحد	لم يذق الموت ، ألم العرب
(إن علينا وجعفرأ ثقة	عند شداد الأمور والكرب
لاتخذلا ، وانصرا ابن عمكما	أخى لأمي ، من بينهم وأب)

أفلا ترى إلى هذا الإقرار ، وجودة المعرفة بالله ، عز وجل ، وبرسوله ، وأنه غير منكر لذلك ولا جاهل به ، ولكن منعتة العصبية ، وحمية الجاهلية ، أن يفارق دين الأصنام .

ولقد علمت ماجاء في الأخبار ، حيث سأل النبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أن يؤمن ويضمن له على الله الجنة) (٢) .

(١) تخريج الأبيات : لم أجدها في سيرة ابن هشام ، ولما قاتل الطالبين ، ولا في غيرها من المصادر .

(٢) سيرة أبي طالب وكذلك الحديث في سيرة ابن هشام ، ص ١٠٨ ، وطبقات ابن سعد الجزء الأول ، ص ٤٨ وما بعدها

فقال له : يابن أخى إنى لأعلم أنما قلت حق ، غيرانى أخاف أن تقول نساء قريش :
جزع أبو طالب عند الموت ، والدليل على صدق ذلك ، قوله :

والله لا يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ، ما عليك غضاضة	أبشر وقرْ بذك منك عيوناً
ودعوتنى ، وزعمت أنك ناصح	ولقد صدقت بما زعمت يقينا
وعرضت ديناً علمت بأنه	من خير أديان البرية ديناً
(لولا الملامة أو حذارى سبة	لوجدتني سمحاً بذلك مبينا ،

وقد كان فى قريش ، وغيرها ، من هو على مثل رأى أبى طالب ، كثير غير قليل ،
مثل عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وما روى عنهما من التصديق بالنبي ، صلى الله عليه ، وفى
كتاب المغازى حيث أخبرهما عدأس غلامهما عن النبي ، صلى الله عليه ، ولولا طول
٧٦ و / الكتاب لفسرنا كثيرا من ذلك ، فأبوا طالب قد علم ، وصحَّ عنده / أن محمداً ،
صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، رسولٌ من الله ، لا شك فى ذلك عنده ، وأن الله
الواحد الذى بعثه ، وإلهه الذى خلقه ، ألا ترى إلى قوله فى شأن الصحيفة ، حيث
يقول :

ألا هل أتى أخواننا صنع ربنا	على نأيهم والأمر بالناس أروء /
ألم يأتهم أن الصحيفة مزقت	وكل الذى يرضه الله مفسد /
تداعى ^(١) لها أفك وسحر مجمع	ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد .
تراوحها من ليس فيها بمثبت	فطائرهما فى رأسها يتردد .

فلم يك فى شك من الخالق ، ولا من النبي ، صلى الله عليه ، ولكن منعتة الحمية ،
واتباع الهوى ، بلا جبر ولا قسر ، فلم يرد أن يؤمن ، وهو قد عرف الحق أين هو ، ومع
من هو .

لم يمنع الله أبى طالب من الإيمان ،

فإن قال قائل منكم ، ومن غيركم : إنما امتنع أبو طالب من الإيمان ، لأن الله لم يرد

(١) فى الاصل : تداعا .

أَنْ يُؤْمِنَ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَلَوْ أَرَادَ مِنْهُ الْإِيمَانَ ، لَكَانَ ذَلِكَ يُوجِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَبْطُلَ عِلْمُهُ .

قلنا لكم : فنحن نزيدكم في تأكيد الحجة لكم في ذلك من القرآن ، حتى يعطف عليكم ، بما لا مخرج لكم منه ، بحول الله وقوته ، قال ، عز وجل ، في آية من كتابه نزلت في أبي طالب ، وهي قوله : ﴿ وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ (١) .

أفلا ترى أن فيه الاستطاعة ثابتة قبل الفعل ؟

فنقول لكم : اليس قد أخبر الله ، عز وجل ، عن قول أبي طالب يوم القيامة ، إِذَا وَقَفَ عَلَى النَّارِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ ؟ ... فإذا قلتم : نعم . قلنا لكم : فآخبرونا عن قول رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لعمة أبي طالب عند الموت : يا عم ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاقرَّبَانِي رَسُولُ اللَّهِ ، أَضْمَنْ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ، عز وجل ، الجنةَ عداً فقال : إني أعلم أن الذي قلت كما قلت ، ولكنني أخاف أن تقول نساء قريش جزع أبو طالب عند الموت (٢) .

فنقول لكم : أريتم لو أسلم أبو طالب كما طلب منه النبي ، صلى الله عليه ، هل كان النبي يفى بما ضمن له على الله ، عز وجل ، أم لا يفى له به ؟ ... فإن قلتم : لم يكن ليفى له بما ضمن به . كفرتم بضمان رسول الله ، صلى الله عليه ، وألزمتموه أنه طلب ٧٦ ط / من عمه أمراً لا يجوز له عند الله ، وأن الله يحقر فيه ضمانه / وخرجتم من قوله : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ... ﴾ (٤) . وقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٥) ، وإن قلتم :

(١) سورة الأنعام : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

(٢) الحديث : أخرجه البخاري ٢٦٣/٣ حديث (١٣٦٠) ، ومسلم ٢١٤/١ حديث (٤٢ ، ٣٩) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن سعد في طبقاته ج١ / ١ ق من ٧٧ - ٧٩ ق١ ، وأحمد في مواضع من المسند منها ٢٢٧/١ . وفي سيرة ابن هشام ، ص ٢٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة النور : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ . وفي الاصل ، (ما آتاكم ..) .

نعم ، لو أسلم أبو طالب ، لوئى له رسول الله ، صلى الله عليه ، بذلك الضمان لا شك فيه ولا مرية .

قلنا لكم : فنراكم الآن قد أوجبتم ، ولزمكم أن على الله ، عز وجل ، لا يحول بين أحد من الناس كلهم ، وبين طاعة الله ، بعد ما أنزل الآية ، لم ييسر رسول الله ، صلى الله عليه ، من توبته ورجعته ، لعلمه أنه مخير قادر على التوبة ، غير مجبور على الكفر ، ولا مفسور ولا مخلوق فعله ، ولا مقضى عليه ظلمه ، ولا مقدر عمله ، ولا مراد كفره ، ولا العلم مانع له على الرجوع إلى الحق .

فلما كان الأمر على ما قلنا ، بوضح الحجة والصدق ، الذى لا كذب فيه ، طلب الله (من) ^(١) رسول الله ، صلى الله عليه ، أن ينطق بتوحيد الله ، وأن يعتقده فى قلبه ، ويقر أنه رسول ، صلى الله عليه ، ويضمن له على الله ، عز وجل ، الجنة ، فكره ذلك وأخذته الحمية .

ولو فعله ، فقال به بلسانه ، واعتقده فى قلبه ، لم يعض الله ، عز وجل ، عليه حكم الآية ، لانه قد فتح باب التوبة ، وجعل إليه السبيل وسهل إليه الطريق ، ومكن فيه الاستطاعة ، ولم يحل بين أحد وبين الطاعة بعلم ، ولا غيره من جميع الأشياء ، فهذه من اكبر الحجج عليك ، وأفظعها لمقاتلك ، وفريتك على الله ، جل ثناؤه .

فافهم ما سألتنا عنه من قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَنَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) ، ﴿ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) ، أو لا ترى إلى قول صالح ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (٦٤) ، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (١) ، ويحك فهل تجد الله ، عز وجل ، أخبرك أنه شرك فى أفعالهم فى شئ من جميع ما افتريته عليه ؟ . . . وفى هذا الكفاية .

(١) ليست فى الأصل .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧ .

(٣) سورة هود : الآية ٧٤ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ٧٧ ، ولان القصة تكررت فى اماكن مختلفة ، خلط المؤلف بينها خلطاً شديداً ، فخرجناها على النحو السابق .

وانت تجعل لهم الحجة على الله، جل ثناؤه ، وتخلصهم من العمى الذى اختاروه،
وتضيفه إلى ربك حتى ^(١) يفلجوا، ويبطلوا القرآن : ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) ، فاسمع ما ورد عليك من الحجج، التى لا مخرج لك منها ، والحمد لله
رب العالمين.

(١) فى الأصل : حقا .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

المسألة الثانية عشرة

هل جبر الله خلقه على عبادته ومعصيته ؟

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ،^(١) اليس قد زعمتم أن كل من خلق / لشيء فقد جبر على ذلك ، وأن الله لم يخلق الناس الجنة ولا النار ولا لعبادة ؛ لأن فى قولكم أن كل من خلق لشيء ، فهو مجبور عليه ، وأن الله لم يخلق الجن والإنس لجنة ولا نار ، فاخبرونا عن قول الله ، سبحانه ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ، اليس إنما خلقهم للعبادة ؟!

فإن قالوا : نعم . فقل : فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم الله له ؟! ... فإن قالوا : إنه إنما عنى بهذا ، أى إنما خلقتهم لأن أمرهم بالعبادة . فإن قالوا : كذلك نقول . فقل أفليس : قد يجوز لنا أن نقول : خلّقوا للنار على غير وجه الجبر ؟! ...

فإن قالوا : بلى . فقل : فلم عبتم ذلك علينا ؟! .. وإن قالوا : لا . فقل فكل مخلوق لشيء إذن فهو مجبور ، وقد جبر الله الناس على عبادته ، فعجز عن ذلك ، تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً ، الله أعز وأقهر من أن يريد شيئاً فلا يكون ، أو يجبر شيئاً على شيء فيعجزه .

رد أحمد بن يحيى ،

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، سألت عن قول الله ، سبحانه ، : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ، وقلت : أنا نقول : إن من خلق لشيء فقد جبر عليه . وكفى عليك بهذا الكلام فضيحة ، ونقصاً وثلباً عند أهل العلم ، وما تأتى من الجهل والعمى^(٢) والتخليط ، لا أنت تحسن أن تسأل ، كما يسأل الرجال ، ولا أنت تأتى بقولنا فى العدل على وجهه ، وليس العجب منك ، إنما العجب ممن أطاعك على قولك من الجهال ، واعتقد جهلك وتخليطك فى السؤال ، ولم يميزوا عليك ، وذلك لإعجابهم بك !!

(١) ، (٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) فى الأصل : العما .

فانت وهم، كما قال، عز وجل، في فرعون : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (٩٨) ﴿١﴾، فهل بلغك أن عدلياً يقول: إن الخلق لم يخلقوا لجنة ولا لنار؟! ١١؟

وزعمت أن من قولنا : إن كل من خلق لشيء فقد جبر عليه، فنحن نقول لك الآن، فما قولك أنت؟ .. أكل خلق لشيء فليس هو بمجبور عليه؟ ١٢

فإن قلت : نعم، ليس (كل) من خلق لشيء فهو مجبور عليه، بطلت دعواك كلها، في جميع ما قلت من أن الله، عز وجل، جبر العباد على الكفر والإيمان، وخلقهم وأرادهم، أن يكون بعضهم كافر وبعضهم مؤمن، كذا قلت : إن الله، عز وجل، جبر الكفار جبراً على الكفر، وكذلك فعل بالمؤمنين، جبرهم على الإيمان جبراً... أكتبك الله، عز وجل، في كتابه المنزل، على لسان نبيه المرسل، صلى الله عليه، حيث يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...﴾ ﴿١﴾، ٧٧ ظ / وقوله : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ ﴿٢﴾، وقوله : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٣﴾، وقوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِماً﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٤﴾، أفلا ترى أنهم لا يصح لهم إيمان حتى يصيروا على هذا الشرط ١٢... أفهذا قول من جبرهم على طاعة أو معصية ١١؟

خلق الله العباد مخيرين ، فلا يجبرون على طاعة ولا معصية ؛

وأما قولك لنا : فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم ؟ .. فهذه المسألة (٦) راجعة عليك ؛ لأنك أنت المجبر ونحن العدليون، ونحن نقول لك : أخبرنا عن خلقه لهم للعبادة ، ما بالهم لم يعبدوه كلهم ، وإنما عبده الأقل منهم ؛ لأنه قال : ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ (٨٩) ﴿٧﴾، وقال : ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧) ﴿٨﴾.

(١) سورة هود : الآية ٩٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

(٥) في الأصل : المسئلة .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٩ .

(٧) سورة هود : الآية ١٧ .

فإن قلت : كذلك أردّ منهم وقضى عليهم، أن يكون بعضهم مؤمناً ، وبعضهم كافراً . وهو لعمر الله ، قولك قد احتججت به فى كتابك هذا .

قلنا : فأخبرنا عن قوله ، عز وجل ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ (١) ﴾ أصدق فيه أم لم يصدق ؟ فإن قلت : لم يصدق . كفرت وحل قتلك .

وإن قلت : صدق . قلنا لك : فما بال العباد لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته ؟ ..

فإن قلت : غلبوه وعجز عنهم . كفرت ، وخرجت من دين الإسلام . فلا بد لك بالاضطرار ، وأنت راغم الأنف ، أن تقول : لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته ، لا (٢) من عجز ، ولا من ضعف .

فنقول لك : فأخبرنا ما العلة التى قعدت بهم عن العبادة ، وأخرجتهم عن الطاعة والعبادة التى خلقوا لها ؟! فلا تجد علة تعتل بها ، ولا حجة تجيبنا بها ، ولا وزراً تلجأ إليه ، إلا الإقرار بأنهم مخيرون فى العبادة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين .

وذلك هو الحق ، لا بد لك من ذلك ، أحببت أو كرهت ، لا اضطرار الحجة الخائفة لك ، التى لم توجدك سبيلاً إلى كذب على الله ، عز وجل ، ولا فرية عليه ، فافهم هذه الحجة الدامغة ، لك ولأصحابك المجبرة ، التى غرقت فى بحرها ، فإن مثلك مثل الشاة التى تبحث عن الشفرة لتذبح بها .

ثم نقول لك من بعد هذا : إن الله ، عز وجل ، خلق الجن والإنس والملائكة ، ليعبدوه ، مخيرين لا مجبورين ولا مكرهين ، ولو أراد لجبرهم على العبادة جبراً قسراً وقهراً ، فلا يكون تحت أديم السماء أحدٌ إلا عابد لله ، عز وجل ، وشاهد ذلك قوله لنبيه ، صلى الله عليه ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعاً ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٩) ﴿ (٣) ﴾ .

٧٨ و / فأخبره ، عز وجل ، أنه لو شاء لآمنوا كلهم جميعاً ، جبراً وقسراً وحتماً ، ثم لا يكون لهم حمدٌ ولا أجرٌ ، ولكان فى ذلك الكفاية / عن إرسال الرسل وإنزال

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم النص .

(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

الكتب، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، يعنى أنه لا يقدرُ على إكراه القلوب، وجبرها على الإيمان وغيره إلا الله القوى القادر.

وليس النبى، صلى الله عليه، ولا غيره من جميع الخلق يقدر على إكراه القلوب، وإنما يقدرُ على إكراههم بالسيف كما أمر، حتى يُعَبِّدَ الله، عز وجل، حقاً حقاً، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(١)، يقول: لو أنه أراد أن يجبرهم حتى لا يقدرُوا على الشرك؛ لفعل ذلك. وما كان من نظائر هذا فكله فى معنى^(٢) واحد، يقتضى أنه، عز وجل، لو أراد ما عصاه مخلوق جبراً وقسراً، ولكنه خيّرهم تخييراً، ليعمل كل منهم ما أراد وما اختاره، ولذلك بان العدل والحكمة، واستحق الثواب والعقاب، إذ جعل الأمر بالدين فرضاً افترضه على عباده، تخييراً لا جبراً، وهذا هو الحكمة والعدل.

والدليل على ذلك والشاهد لنا فيه، وقوله، عز وجل: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وقوله، عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(٤)، وكفى بهذا القول حجة شافية لمن عقل وأنصف، ولو لم تكن بينة ولم تلزم حجة، ولم تثبت حكمة، ولم يقم عدل. فهذا جوابُ مسألتك، والحمد لله رب العالمين.

نقد المجبر فى أن الله خلق بعض عباده للنار، على غير وجه الجبر

وأما قولك: إنه يحوز أن نقول: إنهم خلقوا للنار على غير وجه الجبر، فليس هذا قول من له عقل ولا أدنى^(٥) معرفة، يحتاج أن يناظر بها الرجال، ومناظرة الرجال لا تكون بالمحال؛ لأنه ليس فى محال القول حجة ولا فى المسألة^(٦) عنه جواب... وأنه يلزمك، إن جاز عندك أن يخلق الله، عز وجل، خلقاً للنار على غير وجه الجبر،

(١) سورة الانعام: الآية ١٠٧.

(٢) فى الأصل: معنا.

(٣) سورة الانفال: الآية ٤٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٥) فى الأصل: ادنا.

(٦) فى الأصل: المسله.

زعمت ، لزمك ، ووجب على ، قود قولك ، أن يدخل الله ، عز وجل ، (على) ^(١) ذلك
الانبياء والمرسلين (النار) ^(٢) ، على غير وجه الظلم والجبر ، ويدخل المشركين الجنة على
غير وجه الجور والجبر ... ولا فساد في ذلك ولا خروج من حكمة ولا عدل ، وهذا
أعظم ما يكون من العمى ^(٣) والتجاهل والكفر ، والاستخفاف بدين الله ، جل ثناؤه ،
وبكتبه !!

وكذلك يلزمك أن يقول القائل لليل : هذا نهار ، وللنهار : هذا ليل ، وللقائم :
هذا قاعد ، وللقاعد : هذا قائم ، وللنائم : هذا يقظان ، ولليقظان : هذا نائم .
وهذا قول المجانين ، فاما الأصحاء فلا يقولون كما قلت ، وإنما الجأك إلى هذا القول
٧٨ ظ / الاضطراب / وعدم الحجة ، والجهل بمعانى اللغة العربية ، والحمد لله رب
العالمين .

المجبر يرى أن المعصية من الله

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّمَا تُمَلَّى لَهُمْ
لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾ ^(١) ، أليس قد أراد الله أن يملأ لهم ليعصوا ؟ .. أفليس قد أراد الله أن
يملأ لهم ، لتكون المعصية ؟

فإن قالوا : بلى . قل : أفليس قد أراد الله ، عز وجل ، أن يملأ لهم لما هو شر لهم ؛
لأن الإثم شر لهم من الطاعة ، فقد صنع الله بهم ما هو شر لهم ، لأن الإملاء شر لهم ،
لأنهم يزدادون إثماً ؟ ..

فإن قالوا : نعم . فقل فقد أراد الله لبعض العباد أن يكون منهم الشر ، لما علم
منهم ؟ .. فإن قالوا : نعم . فقد تركوا قولهم : إن الله لا يريد بالعباد ما هو شر لهم .
ودخلوا في قولك ، وإن قالوا : إن الإملاء والإثم خير لهم . قل : أفليس المعصية خير

(١) في الأصل : عن .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : المما .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

للعباد ، والمعصية خير لهم من الطاعة ، وثواب المعصية خير لهم من ثواب الطاعة ١٩ ..
وإنما نعننى الذين أملئ الله لهم ، ليزدادوا إثماً .

فإن قالوا : نعم ، إن المعصية خير لهم من الطاعة ، فإن الله ، عز وجل ، يكذب قولهم بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٣) ، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ (٢) ، وأشباه هذا من كتاب الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى : معنى الإملاء :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : سألت عن قول الله ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ (١) ، وقلت : إن الله ، سبحانه ، أملئ (٢) لهم ليزدادوا إثماً ، أرادهم بذلك جبراً وقسراً ، بلا سبب ولا أمر استحقيقه ، هذا قولكم ، وإليه ياول مذهبكم .

وزعمت أن الله ، عز وجل ، أملئ لهم ، لتكون المعصية منهم ، والله ، تبارك وتعالى ، لا يبدأ أحداً من خلقه بظلم ، ولا جور ولا أمر على أمر يدخل به النار ، ولا يريده منهم ولا يقضيه عليهم ، فأين قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٥) ١١ (٦)

وإنما تكون الآية فى القرآن على وجه حكّم الله ، عز وجل ، به على مستحق استحقيقه باختياره لنفسه واتباع هواه ، ولها آيات تفسرها وتدل على معانيها ، والله ، عز وجل ، يقول : ﴿ وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) (٧) ، وأنت وإخوانك المجبرة ، لاتعقلون ذلك ، ولا تهتدون إلى معانى العدل فيه ، فانتم تخوضون ٧٩ و / فى سكرة / وحيرة ، تريدون أن تقوموا بعذر جميع الكفار ، وأن الله ، عز وجل ،

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٣ .. فى الأصل بدون (قل) .. .

(٢) سورة الحج : الآية ٧٢ .. جاءت فى الأصل بدون (قل أفأنبئكم ..)

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٥) فى الأصل : املا .

(٦) سورة الحج : الآية ٦٥ .

(٧) سورة النساء : الآية ٨٢

قال : ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ ﴾ زعمت ، ليزدادوا كفراً به ومعصية له ، وليس الحكيم يريد أن يُعصى ولا يكفر به ، سبحانه الله ما أعظم هذا من القول !

وإنما أملى لهم ، عز وجل ، لكمال الحجة ؛ ولأنه ، تبارك وتعالى ، قد فتح باب التوبة رحمة منه لخلقهم ، وتفضلاً وتعطفاً ، وجعله سبباً للرجوع إلى الطاعة ، فمن أراد أن يتوب تاب لا مكرهاً ولا مجبوراً ، ومن أراد أن يصير على الكفر لا مكرهاً ولا مجبوراً ، صار ذلك الإملاء حجة عليه ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ ، وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (٣٧) ، فسماهم ظالمين ، عز وجل ، وصار ذلك التعمير حجة عليهم ، وذلك الإملاء شراً ، إذ لم يُقلعوا عن المعاصي ، ويسارعوا بالتوبة ، والإنابة والامر ممكن .

في نقد القرامطة ،

ومثل ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٤١) ، وهذه الآية مما يحتج به القرامطة^(١) على الجهال من العوام ، يقولون لهم : إنما عنى بقوله « واستغفر لهم الرسول » ، يعنون بذلك المهدي ، لقوله - زعموا - ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك يا محمد فاستغفروا الله . ثم قال : واستغفر لهم الرسول - يعنون الذي يجي بعدك - وهذا كفر بالله العظيم ، وجهل باللغة العربية .

والحجة عليهم في ذلك قول الله ، سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ بَيْنَهُم بَرْيَجٌ ظَبِيَّةٌ ﴾ (٤١) ، أفلا ترى أنه يخاطبهم بقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ ﴾ ، ثم صار آخر الكلام إلى قوله : ﴿ وَجْرَيْنَ بَيْنَهُم ﴾ ، وهذا ما لا تعقله القرامطة ، ولا تهتدى إلى اللسان العربي فيه ؛ لأن هذا جائز في اللغة العربية ، لغة العرب ، وموجود في مخاطباتها ، يقول الرجل للأمير ، وهو مواجه - : أعز الله الأمير قد فعلت لي كذا وكذا^(٢) ، وإن رأى الأمير أعزه الله أن يفعل لي كذا وكذا ، فهذا جائز في اللغة .

(١) سورة فاطر : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) القرامطة : فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قُرَيْط ، وهم السبيعية أيضاً ، والباطنية ؛ لأنهم قالوا : إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً .

(٤) سورة يونس : الآية ٢٢ .

(٥) في الأصل : كذى وكذى .

قال الشاعر يرثى رجلاً :

يَالْهَيْفَ نَفْسِي صَارَ غُرَّةَ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلثَّرَابِ الْأَعْفَرِ^(١)

الا تراه كيف قال فى اول بيته ، كانه يخاطب رجلاً غائباً ، ثم صار آخر البيت ، وآخر الخطاب ، على رجل مشاهد ، فهذه أكبر حجة .

الإملاء بين الله وإبليس ،

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا ظ ٧٩ / تَبَيَّنَ / لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ (٢٥) ﴿^(٢)﴾ ، اليس هذه الآية فى كتاب الله ، عز وجل ؟ .. فلا بد لك من نعم . فنقول لك : أخبرنا عن إملاء الشيطان لهم ، هو الإملاء الذى أملى^(*) الله بعينه أم لا ؟ .. فإن قلت : نعم ، هو الإملاء الذى أملى الله ، عز وجل ، لهم . قلنا لك : فما الفرق بين إملاء الله ، عز وجل ، وبين إملاء إبليس ؟

فإن قلت : إنه إملاء واحد . لزمك ووجب عليك ، أن الشيطان شريك لله ، عز وجل ، فى فعله بعباده ، وأن فعلهما واحد لا فرق فيه .
وإن قلت : إن إملاء الله ، عز وجل ، شئ على حدة ، وإملاء الشيطان شئ آخر غيره .

قلنا لك : ففسر لنا ذلك ، حتى تفرق لنا بين إملاء الله ، سبحانه ، وبين إملاء الشيطان ؟

فإن قلت : إن إملاء الله ، عز وجل ، إنما هو جبرٌ جبرهم عليه ، وقسرٌ قسرهم على فعله من المعاصى .

لزمك أن القرآن الذى أنزله الله ، سبحانه ، حجة له على خلقه ، ودليلاً على

(١) البيت لأبى كبهير الهذلى ، وروى بصورة أخرى هي : يا وَيْحَ نَفْسِي كان جِدَّةَ خَالِدٍ وَبَهَاضُ وَجْهِكَ لِلثَّرَابِ الْأَعْفَرِ .

— وهو من بحر الكامل . انظر : ديوان الهذليين ، ١٠١ / القسم الثانى ، وأمالى ابن الشجرى ١ / ١٠٢ ، والمصاحبى

لأبن فارس ١٨٣ ، وأمالى المرتضى ٤ / ١٣٩ ، وغيرها .

(٢) سورة محمد - الآية ٢٥ .

(*) فى الأصل : أملا

عدله، باطل محال من قوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧) ﴿ (١) ،
وقوله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفَسَادَ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١٥) ﴿ (١) ، وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدُ ظُلْمًا
لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) ﴿ (٥) ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧) ﴿ (٦) ،
وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ (٧) ، وقوله :
﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢٩) ﴿ (٨) ، وقوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا ﴾ (٣) ﴿ (٩) ، فاسمع أيها المغرور في دينه إلى قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) .

كانت هداية الله للخلق أجمعين ،

فاخبر ، عز وجل ، أنه قد هدى الخلق كلهم جميعاً ، الشاكر منهم والكافر ، وامتن
عليهم بالتعريف والدعاء إلى الحق ، والرسول والبيان والكتب ، فبداهم بالهداية والمنة
العظيمة ، والنعمة الجليلة ، والإحسان والتفضيل ، الذي لا يبلغ له غاية ، وأخبر أنه
هداهم السبيل ولم يجبرهم على المعاصي ، وكفى (٥) بهذه الآية برهاناً وعدلاً ، لو
كان لها من يقبلها ، أو يفعل ما فيها من العدل ، ونفى الجور عند الله ، عز وجل ،
والبراءة له من أنه أراد أن يعلى لهم ، لتكون المعصية منهم ، وليزدادوا كفرأ به ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٢) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٦) سورة هود : الآية ١١٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٥٩ .

(٨) سورة ق : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

(٩) سورة الإنسان : الآيات ١ - ٣ .

(١٠) في الاصل : وكفا .

٨٠ و / زعمت ، واسقطت قوله ، عز وجل : ﴿ لئلا يكون للناس على / الله حجة بعد الرُّسُل ﴾ ^(١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ^(٢) ، قوله : ﴿ وما أصابكم من مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٤) ، ولم يقل من عنده ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ^(٦) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ أَنْتَ وَلَا آتَاكَ اللَّهُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى ﴾ ^(٧) وقوله : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٨) ، مع آيات تكثر وتجل .

فهذا كله يلزمك ، إن قلت : إن الله أملى لهم قسراً وجبراً وعمداً ، لتكون المعصية منهم .

ما يلزم المجبرة إن قالوا ياملاء إبليس لبني آدم ،

وإن قلت : إن إماء الشيطان لهم ، قسر وجبر وإكراه . لزمك أن الشيطان له من المقدرة والقوة والسلطان ، على جبر العباد مثل ما لله ، عز وجل ، وأكذبك الله ، جل ثناؤه ، حيث يقول يحكى عن الشيطان ، واحتجاجه عليهم يوم القيامة ، ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٩) ، ولم يقل : فلا تلوموني ، لوموا ربكم !

وقوله : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ ^(١٠) ، وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١١) .

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٦) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٤ .

(٨) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

(٩) سورة النساء : الآية ٧٦ .

(١٠) سورة الحشر : الآية ١٦ .

فلا تجده في هذه الآية فعل به شيئاً غير القول ، والدعاء على الكفر، قال الله، عز وجل : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧) ، ولم يقل : إنه شريك في ذلك الظلم، ولا بمريد له ، عز عن ذلك رب العالمين .

وإن قلت : إن إملاء الشيطان لهم، إنما هو خديعة واستمالة الدنيا للشهوات ، والترغيب في الفواحش ، والتزيين للمعاصي .

لزمك أنك إن قلت : إن الله ، عز وجل ، يفعل بهم كذلك من الخديعة، واندعاء إلى الشهوات، والترغيب في الفواحش، والتزيين للمعاصي ، إذ ليس بين إضلال الله ، عز وجل ، لخلقه ، وبين إضلال الشيطان فرق، بوجه من الوجوه .

وإن قلت : بل إضلال الله لهم هو الجبر على المعاصي . لزمك من تكذيب القرآن لك ما قد قلنا ، فاختر أي هذه الوجوه شئت، فلا عذر لك ولا راحة ، ولا مخرج في أيها قلت به .

إلا أن تقول : إن إملاء الشيطان لهم، غرور يغرهم به، وخديعة وتزيين . فيلزمك ٨٠ ظ / أنهم اتوا في كفرهم من قبل أنفسهم / ومن قبل الشيطان ، وأنهم لم يؤتوا في ذنوبهم من قبل الله ، عز وجل ، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع الأسباب كلها، وذلك هو الحق ، وهو قولنا بالعدل وهو دين الله، عز وجل ، الذي تعبد به الأولين والآخرين ، وإلا فيلزمك أن الله يفعل بخلقه كفعل الشيطان ، وأن الآيات التي تبرأ فيها من ظلم خلقه ، إنما هي على جهة الظن والاستهزاء ، والهديان والخروج من الحكمة ، وأنها نزلت لغير معنى ، وأن ليس لها جانب من (٥) الصدق ، وأنه أخبرنا في كتابه بغير حق من قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) ، وقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) ، (٣) ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٦) ، (١) ، ومثل هذا كثير في القرآن ، ولا صدق في العدل والقيام بالحكمة ، وإنما تحمل تأويلاً

(١) سورة الحشر: الآية ١٧ .

(٥) مكانها بياض .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٧٦ .

يفسدها ، ويحيلها عن العدل والحكمة ، فإن قال ذلك ، فقد كفر بالله العظيم ،
وخرج من دين الإسلام .

وإن قال : بل هي على الحقيقة والصدق والصحة وواضح البرهان . لزمه أن القول
قولنا ، وأن العدل هو دين الله ، عز وجل ، ودين ملائكته ورسله والمؤمنين أهل طاعته ،
وأن الجبر هو دين الشيطان ، ودين عبدالله بن يزيد البغدادي ومن قال بقوله ، وبأن كذبه
في قوله علينا أن ديننا هو دين الشيطان .

أدلة أخرى في الإملاء

ومن الحجة لنا في الإملاء أيضا قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ
وَالإِنسِ ﴾ ^(١) ، وهذه الآية مما يتعلق به المجبرة على أهل العدل ^(٢) ، وإنما معناها
مثل معنى ^(٣) الإملاء أيضا ، ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، بعد ما أخبر أنه
ذراهم لجهنم ، وَصَفَ لَآئِ عِلَّةٍ صَيَّرَهُمْ ذُرْوًا لِّجَهَنَّمَ ، فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴾ ^(٤) ، يعني ، عز وجل ، أنهم اختاروا ذلك كله ، ولم يستعملوا الجوارح
التي خلقها لهم في طاعته ، ولم يصغوا بها إلى كتبه ورسله ، فاستحقوا بذلك أنه
صيرهم في حكمه وعدله ذُرْوًا لِّجَهَنَّمَ ؛ لا أنه صيرهم ذُرْوًا لِّجَهَنَّمَ ، لا جبراً ولا قسراً
ولا احتماً ، على غير جرم ولا ذنب ، ولا على غير استحقاق لزمهم به الخلود في النار ،
عز عن ذلك ، وإنما أخبر الله ، عز وجل ، بصيور أمرهم إلى ما يؤول ، وذلك جائز في لغة
العرب ، أن تخبر الرجل بما يعلم أن إليه يصير الأمر ، الذي قد عرفه ، وإيقن به أنه
سوف يكون ،

و٨١ / قال الشاعر في نحو ذلك :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(١) سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) انظر الهادي إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ / ٢٣٠ .

(٣) في الأصل : معنا .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

وليس جمعه للأموال ، ولا بناؤه للدور ، كان على عهد منه وقصد أن يجعله للورثة، وربما كان الورثة أبغض الخلق إليه ، وإنما أخبر بما ^(١) علم أن المصير إليه ، من جمع المال وعمارة الديار، إذ لا يبقى على الأرض مطيع ولا عاص ، فأخبر عن علمه بما تصير إليه الأمور ، وكذلك أخبر الله، عز وجل، عن هؤلاء أنهم سيصيرون ذُرَّوًّا لجهنم، بما قدموا واستحقوا.

قال الشاعر :

وللموت تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبني المساكن ^(٢)

والوالدات ليس يغذيّن سخالها للموت لا محالة ، ولا للخراب تبني المساكن ، قصداً لذلك من الغاذين للأولاد ، ولا العامرين للديار ، وإنما أخبر بعلمه إلى (ما) ^(٣) يصير إليه ذلك كله، فجاز هذا في اللغة العربية .

جهل المجبرة باللغة العربية :

وإنما وقع أكثر الجبر في هذه المجبرة، لجهلهم تصاريف اللغة العربية ، وعميق بحارها وشرف قدرها ، فلما لم يعلموا حقائق اللغة العربية ، قالوا بالجبر ، وألحدوا في صفة الله ، جل ثناؤه، وفارقوا أهل الحق ، وتركوا القول بالعدل ، فتوارث ذلك عن قوم، وقلدوا فيه الكبراء ، وصار عندهم ديناً يدان به، ومن خالفه عندهم، فقد كفر وفارق السنة والجماعة !.. فعلى هذا كان العمل في الأوائل ، والله المستعان. وإياه نسأل أن يعز دينه، وينتصر لكتابه، إنه قوى عزيز .

وقوله ، عز وجل، : ﴿ فَالتَّقْطُةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، أفترى أن آل فرعون التقطوا موسى، ليكون لهم عدوًّا وحزنًا؟ .. معاذ الله، ما كان ذلك، ولا التقطوه إلا ليكون لهم ولياً وعضداً، وولداً ، فأخبر الله ، عز وجل، عن آخر أمره لهم

(١) بهاض في الأصل .

(٢) انظر ابن هشام : المغنى اللبيب، ج١، ١٤/٢١٤ شاهد رقم (٣٥٥)، وهو لجرير بن عطية.

(٣) زيادة ليست في الأصل .

(٤) سورة القصص : آية ٨ .

ما يكون ، وأنه يصيرُ لهم عدواً وحزناً ، مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾^(١) ، لعلمه بآخر أمرهم إلى ما يؤل ، فأخبر ، عز وجل ، عن العاقبة ، وعلى أن التقديم والتأخير جائز في القراءة ، في مواضع كثيرة ، والحمد لله رب العالمين .

ومن الحجة لنا عليك في نص الإملاء ، الذي ادعيت فيه الجبر ، ماجاء التفسير في قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ لَيْزَادًا وَإِنَّمَا ﴾^(٢) ، إنما نعني بذلك : إنما نعلم لهم لئن لايزدادوا وإنما ، وهذا من عجائب اللغة العربية وغامضها^(٣) ١

وشاهد ذلك عن أهل التأويل والعلم والمعرفة ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ ۝ ٨١ / الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ويريدُ بذلك / ليعلم أهل الكتاب ، أن لا يقدرُونَ على شئ من فضل الله ، فأدخل (لا) في هذا الموضع صلة للكلام ؛ لأن العرب تفعل ذلك في كلامها ، وتدخل (لا) لغير حاجة إليها .

قال الشَّمَاخُ بن ضرار التغلبي^(٥) :

أَعَائِشُ مَا لِأَهْلِكَ لَا أَرَاهُمْ يُضِيعُونَ السَّوَامَ مَعَ الْمُضِيعِ^(٦)

فقوله : « لا أراهم » ، ها هنا ، زائدة ، والمعنى فيه « أعائشُ ما لاهلك أراهم يضيعون السوام مع المضيع » ، فأدخل (لا) صلة للكلام ، فافهم هذا الباب .

(١) سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٣) انظر الهادي إلى الحق : الرد والاحتجاج على الحسين بن محمد بن الحنفية ، ٢ / ٢٤٤ .

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٩ .

(٥) الشَّمَاخُ بن ضرار بن سنان المازني الذهباني الغطفاني : شاعر محضرم أدرك الماهلية والإسلام . وهو من طبقة لبيد والنابغة . كان شديد الحفظ لمتون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقاً . وكان أرجز الناس على البدعة . جمع بعض شعره في ديوان مطبوع ، (وحققه بعد ذلك د / صلاح الدين الهادي كرسالة جامعية حصل بها على درجة الماجستير من دار العلوم) وشهد القادسية ، وتوفي في غزوة موخان سنة ٢٢٢ هـ (انظر ترجمته في الزركلي : الأعلام ، ٢ / ١٧٥) .

(٦) البيت في أمالي أبي علي القالي ١ / ١٠٥ ، وللسان في مادة (ضيع) . وابن فتيبة في المعاني الكبير ١ / ٤٢٩ ، وتهذيب الألفاظ للتبريزي ، ص ٦٧ ، وأمالي ابن السجري ، وقد روى في الديوان :

أَعَائِشُ مَا لِأَهْلِكَ لَا أَرَاهُمْ يُضِيعُونَ الْهَجَانَ مَعَ الْمُضِيعِ وهو من بحر الوافر

وهذه اللغة العربية التي نزل القرآن بلسان أهلها ، وقال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ^(١) ، ولكن ^(٢) لا معرفة عند المجبرة باللغة العربية ، ولذلك اعتقدوا الجبر ديناً ١١

* ومن الحجة أيضاً ، فيما قلنا فى هذا الباب قول الله ، عز وجل ، : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٣) ، والمعنى ^(٤) فيه : غير المغضوب عليهم والضالين ، فدخلت (لا) صلة للكلام ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قُرْآنًا آمَنَّا فَتَفْعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ ﴾ ^(٥) ، يريد بذلك : وقوم يونس ، فأدخل (لا) صلة للكلام مثل الأول .

قال الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان ^(٦)

فجعل (لا) بدلاً من الواو ، والمعنى فيه : وكل أخ مفارقة أخوه ، لعمر أبيك ، والفرقدان أيضاً يفترقان ؛ لأنه لا بد من فراق الفرقدين ، ولو كان الشاعر عنى ^(٧) أن كل أخ يفارق أخاه إلا الفرقدان ، أى أنها لا يفترقان ، لاوجب ذلك أن الدنيا لا تزول أبداً ، وصار إلى قول الدهرية ^(٨) ، وأن الفرقدين لا يفترقان أبداً ، فيكون هذا

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) فى الأصل : لاكن .

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٧ .

(٤) فى الأصل : والمعنا .

(٥) سورة يونس : الآية ٩٨ .

(٦) تخريج البيت : ذكره ابن هشام فى شواهد ، ١ / ٧٢ .

(٧) فى الأصل : عنا .

(٨) الدهرية ، والزروانية أيضاً ، نسبة إلى الدهر ، أو الزرقان أو الزروان بالفارسية ، وهو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك ، والدهرية طائفة من الأقدمين يحددون المصانع المدبر العالم القادر ، ويرغمون أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بمصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً ، وهؤلاء هم الزنادقة (الغزالي : المنقذ من الضلال) والدهرية ينكرون الخالق والنبوة والبعث والحساب ، ويردون كل شئ إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون الخير ولا الشر ، وإنما الذة والمنفعة (الجماحظ : الحيوان) ، والطبيعيون الدهريون بخلاف فلاسفة الدهر ، والأولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول ، بينما يقول الآخرون بالمحسوس والمعقول معاً ، وينكرون الحدود والاحكام ، وصارت الدهرية ديناً صريحاً فى عهد يزيد جرد الثاني فى الدولة الساسانية ، (من ٣٤٨ - ٤٥٧ م) وفى القرآن ، فيقول : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية الآية ٢٣ .

انظر (الشهرستاني : الملل والنحل ٢ / ٤٦٢ ، ٤٧٩ ، والرازي : الاعتقادات ، ص ١٤٥ ، والاسفراينى : التبصير فى الدين ، ص ١٤٩ ، وانظر أيضاً د / عبد المنعم الحفنى : الموسوعة الفلسفية ، ص ١٨٣ .

كفراً من قائله ، وجحوداً للوحدانية ، ومجئ الآخرة ، وقيام الساعة ، فادخل
(لا) صلة للكلام ، وهو لا يريد بها ، إلا لقوام اللغة العربية ، وما فيها من
العجائب .

وقوله ، عز وجل ، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾^(١) ، فيقول القائل : هذا
يوجب أن تميد بهم ، فيقال : إنما المعنى فيه ، وجعل فيها رواسي أن لا تميد بكم ،
كقوله ﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾^(٢) ، يريد « بين الله لكم أن لا تضلوا » ، فاسقط (لا) من
٨٢ و / الكلام ، قال عمرو بن كلثوم :^(٣)

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتُمونا^(٤)

فطرح (لا) شعر من الكلام ، وإياها أراد ؛ لأن المعنى فيه : أن لا تشتُمونا .
وقال آخر :

ونركبُ خيلاً لا هوادةَ بينها وتسعى الرماحُ بالضياطرة الحمير^(٥)

والضياطرة رجال ، والرماح لا تسعى بالرجال ، إنما الرجال تسعى بالرماح ، فجاز
هذا في اللغة العربية .

(١) سورة الأنبياء : الآية ٣١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٦ .

(٣) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الأسود : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى ، ولد في شمال
جزيرة العرب في بلاد ربيعة ، وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد . وكان من أعزّ الناس نفساً ، وهو من الفتاك
الشجعان . ساد قومه (تغلب) ، وهو فتى وعمر طويلاً . وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند ، أشهر شعره معلقته
التي مطلعها : ألا هبى بصحتك فاصبحينا ... يقال : إنها كانت في نحو ألف بيت ، وبقي منها ما حفظه الرواة ...
مات في جزيرة الفراتية (سنة ٤٠ قبل الهجرة / ٥٨٤ م) . انظر ترجمته في الزركلي : الاعلام ٥ / ٨٤ .

(٤) البيت من معلقته الشهيرة ، وجاء في الديوان البيت على النحو التالي :

نزلتم منزل الأضياف منا فاعجلنا القرى ، أن تشتُمونا

انظر موسوعة الشعر العربي : لمطالع صفدي ، وإيلي حاوي ، ص ٤٢٨ ، وكذا ديوانه ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي ،
ص ١٤٦

(٥) البيت بجمهرة أشعار العرب ، في قصيدة لخداش بن زهير ، ص ١٠٨ ، وروايته هكذا : ونركب خيلاً .. ونعصى ،
وفي لسان العرب ٦ / ١٦٠ ، وروى هكذا .. وتشقى الرماح والضيطر : للقيم الضم ، ونعصى بالرمح ، أى نضرب به
ونطعن ، وهو من بحر الطويل ، والبيت في الاضداد لابن الأنباري أيضاً ، ص ٨٥ ، وترجمة خداش ، في طبقات فحول
الشعراء ، ١١٩ ، والشعر والشعراء ، ص ٢٤٦ .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ﴾ ^(١) ، يريد بذلك : « وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مساكين » ؛ لانه لا يجوز أن تكون الفدية على من يطيق الصيام ، فيما يفتدى إذا كان مطيقاً ؟! فطرح (لا) من الكلام ، وإياها أراد .

وقوله ، عز وجل : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ^(٢) ، يريد أن العصبة أولى القوة لتنوء بمفتاحه ، وهذا جائز فى لغة العرب .
قال الشاعر :

حتى لحقنا بهم تعدوا فوراً سناً كأنبار عرقف ترفع الآلا
والآل هو السراب عند العرب ، والسهاب هو النق يرفع القف ، فقلب الشاعر المعنى ؛ لأن السراب هو الذى يرفع الأشياء ، وليست الأشياء التى ترفعه .
ومن الشواهد فى لغة العرب ، قول أبى طالب بن عبدالمطلب يرثى جده حيث يقول :
جدى الذى حجت قريش قبره أيام مات ، فما تريد زىالا
وله تحالفت القبائل كلها جزعاً عليه ، يلبسون نعالا
يريد « لا يلبسون نعالا » ، فاسقط (لا) ، فعلى هذا يخرج المعنى فى الآية التى اعتللت بها ؛ والمعنى فيها : « إنما غلى لهم ؛ لأن لا يزدادوا إثماً ، وأن يرجعوا إلى التوبة والطاعة » .

والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٣) ؛ وقوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ ^(٤) ؛ وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٥) ٥٦ ^(٦) ، ولم يخبر أنه أُملى ^(٦) لهم ليعصوه ويكفروا به ، عامداً ذلك بهم بغير استحقاق ، جل الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٤ فى الاصل « مساكين » .

(٢) سورة القصص : الآية ٧٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٤) سورة النساء : الآية ٧٩ .

(٥) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٦) فى الاصل : املا

ولو عبده كلهم لادخلهم الجنة ، والدليل على رحمته بهم ، ورافقته بهم ، وإحسانه إليهم ، وإرادته أن يدخلهم الجنة تخييراً لا جبراً ، انه فتح عليهم / باب التوبة ، وجعل إليه السبيل ، وأمر به ، وحض عليه ، وحرصهم على الطاعة ، وحثهم على الهدى ، ورغبهم فى الجنة ، وحذرهم من النار غاية التحذير .

وقال فى كتابه ، عز وجل ، : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ^(٣) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ^(٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ^(٥) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ^(٦) ، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٨) .

فأى عبث أعظم من عبث من أملى لعبيده عمداً ليعصوه ، ويخالفوا مراده ويكفروا به ويحاربوه ، ويقتلوا رسله ، وأئمة الهدى من خلقه ، والمؤمنين من عباده ؟! .. كذب العادلون بالله ، وضلوا ضلالاً بعيداً .

فكل ما ذكرنا واستشهدنا من القرآن ، والحجج القواطع ، تدل وتشهد على أنه لا يريد لهم أن يزدادوا إثماً ، وإنما يريد أن يتوبوا ويرجعوا إلى الحق ، ويطيعوا الرسل ويدخلهم كلهم الجنة ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : إن أول الآية يوجب الجبر : ﴿ ولا يحسن الذين كفروا إنما غلى لهم ﴾ (خيراً) ^(٩) لأنفسهم ، فتراه لم يمل ^(١٠) لهم ، لما هو خير لهم . قلنا له : إن اللغة العربية واسعة على أهلها ، ضيقة على من جهلها ، وإنما المعنى فى أول هذه الآية انه ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، أن تأنيبه بهم ، وكثرة إملائه لهم ، لا يرجعون فيه إلى حق ، ولا يكفون فيه عن ظلم ، ولا يقصرون فيه عن كسب شر على أنفسهم ، فصار ذلك الإملاء لاخير لهم فيه ، بل هو شر لهم ، لما قصروا فى طلب النجاة ، فى مدة ذلك

(١) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات ٢٠ - ٢٤ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣٧ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

(٥) زيادة من الهامش وهى صحيحة .

(٦) فى الاصل : يملى .

الإملاء ، الذى أمهلهم فيه ، وأنسا فى آجالهم ، وأحسن لهم النظر ، وتفضل عليهم بالإملاء ، فلم يقلعوا عن الخطايا ، ولم يبادروا بالتوبة ، ولم يزدادوا إلا تمادياً فى الغي والضلال ، فصار ذلك الإملاء شراً لهم ، ووبالاً عليهم ، وليس ذلك ، من قبل الله ، عز وجل ، كيف يجوز ذلك ، وهو أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين ، وأكرم الأكرمين ١١٩

بل كيف يجوز على من وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين ، أن يعلى خلقه ، ليكونوا آثمين وعن طاعته صادين ، وهذا ما لا يجوز على رب العالمين ؛ لانه ، عز وجل ، لا يبتدئ أحداً من جميع خلقه ، بشر ولا ضرر ولا صدى ولا ظلم ، ولا إغواء ولا بلاء ، ولا إملاء ليزدادوا إثماً .

٨٣ و / وشاهد ذلك قوله ، عز وجل / ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِيكُمْ وَيَقْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣٠) ، فهذا خبر الله ، عز وجل ، وحجته على خلقه ، وكتابه الحق الذى أنزله نوراً لا عمى فيه ، وصدقا لا كذب فيه ، فإن نقضتم هذه الآية بحجة ، حتى يلزمننا فساد ، قوله ، عز وجل ، عن الفساد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِيكُمْ وَيَقْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣٠) ، ووجب أن هذه الآية تستحيل فى قولكم ، ويصير حكمها أنه ما أصاب العباد من مصيبة ، فبظلم الله ، عز وجل عن قولكم ، وبقضائه وقدره ، وإرادته ومشيئته للمصائب ، أن تحمل بهم وتنزل بعقوبتهم عمداً منه ، وقصداً بغير استحقاق ولا جرم اقترفوه ، وعلمنا أن الكفار برآء (٢) مما ذكر الله ، عز وجل ، عنهم ، واستحال القرآن ، وانقلبت الأحكام ، ولم يصح الإسلام . وإن لم يأتوا بحجة ، ولن يأتوا بها أبداً ، شهد الخلق على المبطل منا ومنكم ، والمفتري على الله ، جل ثناؤه ، فالحق واضح غير مجهول ، والحمد لله رب العالمين (١) .

(١) سورة الشورى : الآية ٣٠

(٢) الهامش السابق

(٣) فى الأصل : براءة .

(٤) فى نهاية الصفحة كتب الناسخ : تم الجزء الأول ، وملتوه الجزء الثانى من كتاب «النجاة» ، لمن اتبع الهدى واجتنب الردى ، مما وضعه ، الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام ، الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، صلوات الله عليهما ، وإثبات العدل ونفى الجبر والرد ، على عبد الله بن يزيد البغدادى ، وفيه كتاب «الرد على الجبهة فى وسوسة إبليس» ، وفيه مسائل للتميمي سأل عنها الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، وعلى أبائهما ، الطاهرين وسلم تسليماً .. وقد قمت بتحقيق هذه الكتب تباعاً ، خدمة للتراث العقلى والعقيدة الإسلامية .

ترى المجبرة أن الكافرين كفروا بمن الله !

ثم ^(١) قال عبدالله بن يزيد البغدادي ، ثم سلهم : أليس قد تزعمون أن الأسماع والأبصار والجوارح منة ، من الله ، عز وجل ، على الكافرين ؟

فإن قالوا : بلى ^(٢) . فقل أفليس بمن الله عصوا ، وبمن الله ظلموا ؟ وإنما أشركوا بمن الله ، وبمنة الله زنوا وسرقوا ، وبفضل الله وبمنه كفروا .

فإن قالوا : نعم . فقل : أخبرونا عما به كفروا وبه ظلموا ، أخيراً ذلك لهم ، أو شرُّ لهم ؟

فإن قالوا : ذلك خيرٌ لهم ، فالعذاب إذن خير لهم من الرحمة ، لانه إنما منٌ عليهم بشئ لو لم يمن عليهم به ، لم يعذبهم وإنما عذبهم ؛ لانه منٌ عليهم ، فإن تك منته التي من بها عليهم في الأسماع والأبصار كانت خيراً لهم ، فبالخير عذبوا ؛ لأن ذلك الخير لو لم يجعله الله لهم لم يعذبوا ، فكان منٌ الله عليهم شراً لهم ، وإن لم يكن خيراً لهم .

فإن زعموا أن ذلك الذي جعل لهم مناً إن لم يجعله لهم ، فالعذاب إذن خير لهم من أن لا يعذبوا ، فهذا قولٌ عظيمٌ مختلف يؤفك عنه من إفك !!

رد أحمد بن يحيى :

الحواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن الأسماع والأبصار والجوارح كلها ، ماهي منة من الله ، عز وجل ، على الكافرين ؟ . . . فإذا قلنا لك : نعم . قلت لنا : زعمت ، أن بمنة الله عصي ^(٣) العاصون ، وكفر الكافرون ، وزنا الزناة ، وسرق السراق ، وبفضله ومنته أيضاً أشركوا ، وعطلوا وتزندقوا وفعلوا كل فاقرة ، وعملوا كل فاحشة ، وافتروا كل عظيمة ، وقتلوا الرسل وأتمة الهدى والمؤمنين ، ولولا تلك المنة والفضل الذي أفاضل الله ، عز وجل ، به عليهم .

زعمت ، والمنة التي امتن بها ما فعلوا شيئاً من المعاصي ، زعمت ، ولكن بدو ذلك

(١) في أعلى الصفحة : الجزء الثاني من كتاب النجاة ، بإسناد أحمد بن يحيى .

(٢) في الأصل : بلى .

(٣) في الأصل : عصا .

مِنَّةً عَلَى قَوْلِكَ ، فَصَارَ مِشَارِكاً لَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَدَّهُمْ بِالْمِنَّةِ وَالْفَضْلِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ كُلُّ مَا اسْتَخَطَ ، وَجَمِيعُ مَا كَرِهَ وَنَهَى عَنْهُ ، ثُمَّ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلَ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَالْمِنَّةَ الَّتِي أَمَتْنُ بِهَا مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ، وَجَمِيعِ ٨٤ و / الجوارح ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ فَأَوْقَدَ النَّيِّرَانَ ، وَاعْدَّهَا / لِلْقَوْمِ الَّذِينَ أَمَتْنُ عَلَيْهِمْ وَتَفَضَّلَ بِالْإِحْسَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ فَضْلُهُ وَلَا مَنَّتُهُ ، وَخَلَدَهُمْ عَلَى مَنَّتِهِ الَّتِي أَمَتْنُ بِهَا عَلَيْهِمْ ، وَبِفَضْلِهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ بَيْنَ أَطْبَاقِ النَّيِّرَانَ ، فِي الْعَذَابِ الْآلِيمِ الَّذِي لَا رَاحَةَ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلَا انْقِضَاءَ لِسَرْمَدِهِ ، وَلَا خُرُوجَ مِنْ أَبَدِهِ وَلَا رَاحَةَ لَهُمْ فِيهَا ^(١) ، زَعَمْتُ فِي قَوْلِكَ وَاعْتِقَادِكَ ، عَزَّ اللَّهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ .

أَفْهَكَذَا ، وَيَحْكُ ، صِفَةُ صَاحِبِ الْمِنَّةِ وَالتَّفَضُّلِ وَالْإِحْسَانِ ، زَعَمْتُ ، أَمْ هَكَذَا ^(٢) ؟
يَفْعَلُ الْحُكَمَاءُ الْكِرَامَ ، وَالرَّحَمَاءُ الْعِظَامَ ، الْعَادِلُونَ فِي الْحُكْمِ ، الصَّادِقُونَ فِي الْقَوْلِ ،
وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الظُّلْمِ ١٩ ؟

أَمْ هَذَا تَصَدِيقُ قَوْلِهِ فِي كِتَابِهِ يُوَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الرُّشْدَ ، وَيُدْلِيهِمْ عَلَى الْهُدَى ، وَيُزْجِرُهُمْ عَنِ الْعَيْبِ ، وَالْخَطَا وَالْفَوَاحِشِ وَالرَّدَى ، بِقَوْلِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ .. ﴾ ^(٣) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾ ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٥) ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ فِيهَا عَابٌ ١٩ ؟

هَذِهِ اسْأَلَةُ دَسِيسَةِ زَنْدِيقٍ :

وَبِاللَّهِ ، إِنِّي لَا أَظُنُّ أَنَّ هَذَا السَّائِلَ لَنَا ، وَالرَّوَاضِعَ لِهَذِهِ الْبَلَايَا ، دَسِيسٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ ؛ لِأَنَّ هَذَا قَوْلَ عَظِيمٍ مَأْخُوذٍ مِنَ الشَّرْكِ ، أَلَمْ يَسْمَعْ هَذَا السَّائِلُ احْتِجَاجَ اللَّهِ ، عَزَّ جَلَّ ، عَلَى خَلْقِهِ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ، وَمَا وَهَبَ لَهُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَتِهِ ، كَمَا خَلَقَهَا لِذَلِكَ لَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، فَقَالَ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ

(١) مكانها كلمة مطموسنة .

(٢) في الأصل : أفهكذي أم هكذي .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .

عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدْيَتَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) ﴿١﴾ ، أفلا تسمع كيف قال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) ﴾ أى : مامنعه من اقتحام العقبة ، وقد تفضلنا عليه بهذه الاسماع والابصار والجوارح .

ولو كان الله ، عز وجل ، إنما خلقها فيهم ، وأنعم عليهم بها عمداً ، ليعصوه بها ، وليكفروا بها ، وليقتلوا رسله وأولياء من العالمين ، بتلك الجوارح - للزملك ها هنا - أنه قد دخل فيما عاب ، وفعل ما عنه نهى (٢) ، وقدر ما منه حذر ، بعدما أخبر أنه كريم ، وأنه متفضل وعادل ، مع قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ السَّلَءَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣) ، وهذه وحدها كافية لنا فى الاحتجاج عليك ، إذ أخبرنا الله ، عز وجل ، أنه لا يغير نعمة أنعم بها على قوم ، حتى يكون التغيير والا تبداء بالظلم منهم ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (٤) .

٨٤ ظ / فكيف يفرح أحدٌ من الخلق بمنة وفضل وإحسان / يورث ذلك الفضل والمنة الخلود فى عذاب الجحيم والعذاب المقيم ١١؟ حاش الله من ذلك وعلا علواً كبيراً ، وما كان مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، كيف ، ويلك ويحك ، استجزت بعد هذه الآية أن تقدم على هذا الكفر العظيم ؟ وكيف وضعت فيه كتاباً تفتري فيه على الله ، عز وجل ، جهاراً ، لا يزال من شيعتك وإخوانك وأتباعك من يعمل به ، ويجرى عليك وباله ، إلى يوم تلقى (٥) الله ، عز وجل ، فما عذرک عنده ١٩

أما تدبرت كتاب الله ، سبحانه ، يوماً واحداً ، أما أعملت فكرك فى عظيم سلطان الله وملكه ، وعدله وحكمته ، وجوده وكرمه ، ونعمه على خلقه ساعة واحدة ويوماً واحداً ، فانزلت العدل منازله التى يشهد لها القرآن والسنة ، وتشهد عليها العقول ١١؟ .. ، سبحانه الله العظيم ما قدرت الله حق قدره ، فعلمت أنه إنما ركب فيهم

(١) سورة البلد : الآيات ٨ - ١١ .

(٢) فى الاصل : نها .

(٣) سورة الانفال : الآيات ٣ - ٥ .

(٤) سورة يونس : الآية ٥٨ .

(٥) فى الاصل : تلقا .

الاستطاعة ، وفرض عليهم الطاعة ، وامتن عليهم بالاسماع والابصار والجوارح ، ما افترض ^(١) (غير) الطاعة اليسيرة ، ولم يكلفهم فوق الطاقة .
وانه قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٢) ، فابن كانت اذناك عن هذا وامثاله ١٩ .

اتراه ايها المغرور في دينه ، إنما عذبَ خلقه وغضب عليهم ، والزمهم العقاب ، لما وهب لهم من الجوارح السالمة ، والاسماع والابصار القائمة ، وامتن عليهم بالنعمة الكاملة ، والفضل الجميل ، غير المنقص ، ولا المكدر ولا المعاقب عليه ، ولا المغضوب عليهم لكونه ١١٩ .

فكان غضبه ، عز وتعالى ، وعقابه التخليد في ناره ، لما صرفوا تلك المنة العظيمة والعطية ، والمواهب السنية في اتباع الهوى ، أو الاختيار منهم لمعاصيه على طاعته ، والكفر به واتخاذ الشركاء والانداد معه ، والادعاء معه الصواحب والاولاد ، وقتل الرسل والائمة ، عليهم السلام ، وتكذيبهم ، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ورفض الكتب واتباع الهوى ، وجميع المعاصي واللذات ، والقول بالجبر والإلحاد ، كما قلتم ، فقال فيهم جميعاً : ﴿ أَلَمْ تَرَأِ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾ ^(٣) .

٨٥ و / ففعلوا جميع ما ذكرنا باهوائهم غير مجبورين ، واخترعوه بإرادتهم / فلم يكن لهم عليه ، جل جلاله ، حجة في فعلهم ، ولا تباعة في كفرهم ، ولا مقالة في شركهم ، بل المنة له عليهم ، فيما وهب لهم من جوارحهم ، فهي فعله لا فعلهم ، ولذلك لم يسلمهم من فعله الذي فعل من الاسماع والابصار والجوارح .

وقال في كتابه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٢) ﴾ ^(٤) ، (ولو كان فعلهم هو فعله لم يقل : وهم يسألون) ^(٥) ؛ لان الفعل كله ، في قولكم ، هو فعله لا فعل العباد ،

(١) بالهامش (اظهر ثم افترض) وهو صحيح ايضاً .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

(٤) سورة الانبياء : الآية ٢٣ .

(٥) تكملة من الهامش .

لما قلتم : إن أفعال العباد كلها مخلوقة ، فلو كان ذلك ، كما قلتم ، لما جاز أن يقول : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣) ، فعمَّ يُسْأَلُونَ إذا كان الفعل كله فعله ، والزنا والخنا والفواحش والردى والكفر والشرك ، وجميع المعاصي كلها ، التي ذكرت ، أنهم نالوها بمنة الله وبفضله ، ولولا منته وفضله ، زعمت ، ما كفروا ولا أشركوا ۝ ۱۱۹

وبالله العظيم لو قال هذا القول الزنادقة على شركهم ، لكان عظيماً ، فكيف من زعم أنه ينتحل التوحيد ۝ ۱۱

والجوارح والحواس هي فعل الله ، عز وجل ، ومنته ، والمعاصي فهي فعل العاصين واختيارهم ، وليس يلزمه ، عز وجل ، فعلهم ؛ لأنه ، عز وجل ، قد أمرهم أن يستعملوا تلك المنة التي وهب لهم ، في الطاعة لا في المعصية ، وجعل لهم السبيل إلي ذلك وأقدرهم عليه ، ولم يحل بينهم وبين الرشد ، بأمر من جميع الأمور كلها ، وبين لهم وحذر ، وأعذر وأنذر ، فاختراروا لأنفسهم ما أرادوا من طاعة أو معصية ، واستعانوا بتلك المنة التي امتن بها من الجوارح ، على ما نوهوا عنه .

فاستعانوا بنعم الله ، عز وجل ، على معاصيه ، وصرفوها في غير الوجه الذي له خلقوا ، وبه أمروا ، وله إياها أعطوا ، فادبروا من غير غلبة الله ، عز وجل ، ولا معف ، بل أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، فلم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً .

وكذلك المؤمنون استعملوا منة الله ، سبحانه ، التي امتن بها عليهم من الجوارح ورضاه وطاعته ، فانجحوا وأفلحوا ، غير مجبورين ولا مكرهين ، ومثل ما قد ذكرنا فيما احتجاجنا به عليك ، في أنه لا حجة على الله ، سبحانه (١) ، فيما وهب لهم من الأسماع والابصار والجوارح ، بل له به المنّة عليهم والحجة .

فمثل ذلك نسالك فنقول لك : أخبرنا عن رجل دفع إليه رسول الله ، صلوات الله عليه ، سيفاً جيداً نفيساً صارماً ، وقال له : خذ هذا السيف ، ثم اذهب فقاتل به ، بين يدي من خالفني من المشركين ، وجاهد به في سبيل الله مع المجاهدين ، واحذر أن

(١) في الأصل : سبحانه .

٨٥ ظ / تحارب به المؤمنين ، ولا تقتل به / المسلمين ، فاعاقبك العقوبة الموجهة ،
فاخذ ذلك الرجلُ السيف ، ومضى ^(١) به حتى صار به إلي مكة ، واستأمن إلى أبي جهل
ابن هشام ، لعنة الله عليه ، وخرج معه حتى سارَ يوم بدرٍ في حرب رسول الله ، صلى
الله عليه ، فلقى النبي ، صلى الله عليه ، ومن معه من المؤمنين ، فوضع ذلك السيف في
رؤسهم وأبدانهم ضرباً ، لئلا يقتلوا ولا قتالاً .

فقال له المؤمنون : ويحك يا فلان لا تفعل ، أهكذا ^(٢) أمرك رسول الله ، صلى الله
عليه ، حين أعطاك السيف ، واشترط عليك أن لا تقاتل به المؤمنين ا .

فأبى ^(٣) أن يكف عنهم .

فنقول لك : هل للمؤمنين أو لأحدٍ من جميع المخلوقين ، أن يقول : إن السيفَ
إنما كان بدءوه من النبي ، صلى الله عليه ، ولولاه ما قدر الرجل على قتل
المسلمين ؟ ... والنبي هو الذى كان منه إعطاء السيف للرجل ، وبذلك السيف
كان قتل المؤمنين !

واحتج أيضاً فقال : لولا أن النبي ، صلى الله عليه ، أعطاني السيف ، ما قتلت
أصحابه !

فنقول لك : هل يلزم النبي ، صلى الله عليه ، عند الله ، جل ثناؤه ، وعند
المسلمين ، وفي أحكام الدين ما قال ذلك الكافر ، ومن قال بقوله !؟

فإن قلت : نعم ، يلزمه ما قاله الكافر . لزمك أن رسول الله ، صلى الله
عليه ، شريك لذلك الكافر في جرمه وإثمه وذنبه ، وسفك دماء المؤمنين ، كما
أعطاه السيف ليقاتل به في سبيل الله ، فلم يفعل ، وقاتل به في سبيل
الشیطان !

وهذا من أعظم الكفر والفرية على رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وهذا
الخروج من أحكام الإسلام والعقول .

(١) في الأصل : معنا

(٢) في الأصل : أهكذا

(٣) في الأصل : فأبى .

مثال آخر :

وكذلك لو أن رجلاً اليوم استعدى ^(١) على رجل، فقال للحاكم : إن هذا الرجل أعطى ^(٢) فلاناً سيفاً وأمره أن يقاتل به مع إمام هدى ، فلقى ابناً لى من المسلمين فقتله ، أليس فى أحكام الإسلام أنه لاتباعه على ذلك الرجل المعطى السيف ، وإنما الذنب والجرم على القتال وحده ، لا يجوز فى الإسلام غير ذلك .

فكيف يلزم الله ، عز وجل ، ظلم من ظلم ، وكفر واستعان بنعم الله على معاصى الله ، عز وجل ، ١٩.. لقد هلكت وأهلك ، رجع الكلام إلى حجتنا عليك .

وإن قلت : إن ذلك القول لا يلزم النبى ، صلى الله عليه ، بطلت دعواك ، وفسد اعتقادك ، وبانت فضيحتك ، وكذلك على الله ، عز وجل ، وجعلك ذنوب العباد عليه ، وإن بمنة الله عصوا وكفروا ، ولأبد لك من أحد هذين القولين أن تقول به ، وأنت مفلوج الحجة .

٨٦و / ثم نقول لك أيضاً : ما تقول فى رجل من المسلمين / الاخيار ، دفع إلى رجل ألف دينار ، وقال له : خذ هذه الدنانير فتصدق لى بها على الضعفاء والمساكين وابناء المهاجرين والانصار الصالحين ، والمؤمنين ، واسق بها الماء فى السبيل وافعل بها كل بر أرضاه ولا أسخطه ، ولا يلزمك لى عقوبة .

فأخذها ذلك الرجل ، وقصد بها بيوت الخمارين ، والنساء (الفواجر) والفواحش ^(٣) والعارفات ، فأنفقها فى ذلك كله حتى نفذت ، هل كان ذلك الرجل المؤمن المعطى لها ، لينفقها له فى سبيل الله تباعةً أو جريمة ، أو لوم أو عذاب ، أو مشاركة فى جرم أو عيب بحرف واحد ١١٩

فإن قلت : نعم ، إن عليه العيب واللوم والتباعة ، كما أعطاه ألف دينار ، لينفقها فى سبيل الله ، فأنفقها هو فى سبيل الشيطان . أكذبك جميع من صلى ^(٤) القبلة ، وأكذبتك أحكام القرآن ، وأحكام القضاة والفقهاء .

(١) فى الأصل : استعدى

(٢) فى الأصل . أعطى

(٣) زهادة من الهامش .

(٤) فى الأصل : صلا

وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لِّسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ (٤١) ﴾ (١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ عَلِمْتُمْ أَنفُسَكُم لَا يَضُرُّكُم مِّنْ ضَلُّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٢) .

وإن قلت : لا تباعة ولا لوم ، ولا عيب على الرجل المعطى الآخر ألفاً ؛ لينفقها في سبيل الله ، فانفقها هو في سبيل الشيطان ؛ لأن هذا هو الحق والعدل .

قلنا لك : فقد لزمك الرجوع عن قولك ، وبطلت دعواك وبرأت الرجل صاحب الألف الدينار ، من أمر لم تبرئ منه ربك ، وأضفت إليه ما برأت من عيبه ، وقبح ذكره الرجل ١١ وحسبك برجل هذا مبلغ علمه وعقله واعتقاده في توحيد بارئه ، الذي خلقه ولم يك شيئاً ، وادعاء زعم أنه موحدٌ وهو عين الملحد ، والله ما قال بالجبر قط ، من عرف الله بالوحدانية .

قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٣) ، كيف يوحد الله من شبهه بالجائرين ، وكيف وحد الله ، عز وجل ، من شبهه بالشيطان الرجيم ، وكيف يوحد الله ، عز وجل ، من زعم أنه يقضى قضاء المفسدين السفهاء الجاهلين ١١٩ ..

وقال القائل يصف العدل بما لا يخرج في العقول والحكمة غيره ، وقد قال رسول الله ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، « إن من الشعر لحكمة » (٤) وقال :

المجبرون يجادلون بباطل	وبغير ما يجدون في الفرقان
الواصفون إلههم بتعنت	لعبادته ، كذبوا على المنان /
كل مقالته : الإله يضلني	ويريد لي ما كان عنه نهاني

(١) سورة النجم : الآيات ٣٨ - ٤١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٩١ .

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه ج ١٠ / ٥٥٣ ، كتاب الادب وباب ما يجوز من الشعر ... حديث رقم (٦١٤٥) ،

وابو داود في سننه ج ٤ / ٣٠٤ ، كتاب الادب ، باب ما جاء في الشعر ، حديث رقم (٥٠١٠) ، وكذا أحمد في

مسنده ، وانظر الجامع الصحيح ، ص ٩٨ .

*إِنْ كَانَ ذَا فَتَعْمُودُوا مِنْ رَبِّكُمْ
 إِنْ كَانَ ذَاكَ كَذًّا، إِرَادَةً رَبَّنَا
 إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَالْمَعَاصِي طَاعَةً
 إِنْ الْمَهِيْمَنَ لَا يَضِلُّ عِبَادَهُ
 أَلْزَمَهُ لَهُمُ الضَّلَالُ بِفَعْلِهِمْ
 يَجِدُ اخْتِيَارَهُمُ الضَّلَالُ عَلَى الْهَدْيِ
 قَالُوا: الذُّنُوبُ مَشِيئَةٌ مِنْ رَبَّنَا
 قَالُوا: الرِّضَا غَيْرُ الْمَشِيئَةِ، فَاعْبُدُوا
 إِنْ الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالرِّضَا
 وَالْإِسْطَاعَةُ فَيَكُمُ مَخْلُوقَةٌ
 لَوْلَا اسْتَطَاعَتُكُمْ لَطَاعَةَ رَبِّكُمْ
 اللَّهُ مَلَكُنَا يَوْجِبُ حُجَّةً
 جَعَلَ اسْتَطَاعَتَنَا عَلَيْنَا حُجَّةً
 وَلِذَاكَ لَيْسَ عَلَى الْمَصَابِ بِغَفْلَةٍ
 وَالنَّاسُ يَحْذَرُ مِنْهُمْ أَعْمَالَهُمْ
 زَعَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ عَبْدَهُ
 إِنْ أَلَمَ كَلَّفَ عِنْدَنَا لِعَبِيدِهِ
 أَيْرِيدُ مَعْصِيَةً، وَيَفْرَضُ طَاعَةً،
 أَرَادَ أَنْ يُعْصَى (١) وَعَذِبَ مِنْ عَصَا
 أَرَادَ سِيرَةً مِنْ أَطَاعَ وَمِنْ عَصَا

وَدَعُوا تَعْمُودُكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ ١.
 فَلَمَنْ أَعْدُ جَوَاحِمَ النَّيْرَانِ.
 وَالْبِرُّ مِثْلُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.
 حَتَّى يَضِلُّوا، يَا ذُو الطُّغْيَانِ.
 إِضْلَالُهُ لَهُمْ بِكُلِّ أَوَانِ.
 لَا قَبْلَ بَيِّنَةٍ أَتَى بِبَيِّنَانِ.
 قُلْتُ: الْمَشِيئَةُ وَالرِّضَا مَبْنِيَانِ.
 وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ عَلَى الْعَدْوَانِ.
 مَعْنَى، وَمَا هِيَ فَاعْلَمُوا بِمَعْنَى.
 خُلِقَتْ مَعَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ.
 مَا قَالَ رَبُّكُمْ: اطْلُبُوا رِضْوَانِ.
 تَحْرِيكَ كُلِّ يَدٍ وَكُلِّ لِسَانِ.
 وَالْإِسْطَاعَةُ حُجَّةُ الرَّحْمَنِ.
 فِي الدِّينِ مِنْ جُرْمٍ وَلَا الْوِلْدَانِ.
 وَالْإِسْطَاعَةُ جَبَلَةُ الْإِنْسَانِ.
 أَشْيَاءٌ لَيْسَ لَهُ بِهِنَ يَدَانِ.
 مَا لَا يَطَاقُ، لِحَاثِرِ السُّلْطَانِ.
 إِنْ كَانَ ذَاكَ فَأَمْرُهُ أَمْرَانِ!
 تِلْكَ الْمَقَالَةُ أَعْظَمُ الْبَهْتَانِ.
 فَهَمَّا إِذَا فِي الْأَمْرِ مِتَسَوِيَانِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: بِعَصَا

إن كان ربكم أراد ضلالكم	فاجرمون إذا ذور إحسان .
أيقول ربكم لقوم : آمنوا	ويرد السنتهم عن الإيمان .
ما كان ربكم ليصرف عبده	عن وجه طاعته إلى العصيان .
ليس الحكيم بمن يقول لعبده	والعبد يفعل ما يشاء : عصان .
والله لم يرد الفواحش ، إنما	بالعبد يأمرنا وبالأحسان .

الحواس ابتلاء من الله

وأما آخر كلامك في هذه المسألة، فقد خلطت فيه وجئت بكلام محال ، وزعمت أن الله جل ثناؤه ، جعل الأسماع والأبصار غير رحمة من الله ، وأنها ، زعمت ، خلقت ضرراً عليهم ليبتلى عليها وجعلها قوة فيهم ، ثم ابتلاهم بما جعل فيهم من القوة فمن أطاع الله ، فيمن الله عليه بالقوة ، والمن ، زعمت ، رحمة من الله ، ومن عصى ^(١) الله بالقوة التي فيه ، كانت المنة التي عصاه بها شراً عليه وفتنة ، ولم تقل هذه رحمة ؛ لأن الرحمة والمنة ما نفع الناس . وهذا قولك ، زعمت ، قد دخلنا فيه ، وهذا الكلام الذي قلته مخلط لم تحسن شرحه .

وقد عرفنا ما قلت ، زعمت ، أنك تقول : إن الأسماع والأبصار والألسنة والأيدي والأرجل إنما جعلها الله قوة في بني آدم . هكذا قلت في كتابك ، وليس هي عندك رحمة ولا منة ؛ لأن الرحمة والمنة ، زعمت ، ما نفع الناس .

وهذا ما تقولون به ، زعمت ، قد دخلنا فيه ، وحاشا لله ، ما ندخل في هذا ؛ لأنه لو قال : هذا صبي مخرج من بلاد الحبش ، لعظم التعجب منه لجهله .

فكيف رجل يزعم أنه متكلم يناظر الرجال ، ويقاوم ، زعم ، أهل العدل والتوحيد .

هيهات ، غرق الجاهل في الطين ، ألا ترى أيها الجاهل أنك ، زعمت ، أن

الاسماع والابصار التى وهب الله لعباده ، وجميع الجوارح لا يجب ، على قولك ، أنها تسمى ^(١) رحمة ولا منة من الله على خلقه ، وإنما يجب ، زعمت ، أن تسمى ^(٢) قوة ابتلاهم لا رحمة ولا منة ؛ لأن الرحمة ، زعمت ، والمنة ما ينفع الناس .

فأوجبت أيها الجاهل أن الاسماع والابصار والأيدى والأرجل والالسنه ، وجميع الجوارح ، غير نافعة لأهلها ، وأنها ضررٌ عليهم .

بل هى منة،

كيف والله ، جل ثناؤه ، يقول ويمتن عليهم بأعظم المنه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ ^(٣) ، فهل سمعت فى لغة العرب أحداً يلوم أحداً على التقصير فى الشكر على غير منة؟

وهل يكون الشكر إلا لمن أعظم المنه ، مع ما لا نحصىه فى غير موضع من القرآن يذكر الله ، عز وجل ، فيه مننه على خلقه ، بآلة الاسماع والابصار ، وجميع الجوارح التى لا يؤدون فيها شكره أبداً .

وانت فقد خرجت من المعقول ، مع خروجك من حكم الكتاب ، فلا يبعد الله إلا من ظلم !

وزعمت أن الابصار والاسماع ليست رحمة ولا منة من الله على خلقه ، فأوجبت على زعمك ، أنه لا يجب أن يشكر الله على ما رزق من الحواس والجوارح ؛ لأنه لا منة له فى ذلك !!

ولزمك أن الله ، عز وجل عما قلت ، خلق فى صورة بنى آدم بنية لا شكر له عليها ، ولا حمد له ؛ وأنها غير منة ولا رحمة ، وأنه ذكر لهم فى كتابه نعمة أنعم بها عليهم ، غير صادق فيها ، وأنها ليست بمنة ولا رحمة .

(١) فى الأصل : تسما .

(٢) فى الأصل : تسما .

(٣) سورة النحل . الآية ٧٨ .

زعمت ، وهى قوله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ^(١) ، فعاب عليهم قلة الشكر ، وذلك يوجب أن الذى منة من أعظم المنن .

وقال ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) ^(٢) ، أفلا تسمع إلى قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ (١١) ^(٣) يريد : فما الذى منعه من اقتحام العقبة بعد المنة ، والنعمة والعينين واللسان والشفَتين والهداية إلى النجدين ، والنجدان فهما الطريقان إلى الخير والشر ، فالهداية هى التعريف ٨٧ ظ / بالطريقين والدعاء إلى الخير ، والنهى عن الشر / فأى نعمة أورحمة أو منة أعظم أو أجسم أو أجل أو أكبر فى هذه الدنيا من السمع والبصر واليدين والرجلين ، وجميع الجوارح التى امتن الله ، عز وجل ، بها على خلقه ، وأوجب عليهم شكره فيها ، ثم - زعمت - أنت أنها ليست برحمة ولا منة ، وكفى ^(٤) بهذا جهلاً وعمى ^(٥) !!

وزعمت أنها قوة ، وليس هى رحمة ولا منة ، فنقول لك : أخبرنا عمن وهب الله القوة ، هل الله ، عز وجل ، عليه شكر وحمد فيما تفضل عليه به من تلك القوة ، وجعل فيه ؟!

فإن قلت : لا . كفرت وأكذبت القرآن ، وجميع الأمة .

وإن قلت : نعم ، يجب أن يحمد ويشكر عليها . قلنا لك : فأخبرنا عن تلك القوة ، هل هى رحمة من الله ، عز وجل ، ومنة على خلقه أم سخطة ونقمة ؟

فإن قلت : هى سخطة ونقمة . قلنا لك : كيف تكون هبة ، الله ، عز وجل ، للقوة سخطة ونقمة ، وقد قررت أنه يجب أن يشكر ويحمد عليها ؟!

وهل تسمى ^(٦) القوة التى جعل الله فى خلقه ، عز وجل ، قوة ، ولا يجوز أن

(١) الهامش السابق .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١١ .

(٣) فى الأصل : وكفا .

(٤) فى الأصل : وعما .

(٥) فى الأصل : وتسماه .. وكذا التى بعدها .

تسمى رحمة ، وكل بنية ابن آدم ، يجب عليه فيها الشكرُ للذى ابتدعه وفطره ، وأخرجه من العدم إلى الوجود وكل شيء من جسده ، فهو قوة جائز أن تُسمى رحمة ومنة وقوة ونعمة وإحساناً ، لا يجوز غير ذلك .

أمر الله بصون الجوارح :

وقد أمر بصون تلك الجوارح كلها عن معاصي الله ، عز وجل ، فافترض على العين الغض عن المحارم ، فقال ، سبحانه ، : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾^(١) ، وافترض على اللسان أن لا يقول إلا الحق ، فقال ، سبحانه ، : ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾^(٢) ، وافترض على اليدين الجهاد في سبيل الله ، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾^(٣) ، وافترض على الرجلين الجهاد أيضاً^(٤) والحج والصلاة ، فقال : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾^(٥) ، وافترض على الرجلين المشى إلى جميع الطاعات من المساجد ، والجمع ، فقال ، سبحانه ، : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٦) ، وافترض على الفرج الحصانة والصيانة ، فقال : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٧) ، ثم خيرهم تخييراً ووعدهم الجنة وأوعدهم النار ، وليس لأجل خلقه للجوارح وقع بهم العذاب ؛ لأنه قال : غَضُوا ، ولم يقل ، لم خلقت أعيانكم !

وقال : قولوا ، ولم يقل : لم خلقت ألسنتكم ، وقال : جاهدوا ، ولم يسألهم عن أيديهم لم خلقها ، وقال : اسعوا بأرجلكم في طاعتي ، ولم يقل : لم خلقت لكم ٨٨ و / أرجلاً ، وقال : ولا تقربوا الزنا ، ولم يقل لهم لم خلقت / فروجكم ، وقال : ولا تسمعوا الباطل ولا الجور ولا الخنا ولم يقل : لم خلقت آذانكم وإنما سألهم عن

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

(٤) في الأصل : أبضى .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

(٦) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

فعلهم هو ، وذلك قوله : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣) ، وفى أقل مما ذكرنا كفاية وشفاء ، لمن أراد الحق ، ولم يصغ^(٢) إلى الباطل ، ولم يلزم الله ، عز وجل ، ظلم الظالمين ، ولا كفر الكافرين ، فانظر أى القولين هو القول العظيم ، الذى يؤفك عنه من أفك ، عز عن ذلك رب العالمين .

(١) سورة الانبياء : الآية ٢٣ .

(٢) فى الاصل : يصغى .

الحسنة الثالثة عشرة

الرزق

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم قال سلهم هل عاش أحد بغير رزق الله ، عز وجل ؟ .. فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك أن العباد يكسبون بغير رزق الله ، وإن مع الله ، عز وجل ، رازقاً ، وهذا ما لا تقبله ^(١) عقول أهل الالباب من الناس ، وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً ..

وإن قطعوا بهذا ، وقالوا : ليس مع الله رازق ، ولا يعيش أحد إلا برزق الله ، فسلهم عند ذلك عمن لم يُغَدَّ إلا بالحرام ، ولم ينشأ إلا فيه ^(٢) ، اليس إنما عاش برزق الله ؟ ..

يرزق الله الحرام

فإن قالوا : نعم ، عاش برزق الله ..

فقل : أفليس قد يرزق الله الحرام ، ثم يعذب العباد على ذلك الحرام ؟ ..

فإن قالوا : نعم .. فقد أعطوك بأن الله يرزق الحرام والحلال ، فإن سألك عن شيء من هذا ، أو ردوا عليك المسألة ، فسألك : اليس قد يرزق الله الحرام ؟ فقل : إنما موضع الرزق عندنا العيش ، فكل ما ^(٣) هو عيش ، فهو رزق ، وهو بلغة ، فما كان يعاش به فهو رزق ، اسمه عيش ، ورزق ، وبلغة ^(٤) .

فمنه ما جعله الله ، جل ثناؤه ، حلالاً لي حراماً عليك ، وذلك مثل مالي وأهلي ^(٥) ، وهو حرام عليك ، ومنه ما هو حلال لي ولك ، وذلك كسبة الحلال نكسب الرزق والعيش من جلّه ، أنا وانت ، فهو لنا حلال .

ومنه ما هو حرام علىّ وعليك ، وذلك مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ، إلا أن تضطر

(١) في الأصل : تقبل .

(٢) بالهامش : هذا ما صار عليه وهو عظيم إلزام .

(٣) في الأصل : كما .

(٤) بالهامش : بلغة .

(٥) في الأصل : مال ، وأهل .

إليها ، فالارزاق كلها على هذا الوجه ، كلها رزق الله ، وكلها بلغة ، وعيش يعاش به ، فمن أصابه وأخذه على وجهه ، فهو مأجور ، ومن أخذه من غير وجهه فهو مأزور ، فالرزق عندنا ، على هذا الذى ذكرنا ، فإنهم ليس يستطيعوا حينئذ أن يدخلوا عليك شيئاً .

رد أحمد : هذا افتراء :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، لا إله إلا الله ، أيها المفتري على الله ، ما أجهلك وما أجهل قوماً قبلوا عنك هذا العمى ^(١) ، والخروج من محكم القرآن ، والخروج من المعقول .

٨٨ ط / ثم قلت لهم - آخر قولك : فإنهم لن يستطيعوا ^(٢) أن يدخلوا عليك شيئاً !

تعنى أهل العدل ، فغششتهم وأهلكتهم فى أديانهم ، وزعمت أن الرزق حراماً وحلالاً ، وأن الله ، عز وجل عما قلت ، هو الذى رزقهم ذلك كله .

ثم قلت : فمن أخذه من وجهه ، فهو مأجور ، ومن أخذه من غير وجهه ، فهو مأزور !

وأنا أظن أنك لما قدمت من بغداد ، وطال عليك السفر أصابتك خفة فى دماغك ، فأنت تستعمل الهذيان فى كتابك هذا ، وفى عقلك وفى دينك ، فلا أدري لعجب منك أم من الذين كانوا حولك ؟ !!

الرزق هو الحلال الطيب ^(٣) :

فاسمع ما يرد عليك من حجة الحق والعدل ، بحول الله وقوته ، فأول ما نسألك عنه أنا نقول لك : أخبرنا هل قرأت القرآن قط ؟ .. فإن قلت : لا . قلنا لك : لذلك لم تعقل عن الله ، عز وجل ، عدله فى كتابه .

(١) فى الأصل : العما .

(٢) فى الأصل : يستطيعون .

(٣) انظر الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ج ٢ / ١٦٠ حتى ١٦٥ .

وإن قلت : بلى ، قد قرأت القرآن . قلنا لك : فأين ما قد قرأت من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ ١ ﴾ .

فإن قلت : فإنك قد قرأتها فى المصحف ، ورايتها بعينك فيه .. قلنا لك : فلم أنزلها الله إلينا ، أراد أن يسمرنا بها ، أم أن ذكرها لغير علة ، أم نظر فينا بأنه ليس لها معنى ^(١) علة من أجله نزلت ؟ فإن قلت : إنه أراد أن يسمرنا ، ويخبر بأن ليس لها معنى ... كفرت ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : إن الله أنزلها موعظة وتذكرة وتحذيراً من النار ، وتاديباً وإيجاباً عليهم ، أنهم هم الذين جعلوا من الأرزاق حراماً وحلالاً بظلمهم واختيارهم . فذلك هو الحق وهو قولنا .

ثم نقول لك : أخبرنا ليس فى نص هذه الآية من الشفاء والكفاية عن التطويل ، ما يوجب عليك أن العباد هم الذين جعلوا ما أنزل الله لهم من الرزق حراماً وحلالاً ؟ .. وإن الله ، عز وجل ، لم يجعل ذلك الذى جعلوا ، بل جعل هو ، عز وجل ، الأرزاق فيما أخرج من المعادن والبحار ، وما أنبت الأرض ، ومن غنم الفئ ، يجعله حلالاً بقسمته التى قسمها للمؤمنين ، وحكمه الذى حكم به للمطيعين ، فمن كان فى يده شئ من هذه الأشياء التى ذكرنا فهو رزق من الله ، عز وجل ، وقسمة لافساد فى حلالها ، ولا إثم فى كسبها ، فمن وجدنا معه شيئاً من هذه الوجوه ، إما ٨٩و / من معدن أخذه من حلة . / أو من أرض ورثها ، أو أحيائها من حلها ، أو من بحر سافر فيه ، أو من غنم فى حرب فى سبيل الله مع المحقين ، أو ميراث ورثه من ذوى أرحامه ، أو دية وجبت له ، أو جراح لزم له عقلها .

قلنا له : هذا هو المال الحلال الطيب بارك الله لك فيه ، فأخرج زكاته إلى من أوجب الله طاعته ، فانت صاحب المال الحلال الطيب المقسوم من الله ، عز وجل ، وهو الرزق من الله الذى لا شبهة فيه .

(١) سورة يونس : الآية ٥٩ .

(٢) فى الأصل : معنا .

ومن وجدنا معه شيئاً مما رزق الله عباده فسماه رزقاً ، وأخرجه لهم من الأرضين وأنزله من سماواته إلى أرضه ، وما أخرج من المعادن والبحار .

قلنا له : من أين لك هذا المال ، وكيف وقع في يدك ، وعلى أى حال كسبته ؟

فإن قال : إنه لقي قوماً مسلمين في طريق قطع عليهم ، وأخذ أموالهم وغنم رجالهم ، أو نقب دار قوم ، فأخذ ما فيها من حرزه ، أو غصب أحداً من عباد الله ، أو غنى^(١) في مجالس أهل الخمر فاعطوه جائزة ، أو لعب فأخذ أجرة لعبة أو قامر فأخذ قماره ، أو خاطر على ما قال ، فأخذ خطره أو رابى^(٢) في ديونه ، فجمع ذلك الربا ، أو عمل الخمر وباعه ، أو أكرى القدر من الخمارين وأخذ أجرتها ، أو أخذ الأرزاق من السلاطين الجائرين والخصارج على الإسلام ، أو بخص في الموازين والمكاييل ، أو غش في الصناعات ، أو خان الأمانات .

ثم قال إن الله ، جل ثناؤه ، : هو الذى رزقه ذلك المال وأعطاه إياه . قلنا له : هلم إلينا البينة على دعواك ، فإن لم يأت ببينة ولا برهان ، من كتاب الله ، عز وجل ، ولا من سنة رسول ، وجب عليه أنه عند الله ، جل ثناؤه ، وعند المسلمين من المفتريين للباطل والمدعين للزور والبهتان العظيم ، وأن الله ، عز وجل ، لم يرزقه هذا الرزق ، الذى ادعى^(٣) ، بل حرمه عليه فى كتابه ، غاية التحريم ، ونهى^(٤) عنه أشد النهى ، وهلك فى قوله واستوجب العذاب الأليم ؛ لأن الله ، عز وجل ، لم يرزقه الحرام ، وقد نهاه عنه وحذره منه ، حيث قال فى كتابه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْثِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) ﴿٥﴾ .

فأى بيان أوضح من هذا البيان ، وأى شاهد لنا عليكم أعدل من كتاب الله ، عز وجل ، وإما تعدى هذا المعتدى ، فأخذ ما ليس له برزق ، ولو كان الله ، عز وجل ، ٨٩ ط / الذى رزقه إياه لم يأمر به - فى كرمه وعدله - أن تقطع يده ، وفى موضع /

(١) فى الأصل : غنا

(٢) فى الأصل : رابا

(٣) فى الأصل : ادعى

(٤) فى الأصل : نها

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٨

آخر إذا قطع الطريق، واخذ الأموال أن تقطع يده ورجله ، أفهذه صفة الكريم العادل،
الذى يرزق رزقاً ، ثم ينقص ذلك الرزق ولا يهنيه صاحبه ، ثم يقطع يد الذى رزقه
ذلك الرزق ١١٩.

ولا يكون كرمه إلا دون كرم المخلوقين ؛ لانه لا يجوز فى العقول ، ولا فى همم
العرب ذوى الاخطار ، أن يجودوا ، ويكرموا على أحد ، ثم يأمروا بقطع يده ورجله ،
جزاء بما وهبوا له وقسموا واعطوا ١١١

فالله، عز وجل، أحقُّ بالجدود الهنيء ، والعطاء السنى ، الذى لا يتبعه تنغيض ولا
تكدير ؛ لانه اكرم الاكرمين ، وانه ، عز وجل ، الذى يقول إيجاباً على نفسه : ﴿ ذَلِكْ
بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١) ، فهذا اكبر شاهد على
انه ، عز وجل ، لا يرزق رزقاً ثم يقطع يد من رزقه إياه ، هو اكرم من ذلك وأعدل .

وهذه شواهد القرآن قاهرة لحجتك ، وشاهدة لنا عليك ، وأما قولك يا عبد الله بن
يزيد البغدادى ، أن قولنا فى الأرزاق ما لا تقبله عقول أهل الالباب !

وقلت : وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً غيره !

فليس يقول ذلك أهل العدل والتوحيد ، هم أجل خطراً وأعرف بعظمة الله ، عز
وجل ، ووحدانيته من أن يقولوا : إن مع الله ، جل ثناؤه ، رازقاً غيره ، غير أنك تشنع
وتفتري الزور .

الله لا يرزق الحرام :

وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، لا يرزق الحرام ، وأن اخذ الحرام تعدى من
آخذه ، وقد نهى (٢) الله ، عز وجل ، منه . ألا ترى ، ويحك ، كيف قال : ﴿ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) (٣) ، فواجب ، عز وجل ، أن ذلك الذى ادلوا به إلى الحكام ، واكلوه من
أموال الناس ، أنه ليس من رزقه ، ولا من عطيته .

(١) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٢) فى الأصل : نها .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

أولا ترى كيف قسم الله ، عز وجل ، الأرزاق فى المورث ، وجعلها للأقرب فالأقرب من صلبة الرجل ، وحامته وأوليائه وقرابته فى النسب ، وفرض ذلك فى الكتاب ، ولم يجعله لغيرهم ، فإذا غصبهم غاصب ، وأخذهم منهم أخذ ، أوظلمهم فيه ظالم ، اليس قد تعلم أنه قد أخذ ما فرضه الله ، عز وجل ، لهم لاله ، وحرمه عليه ، وأنه رزق من الله ، جل ثناؤه ، لغير ذلك الغاصب الظالم .

٩٠ و / فإن انكرت هذا / هنا ، فقد خرجت من حد من يكلم ، وفارقت أهل الإسلام ، وخرجت من المعقول ، ومن حكم الكتاب وفرائضه ، وفى هذه وحدها الكفاية ، فإن أنت لم ترد علينا جواباً ، ورأيت أنك قد أصبت فى حجتك هذه فى الرزق ، وجب عليك أنك تطالب يوم القيامة ، بجرمين عظيمين موجبين للنار جميعاً .

١- أحدهما : إجازتك للغاصب أخذه لأموال اليتامى ^(١) والمساكين والمؤمنين ، وزعمك أنه إنما غصب ذلك ، وهو له رزق من الله ، عز وجل ، كما قلت / .

٢- والخطأ الآخر : ما تقلدت من الكذب العظيم على الله ، ووضعته لإخوانك ، سنة فيهم ، يقتدون بها إلى يوم القيامة ، من أن الله ، عز وجل عما قلتم ، هو الذى رزق الغاصب أموال المسلمين ، وهو ، عز وجل ، يقول فى كتابه : ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ ^(٢) ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٣) .

ونقول لك ؛ ما تقول فيمن غصب هؤلاء ^(٤) الثمانية ، المسميات ^(٥) فى الكتاب ،

(١) فى الاصل : اليتاما .

(٢) سورة النساء : الآية ١١ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(٤) فى الاصل : هاولا

(٥) فى الاصل المسمانى

أسهمهم^(١) المفروضة من الله ، عز وجل ، (فآخذها لنفسه وولده وشرب بها الخمر ، واكلها دونهم ، الست تشهد أن الله ، سبحانه)^(٢) قد فرضها لهم ، وتفضل عليهم بها ، ورزقهم إياها ، وأوجبها لهم ، دون غيرهم ١؟ ..

فإن قلت : لا . كفرت بالقرآن ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : نعم . هي لهم فريضة من الله ، عز وجل ، مفروضة دون غيرهم .

قلنا لك : فما تقول فيمن أخذها منهم ، واكلها دونهم ظلماً وعدواناً ، أذلك له رزق من الله ، عز وجل ١؟

فإن قلت نعم . هو له رزق . قلنا لك : فما فعل الرزق الاول الذى فرضه الله ، عز وجل ، وأقررت به ، زعمت ، لأهل السهام الثمانية ، أندم عليه أم خبرهم بأمر خدعهم فيه ، ثم رزقه غيرهم ، بعدما أعلمهم أنه قد رزقهم إياه ، وفرضه لهم فى كتابه ، وعلى لسان نبيه ، صلى الله عليه ١١؟

فصار ما ذكر لهم محالاً من القول لا حقيقة له ، على زعمك ؛ لانه ، زعمت ، حوله عنهم ، ورزقه غيرهم !! .

فإن دمت على ذلك فى صفة الله ، عز وجل ، كفرت ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : إن الغاصب أخذ ما ليس له برزق . رجعت عن قولك ، وتركت أصلك ، وقهرناك وبان كذبك على الله ، عز وجل ، فى الأرزاق ، وقولك علينا أنا نقول أن مع ٩٠ ط / الله ، عز وجل ، رازقاً غيره . تشنع بذلك^(٣) / على أهل العدل ، وإنما قولنا ، والذى إليه قصدنا ، أن الله ، عز وجل ، قد قسم الأرزاق فى كتابه فمن قسمها له ، ثم ظلمهم فيها الظالمون ، وأخذها من أيديهم الغاصبون فاكلوها دونهم بلا حق ، وهى رزق غيرهم ، فاكلوا ما لم يرزقهم الله ، عز وجل .

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا

(١) فى الأصل : سهماتهم .

(٢) تكملة من الهامش .

(٣) كررت فى بداية الصفحة (٩٠ ط)

وَحَلَالاً قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ (١)، أفلا ترى (٢) كيف نسب، عز وجل، إليهم أنهم هم الذين جعلوا فيه الحرام والحلال، على ما أرادوا وأضاف ذلك إليهم، وأنه لم يأذن لهم به، ولم يرزقهم إياه، وأنهم قد افتروا عليه الكذب! فسبحان الله العدل، الذي لا يعجز، ولا يرزق الحرام، ولا يعين على الآثام، ولا الخروج من الإسلام.

وزعمت أنت، وإخوانك المجرية، أن هذه الأرزاق التي رزقها هؤلاء (٣) المسلمين في كتابه، أنه قد بدله فيها، عز عن البدوات، وندم عليها فجعلها رزقاً لقطاع الطريق، ونقاب الدور والخوانيت، وشرب الخمر، ومن يبيع الخمر، وكذلك هي أرزاق للفواجر، لأنها كراء فروجهن، وتركت قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾! فإى باطل أبطل مما ذكرنا.

شرع من كان قبلنا وذكر في القرآن هو شرع لنا.

وكذلك يلزمك أنه جعل هذه الأموال، للجررة العاصين من السلاطين، ثم نقول لك: ألم تعلم ويصح عندك، أن الله، عز وجل، استخلف في أرضه الأنبياء، وبعدهم أئمة الهدى، عليهم السلام، ليحكموا بين الناس بالعدل والحق، وقال لداود، صلى الله عليه، وكل ما قال لداود، صلى الله عليه، فهو لازم لجميع من ولى الحكم بين المسلمين في الأرض إلى يوم القيامة، وكذلك كان الحكم من لدن آدم، صلى الله عليه، فقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (٤).

فنقول لك: أليس قد افترض الله، عز وجل، على الأنبياء والأئمة الراشدين، أن تحكموا بين الناس بالحق، وأن من وجدوا معه مالاً، قد ظلم فيه أحداً من عباد الله، أو استفاده من غير حله، ولم يقسمه الله، عز وجل، له في الكتاب، أن يأخذ الحكام

(١) سورة يونس: الآية ٥٩

(٢) في الأصل: ترا.

(٣) في الأصل: ما ولا.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦

ذلك المال منه، ويقهروه على رده بالسيف وغير السيف ، حتى يردّه إلى أهله الذين قسمه الله لهم ١٩..

فنقول لك يا عبد الله بن يزيد البغدادي، وإخوانك الماهرة : أخبرونها الآن هل يجوز ٩١ و / فى هذا الموضع للأنبياء، والأئمة والحكام بين المسلمين، أن يأخذوا / من الناس ما رزقهم الله على قولك من الحرام ، ويردوه إلى قوم آخرين قد رزقهم الله ، عز وجل، إياه أيضاً فى الكتاب، وحكم لهم به .

واعلم أن الأنبياء والأئمة ، عليهم السلام ، والقضاة من بعدهم ، لو علموا أن ردّ تلك الأموال ، وأخذها ممن هى فى يده ، ودفعها إلى قوم آخرين إرضاء لله ، وصح عندهم وراوا أن ذلك رزق من الله ، عز وجل ، وعطية أعطاهم الخونة والظلمة، والجورة وقطاع الطريق، والنباشين للقبور، وجميع المعتدين ، لما استحلّوا فى دين الله ، جل ثناؤه، ردّها (١) ولاقهر من هى فى يده عليها، حتى يردّها إلى قوم ليست لهم بأرزاق ، سبحان الله العلى العظيم ، ما أجهلكم وأبعدكم من الدين ، وأعظم فريتكم على الله ، عز وجل ، وعلى رسله وكتبه ١١.

ثم يأمر الله ، عز وجل، زعمتم وعلى قولكم ، بعد ذلك أن تقطع أيديهم مرة ، وأيديهم وأرجلهم مرة أخرى ، وأنهم من وجدوا ذلك معه، بلغوا به غاية النكال والهوان، ولاموه أشد اللوم، وعابوا عليه أشد العيب، وسموه سارقاً وخارباً وقاطعاً ومشلحاً ولصاً ، وغير ذلك من الألقاب القبيحة التى أزالوا بها شهادته ، وأسقطوا بها دينه .

ولو كان ما قلتم من الحرام رزقاً من الله ، عز وجل ، للسرّاق وقطاع الطرق، والعاصين لهنّاهم رزقه ، ولم يكدره، ولم ينقصه بأعظم خصلتين، وأحسر حسرتين .

١- أما واحدة : فتزعة (لذلك) (٢) المال، ممن قد أعطاه إياه، وجعله له رزقاً ، زعمتم .

٢- وأما الآخر : فتقطع يده، وأيضاً رجله، إن كان ممن قطع الطرق وأخذ المال، سبحان الله العظيم ! ..

(١) فى الأصل : دودها .

(٢) تكملة من الهامش .

أهذه صفة الواحد العادل الرحيم ، الحسن الفعل ، الذى ليس كمثلته شئ ، عز وجل عما قلتم علواً كبيراً .

ولولا خوف التطويل ، لأغرقنا فى الاحتجاج فى هذا الموضع ، بأمر يطول شرحه ، وفيما قلنا كفاية ، لمن عقل وأنصف ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولك : إن الرزق عندك العيش ، فقد جاءك من الحجج ، ما يأتى على جميع قولك ، والله أعلى وأجل .

الحسنة الرابعة عشرة

فى أطفال المسلمين والمشركين

مذهب الجيرة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : فإن سألوك عن أطفال المسلمين ، ما هم عندك ؟
فقل : هم عندنا فى الحكم بمنزلة آبائهم ؛ لأن المسلمين كانوا يصلون عليهم ،
ويرجون إلحاقاً بآبائهم ، فإن قالوا : أخبرونا عن أطفال المشركين ، فقل : نقف عنهم ،
ونسير فيهم سيرة رسول الله ، صلى الله عليه ، نسبى أولاد المشركين ، وتغنم
٩١ ط / أموالهم ، إذا لم يدخلوا فى الإسلام ، ونكف عن أطفالهم فلا نتبرأ منهم . /
ولا نتولاهم فإنهم لم يبلغوا الحلم ، فيكفروا ، فتتبرأ منهم ، ولم يعملوا بإيمان ،
فنتولاهم عليه (فذلك ما نقول فى أطفالهم .

وأما أطفال المحدثين ، من أهل القبلة الذين عملوا بما أسخط الله (١) ، فإننا نقف عن
أطفالهم ولا نتبرأ ولا نتولاهم ؛ لأنهم لم يبلغوا العمل فيعملوا بطاعة ولا معصية ، ولا
شئ عليهم ، ولا نغنم أموالهم ، ولا أموال آبائهم ، وإنما يقاتل المحدث من أهل القبلة ،
حتى يفى إلى الله ، فلا شئ عليه ، ولا غنيمة لإقراره بالله وبرسوله ، وبجملته القرآن .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى فى هذا الباب أيضاً : ثم سلهم أنت عن أطفال
المسلمين أيضاً ، فقل : ما منزلتهم عندكم ؟ فإن قالوا ، كما قلت ، دخلوا فى قولك ،
وإن قالوا : إنهم أولياء لله مؤمنين عندنا ، فقل هل أحل الله سبى المؤمنين والمؤمنات
والأحرار ؟ .. فإن قالوا : نعم . أعطوك ما تريد منهم ، وما لا تريد أن توقفهم على ما
هو أعظم منه .

وإن قالوا : لم يحل الله سبيهم .

فقل : أخبرونى عن أطفال المشركين ، الذين لم يبلغوا الحلم ، أليسوا مؤمنين ،
زعمتم ، فلم تستحلون سبيهم ؟ .. فإن قالوا : هو خير لهم ، نعلمهم الإسلام .

(١) تكملة من الهامش .

فقل : إنا ندلكم على ما هو خير لهم من ذلك ، إذا أنتم سبيتموهم فعلموهم الإسلام والكتاب ، كما تعلمون أبناءكم ، وقولوا لهم : أنتم أحرارٌ مثلنا ، ولا تفرضوا عليهم الغلة وتقيدوهم وتعلقوا في أعناقهم الزنارات ؛ وتنكحوا الجارية منهم بغير مهرٍ ، ولا إذن وليٍّ ، وتزعمون أنها مما ملكت أيما نكم ، وأنتم تعطون في صدر كلامكم أنهم مؤمنون ، فمن أين أحلَّ الله هذا من المؤمنين .

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ؛ رضى الله عنه : وسألت عن الأطفال وشأنهم جميعاً أطفال المشركين ، وأطفال (المسلمين) ^(١) ، وطوّلت في ذلك وشرحت ، فاسمع الجواب وانصف عقلك .

فأول ما أخطأت فيه أن قولك ، زعمت ، في أولاد المسلمين ، أنهم عندك في منزلة آبائهم ؛ فجهلت الحكم والعدل ، ولم تميز بين ثواب العاملين ، ومن لم يعمل ؛ فجرت عن القصد ، وخالفت القول بالرشد ، إذ جعلت حكم من لم يطع الله ، عز وجل ؛ ساعة واحدة ، ولم يجاهد في سبيله ، ولم تُصِبه البأساء والضراء ، والحصار والأزك ، (والجوع) ^(٢) والخوف والبلاء ^(٣) ، وجميع المكاره ، مثل من نزل ذلك كله به ، فسفك دمه ، وسفك دماء المشركين ، وناله (من ذلك) ^(٤) بإنكاء ^(٥) العقوبات ، فجعلته في المنزلة ، زعمت ، كمنزلة آبائهم ١٢ . فوجب عليك ، في قولك ٩٢ و / أن / منزلة أطفال النبي ، صلى الله عليه وعليهم ، في منزلته ، ودرجته عند الله ، عز وجل ، وكذلك جميع أطفال المسلمين ، لهم من المنزلة والثواب ، مثل ما لأبائهم .

ونسيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ^(٧) ، وهذا خطأ من قولك ، وقلة علم بحكم ربك ؛ لأنك لا تعرف العدل ، ولا تميز معانيه ، ولا قول الله ، عز وجل ، ﴿ فَمَنْ

(١) تكملة من الهامش .

(٢) بياض في الاصل .

(٣) في الاصل : البلاء .

(٤) كلمة غير مقروءة بالاصل .

(٥) في الاصل : بانكاء .

(٦) سورة الكهف : الآية ٣٠ .

(٧) سورة يونس : الآية ٢٦ .

درجات عند الله ﴿١﴾ وقال : ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾ .

ونحن نقول : إن أطفال المسلمين كلهم في الجنة برحمة ربهم ، لا بعمل عملوه ، ولا أجر استحقوه ، وذلك أنهم كما لم يكسبوا الذنوب ، ولم يجرموا الجرائم ، ولم يأتوا بالقباح ، ولم ينكروا الواحد ، لم تجب عليهم حجة تلزمهم بها عقوبة . وكان من حكم الله ، سبحانه ، أنه لا يظلم ولا يُعذب على غير ذنب ، كان من جوده وكرمه وسعة ماعنده من الفضل والكرم ، أن تفضل على الأطفال جميعاً ، من ولد آدم ، بدخول الجنة ، رحمة منه وتفضلاً ، إذ لا ذنب عليهم ، فلم يجز في الحكمة والكرم إلا الامتنان بالرحمة ، إذ لا ذنب تقع عليه عقوبة .

وتوقف المجبرة في أطفال المشركين :

وأما قولك في أطفال المشركين ، أنك تقف عنهم ، زعمت ، وتسير فيهم ، زعمت ، بسيرة رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، فتسبي اولادهم ، زعمت ، وتغنم أموالهم ، فقد أخطأت في الشرح ، وهلكت في الاعتقاد ، وغلطت في القول ، وخالفت الحق ، إذ لست ممن جعل الله ، عز وجل ، إليه أحكام الإسلام ، ولا اختصه بالإمامة ، ولا اصطفاه بالولاية ، ولا بوراثه مقام الرسول ، صلى الله عليه ، ولست ممن يجب له الحل والعقد في الأحكام ، ولا يجوز له سبي المشركين ، ولا غنيمة أموالهم .

وإنما ذلك إلى الذين اصطفاهم الله ، جل ثناؤه ، واختارهم على الأمة ، وأورثهم حكم الكتاب والسنة ، وافترض إمامتهم على الخليقة ، حيث يقول ، عز وجل . ، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿٣﴾ ، فليست من أولى الأمر ، ولا لك حجة ، يجب بها لك سبي المشركين ، ولا غنيمة أموالهم ، دون من جعل الله إليه الأحكام ، وقلده أمور الإسلام .

فأما أنت يامسكين ، فإنما أنت رعية مرعى ، محكوم عليك ، ولست براع ولا حاكم ، بل الحكم عليك لمن هو أولى ﴿١﴾ منك ، فاعرف ما تقول واعقل ما تأتي وتذر .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٩ .

٩٢ و / ثم هلكت أيضاً؛ لإنك^(٢) بينما أنت تناظرنا / كيف مصيرهم فى الآخرة، وكيف حكمهم، أفى الجنة أم النار ؟ إذ وضعت تقيننا فى السبى ، وغنيمة الأموال !

وأصل سؤالك، إنما كان عن الجنة والنار ، وكيف حكم الأطفال فى المنزلتين ، وتسال: ما حكمهم فى الآخرة ؟ .. وزعمت أنك تقف عن أطفال المشركين، ولا تنزلهم منزلاً من أحد الدارين .

فنقول لك : نراك الآن قد ناقضت بين قولك، وخلطت فى مسائلك .

أو ليس من قولك : إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين ١١؟ ..

ثم جئت الآن بقوم آخرين ، وزعمت أن لهم حكماً آخر ، فصيرت الخلق على ثلاث فرق بعد ما قلت إنهم لفرقتان ، وزعمت أنك تقف عن واحدة لم يخلق الله ، تعالى ، فعلها ، على قود قولك ، ولم يقض عليها قضاء ، ولم يرد منها إرادة ، ولم يحكم فيها بحكم ، ولم يُنزل فيها كتاباً يعمل به المسلمون، ولا سنة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تُوتر عنه ١١

ونحن نسألك فنقول لك : أخبرنا عن هذه الفرقة الثالثة، التى لم يرد الله ، عز وجل، منها إيماناً ولا كفراً ، على قولك ، ولم ينزل فيها كتاباً ولا ذكراً ولا سنة ولا أمراً، على قود قولك ، أهّم من خلقه فنسيهم ، أم من خلق غيره ، فلم يجب أن يحكم فى خلق غيره ١١؟

فإن قلت : هم من خلقه فنسيهم . كفرت، وخرجت من الإسلام ؛ لأن الله^(٣) ، عز وجل ، لا ينسى^(٤) ولا يغفل عن أحدٍ .

وإن قلت : هم من خلق غيره .. أشركت، ووجب سفك دمك .

(١) فى الأصل : أولاً .

(٢) فى الأصل : بين ما .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) فى الأصل : لا ينسا

وإن قلت : بل هم خلقه . قلنا لك : فهل ذكرهم في أحكامه وكتبه ، أم غفل عنهم ؟

فإن قلت : غفل عنهم .. كفرت وشهد عليك القرآن بالكذب لك ، ولاهل مقالتك عن المجرة ، حيث يقول ، عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) ﴿^(١)﴾ ، وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) ﴿^(٢)﴾ ، وقوله : ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ ﴾ (٧) يعنى : الاطفال .. وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴿^(٨)﴾ ، فهذا كله يدل على انه ، عز وجل ، غير غافل عن الاطفال ولا غيرهم ، وانه قد ذكرهم لنبيه ، صلى الله عليه ، وجعل لهم حكماً فى كتابه .

وإن قلت : انه ، عز وجل ، لم يغفل عنهم ، ولم يدع ذكرهم ، ولا الحكم فيهم ، فى حكمته وعدله وكتابه (٩) وسنة نبيه ، صلوات الله عليه .. لزمك أنك قد كذبت ٩٣ و / على الله ، عز وجل وخالفت حكمه ، وعطلت كتابه فى وقوفك / عن اطفال المشركين ، ورجعت إلى قولنا بالعدل ، وأن الله ، عز وجل ، لم يدع شيئاً من الأشياء ، حتى ذكره فى كتابه وسنة رسوله ، صلى الله عليه ، من أسباب الدين ، وما تحتاج إليه الامة فى أداء فرضها الذى كلفها ، إذ قال : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١٠) ، والذى كذبت فيه ، وعطلت من الكتاب ، وتركت حكم الله ، عز وجل فى امر الاطفال ، خاصة قولك أنك تقف عمن لم يقف الله عن ذكره ، ولا عن بيان امره والحكم فيه ، وانه ، عز وجل ، أرسل رسوله محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، يقاتل المشركين ، فإذا ظفر بهم لم يقتل اولادهم ، وذلك الدليل على انه لو قتل اولاد المشركين ، لجاز عذابهم فى الآخرة ، فلما لم يقتلهم ، عليه السلام ، لم يجز عذابهم فى الآخرة ، لان الله ، عز وجل ، لا يعذب فى الدنيا ولا فى الآخرة على غير جرم .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ :

(٤) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٦) ، (٧) سورة غافر : الآية ٦٧ .

(٩) فى الاصل : كتبه .

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٧ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٣٧ .

(٥) سورة فاطر : الآية ١١ .

(٨) سورة التکویر : الآيتان ٨ ، ٩ .

(١٠) سورة النحل : الآية ٨٩ .

رحمة الله بأولاد الزنا .

وكذلك أولاد الزنا من أهل القبلة بان لنا من رحمة الله ، عز وجل ، وعدله فيهم ، أن المرأة الحامل ، تستوجب أن يقام عليها الحد ، إذا فجرت ، فلا يقام عليها ذلك الحد الواجب ، حتى تضع ما فى بطنها ، ثم لا يقام عليها الحد حتى تفتطمه ، ودليل ذلك واضح على رحمة الله ، عز وجل ، له . وأنه إنما أخر عنها الحد ؛ لحسن نظره للطفل ، لا لها .

وكذلك المشركة ، إذا كانت تحت أحكام الإسلام ، فلزمها قتل أو حد من حدود الله ، عز وجل ، التى يجب بها القتل ، لم تقتل حتى تضع ما فى بطنها ، رحمة من الله ، عز وجل ، وعدلاً منه ، على من لم يُذنب ولم يعص الله ، جل ثناؤه ، طرفة عين .

ثم إذا وضعت لم يُقَمَّ عليها الحد أيضاً ، حتى ترضع حولين كاملين وتفتطم ، فهذا فضل الله ، عز وجل ، وعدله وحكمه ، فى الاطفال كلهم من ولد آدم كلهم فى الدنيا .

ثم زعمت أنه يجوز ، عندك وفى دينك أنه ، عز وجل ، لا تدرى ما هو صانع بهم فى الآخرة ، بزعمك ، حتى ألزمتك ذلك الشك ، وصيرك إلى الوقوف عنهم ، زعمت ، بجهلك لعدل الله ، جل ثناؤه !

وكيف تعرف عدله ، عز وجل ، وأنت مجتهد فى إطفاء نوره ، وعذر من عانده ، وكذبت كتابه فى حكمته ، وإلزامه ذنوب المشركين ، والكفار وجميع العاصين ، سبحانه الله العظيم ، ما اشنع ما قلتم ۱۱۹ .

وكيف تقف ، ويحك ، عن اطفال المشركين واليهود والنصارى ، أو أحد من ولد آدم ، عليه السلام ، والله ، عز وجل ، لقول : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) ، وقوله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَنَّ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ (٤١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٣) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

٩٣ظ / / رسولاً (١٥) ﴿١٥﴾ ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ / يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (٢) ، فتراه لم يرد أن يهلك البالغين ، حتى يعذر إليهم ، فكيف يهلك الأطفال البريئين بغير جرم ! .. وقوله ، عز وجل : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ (٣) ، وقوله : ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) ﴿٨١﴾ ، وقوله : ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١) ﴿١٦١﴾ ، وقوله : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ (١) ، والموءودة : هي الأطفال بإجماع الخلق .

فأله ، عز وجل ، يقول في دار الدنيا ، ويذم من قتل الموءودة ، بأى ذنب قُتلت ، ثم يعذبها ، زعمت ، بالنار يوم القيامة ، عز عن ذلك العدل الذى لا يجور !

ووقفت أنت عن هذا الحكم من شدة ورعك !! .. وزعمت ، وانت تفتري على الله ، عز وجل ، ونجورة في كتابه ، وأحكامه كلها !! ..

ثم لا تتورع عن ذلك ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧) ﴿٢٢٧﴾ فكيف جاز عندك أن تضع كتاباً ، تقول فيه لمن خدعته من الجهال ، أنك تقف عن أطفال المشركين !! ..

فليت شعري ، لاي علة وقفت من عند نفسك عنهم ، أشككت أن الله ، عز وجل ، لا يدخل أطفال المشركين الجنة ؟ .. فليزملك فيما تشككت فيه أنه يدخلهم النار ، إذ لا منزلة في الآخرة توجدُ ثلاثة ، غير الجنة والنار ، فبين ظلمه وجوره ، عز ذلك العدل الذى لا يجور .. أو يكونون عندك لا فى جنة ولا فى نار ؟ .. فليزملك أن فى الآخرة دار ثلاثة ، لم يخبرنا الله ، عز وجل ، بها ، فجعلتها أنت لأن يجوز كذبك ، وتخالف الكتاب ، حتى تقبل منك المجبرة وقوفك عن أفعال المشركين .

(١) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٩ .

(٣) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٨١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٦١ .

(٦) سورة التكاوير : الآيتان ٨ - ٩ .

(٧) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

فإن قلت بدار ثلاثة ، كفرت ، وخالفت جميع الفرق ، وخرجت من قول أهل القبلة ، واليهود والنصارى لا يقولون بدار ثلاثة فى الآخرة .

فاختر أى هذه المضايق الخائفة لك شئت ، فلا بد لك من القول بواحدة منها ، أو التوبة عن الجبر ، والرجوع إلى العدل ، الذى سميت ضده عدلاً . . . لجهلك بعدل الله ، عز وجل ، فالتوبة خير لك من التماذى فى الباطل والعمى ^(١) ، ففوق كل ذى علم عليهم .

وهذه حجة باهرة لكم ، لا يقدر أهل الجبر لها على نقض ، فاتق الله ، وإياك أن تكون من الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرَا (٦٨) ﴾ ^(٢) .

٩٤ و / فاسمع إلى تبريهم منهم ، ولعنهم إياهم بعد / المودة فى الدنيا على الحمية والخطأ الذى أورثهم النار (فبعداً للقوم الظالمين) ١ .

وأما قولك أنا نقول : إن أطفال المشركين مؤمنون . فليس ذلك قولنا ، لا نقول إنهم مؤمنون ولا كافرون ، وإنما هم عباد الله ، سبحانه ، لم يأتهم رسول فكذبوه ، ولم ينزل عليهم كتاب فجحدوه ، ولم تلزمهم حجة ، فأعرضوا عنها ، ولم يركبوا الله ، جل ثناؤه ، معصية ، ولم يعملوا له طاعة ، فأوجب الله ، عز وجل ، الجنة برحمته لهم ، وتفضله عليهم ، إذ هو أهل الفضل والإحسان ، وإذ لا جرم لهم ولا ذنب عليهم ، ولا حجة لزمتهم ، فهذا هو العدل ، وهو الحق وهو الأولى ^(٣) ، بالواحد الكريم .

ورحمته ، عز وجل ، قد بان ، وصحت لهم فى الدنيا ، قبل أن تجئ الآخرة ، إذ لم نقتلهم بما وجب على آبائهم وأمهاتهم من الحدود والأحكام ، ولم نقتل أمهاتهم بعد لزوم الحدود لهن ، لحسن نظره لهم ورحمته إياهم ، حتى فطمتهن واستغنوا عنهن ، فهذا أكبر دليل ، وأوضح قيل ، ولو لم يكن لهم ذكر فى القرآن ، غير هذا لكفاهم ، والحمد لله رب العالمين .

(١) فى الأصل : العما .

(٢) سورة الاحزاب : الآيتان ٦٧ - ٦٨ .

(٣) فى الأصل : الأولى

فأما ما سألت عنه من مواريث أطفال اليهود والنصارى، وأولاد المشركين، فإننا لا نقول إنهم غير مخرجين من مواريث أهل ملة آبائهم؛ لأن ذا أمر قد جرت فيه السنن من رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، إذ قال: «أهل ملتين لا يتوارثون»^(١)، فليس لأحد كلام بعد قول الرسول ﷺ، وقد قال الله، عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)، وليس لأحد أن يخالف السنة والكتاب، وقال، عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣)، وليس قولنا أن أولاد المشركين ولا اليهود ولا النصارى مؤمنين ولا كفاراً، ولا يجوز ذلك إذ لا عمل لهم.

وكذلك أيضاً نحن نقول: إن أولاد المؤمنين لا مؤمنون ولا كفاراً، وإنما الأطفال كلهم حكمهم واحد هم عبيد لله، عز وجل، لا حجة عليهم، إنما يدخلهم الجنة جميعاً برحمته وبفضله، على ما قد بينا وشرحنا، والحمد لله رب العالمين.

وعلى أنه قد جاء في تفسير القرآن، حيث يقول: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾^(٨٨) فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ^(٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ^(٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ^(٩١)﴾^(١).

[فقال أهل التأويل: إن أصحاب اليمين: هم الأطفال، ثم قال: ^(٢)، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾^(٩٢) فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ^(٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ^(٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ^(٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ^(٩٦)﴾^(٦).

٩٤ ظ / فذكروا أن المقربين: هم المؤمنون، وأن أصحاب اليمين: هم الأطفال،

(١) أخرجه البخارى ٥٢٦/٣ (١٥٨٨) وفى مواضع أخرى منه، ومسلم ٥١/١١، وفى مواضع أخرى، وأبو داود ١٢٥/٣ (٢٩٠٩)، والترمذى ٣٦٩/٤ (٢١٠٧)، وابن ماجه ٩١١/٢ (٢٧٢٩)، والدارمى ٤٦٥/٢ (٢٩٩٢)، كما رواه مالك فى موطنه، ص ٣٢١ (١٠ - ١٢)، وابن سعد فى طبقاته ج ١ / ص ٧٩، وفى مسند زيد (٨٩٨)، وأحمد فى مسنده فى مواضع كثيرة منها ١٧٨/٢، ١٩٥، والطيالسى ح (٥٦٨ - ٦٣١) والواقدى ١ ص ٣٣٣٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٤) سورة الواقعة: الآيات ٨٨ - ٩١.

(٥) زيادة فى الاصل.

(٦) سورة الواقعة: الآيات ٩٢ - ٩٦.

وإن المكذبين الضالين : هم الكفار ، والعاصون من أهل النار ، وجملة الخبر أن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١٥) ﴿ (١) وهذه الآية توجب الجنة لجميع الاطفال كلهم جميعاً ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولنا نحن ، والذي نفسره ، فإن أصحاب اليمين : هم الذين عملوا الاعمال التي ترضى الله ، عز وجل ، وتجنبوا معاصيه ، والدليل على أنهم أصحاب الاعمال خاصة ، قول الله ، عز وجل ، في كتابه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (٨) ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴾ (٩) ﴿ (٢) .

(١) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات ٧ - ٩ .

المسألة الخامسة عشرة

خلق الله الكفر والإيمان عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن بدعتهم في قولهم أن الله ، عز وجل ، لم يخلق الكفر والإيمان ، وأن العباد خلقوه ، وليس من خلق الله الإيمان والكفر ، فسألهم عن جعل الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ؟

في الجعل

فإن قالوا : إن الله جعل ذلك . فقل : اليس الله جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر ، وجعل الله صنعه ؟ .. فإن قالوا : نعم ، صنعه خلقه ، وقل : فاخبروني عما كان الله صانعه وجاعله اليس الله هو خالقه ؟ ...

فإنهم لن يجدوا بداً من أن يقولون : نعم ؛ لأن صنعه الله خلقه جعله .

فإن أعطوك هذا دخلوا في قولك ، وإن أعطوك أن الله جعل الكفر وصنعه وخلقه ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إن العباد جعلوا الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر ، ولم يجعل الله ذلك ، ولم يجعل الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان . فإذا لم يجعل هو ذلك ، فكيف يثيب على الإيمان ، وهو لم يجعله غير الكفر ؟ .. وكيف يعذب على الكفر ، وهو لم يجعله غير الإيمان ؟ ..

إن الله لم يجعل في ، زعمكم ، التوحيد حسناً ، ولا الشرك بالله قبيحاً ، فكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ، ولم يجعله كفراً ولا إيماناً ؟

والله إنما ذكرنا في كتابه ، أن الثواب على الإيمان ، والعقوبة على الكفر ، فهو لم يجعل إيماناً ولا كفراً .. فكيف يثيب على ما لم يجعله هو إيماناً ولا كفراً ... ولو شاء العباد لصنعوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً ؛ لأنهم إنما صنعوهما وجعلوهما ٩٥ و / وحسنوهما ، / وقبحوهما ، والله ، لم يضع ذلك ولم يجعله ولم يقبح الكفر ، ولم يحسن الإيمان ، أفليس لو شاء العباد لجعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، وهم

الذين يقبحون ويحسنون ، فلو حسنوا الكفر ، وقبحوا الإيمان ، لكان كما صنعوا ؛
لأنه ليس لله فيه صنع ١٩ .

فإذا كانوا يجعلونه ، فما بالهم لا يغيرون إن شاءوا ما قبحوا ، فيجعلوه حسناً ،
ويحسنوا ما قبحوا ؟ .. فإن أعطوك أنهم إن شاءوا فعلوا ذلك . فقد مكنوك من
حاجتك ، وأعطوك أن العباد لو شاءوا أثاب الله على الكفر الجنة ، وعذب على
الإيمان !!

ولو شاء العباد جعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، ولم يجعلوا الله في ذلك صنفاً ؛
وجعلوا الجنة لمن شاءوا هم ، والنار لمن شاءوا ، ولن يعطوك ، ولا بد لهم ، إن أحسنت
أن تسألهم ، فانظر مواقع هذه المسائل ، فإنك إن أحسنت مساءلتهم على هذا الوجه ،
وقادوا لك هذا الكلام ، دخلوا في الزندقة .

في الاسم والمسمى عند المجبرة :

وإن قالوا : إن الله إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان ، ولم يجعل
الكفر . فقل لهم ذلك : أخبروني عن اسم الإيمان أهو الإيمان ، وعن اسم الكفر أهو
الكفر ؟ ..

فإن قالوا : اسم الإيمان هو الإيمان ، واسم الكفر هو الكفر ، فقد أعطوك أن الله
جعل الإيمان والكفر ، وصنعهما وخلقهما ؛ لأن اسم الكفر هو الكفر ، واسم الإيمان
هو الإيمان .

فإذا جعل الأسماء - والأسماء هي الأشياء بعينها - فقد جعل أسماءها ،
وأسمائها هي هي .

وليس الاسم غير الكفر ، وليس الاسم غير الإيمان ، فقد لزمهم لنا أن الله قد جعل
الكفر والإيمان وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى ^(١)
الذي وقع عليه الاسم ليس بكفر ولا إيمان ، فارجع إلى صدر مسالتك ، فقل لهم :

(١) في الأصل - المعنا

أفليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبحاً ،
والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟ ..

ثم ارفع إلى ما رفعتهم فى صدر المسألة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ومن يضل الله
فلن تجد له سبيلاً .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما :
إنَّ (١) هذه المسألة التى طولت فيها ، إنما كررت فيها المعانى بالفاظ مختلفة ، وكلها
تقضى معنى واحداً ، ونحن نقول : إن الله ، عز وجل ، ذكر الجعل فى كتابه
٩٥ ظ / ووصفه / عز وجل ، على وجهين اثنين ، واضح ذلك فى القرآن غير خفى عن
أحد ؛ لأنه حجة لله ، عز وجل ، على خلقه ، التى لم تتدبرها الممبرة ، ولم يركنوا
فيها إلى العلماء ، ولم يأخذوا الحق من معدنه ، وقلدوا عبد الله بن يزيد البغدادي ،
وغیره ، أمر دينهم قبل البحث وإنعام النظر ، وطى الحجج والبراهين الشاهد للحق ،
فهلكوا عند الله ، عز وجل .

واعلم ان أحد الوجهين اللذين ذكرت لك ، ان الجعل على وجهين .

معانى الجعل فى القرآن (٢) :

١- أحدهما : جعل حكم وتسمية ، أى سماهم بفعلهم ، وحكم عليهم بفعلهم ؛ لا
انه خلق ذلك ولا قدرة ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا ﴾ (٣) ، أى سميناهم بفعلهم ، وحكمنا عليهم بفعلهم .

مثل ما تقول العرب فى لغاتها ، التى قد جعلها الله ، عز وجل ، حجة على قوم
محمد ، صلى الله عليه وعلى آله ، حين يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ
لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٤) ، فلو جاءهم بغير اللغة العربية ما عرفوه عنه ، ولا لزمته طاعة .
فتقول العرب :-

(١) فى الأصل : إنها .

(٢) انظر الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ / ٢٠٨ حتى ٢١٦ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

أضلنى فلان ، أى سمانى ضالاً ، قال الكميت بن زيد الأسدى رحمه الله ^(١) .

فطائفة قد اكفرونى بحبكم وطائفة قالوا : مَسَى ومَذنبٌ

يعنى أنهم سموه كافراً ، ولم يجعلوا فيه الكفر جعلاً ، وكذلك أيضاً جعل مثل قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ ^(٢) ، فذلك جعل حكم وتسمية ، مثل ذلك : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ ^(٣) ، أى سميناهم وحكمناهم عليهم بفعلهم ، ولو كان ، عز وجل ، هو الذى جعل الاكنة على قلوبهم ، على ما يعقل من الحجب والاستار ، ثم أرسل إليهم بقرآن افترض عليهم استماعه والعمل بما فيه ، وقد حال بالاكنة بينهم وبين استماعه ، لزال الحجة ، ولسقط عنهم الفرض .

والشاهد على ذلك قوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ^(٤) ، غير مجبور ولا مخلوق فعله ، وكفى بهذه الآية شاهداً لنا أن من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، غير مخلوق فعله .

والشاهد لنا على ما ذكرت فى الاكنة ، إقراركم لنا يا معشر المجبرة ، أن الأصم ^{٩٦} و / الذى لا يقدر على السمع ، قد زال عنه فرض استماع القرآن والعمل بما فيه ، / وأنه إن عقل الصلاة بتعليم الإيمان ، جازت له ، وقبلت بلا قراءة الحمد وسورة معها ، وقد جاءت السنة أن كل صلاة بغير قراءة الحمد ، فهى خداج ^(٥) . فهذه حجة قاطعة لا حيلة لكم فيها .

٢- وأما جعل الآخر فهو قوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٨) ، فكل جعل فى القرآن على وجهين ، لا يوجد فيه وجه غير ما قلنا .

(١) سبقت ترجمته وتخريج البيت .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٢٥ .

(٤) سورة النمل : الآية ٩٢ .

(٥) رواه الترمذى ١١٧/١ (٣١١) ، وابنماجة ٢٧٣/١ (٨٣٨) ، وخداج : أى غير نامة .

(٦) سورة الانبياء : الآية ٣٢ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٨) سورة السجدة : الآية ٩ .

فأحدهما جعل حكماً وتسمية ، والآخر جعل حتم وجبر وقسر لا مخرج منه ، فاما قولك من جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر ؟ ..

فإن كنت تريد بذلك من خلق الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان . فالكفار هم الذين خلقوا الكفر ؛ أى : فعلوه وعملوه وصنعوه ، والشاهد على ذلك ، أصدق شاهد وأعدله ، قول الله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً ﴾^(١) ، إلا أن تردّ على الله ، عز وجل ، وتكذب قوله ، أو تقول ليس هذه الآية فى القرآن !!

فما نعلم لك مخرجاً ولا محيصاً تلجأ إليه إلا الجحدان . وقد قال الله ، عز وجل ، فى سورة براءة : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^(٢) .

فلا يقدر أحد من جميع الخلق كلهم ، أن يدعى أن الله ، عز وجل ، برئ من خلقهم ، ولا من رزقهم ، ولا من حياتهم ، ولا من موتهم ، ولا أنه برئ من المشركين فى وجه من جميع الوجوه كلها ، بالصحة والحجة القاطعة ، إلا من فعلهم ، وإذا برئ من فعلهم ، صبح أن ليس له فى فعلهم فعل بوجه من جميع الوجوه كلها ، ولا بسبب من جميع الاسباب كلها ، وإلا فهاتوا حجة تدلنا على معنى آخر ، برأ الله منه غير أفعالهم كلها .

وكذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله : اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد ابن الوليد^(٣) ، فإن كان فعل خالد بن الوليد هو فعل الله ، عز وجل ، أو لله فيه فعل بمقياس شعرة ، لزم النبى ، صلى الله عليه ، أنه برئ من فعل الله . . . ومن برأ من فعل من أفعال الله ، ولو صغر ذلك الفعل ، لزمته البراءة من الله !

ومن برئ من الله فقد كفر ، ومن كفر فقد صار إلى النار ، فقولوا فى رسول الله ،

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشى : سبب الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، أسلم قبل فتح مكة سنة ٨٧ هـ ، قاتل المرتدين ، وسار فى جيوش الفتح وتولى قيادتها ، توفى سنة ٢١ هـ . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢ / ٣٠٠ ، وكذا صفة الصفوة لابن الجوزى ١ / ٣٦٨ ، والحديث أخرجه البخارى ٧ / ٦٥٣ (٤٣٢٩) ، والنسائى ، وابن سعد فى طبقاته ج ٢ / ١٠٦ / ١ ، وأحمد ٢١ / ١٥٠ ، وابن هشام فى سيرته من ٨٢٣ ، والوافدى ، ص ٣٥٣ .

صلى الله عليه ، ما شئتم ، فلعمري ، لقد افترىتم على الله ، عز وجل ، فهو أجدر أن تفتروا عليه .

وزعمت يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وأصحابك المهجرة ، أن الله خلق فعل المشركون ، وخلقه ، زعمت ، صنعته ، فكيف يخلق خلقاً ثم يتبرأ منه ؟! .. أيجوز هذا في حكم عادل حكيم ، لا بل هل يجوز هذا على عايب جاهل ؟! .. معاذ الله .

٩٦ ظ / أما إذا صدق نفسه ، وأنصف عقله ، علم ذلك الجاهل ، أنه إذا فعل / فعلاً لم يصلح عند نفسه أن يتبرأ منه ، وإذا لم يجز في حكمة الحكيم ، الذي لا يظلم أن يقول في كتابه : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (١) ، وكان الصواب والعدل والحق أن يقول : ظهر الفساد في البر والبحر ، بما صنعت و خلقت وأردت وقدرت من أفعالي بالناس ، ولا يعنفهم في أمر هو خلقه وأراده !!

فإن في الناس من يميز عليه هذا الحكم ، وقد حكى مثل ذلك من عيبه لهم ، حيث قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (١٣٤) (٢) ، فهذا دليل على العدل ، وعلى أن الاستطاعة قبل الفعل .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١٤) (٤) ، مع آيات كثيرة في كل سورة تشهد لعدل الله ، عز وجل ، وتنفي عنه الجور والظلم ، وخلق أفعال العباد ، وإرادة السوء والظلم والفساد ، اختصرنا فيها خوف التطويل .

ومن الجمل الآخر أيضاً الذي هو جبر وحتم ، قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٥) ، فهذا جعل حتم وخلق ، على قود قولكم ؛ لأنكم أيها الخوارج تدعون القول بشئ من معرفة التوحيد ، فمن حججتكم في التوحيد ، زعمتم ، أنكم تقولون

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٢ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية ١٤ ، وفي مواضع أخرى سبق ذكرها .

(٥) سورة الزحرف : الآية ٣ .

أن القرآن مجعولٌ ، وكل مجعول مخلوقٌ ، فهذا يلزمكم لنا أحببتكم أو كرهتم ؛ لأنه أصل قولكم في التوحيد .

فإن قلتم : وكذلك يلزمنا نحن أيضاً ، أن كل مجعول مخلوق من غير القرآن ، من الجور والظلم والفسق والكفر ، الذى زعمتم أن الله خلقه وصنعه .

فإننا نقول لكم رادين عليكم ، فإن قصيدة لبيد بن ربيعة الكلابي^(١) التى هى سمطه ، التى يقول فيها .

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^(٢)

مجعولة ، جعلها لبيد بن ربيعة الكلابي ، وصنعها .

والله ، عز وجل ، زعمتم الذى خلقها ، كما خلق القرآن ، وصنعها كما صنع القرآن ، على قود قولكم ، فلا بد لكم من أن تقرؤا بذلك ، وترجعوا عن دعواكم ، لاخذنا بخطامكم فى هذا الموضوع ، فتقولوا : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق قصيدة لبيد ولم يصنعها ، فإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق قصيدة لبيد ، على دعواكم : إن الله خالق كل شئ . قلنا لكم : وكذلك خلق الله القرآن ، فما الفرق بين الشعر والقرآن فى الفطرة والصنعة ؟ .. وما فضل أحدهما على الآخر ؟ ..

فلا تجدون فرقاً تدفعوننا به ؛ لأن الشعر ، فى زعمكم ، الله خلقه ، والقرآن الله خلقه ، زعمتم ، فجائز لمن صلى بقصيدة لبيد ، وغيرها من الأشعار ، وجائز لمن صلى ، بالقرآن ؛ لأنه كله ، على زعمكم ، خلق الله وصنعه ، وصنعه خلقه ، وخلقُه صنعه ، على ما قلت يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، فى أول مسالتك هذه خاصة ..

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض الصلاة بالقرآن ، ولم يفترض الصلاة بالشعر ،

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري ؛ أحد الشعراء الفرسان الاشراف فى الجاهلية ، أسلم ووفد على النبي مع المؤلفة قلوبهم ، هجر الشعر بعد إسلامه وكان جوداً كريماً يبحر للأضياف ، ونذر أن ينحر ويطعم عندما تهب الصبا . توفى سنة ٤١ هـ . - انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٥ / ٣٤٠ ، وكذلك خزائن الادب للبغدادي ٣٣٧ - ٣٣٩ .

(٢) هذا البيت هو صدر معلقته الشهيرة ، وهى من بحر الكامل ، انظر المعلقات للزوزنى ، وجمهرة اشعار العرب للقرش ، ص ١٢٩ .

قلنا لك : صدقت ، ولكن هات لنا حجةً نَفَرِّقُ بها بين خلقه للقرآن ، وبين خلقه للشعر ..

فإن قلت : إن الفرقَ من قَبْلِ أن القرآن خلقه وحده ، لم يشرك فيه أحدٌ ، والشعر خلقه هو وغيره من الشعراء ، على قود قولكم ، فعل من فاعلين ، وأنه لله خلقٌ ، وللعباد كسب . قلنا لك : فقد لزمك أن الله ، عز وجل ، شريكاً في خلقه .

ولا بد لك أن تقول : إن الله ، جل ثناؤه ، وليد بن ربيعة الكلابي ، صنعا القصيدة وخلقها ، وخلقها المعروفة بـ :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها .

فتقول : إنهما خلقاها جميعاً وصنعاها ، فله نصفها ، ولليد نصفها ، على قود قولك . . . فيجب عليك أنك قد رجعت عن قولك : إن الله خلق أفعال العباد ، وصرت بأنه يخلق نصف أفعال العباد ، وانتقض قولك الأول الذي تناولت به ، وانتفخت علينا بسجعه !! .

وإن قلت : إنك لا تقول : إن الله خلق نصف قصيدة لبيدٌ ، ولبيد خلق نصفها الآخر .

قلنا لك : فكيف نقول في القصيدة ، مَنْ خلقها هي وسائر الأشعار ؟ . . . إذ قد رجعت وكرهت أن تقول إن الله خلق نصفها ، ولبيد بن ربيعة نصفها ، فهل تقول : إن الله خلقها وحده منفرداً بها لا شريك له في خلق القصيدة ، وخلق صنعه ، زعمت !! .

فإن قلت : نعم ، الله الذي تفرد بخلق القصيدة ، وصنعها وحده ، لزمك صاغراً داخراً عاثراً أن الله ، عز وجل ، صنع هذا القول ، جل الله عن قولكم . وهو قول لبيد بن ربيعة :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ ، وَقَدْ نَاتَ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا (١) .

(١) نورا اسم الحبيبة ، والرمام هو القطعة من الحبل البالي .

فيلزملك ، ويلك ، أن الله ، عز وجل ، يصنع الغزل ويخلقه ، على قود قولك ، واحتجاجك أن الله خلق كل شئ من جميع الأشياء ، من أفعال العباد هو ، من كفر أو إيمان ، أو طاعة أو عصيان ، أو شعرا أو غيره ، وقولهم الخطأ والخنا .

وإن خلقه صنعه ، زعمت ، وإن ما خلقه فقد صنعه ، فاسمع ما يلزملك من الفضيحة الهائلة ، في هذه القصيدة ، وما ألزمت الله ، عز وجل ، من خلقه لها وإن ذلك يلزملك الشرك ، ويخرجك من الإسلام ، لما قلت : إن الله يصنع الأشياء كلها ويخلقها ، فاسمع ما يلزملك في ذكر النساء ، ووصف أسبابهن ، ونعت الخمر ، ٩٧ ظ / وصفه الإبل والخيل والقفار والحل والارتحال / وتقطع الوصال ، فيلزملك أن معبودك . هو الذى خلق هذا الشعر كله ، وكل شعر على وجه الأرض فيه الخنا والقبيح . من ذلك قول لبيد فى البيت الثانى :

مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ ، فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا^(١) .

فيلزملك أيها الجاهل بالله ، عز وجل ، أنه يشكو الحزن عليها ، والغم بفراقها ، وبعد نايها ، وإن مزارها لا يرومه ، ولا يقدر عليه لبعدها ١١ .

البيت الثالث :

فَاقْطَعْ لُبَانَةً مَنْ تَعْرُضُ وَصْلُهُ وَلِشَرِّ وَاصِلٍ خُلَّةٍ مَرْمُومُهَا^(٢) .

فيلزملك أن معبودك ، عز وجل وتعالى عما قلتم ، يُعزى نفسه عن طلب الوصال ، ويشكو جفاء المواصل ١ .

البيت الرابع : قوله يصف الناقة

بَطْلِيحٍ أَنْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةَ مِنْهَا ، فَاحْتَقَ^(٣) صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا^(٤) .

فيلزملك أنه يصف الإبل والمسافر عليها ، وأنه قد أهزلها بطول الأسفار ، التى لا يقطع المهامه إلا على مثل تلك الحال .

(١) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فهد : موضع فى طريق مكة .

(٢) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير .

(٣) فى المعلقة : واحتق .

(٤) الطليح : الناقة المعيبة . احتق : ضمير . صلبها : ظهرها .

البيت الخامس :

أَفَلَمْ^(١) تَكُنْ تَذَرِي نَوَارُ بَانِي وَصَالُ عَقْدِ حَبَائِلِ جَذَامُهَا؟

فيلزمالك أنه ، عز وجل ، يصف مواصل النساء تارة ، ويصف صرم حبالهن ترة أخرى ، ولا يفعل هذا إلا أهل الغزل والطرب والسفه .

البيت السادس :

تَرَأُكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَفُوسِ حِمَامُهَا .

فتلزمك البلية العظمى^(٢) ، أنه يقول مثل هذا القول ، الذي يقول فيه « أو يرتبط بعض النفوس حمامها » ، والحمام في لغة العرب ، هو الموت لا شك فيه .

البيت السابع :

بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَقَ لِذِي لَيْلِهَا وَمَدَامُهَا^(٣)

فيلزمالك أنه ، عز وجل عن ذلك ، يصف السهر واللذة فيه ، باللهو والمدام ، والمدام هو الخمر عند العرب .

البيت الثامن من قوله :

قَدْ بَتَّ سَامِرُهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافِيَتْ ، إِذْ رُفِعَتْ ، وَعِزُّ مُدَامُهَا

فيلزمالك أنه يصف الخمر ، وموافاتها إذا غلت عند الخمار ، وأنه يصف السهر بالليل مع الشراب ؛ لأنك زعمت أن خلقه صنعه ، فيلزمك أن ما ذكرنا من هذه العظائم صنع الله ، عز وجل .

البيت التاسع قوله :

أَغْلَى السِّبَاءِ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدَحَتْ وَقُضُّ خَتَامُهَا .

فيلزمالك أنه يصنع ويغلى شراء الخمر ، ويبذل الثمن في أزقاق الخمر ، والأدكن

(١) في المعلقة : أولم .

(٢) في الأصل : العظما .

(٣) في المعلقة : لهرها وندامها ، (وقد كتبت على البيت أيضا)

عند العرب هو الزق ، والجونة هى الجرة التى تقدح ، ويفض خاتم يكون عليها ، كما
تصف العرب .

البيت العاشر قوله :

٩٨و / بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا / الدَّجَاجُ بِسُحْرَةٍ لِأَعْلُ مِنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامُهَا .

فيلزمك أنه ، عز وجل عما قلت ، خلق هذا القول وصنعه ، وخلق صنعه عندك ،
وأنه يباكر قبل صباح الديك الخمر ، ليعل منها أى يشربها ، فى قول لبيد يصف نفسه
حين استيقظ ندماءه النيام ، فزعمت أن الله ، تعالى ، صانع هذا القول ، ولا نعلم شركاً
فى الأرض هو أعظم من هذا الذى وضعت علينا فيه الكتب ، فانظر ماذا نزل بك !

البيت الحادى عشر : قول لبيد :

وَعَدَاةٌ رِيحٍ خَسَفَتْ وَقِرَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ بِهَيْدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا ^(١) .

فيلزمك كل بلية وشناعة فى صفة خالقك ، البرئ من كذبك والغربة عليه .

البيت الثانى عشر :

بِصَّبُوحٍ صَافِيَةٍ ، وَجِدْرِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَى لَهُ أَهْنَامُهَا ^(٢) .

فيلزمك ، أيها الهالك فى دينه ، الصاد عن صراط ربه ، أنه يصف الصبوح من
الصابية ، وهى الخمر ، ويصف الضاربة بالعود ، وهى الكارينة فى لغة العرب ، الذى
ذكر لبيد ، والموتر هو العود الذى اتخذ السفهاء لهواً وطاعة للشيطان .

البيت الثالث عشر من قول لبيد :

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْخَيْلَ يَحْمِلُ شِكْثَى فَرَطٍ وَشَاحَى ، إِذْ غَدَوْتُ ، لِحَمَامُهَا ^(٣) .

فيلزمك أنه ، عز وجل ، من ذلك يحمى الخيل ، وتحمل شكته الدواب وتحمله ،
تبارك وتعالى ، وأن وشاحه لجامها ، أراد بذلك لبيد بن ربيعة الكلابى ، أن العرب إذا

(١) فى الاصل والمعلقة : وزعت .. إذ .

(٢) جاء البيت فى المعلقة :

بِصَّبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَى لَهُ أَهْنَامُهَا .

(٣) وفيه ولقد حميت الخيل .

نزلوا عن خيولهم لحوائجهم ومخاطباتهم، ربطوها وخلعوا لجمعها فيتوشع الرجل منهم بلجام فرسه مع سيفه يتقلده ، كما يتقلد بحمائل سيفه ، وهذه صفة المخلوقين ، عز وجل وتعالى عما قالت المجبرة علواً كبيراً .

وإنما احتججنا عليك بهذا القول عمداً ، ليعلم من له أدنى ^(١) عقل أنك يا عبد الله ابن يزيد البغدادي ومن دان الله ، عز وجل ، بمثل قولك من أهل الجبر القائلين : إن الله خلق أفعال العباد كلها ، قد بانت فضيحتكم ، وسقطت دعواكم ، وصح كفركم وباطلكم بما ذكرنا ، وأجبنا عليكم ، من الحجة القاطعة ، فيما ألزمناكم من شعر لبيد ، ثم نقول لكم أخبرونا متى (٢) خلق الله ، عز وجل ، قصيدة لبيد ، قبل اكتساب لبيد لها أم بعده ١١٩

فإن قلت : إن الله خلق القصيدة قبل اكتساب لبيد لها ، وخاتمه صنعه ، زعمتم . ٩٨ ظ / لزمكم أن الله ، عز وجل ، قد صنع كل ما في قصيدة لبيد / من العظام ، وكذلك كل شعر هو صنعه وفعله !!

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خلق قصيدة لبيد بعد ما اكتسبها لبيد ، لزمكم أن قول لبيد لها كان قبل صنع الله ، وأن صنع الله إنما هو تابع لصنع لبيد .

فاختاروا أي هذين القولين شئتم ، فايهما ما قلتم به ، ألزمكم الكفر ، والخروج من دين الإسلام ، ثم نقول لكم : لا بد لكم أن تقولوا إن الله ، عز وجل ، خلق هذه القصيدة وحده منفرداً بخلقها وصنعها لا صانع لها معه غيره .

فإن قلتم ذلك وأجزتموه ... قلنا لكم : فقد لزمكم في صفة ربكم ما وصف لبيد ، وإن لبيداً لا فعل له فيها ، وكفرتم .

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خلق بعضها ولبيد بعضها ، لزمكم أن معبودكم خلف نصف ما قال لبيد وصنعه ، ونصف ما قالت الشعراء ، وصنعت من وصف الخمر والمغنيات ، وجميع البلايا .

وهذا ما لم يسبقكم إليه الزنادقة ، ولا المجوس ، ولا أحد من الملحدين .

(١) في الأصل : أدنى .

(٢) في الأصل : متى .

ولم تظن ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، ولا غير من الهجرة ، أنكم تجابون بمثل هذا الجواب الهانك لإستاركم والمبين لعواركم ابداً ، ولا بد لك من أن تقول ببعض هذا .

وإن قلت : لا أقول إن الله خلق أشعار العرب ولا صنعها ، لزمك أنك قد رجعت عن قولك بالجبر ، وصرت إلى قولنا بالعدل ، وإن الله لم يضع أشعار العرب ، ولزمك أنك قد كنت كاذباً علينا في دعواك ، أنا مفترون على الله ، عز وجل .

ثم نقول لك : اليس قد ذم الله ، عز وجل ، الشعراء حيث يقول : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أَلَيْسَ لِمُنْقَلَبٍ مَّنْقَلَبٌ (٢٢٧) ﴿ (١)

فهل يجوز أن الله ، عز وجل ، خلق وصنع من شعرهم ما عاب عليهم ، وهو خلقه وصنعه ، وهل هذه صفة حكيم عادل ، وهو يقول في كتابه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ (٢)

وكيف يؤدبنا على شيء ثم يفعله ، عز وجل ، عن ذلك وجل ١١

ثم نقول لعبد الله بن يزيد البغدادي ولمن قال بقوله : أخبرونا عن القصيدة التي هجأها عمرو بن العاص (٣) رسول الله ، صلوات الله عليه ، فلما بلغ النبي ، صلى الله عليه وآله ، خبره ، فقال : «اللهم إنك تعلم أني لا أقول الشعر فالعنه بكل بيت لعنة» ، فنقول لكم : اليس من قولكم أن الله ، عز وجل ، خلق تلك القصيدة ١٩

٩٩٠ / فإن قلتم : نعم . لزمكم أن الله / جل ثناؤه ، هو الذي هجى رسوله ، صلى الله عليه ، .. وهذا كفر من قائله .

(١) سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبد الله : فاتح مصر ، واحد عظماء العرب ودهاتهم وأولى الراي والحزم والمكيدة فيهم . أسلم في هدنة الحديبية ، وولاه النسي ، ﷺ ، إمرة «ذات السلاسل» ، وفتح قنسرين ومصر ، وعزله عثمان عن إمرة مصر ، وكان مع معاوية في الفتنة الكبرى ، وكافاه معاوية بإطلاق يده في أموال مصر ست سنوات ، توفي سنة ٤٣ هـ ، وللشيعة موقف منه .

• انظر ترجمة في الاعلام للزركلي ٥ / ٧٩ ، وكذلك وتاريخ الإسلام للدهبي ٢ / ٢٣٥ - ٢٤٠ .

وإن قلتم : لم يخلق قصيدة عمرو بن العاص . رجعتم عن قولكم ، وبان كذبكم ،
ويصح أن الحق معنا دونكم .

ثم نقول لكم أخبرونا : أليس من خلق شيئاً وصنعه لزمه أنه ربُّ لذلك الشيء؟ .. ١٩ ..
فاذا قالوا : بلى . قلنا لهم : أجائز عندكم أن يقول القائل إذا دعا ربه : يارب
الاشعار والقصائد اغفر لى ذنوبى ؟ .. أو هل يجوز أن يدعو فيقول : يارب الزنا ،
ويارب الخمر ، ويارب اللواط ، ويارب المعازف ، ويارب الفواحش ، ويارب القتل
والظلم والكذب والربا والكفر والشرك اغفر لى ذنوبى ؟ .. ١٩ ..

فإن قلتم : نعم ذلك جائز أن يدعى ^(١) به . قلنا لكم : فهل هذه الأسماء حسنة أم
قبيحة ؟ .. ١٩ .. فإن قلتم : أسماء حسنة . بان كذبكم عند جميع الأمة ، إذ سميتم
القبيح فى العقول حسناً ، وخرجتم من المعقول .. وإن قلتم : لا ، بل هى قبيحة .
قلنا لكم : فلم أجزم أنه جائز أن يدعو الداعى بها إلى الله ، عز وجل ، والله ، عز وجل ،
يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) ^(٢) ، فيجب عليكم الرجوع إلى ما توجبه عليكم من الحجج القاطعة ،
التي لا مخرج لكم منها ، والحمد لله رب العالمين .

لم يخلق الله باطلاً أبداً ،

ومن الحجج لنا على عبد الله بن يزيد البغدادى ، وعلى من قال بقوله ، من جميع
أهل الجبر ، الإلحاد فى صفة الله ، جل ثناؤه ، أنا نقول لهم خبرونا : عن قول الله ،
تبارك وتعالى ، : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ ^(٣) ، اليس هذا فى
القرآن ؟ .. ١٩ ..

فإن قالوا : بلى ^(٤) . قلنا لهم : فأخبرونا عن الكفر والشرك ، وجميع المعاصى

(١) فى الاصل : يدعى .

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٨٠ .

(٣) سورة ص : الآية ٢٧ .

(٤) فى الاصل : بلى .

والفواحش كلها الذى ادعى^(١) عبد الله ، بن يزيد ان الله ، عز وجل ، خلقها وصنعها وارادها وقدرها ، وكذب المفترون على الله ، اليس هى بين السموات والارض ؟ ..

فلا بد لهم من ان يقولوا : نعم . فنقول لهم : فخلق الله للشرك والكفر وجميع المعاصى التى ذكرت ، احق هو ام باطل ، ام خلق ذلك كله لا حق ولا باطل ؟
فان قالوا : خلقه الله حقاً . قلنا لهم : فهو حق كما خلقه الله حقاً .

فان قالوا : لا . لزمهم لنا ووجب عليهم ان الله ، عز وجل ، لم يخلق الاشياء على امر من الامور توقف عليه ، فنحن على خلاف الامر الذى خلقنا الله عليه ا
فهم لا يدرون لعل الله خلق الناس حميراً ، والحمير ناساً ، وهذا غاية التجاهل والعمى .

وان قالوا : لا نقول ذلك ، ولكننا نقول : خلق الله جميع ذلك حقاً . قلنا لهم :
فالكفر والشرك وقول اهل الدهر ، وجميع المعاصى ، حق كما خلقها الله حقاً ا

فان اقروا بذلك واجازوه ، لزمهم لنا ان القول بان الله ثالث ثلاثة ، وان له ولداً /
٩٩ ظ / وان يده مغلولة ، وان له الشركاء ، والانداد والاضداد والاولاد حقاً ...
وهذا هو التعطيل ، والخروج من ملة الإسلام ، والبراءة من الله ورسوله^(٢) ، العدل الذى لا يخلق الباطل ولا يصنعه ، ولا يقضيه على فاعله ، ولا يريده ولا يرضاه ، كما قال ، عز وجل ، : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾^(٣) .

وان قالوا : ان الكفر باطل ، وان الله هو الذى خلقه باطلاً . قلنا لهم : فانه يجب عليكم من الكفر اعظم من الذى هربتم منه ؛ لان قولكم : ان الله الذى خلق الباطل : تكذيب منكم لقوله ؛ ورد لكتابنا ، اذ يقول ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٤) ، والكفر والشرك

(١) فى الاصل : ادعا .

(٢) بالهامش : «رسله» .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٧ . ورد خطأ بالآية : وما خلقنا السموات ...

وجميع المعاصي بين السموات والأرض ، تبارك الله وتعالى عما يقول المجبورون علواً كبيراً.

وقوله ، تبارك وتعالى ، : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(١) ، فلم يسمى خلقه وصنعه باطلاً ، أفهكذا ^(٢) يقول الحكيم الحسن الفعل ، الذى يخبر عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم...! ويقول : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ^(٣) .
ثم قال : ﴿ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ^(٤) .

فليت شعري أيهما الباطل ، وأيهما الحق...! وكلاهما ، زعمتم ، خلق الله وصنعه! فوالله لا يزيد المجانين على هذا الخبط والتخليط ، الذى لا يعقل ، أن المجبرة زعمت أن الواحد الحكيم العدل الرحيم ، الذى لا يجور ولا يظلم ، ينزل على رسوله فرائضاً افترضها على عباده ، وحتمها عليهم ، ثم يحول بينهم وبين الوصول إليها ، ثم يقول لمن افترض عليه الفرائض ، لم كم تؤد ما أمرتك به...!

وقد خلق بين السماء والأرض أفعال العباد كلها ، كما زعمتم ووصفتهم .

وقال إنه لم يخلق ذلك باطلاً ، وقال : ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ^(٥) .

رجع ^(٦) علينا زعمتم ، فإذا فى كتابه أن بعض ذلك الخلق ، قد صار حقاً ، وبعضه قد صار باطلاً بعد ما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ^(٧) ، ثم قال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ^(٨) فمثل هذا الذى أسندتم إليه هذه القبائح ،

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٢) فى الأصل : أفهكذا .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٥٦ .

(٥) سورة ص : آية ٢٧ .

(٦) بالهامش أيضاً بجوار هذه العبارة : (وجدت هذا فى الحاشية لا ادرى من الكاتب أم من غيره؟) وواضح أن هذا الكلام

ليس من المؤلف ، وربما من أحد المالكن للنسخة . إنما يقول باطلاً أى همجاً لا لعنى ، لا أنه عنى السموات والأرض

وما بينهما أمره باطل فى ذات أنفسهم ، كتبت هذه الفائدة لا للمعارضة .

(٧) سورة ص : الآية نفسها .

(٨) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

مثل رجل زجاج ، عمل آنية كثيرة من الزجاج ، فلما فرغ منها أخذ لها عموداً ، ثم اعترضها من جانب بالخط والكسر ، فلما انكسرت قال لها : لم تكسرت ، والله لا عقابك العقوبة الموجعة !! ..

ثم يجب له من بعد هذا اسم الحكمة والعدل ، والنصفة والرحمة ، ونفى الجور والظلم ، الا لعنة الله على الظالمين : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ ۝۱۰۰ / بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (١) ، ولا اكفر بالآخرة ممن . / زعم ان رب الآخرة هذه صفته ، واتبع هواه ، وترك القرآن ، والتدبر لبراهينه وعجيب مجاريه .

ولما نحمد على ما أوضح لنا في كتبه ، وارشدنا إلى سبيله ، إنه منان كريم .

ثم نقول لعبد الله بن يزيد البغدادي ، ولمن قال بقوله من أهل الجبر والفرية على الله ، عز وجل : خبرونا عن هذه المسألة ، فإن فيها قطع ما قلتم ، والله من الامر ذهبتم .

خبرونا عن الكافر عاجز هو عن خلق الكفر ؟

فإن قلتم : نعم .. قلنا لكم : أفقادر هو على اكتساب الكفر ؟

فإن قلتم : نعم ، قلنا لكم ، فالشيء الذي عاجز عنه هو الشيء الذي قدر عليه !!

فإن قلتم : نعم . لزمكم لنا انه عاجز عما هو قادر عليه ، وقادر على ما هو عاجز ، وهذا من اعظم التخليط وأبين الاستحالة والمناقضة .

وإن قلتم : الذي عاجز عنه ، هو غير الذي يقدر عليه ، والذي يقدر عليه ، هو الاكتساب ، والذي يعجز عنه هو الخلق ، والخلق غير الاكتساب (٢) .

فقد لزمكم لنا في زعمكم ان اكتساب العباد غير ما خلق الله ، عز وجل ، وهذا ترك لقولكم ورجوع من مذهبكم .

الاسم والمسمى عند العدلية ،

ثم نقول لعبد الله بن يزيد : اليس من قولك ، في اول هذه المسألة التي سالتنا عنها ، ان الكفر هو الكفر ، وان اسم الإيمان هو الإيمان ، وأن ليس اسماهما شيئاً غيرهما ،

(١) سورة الاعراف : الآية ٤٥ .

(٢) بالهامش كلام للإمام المرتضى بين فيه ان الزهدية والأشعرية متفقان في الاصل ، وان الخلاف بينهما شكلي .

فيلزمك لنا أن اكتساب الكفر هو الكفر ، وأن اكتساب الإيمان هو الإيمان ، لا غير ذلك على ما قلت ، وهذا كتابك الذى وضعت علينا ، وقد بان قهرنا لك ، وقطعنا لحجتك باوضح البيان ، وأيقن الإيقان ، لما ناقضت القول ، وخالفت الدُّعوى ، فزعمت مرة أن الله خلق أفعال العباد ، وأن العباد اكتسبوا ذلك الخلق ، ومرة زعمت أن ليس أن الاسماء ، هى شئ غير الأفعال .

لأنك زعمت أن ليس اسم الشئ غير الشئ . فيلزمك فيما تدعى من التوحيد ، أن اسم الله هو الاحرف المعروفة ، وهى « الف لام لام هاء » ، فزعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، ففسد عليك ما ادعيت من التوحيد ، إذ زعمت أن معبودك ليس اسمه غيره .

فيلزمك أن « الف لام لام هاء » ، التى تكتب مرة ، وتمحى مرة ، تبصرها الأعيان وتدرکہا الحواس هى معبودك ، لما زعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، وكفى ^(١) بهذه فضيحة عليك ، إذ خرجت من العدل والتوحيد جميعاً !!

ومن الحجة عليك قول الله ، عز وجل ، يضيف أفعال العباد إليهم ، وأنه لم يخلقها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ﴾ ^(٢) ، فارتفعوا فى اللغة العربية ، وعند أهل النحو ؛ لأنهم فاعلون ، ولو كان هو ، عز وجل ، خلق أفعالهم ، لم يجز فى القرآن . . ١٠ / العربى ، إلا أن يقول هو الذى خلقكم كافراً ومؤمناً . / فيجب أنه الذى خلق أفعالهم ، وهذه من القرآن ولا يجوز فى النحو غيرها .

ومن الحجة عليك أن نقول لك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ فَعَالٍ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ^(٣) ، هل هذه الإرادة تامة نافذة محكمة ، أنه لا يريد شيئاً من جميع الأشياء كلها ، صغر ولا كبير ، عز ولا هان ، إلا كان ذلك الشئ . . أم بعض ذلك يمكنه كونه ، ويمتنع عليه كون بعضه ١٤ . .

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، إذا أراد أمراً من جميع الأمور ، فلا بد من نفاذ ذلك الامر ، كائناً ما كان ، لا يمتنع عليه شئ مما أراد وشاء وأحب وقضى وخلق وامضى .

(١) فى الأصل : المسما ، وكفا .

(٢) سورة التغابن : الآية ٢ .

(٣) سورة البروج : آية ١٦ .

قلنا لك : كذلك الله ، عز وجل ، ولكن اعرف ما يلزمك فى قولك عليه بالجبر ،
وافهم ما يأتيك فى آخر المسألة ، فإن فيه فضيحتك وانقطاعك .
ثم نقول لك : قد أقررت ولزمك أنه لا يمتنع على الله ، عز وجل ، شئ ، ولا يغلبه
إذا أرادته وأمر به .

فإذا قلت : نعم . قد أقررت ولزمنى ما قلتم . لأنك لو قلت غير هذا كفرت .
قلنا لك : فما معنى ^(١) قوله ، عز وجل ، : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ ﴾ ^(٦٥) ، هذا
قبول جبر جبرهم عليه أم تخيير منه لهم ، إن شاءوا فعلوا ، وإن لم يشاءوا لم
يفعلوا ؟ ..

فإن قلت : بل هم مخيرون تخييراً ، إن شاءوا فعلوا ، وصاروا قردة ، وإن لم يشاءوا
لم يصيروا قردة . لزمك أن الخلق مخيرون تخييراً ، من أراد اطاع ، ومن أراد عصى .
على أن ليس قولنا أن القوم الذين قال لهم كونوا قردة خاسثين ، مخيرين فى ذلك
تخييراً . ولكن قولنا : إنهم مجبورين جبراً وقسراً .

وإن قلت : لا أقول إنهم مجبورون تخييراً ، ولكنى أقول : إنهم مجبورون جبراً وقسراً
لا بد لهم من ذلك ؛ لأن إرادة الله وأمره لا بد من نفاذه ، ولذلك صاروا قردة خاسثين ،
لا بد لهم من ذلك .

قلنا : صدقت هذا هو الحق ، فما تقول فى قول الله ، عز وجل ، حيث يقول
للناس : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٣) ، هل أراد ذلك منهم جبراً جبرهم عليه ،
(وقسراً) ^(٤) قسرهم على فعله ؟ ...

فإن قلت : لا ، لم يجبرهم ، ولم يقسرهم . وجب لنا عليك ، ولزمك أن العباد
مخيرون تخييراً فى الطاعة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين ، ورجعت عن
قولك ، ودخلت مع أهل الحق .

(١) فى الأصل : معنا .

(٢) سورة البقرة : آية ٦٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٤) زيادة من الهامش .

وإن قلت : لست أقول إلا أن الله جبر العباد وقسره ، على أن يكونوا قوامين بالقسط ، لا حيلة لهم في ذلك ، ولا مخرج لهم منه ؛ لأن إرادة الله ، جل وعز ، نافذة ، وأمره الأمر الذي لا يرد ولا يغلب ، على ما بينت عليه أصل مسألتك ، وقدت عليه اعتقادك .

لزمك لنا ووجب عليك أن إرادة الله ، عز وجل ، لم تنفذ في المشركين ولا الكافرين ، ١٠١ و / ولا في جميع العصاة . / من جميع من لم يقم بالقسط ، كما أمره الله ، عز وجل ، وافترض عليه ، ونطق به القرآن ، وجاءت به الرسل عن الله ، جل ثناؤه ، وأنه لزمه العجز عن هؤلاء القوم ، فلم ينفذ أمره فيهم ، ولا قوله لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ فعصوه ولم يطيعوه ، ولم ينفذوا أمره ، كما أنفذ الذين قال لهم ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦٥) .

فيلزمك أنه أقوى على الذين جعلهم قردة ، وقدر عليهم ولم يقدر ، ولم يقو على الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ ، وإنما هو أمر واحد بكلمة واحدة ، لافرق عندهم بين الأمرين ولا بين القولين .

فلا بد لك من تعجيز الله ، عز وجل ، الذي لا يعجز ولا يغلب ، وأن الأمر الذي أقررت لنا به من إرادة الله نافذة غير مردودة ولا مغلوبة ، لم تتم على ما قلت ، وأنها قد انتقضت .. لابد لك من ذلك ، ولا حجة لك تدفعنا بها أبداً ، في هذه المسألة ولا غيرها ، حتى ترجع إلى الحق ، وتدخل في دين الإسلام من ذى قبل ، فتقرر وتعتقد أن الله ، تبارك وتعالى ، أراد من القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦٥) إرادة حتم وقهر وجبر ، لا حيلة لهم فيها ، ولا مخرج لهم منها ، ولا محيص لهم عنها .

ولا سبيل لهم إلى تركها لما عصوا ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، واستحقوا النكال والمسوخ باختيارهم ، لا بما أراد ولا بما قضى (١) ، ولا بما خلق من فعلهم ، وأن القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ إنما أراد منهم القيام بالقسط تخييراً لهم لا جبراً ولا قسراً ، إذ هو الذي لا يمتنع عليه أمر يريده ، عز وتعالى ، وإلا فما العجز عن نفاذ الأمر ؟ ..

(١) في الأصل . فضا .

فهذا هو دين الله ، عز وجل ، الذى تعبد به الأولين والآخرين ، وجاء به عنه المرسلون ، ونطق به الكتاب المبين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قال لنبيه ، صلى الله عليه ، يعزّيه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾^(١) ، أى قسراً وجبراً ، وإنما خيرهم ، ليستحقوا لما خيرهم ، إما الثواب وإما العقاب ، قوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) !

فإن قال قائل : فأى إكراه أكبر من السيف ؟ .. قلنا : لم يعن الله ، عز وجل ، الإكراه بالسيف فى هذه الموضوع ، إنما عنى^(٣) إكراه القلوب وجبرهم على الإيمان ، فذلك ما لا يطيقه النبى ، صلى الله عليه ، ولو كان عنى إكراه الحرب ، لم يكن للآية معنى ؛ لأنه قد أكرههم بالسيف بعد البيان ، والامتناع والحمية ، وبعد الإبلاغ والإنذار ، فامرؤ بقتالهم ، وهذا الإكراه ليس هو إكراه القلوب وفسرها على الإيمان .

ولو كان الأمر على ما قالت المجبرة لم يجز فى الحكمة ، ولا فى العقول ، أن يقول ١٠١ ظ / لمن قد أكره / الناس ، وفرغ^(٤) من أكراههم : (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ، فافهم هذا الجواب ، وانظر فيما ذكرنا ، ورسمنا لك من الحق ، فلن تجد المجبرة سبيلاً إلى نقضه على أهل العدل أبداً ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٢) سورة يونس : الآية نفسها .

(٣) فى الاصل : عنا .

(٤) فى الاصل : وفروع .

هل جعل الله الكفر والإيمان ؟

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم من جعل الكفر كفراً ، والإيمان إيماناً ؟ .. فإنهم يقول : إن الله لم يجعل التوحيد حسناً ، ولا الشرك قبيحاً .. وكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ؟!

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : إنا نقول إن الله ، جل ثناؤه ، الذي جعل الكفر كفراً بالتسمية والحكم ، لا بالخلق له ، وجعل الإيمان إيماناً بالتسمية ، لا بالخلق له .

وليس لله ، عز وجل ، في الإيمان فعل ، قل ولا كثر ، إلا الأمر به والافتراض له ، وكذلك ليس لله ، عز وجل ، في الكفر فعل ، قل ولا كثر ، بوجه من الوجوه كلها ، إلا النهي عنه ، والافتراض لتركه ، والخروج منه ،

وأما قولك : إن في زعمنا أن الله لم يجعل التوحيد حسناً ، ولا الشرك بالله قبيحاً ، وكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ، ولم يقبح ، ولم يجعله كفراً ولا إيماناً ، والله - زعمت - إنما ذكر في كتابه أن الثواب والعقاب (على الإيمان) (') والكفر ..

وهذا كذب منك علينا ، وإسناد إلينا ما لم نقل ، وليس من قولنا ما قلت ، جل الله تعالى عن ذلك .

وقد حرفت وخلطت ، وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، جعل التوحيد حسناً بالدعاء إليه ، والترغيب فيه ، والدلالة عليه ، فحسنه في قلوب الخلائق بالنعمة والصفة لثوابه ، إذ هو دينه الذي بعث به المرسلين ، من الأولين والآخرين ، الذي لا يقبل غيره ، ولا يرضى سواه ، ولا يقبل عملاً من سائر الفرائض ، إلا به ، ولا جنة لمن خالفه ، وقصر منه .

وكذلك قبيح الله ، عز وجل ، الكفر بالنهي عنه ، والتحذير منه ، والإعذار والإنذار في تركه والخروج منه ، وليس الجماع لذلك إلا جعل حكم وتسمية ، فاما جعل حتم

وجبر وخلق ، خلقهما ، أعنى الإيمان والكفر ، وقسر عليهما العباد ، وخلق فعليهما جميعاً من الإيمان والكفر ، فليس ذلك قولنا فى صفة خالقنا ، عز عن ذلك وتعالى ، ولا ذلك قول الملائكة المقربين ، ولا الأنبياء المرسلين ، ولا الأئمة الراشدين ، ولا عباد الله المؤمنين ، ولا يوجد ذلك فى كتاب مبين ، فيما أنزل الله على العالمين .

وإنما ذلك قول الملحدين والزنادقة الأذلين ، والمشركين والظالمين ، وقول عبد الله بن يزيد ، وأصحابه المجرة الأخسرين .

شواهد القرآن على براءة الله من فعل عباده :

والشاهد لنا على أن الله ، عز وجل ، برئ مما قالوا ، قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ / وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٧) ، يعنى ، عز وجل ، أنه حبب الإيمان ، إلى من أراد الدخول فيه ، بما وصف من جنات النعيم ، وشوق إليه ، من الملك العظيم والثواب الكريم ، وكذلك كره الفسوق والعصيان ، إلى من أحب ترك ذلك من العالمين ، بما أوعده من فعله ، وعصى^(٢) فيه ، من العذاب المقيم والنكال الاليم ، والمقام فى خلود الجحيم .

لا أنه جبر أحداً من خلقه ، على واحد من الأمرين ، من الأولين والآخرين ، ولوجبرهم على الطاعة والمعصية جبراً ، كما قلتم ، لم يجب للمجبورين ثواب ، ولا عليهم عقاب .

وأما قولك : كيف يشيب الله على ما لم يجعله هو ، عز وجل ، إيماناً ولا كفراً ..؟
فنقول لك ، أيها المغرور ، الغلط فى دينه ، والتارك لكتاب ربه : هل رأيت رجلاً قط خاط ثياب نفسه ، ثم لما فرغ منها ، أعطى^(٣) خياطاً آخر اجرة ثيابه ، التى خاطها هو لنفسه ..؟

(١) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٢) فى الأصل : عصا .

(٣) فى الأصل : أعطى .

أو هل يجوز ذلك فى التعارف أوفى اللغة أو فى العقول ؟ أو هل رأيت رجلاً قط بنى داره بيده ، حتى إذا فرغ من عمارتها ، أعطى البنائين أجرة ما بنى هو بيده لنفسه ١٩. أو هل رأيت جماًلاً حمل نفسه ، وأولاده على جماله إلى مكة ، ثم أعطى^(١) الجمالين كراء جماله التى يملكها ، ولم يخرجوا معه إلى مكة ، ولم يسافروا ، وأعطاهم الكراء على غير عمل ١٩..

فهل هذه الصفة تجوز فى حكمة حكيم ، أو فى صفة متقن عظيم ١٩..

أو هل سمعت ، أيها المخذوع المعجب بجهله ، آية واحدة من كتاب الله ، عز وجل ، تشهد بما قلت ، أنه يثيب أحداً على خلقه الذى هو تولى^(٢) خلقه ، أو يثيب أحداً على أمر تولى هو ، عز وجل ، صنعه دون غيره ؟

ليس آيات القرآن تشهد ، وتدل على أن الثواب للمطيعين العاملين ، وعلى أن العقاب على العاصين التاركين ، الذين آثروا الهوى ، واختاروا لأنفسهم الدنيا على الآخرة التى تبقى^(٣) ١٩..

فقتلوا الأنبياء وأئمة الهدى ، وأشركوا وكفروا ، وفعلوا كل قبيح باختيارهم وإرادتهم ، لا بإرادته ، عز وجل ، ولا خلقه الذى ألزمته أنه خلق فعلهم ، بل هو البرئ عن ذلك ، تبارك وتعالى .

وقال فى غير موضع من القرآن ، ما لا نحصىه ، أن العقاب وقع عليهم ، بما قدمت لهم أنفسهم ، وبما عملت أيديهم ، وبما كانوا يكذبون ، وبما كانوا يكفرون .

قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتُرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ ١٠٢ ظ / سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا / مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ ٢٢ ﴾^(٤) ، وهذه الآية من الشواهد أن هذا الشئ خاص دون عام ، يعنى به بما أنطق ، إذ كان كل شئ لا ينطق إلا أهل النطق لا غيرهم .

(١) كرر هذه الكلمة الناسخ مرتين .

(٢) فى الأصل : تولا .

(٣) فى الأصل : تبقا .

(٤) سورة فصلت : الآيات ٢١ - ٢٢ .

وإنما احتججنا بهذه الآية ؛ لأنها توجب لنا حجة ، فيما نحن في ذكره ، وحجة لنا عليك ، في دعواك أن الله خالق كل شيء ، يريدون بذلك أفعال العباد ، وجب في هذه الآية أن الله خالق كل شيء .

وإنما هو خاص لا عام ، مع شواهد كثيرة ، سوف نذكرها في مواضعها ، إن شاء الله .

وكذلك قوله ، عز وجل ، لاهل الجنة ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (٢٤) ، وقوله : ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (٢٤) ، وقوله : ﴿ قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ (١٧) وبالأشجار ﴿ هم يستغفرون ﴾ (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (١٩) ، وقوله : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (١١) ، وقوله : ﴿ ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٩٧) ، وقال : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ (٣٧) ، فهذا القرآن ، الذي لا حيلة لك في رده ، يوجب أن الجزء لا يكون إلا على المجازي ، وإلا لم يجب أن يجرى المجازي على عمل نفسه ، ولا يسمى ذلك جزاء ، ولا يعرف ذلك في لغة عربية ، ولا غير عربية ، ولا يقبله عقل لبيب .

إلا أن يقال لرجل : أعطني جزائي ، على زيارتك لقبر رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأعطني أجرى ، على حجتك إلى البيت الحرام ١١ .

أو يجوز في اللغة أن فلاناً احتفر بشراً بيده ، فلما فرغ منها ، وخرج ماؤها ، قدم إليه رجل من أهل البصرة ، فقال له : أعطني أجرى ، على بشرك الذي حفرتها لنفسك بيدك ١ . وهذا نفس المحال من المقال .

(١) سورة الواقعة : الآية ٢٤ ، وفي آيات أخرى أشرنا لها من قبل .

(٢) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

(٣) سورة الذاريات : الآيات من ١٧ - ١٩ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

(٥) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٦) سورة النور : الآيات ٣٦ - ٣٧ .

هل يجزى الله العبد على فعله هو ١٩.

فكيف قول عبد الله بن يزيد البغدادي في هذا الموضوع ، وما حجته على الله ، عز وجل ، أن يكون - يجزى على فعله هو ، ويعاقب على فعله ، وهو خلقه - زعمت - صنعه ١. . . فيجزى على صنعه الذي صنعه دون غيره، بالجنة والنار، التي إليهما مصيرُ الخلائق ، وملك الأبد أو عذاب الأبد .

فهل يخرج هذا القول في فعل حكيم أو عادل كريم : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، فلا حجة لك في هذا ، ولا خلاص إلا التوبة والرجوع ، فتضيف إلى كل عامل عمله لقول الله ، عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ (١) .

١٠٣/١ / كان هذا القرآن عني به غير المجبرة ، وكانهم لم يسمعوا قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا كِبِيرَةٌ إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ (٢) ، وكانهم لم يقل لهم : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُمْسَتْ بِفَرِّهِ (٥٠) فَزَيَّنُوا مِنْهُ نَارًا مُسْجُورًا (٥١) ﴾ (٤) ، فلعمري ، إنهم عند تذكرة الحق ، وحجج القرآن ، لكالحمير النافرة من الأسد !

في نقد أصحاب الحديث :

والدليل على ذلك ، أنك إذا ناظرتهم ببراہين القرآن ، هربوا من النظر ، ورووا في الحديث أن أسلافهم وكبراءهم قالوا لهم ، لا تسمعوا القرآن من صاحب بدعة (٥) ١١

(١) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ - ٨ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٤) سورة المدثر : الآيات ٤٩ - ٥١ .

(٥) إشارة لمقالة أصحاب الحديث في أصحاب العدل والتوحيد ، حيث يقدمون الحديث على نواهي القرآن ومحكمه ، ويدافعون عن التشابهات في إصرار عجيب ، وانظر الدارمي ، ١ / ٣٥ ، المقدمة ، باب ٣٥ .

وأهل العدل والتوحيد عندهم أصحاب بدعة ١.. فكيف يعرف القرآن ويهتدى إلى عجائبه والنير الشافى من حججه من اعتقد هذا الجهل ، ودان به من رواة الأحاديث ، وجعله ديناً ، عليه يعمل ، وبه يحتج ، وترك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١) ، ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢) ١١؟ ..

وقوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ حِكْمَةً بِاللُّغَةِ فَمَا تُغْنِ السُّدُورَ ﴾ (٤) (١) ، وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٦) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٧) (٦) .

فنعود بالله من الحيرة فى دينه ، والهجران لكتابه ، والعنود من حقه ، إنه قوى عزيز .

وليت شعرى ، ما الفرق بين من روى هذا الحديث ، وبين المشركين الذين كذبوا رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وقالوا : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٢٦) (٧) !

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٤) سورة القمر : الآية ٥ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٢٦ .

المسألة السابعة عشرة

فى التحسين والتقبيح

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : أو ليس لو شاء العباد، لصنعوا الكفر إيماناً، والإيمان كفراً ١٩.. لأنه إنما هو صنعهم وجعلهم ، وتحسينهم وتقبيحهم ، والله لم يصنع ذلك ١٩.. يضيف إلينا، أن هذا قولنا - زعم - وقد كرر كلامه فى هذا الموضع من كتابه ، بأمر بعضه يكفى " لانا نعلم ما يريد فى أول كلمة يقولها ، ولا بد لنا إذا كرر، أن نكرر عليه، حتى يتبين الجواب .

رد أحمد بن يحيى :

قصة العباد على الفعل اختياراً :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : إنا نقول إن العباد يقدرون على أن يحولوا الكفر إيماناً ، فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان، الذى دعاهم الله إليه ، عز وجل ، وكذلك ^(١) هم قادرون على أن يحولوا الإيمان كفراً ، فيرتدوا عن الإيمان الذى أمرهم الله ، عز وجل ، بالدخول فيه، فيرجعوا عنه ، ويصيروا إلى الكفر، الذى نهاهم الله عنه ، إلا أن تقول يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوأك المجبرة أن أحداً من الناس ، لم ١٠٣ ظ / يرتد قط عن الإسلام ، وإن أحداً لم يخرج من الكفر ، وعبادة الأصنام ، ويرجع إلى الإيمان ١٠١..

وكفى بشهادة القرآن لنا ، على من آمن ، وعلى من ارتد ، فإى حجة لك فى هذا ، وإى قول قد كررت فيه ووكدته ، حتى ^(٢) كأنك قد جئت بشئ تبهر به أهل العدل ، الحماة عن دين الله ، جل ثناؤه ، وأهل الذب عن الإسلام ! .

فهذا يوجب عليك أن العباد يقدرون على أن يجعلوا الإيمان كفراً ، والكفر إيماناً، وجعلهم هو أفعالهم التى لم يخلقها الله ، عز وجل عن ذلك ، وجبرهم فيها ، وقال

(١) جاءت مكررة فى الأصل خطأ من الناسخ .

(٢) فى الأصل : وكفا ... حنا .

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١) ، بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والإعذار والإنذار؛ ثم قال : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٢) .

تعريف الحسن والتقييح :

وأما قولك فى التحسين والتقييح ، فالحسن عند الله ، عز وجل ، فهو الحسن الذى لا ينكر ولا يخرج من التعارف ، ولا مما دعت إليه الرسل ، ولا مما جاءت بها الكتب ، والتقييح : فهو القبيح الذى لا يجهل ، مما نهت عنه الرسل ، وحرمتها الكتب ، فالتقييحُ مثل فريتك على الله ، أنت وأصحابك المنجبة من قولكم ، إن الله ، عز وجل ، قلتم ، خلق زنا الزانين ، وإلحاد الملحدين ، وشرك المشركين ، وقتل الأنبياء ، وأئمة الهدى ، وإتيان الأمهات والأخوات والبنات ، وأنه أراد ، زعمتم ، وخلق وقدره ، ثم غضب منه أشد الغضب ، وأعد العذاب الأليم لفاعله ، وذمه فى كتبه ، وعلى السنة رُسله ، وتبرأ منه ، ونسبه إلى قوم بُراء مما خلق ، فقال لهم فى كتابه : ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾^(٣) ، وقال لهم : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٤) ، وقال لهم : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٥) ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٧) ، ثم قال : ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨) ، فكيف ينتهون عن أمر أرادهم منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقهم من فعله ١١٩ .

ثم قال : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾^(٩) ، فما يتوبون ، أيها الجاهل المغرور ، وما يستغفرون ، أمن فعله أم من فعلهم ١٢٠ .

(١) سورة الكهف : الآية ٢٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية نفسها .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٦) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٧) سورة النجم : الآية نفسها .

(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٩) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

وهو القائل ، عز وجل ، : ﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِغَدِ الرَّسُولِ﴾^(١) ، فأي حجة أقوى ، ويحك ، من أن يقولوا له يوم القيامة ، ويحتجوا عليه ، على قود قولك ، لو ١٠٤ / تركتنا ياربنا من خلق الكفر فينا .

وإرادتك له منّا ، وتقديرك له علينا ، لتسلمنا من نارك وعذابك المقيم ، الذى لا فكاك منه أبداً ؛ وقد أخبرتنا فى كتابك ، أنك العدل الرحيم ، الذى لا يجرور ولا يظلم ، وأنك حسن الفعل .

فأخبرنا يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لم يعذبهم ، وقد صدقوا فى حجتهم ، فى زعمك ، وعلى قولك أن هذه الصفات كلها صفته ، وأن ما حل بهم ، إنما هو من إرادته وفعله وخلق ، وأنه لولا إرادته ، ما هلكوا ولا خرجوا من طاعة ١١٩ ..

فحسبك بهذا العمى عمى^(٢) ، وحسبك بهذا الجهل جهلاً ، وحسبك بهذا الكفر كفراً ، فلا فى القرآن نظرت ، ولا العقول استعمت ، ولا عن أهل العدل قبلتم ، ولا بقول الشعراء تأديتم ، فأنتم والبهايم فى منزلة .

قال الشاعر :

أراك لذنبك تستغفر	ألا أيها الملحد انجبر
وأنت لله تارة منكّر	أتستغفر الله من فعله
ربى على فعلها يجبر	تقول : وجدت جميع الذنوب
، بزعمك ، والخمر والميسر	ومنه إذا ما زنت الزنا
ذنوبك منك ، فلا تغفر	أما لك عقل ، إذا لم تكن
وما هو من خلقه منكّر	أضفت القبيح إلى ربنا ،
فلم عبت كفر الذى يكفر ؟	وقهر اليتامى ، وسفك الدماء
فما ذنبه عند من يفكر ؟	إذا كان فاعله غيرة
ولم عبت شكر الذى يشكر ؟	وقتل الأئمة والمرسلين ،

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) فى الأصل : المعام .

نسبت إلى الله كفر العباد ،	وكل المعاصي التي تذكر
ولو قال ذا قائل في أبيك ،	ما كنت عن قتله تقصير
ولو كان فيك ، لكذبت ،	وفي الله أنت به تجهر
ألم تسمعوا قول أهل الجحيم	في ذر النار ، إذا حضروا
وقد سألوا ربهم رجعة	لكي يعملوا صالحاً يؤجروا ؟
فقال : ألم أك عمركم	وجاء النذير ، فلم تشكروا ؟ !
ألم يأتكم منذر منكم ؟	فقالوا : بلى ، جاءنا منذر .
ولكن غوينا بتكذيبهم	وقلنا : من الرسل قد يسحر
فنودوا ، إذ اعترفوا بالذنوب	بعداً وسحقاً لكم ، فاصبروا
وقد أنكروا أن يكون القرآن	عدلاً ، ولو أنهم فكروا
لدلهم أنه عادل	ولكهم فيه ، لم ينظروا

وأما الفعل الحسن الذي سألت عنه ، فهو الإجابة إلى كتاب الله ، عز وجل ، وما دعا^(١) إليه رسول الله ، صلى الله عليه ، من الطاعة التي قال الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) ﴿٢﴾ .

فهذا هو الحسن الذي سألتنا عن تفسير الحسن والقبیح ، فتدبر ما قلنا ، وما جاءك من حججنا هذه القاطعة لدعواك ، والحمد لله رب العالمين .

في الاسم والسمي :

١٠٤ ط / ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم ، فإن قالوا : إن الله^(٣) إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان ، ولم يجعل الكفر . فقل لهم

(١) في الأصل : دعى .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٣

(٣) جاءت مكررة في الأصل .

عند ذلك : أخبروني عن اسم الإيمان أهو الإيمان ، وعن اسم الكفر هو الكفر ؟ ..!

فإن قالوا : إن الإيمان هو الإيمان ، وإن اسم الكفر هو الكفر .. فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر ، وصنعهما وخلقهما ، فقد أمكنوك من انفسهم ، ورجعوا عن قولهم ؛ لأن الاسم غير المسمى ، فإذا جعل الله الأسماء لزمهم ^(١) أن الأسماء هي الأشياء يعينها ، لا غيرها .

فقد جعل الله أسماءها ، وأسماءها هي هي ، وليس الاسم شيئاً غير الكفر ، وكذلك الإيمان ليس اسمه غيره ، فقد جعل الله الكفر والإيمان ، وصنعهما وخلقهما . وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى الذى وقع عليه الاسم ، والاسم ليس بكفر ولا إيمان .

فارجع إلى أصل مسألتك ، فقل : اليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ١٩

ثم ارفعهم إلى ما رفعتم إليه فى صدر المسألة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴾ (٨٨) ﴿ ^(٢) .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين : قد قلت ما قلت ، فاعمل ذهنك فيما يرد عليك من جوابنا ، إن شاء الله .

فإننا نقول لك : إنك قد أقررت ، ولزمك أن اسم الكفر هو الكفر ، وأن اسم الإيمان هو الإيمان ، لا غير ذلك ، زعمت ، وأن الله ، جل ثناؤه ، فى قولك ، الذى خلق الكفر والإيمان ، فقد أكذبك الله ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ

(١) فى الأصل : لن .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٨ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ (١)، أفلا ترى أنه تبرأ من جعل هذه الأسماء التى سموها للأنعام ، وهو ، عز وجل ، الذى خلق أجسامها ، لم يتبرأ من خلقها ، وإنما تبرأ مما جعلوه هم ، وكفى بهذه حجة ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ (٢).

فإن زعمت أن الله خلق ذلك من فعلهم ، لزمك أنه الشاتم لنفسه ، والمدعى لها الصواب والأولاد ، عز الله وتعالى وتقدس عما تقولون .

ومع ذلك أنك من أهل التوحيد ، زعمت ، ونفى التشبيه ، ومعاذ الله ، ما يقول ١٠٥ و / بالتوحيد ولا يحسنه ، ولا يسلم من التشبيه العظيم ، والكفر الجسيم . / من يقول بالجبر ؛ لأنه لزمك ، فى قولك ، الذى ادعيت من التوحيد ، ما إذا ذاكره ، فافهم ما يحل بك .

أرايت إن سئل سائل فقال لك : أخبرنا عن الاسم ، اسم الله ، عز وجل ، المعبود الذى تعبده ، هل الاسم عندك فيه غير المسمى ، أم هو الاسم لا غير ؟ ..

فإن قلت : إن الاسم هو المسمى .. لزمك أن « الف لام لام هاء » الأحرف المخطوطة الموجودة ، هى معبودك الذى توحّد ، والذى له تصلى وتحفد ، وله تصوم وتسجد ... فتكفر بهذا القول ، عند جميع أهل التوحيد ويلزمك أن معبودك يمحي ، فيمتهن ، ويحرق فيحترق ، ويقع عليه الأبول والأنجاس ، ويقع عليها فلا ينتصر ، ويحيى مرة ويذهب مرة ، وتراه الأعين ، وتدركه الحواس ، ويخط بالأيدي فى الكتب ... وكفى بهذا بلية عظيمة ، وكفرا عمى (٣) .

وإن زعمت أن الاسم غير المسمى ، لزمك من أصل أذنك ، وأنت راغم الأنف ، مفلوج الحجة أن الذى ادعيت ، وقلت به ، واكثرت فيه الخطاب ، من أن الاسم هو المسمى ، أنك قد أبطلت فيه ، وأخطأت وافتضحت ، ووجب على أصحابك ، بلا شك ولا مرية ، التوبة عن تقليدك أمر دينهم ، ولزمهم أن يلعنوك حياً وميتاً ، وأن

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٤ - ٥ .

(٣) فى الأصل : كفا .. أعما .

يفارقوك فى حياتك إن عشت ، يتبرأوا إلى الله ، عز وجل ، مما وضعت لهم ، من الكفر والجهل ، والإفالنار .

ويلزمك أن الكفر، هو غير الاسم الذى سمي به كفراً ، وأن الإيمان غير الاسم الذى سمي به إيماناً ؛ لأن الاسم غير المسمى فى جميع الأشياء كلها ، بأوضح دليل وأبين برهان ، فقد ثبت عليك الفلج ، والحمد لله رب العالمين .

وقد بان لنا ، ولأصحابك ، جهلك فى التوحيد ، وصح تشبيهك ، إذ زعمت أن اسم الإيمان ، ليس هو شئ غير الإيمان ، وأن اسم الكفر، ليس هو شئ غير الكفر ، فاستفدت أنت وأصحابك ، هذه الفائدة فى التوحيد ، الذى جهلتموه ، كما جهلتم العدل ، واعلموا علماً يقيناً أن التوحيد لا يتم لمعتقده ، ولا القائل به ، إلا بمعرفة القول بالعدل ، والإفلا يصلح توحيد إلا بعدل ، ألا ترى كيف أخطأت الخطأ العظيم ، فى التوحيد ، ولزمك التشبيه ، لما احتججت فى إبطال العدل ، بأن الاسم هو المسمى ، لا غيره ١٩

فلزمك الكفر فى التوحيد ، ففسد عليك اعتقادك ، وما ادعيت من معرفة التوحيد ، فشبهت وألحدت ، وبان جهلك وسقطت رئاستك ، وهذه التى جئت بها ، والخطأ أعظم من جبل أحد ، فقد افتضحت وفضحتك ؛ إلا أن ترجع أنت وأصحابك ، إلى تعلم العدل والقول به ، وتنبوا عن الجبر والجهل .

* ومن الحجة لنا عليك أيضاً فى أن الاسم غير المسمى ، أن قائلأ لو سمي دنانير ودرهم ، وإبلأ وخيلأ ، وقال : هى عندى ، وهو فقير لا دنانير له ، ولا إبل ولا خيل ، ١٠٥ و / لم يحصل معه من تسميته الدنانير والدرهم . / والإبل والخيل ، قليل ولا كثير ، وكذلك لو قال ، وذكر خبزاً ولحمأ وتمرأ ، وهو جائع ، لم ينفعه ذلك ، ولم يشبعه ؛ لأن الاسم غير المسمى (١) .

وكذلك لو قال : ماء الفرات ، وهو عطشان ، لم يروه اسم الماء ، دون وجود الماء ، فمن ها هنا وجب عليك أن الاسم غير المسمى ، وبطل ما قلت ؛ لأن اسم الله ، عز وجل ، غير الله ، سبحانه ، وهذا اسمه مكتوب فى المصاحف يراه الناس وتحيط به

(١) نأتى كثيراً فى الأصل هكذا : السما .

الاقطار، إذ الاسم أحرف أربعة ، والمسمى لا نظير له ولا عدل ، ولا يتجزأ أجزاء ،
تبارك وتعالى الواحد الفرد ، الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، أسماؤه
تعبيرٌ وأفعاله تفهيم ، وهو اللطيف الخبير .

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول أبى جهل بن هشام ، لعنة الله عليه ، بالتعنيف منه
لمحمد ، صلى الله عليه وعلى آله : جاءنا محمد ، زعمتم ، بالإيمان ليدخلنا فيه ، هل
قول أبى جهل، وتسميته للإيمان ، توجب له إيماناً أم لا ؟

فإن قلت : نعم ، إن ذلك القول الذى ذكرته اسم الإيمان، يوجب لأبى جهل إيماناً ،
لزمك أنك قد شهدت له بالإيمان ، ووجب عليك أن النبى صلى الله عليه ، قتله ببدر
وهو مؤمن !.. إذا اسم الإيمان هو الإيمان عندك .

وإن قلت : إنك لا توجب لأبى جهل تسميته للإيمان إيماناً . رجعت عن قولك
وافترضت عند أصحابك ، ولزمتك التوبة من فريتك على الله ، عز وجل ، وبطلت
حجتك .

وكذلك إن قال رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الكفر دين الشيطان .
وسمى كفراً ، لزمه ، على قود قولك ، فعل الكفر !.. وهل تقول ذلك أم لا ؟

فإن قلت : إن الكفر يلزم النبى ، عليه السلام ، حين سمى الكفر كفراً . كفرت
بالله ، وأشركت ، وخرجت من الإسلام ، بقولك فى النبى ، صلى الله عليه ، مثل هذا
القول .

وإن قلت : لا يلزم النبى ، صلى الله عليه ، بتسمية الكفر كفراً ، أنه يكفر . بطلت
حجتك ، وانتقض كتابك الذى وضعت لأصحابك ، على أهل العدل ، وكفى بهذه
فضيحة ، وحجة باهرة ، والعجيب من أصحابك كيف يقيمون على قولك ، ويعتقدونه
ديناً ، تذهب فيه أعمارهم ، بعد هذا البيان !..

إلا أنهم اتخذوا دين الله ، جل ثناؤه ، عصبية وحمية ، واستكباراً عن الرجوع
إلى الحق ، مع قولهم أنهم لا يقدرّون على تغيير خلق الله وإرادته ، لما هم
عليه ، زعموا ، من المذهب ، وأبطلوا قوله لمحمد ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾ ، فزعموا أن من علم الله منه الكفر والمعصية ، أن ١٠٦ و / الله لا يريد منه الإيمان ؛ لأنه إن أراد منه الإيمان ، بطل علمه في زعمهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، / ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادي ، ومن قال بقوله من المجبرة أن الله ، عز وجل عن قولهم ، لم يصدق في هذه الآية ، وأنه أراد من قوم الإيمان ، ومن قوم الكفر ... ورد كتاب الله صراحاً بلا حجة ، لإبدعوى فاسدة ، إذا ما قالها الرجال من أهل العدل والتوحيد ، وأبطلوها عليهم ، وعرفوهم بجهلهم فيها ، مثل ما قد تسمع ، والله يعلم إنا لندع كثيراً من الحجج لكثرتها ، وترادفها علينا ، وتسابقها إلى جوابنا ، والحمد لله المعز لدينه ، والناصر للحق ، والموضح لكتابه ، والمذل لمن عانده ، وكفر به .

اللفظ والعون :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم مع هذا ، فقل : أرايتم إذا كانوا هم يجعلون الإيمان والكفر ، اليس الإيمان طاعة ، والكفر معصية؟! .. فإذا قالوا : بلى . فقل : أفليس هم الذين يضعون ذلك ، وليس لله ، عز وجل ، فيه صنع؟! .. فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس أنتم لا تحتاجون إلى الله فيها ، وأنتم أغنياء عن الله في الطاعة (٤) ، ولا إلى عون الله عليها .. ولم يعن الله عليها خلقاً قط ، ولم يحتج خلق قط إلى الله ، والناس مستغنون عن الله فيها؟! ..

فإن أعطوك هذا ، فما أراك أن تزيد ترفعهم إلى أعظم من هذا .

فإن قال قوم : إنا مستغنون عن الله ، عز وجل ، لا نحتاج إلى الله ، عز وجل ، في

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) كرر بعدها العبارة السابقة وهو خطأ من الناسخ .

طاعة ، ولا أن يكفنا عن حرمه ، ولم يكف عنها خلقاً ، ولم يلفظ ليوسف ، حين قال : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(١) ، وأشباه هذا .

فإن أبو إلا أن يتمادوا ، فوقفهم على أنهم لا يحتاجون إلى الله ، عز وجل ، وأنهم مستغنون عن الله ، وسينقطع عليهم هذا الكلام ، حتى لا يجيبوك .

رد أحمد بن يحيى :

الحواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : اعلم أنك قد أكثرت التكرار في هذا الباب ، وذلك لما عندك من العمى والجهل بالدين ، وكلمة من هذا الذى هزأت به تجزئ ، وقد أجبت نفسك عنا ، ببعض قولنا ، ولم تكن أحسنت تحتج فيه فتكسره ، من أن العون عونان لا غيرهما ، عون الدعوة إلى الحق ، والدلالة لنا عليه ، وعون الله ، عز وجل ، لنا بالأسماع والأبصار والاستطاعة المركبة قبل الفعل والألسنة ، وجميع الجوارح ، والصحة والعافية والأبدان . فهذا^(٢) هو عون الله ، عز وجل ، الذى أعاننا به ، وتفضل به علينا ، ولا غناء بنا عنه ، فى شئ من ذلك ، ولا قوام ١٠٦ ظ / لنا طرفة عين إلا به ، ولا سبيل / لك إلى وجود عون غيره ، إلا ما ادعيت من الجبر ، الذى خالفت به القرآن ، وافترت به على الرحمن .

وليس عون الله ، عز وجل ، للعباد ، سبباً غير ما ذكرنا ، إلا أن ندعى ، كما ادعيت ، أن الله ، عز وجل ، عما تسندون إليه ، أعانهم على فرائضهم ، فقام ببعضها عنهم ، فصلى^(٣) عنهم بعض الصلوات ، عند اشتغالهم ، وصام عنهم بعض شهر رمضان ، إذا عطشوا أو جاعوا ، وحج عنهم إذا كسلوا عن الحج وتوانوا ، وقاتل المشركين دونهم ، إذا لزموا بيوتهم ، وتخلفوا عن رسول الله ، صلى الله عليه ، أو عن إمام هدى ، فيكون ذلك كما قال المضلون الظالمون من قبلكم : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٤) .

فإن كان ما قلت حقاً من العون ، فهذا العمرك ، عون ثالث ، لا نعرف عوناً بعد ما ذكرنا غيره ؟ . .

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : فهذه .

(٣) فى الأصل : فصلا .

(٤) سورة المائدة : الآية ٢٤ . أخطأ الناسخ فكتبها هكذا . اذهب

فإن قلت : نعم هذا هو العون الذى عنه سألت ، وهو الذى أريد .

قلنا لك : فقد لزمك الكفر ، والخروج من الإسلام ، بقولك : إن الله ، عز وجل ، يصلى بعض صلاة الناس ، ويمسوم بعض صومهم ، ويحج بعض حجهم ، ويجهاد الأعداء دونهم ، ويتزكى^(١) من أموالهم دونهم^(٢) ، إذا لم يدفعوا الزكاة إلى الأنبياء وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، وكفاك بهذا جهلاً وعمى وكفراً .

وإن قلت : إنك لا تقول هذا لبيان فسادہ .. قلنا لك : فإوجدنا عون الله ، عز وجل ، للعباد ، على فرضهم الذى افترض عليهم ، أين هو ، وما هو وكيف هو ؟ ..

العون الإلهى تفضل الله على عباده ،

فلا تجحد عونه للعباد غير ما ذكرنا ، من تفضله عليهم ، والدعاء إلى الإسلام ، وما وهب لهم من الأسماع والأبصار ، والألسنة والقوة والأيدى والأرجل ، وجميع الجوارح والصحة والعافية ، والقدرة على أداء الفرض ، بالاستطاعة المركبة فيهم ، فلا سبيل لك إلى وجود عون من الله ، عز وجل ، للعباد على أداء الفرائض ، إلا طرحها عنهم ، أو قيامه ببعضها دونهم ، أو الرجوع إلى القول بالعدل .

كما قلنا ، لا بد لك من ذلك ، ولا خلاص لك منه ، وسقط قولك : أنا سنقطع فى مسالتك هذه ، زعمت ، وفرخت نفسك وأصحابك بذلك . فدونك الآن ، فخلص نفسك مما وقعت فيه ، ولا خلاص من هذا الذى قلنا لك أبداً ، بوجه من جميع الوجوه ، إلا التوبة والرجوع إلى القول بالعدل .

وأما قولك : إن فينا من يقول : إن الإيمان لا يستطاع إلا بعون حادث ، ١٠٧/و/ ولسنا نقول ذلك أيضاً . ذلك قولك ، وقول أصحابك : إن / الاستطاعة ، زعمتم ، مع الفعل ، تحدث بحدوثه ، ولانقول نحن بامر حادث ، بل فينا الاستطاعة موجودة قبل فعلنا ، ولذلك لزمنا الله ، عز وجل ، الحجة ، وقد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا ، من الرد عليك فى الاستطاعة ، ما فيه اكفى الكفاية ، والحمد لله رب العالمين .

(١) مكتوب بجوارها : من أموالهم .

(٢) فى الأصل : يتزكا .

الحجة على أن الله لم يرد الكفر من الكافرين :

* ومن الحجة لنا عليك ، فى إبطال قولك الذى زعمت فيه أن الله ، عز وجل ، أراد الكفر من الكافرين ، ما يأتيك من كتاب الله ، عز وجل ، ما يوجب تكذيبكم وبراءته ، عز وجل ، من فريتكم عليه ، وهو قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٢) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴿ (١)

فاسمع إلى قوله ، عز وجل ، حيث يقول القائل : ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥٧) ، فاسمع إلى جوابه ، عز وجل ، حيث قال : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ﴿ (٢)

فلو لم يكن نزل فى العدل ، وبراءة الله ، عز وجل ، من كفر الكافرين ، ووضوح شهادة القرآن به ، إنهم اختاروا الكفر ، ولم يُردهُ الله منهم ، لكان فى هذا اكفى الكفاية ، وأوضح البرهان .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) ، أهذا ويحك من أراد الكفر من عباده ، جل عن ذلك رب العالمين ١١٢ ..

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٦٠) وَأَن

(١) سورة الزمر : الآيات ٥٣ - ٥٨ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ٥٩ - ٦١ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة يس : الآية ٥٤ .

اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴿١﴾ .

١٠٧ / ويحك أيها الجاهل المغرور ، ألا تسمع إلى هذا القرآن المبين ، وإلى / قوله : ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ ، أهذا قول من أراد الكفر منهم ، ثم عنفهم وعاقبهم على فعله ، وعلى ما أراد منهم ١٩ ..

أهذه صفة الرحيم الحكيم ، الذي أخبر الله ، عز وجل ، عن نفسه أنه لا يجوز ولا يظلم ، وقال في كتابه : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿٢﴾ ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلُوبُنَا إِنَّا اتَّبَعْنَا لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا فَكَانُوا بِأَعْيُنِنَا فَنَنفِثُ فِيهِمُ الْغَاسِقَ الَّذِي تَأْتِي السَّمَاءَ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٠٩﴾ ، فهذه الآية مكدبة لقولك ، ولمن مضى من قبلك ، ولمن بقى من إخوانك ، إذ صرتم في الفرية على الله ، جل ثناؤه ، إلى كل باب عظيم ، لا تقوم له الجبال ، بمفارقتكم للقرآن صراحاً ، ومجادلتكم بغير القرآن إلا ما تعلقتم به من التشابه ، الذي جهلتم فيه التأويل والمعرفة باللغة العربية ، التي خاطب الله ، جل ثناؤه ، أهلها وفارقتهم الحق ، وأبغضتم أهله ، وقد قال الله تبارك وتعالى . ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسَبِّطُونَ مِنْهُمْ ﴾ ﴿١١﴾ ، وكفى بهذه الآية كلاءة ﴿٥﴾ وبياناً ، وقطع عذراً ، لمن تخلف عن الحق وأهله ، لو قامت نصفه ، أو إعراض عن حمية ، أو قيم لله ، جل ثناؤه ، بواجب حق ، فبعداً للقوم الظالمين !

في تفسير التيسير في قوله : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴾ ﴿٢٠﴾

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾ ، فنقول لك : ما هذا القول عندك في قول الله ، عز وجل ، ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ﴿١٧﴾ ، أيجوز من فعل عادل ، أن يقتل رجلاً في غير جرم ، وهو الذي أراد قتله ١٩ ..

(١) سورة يس : الآيات ٦٠ - ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨ .

(٣) سورة الاعراف : آية ٢٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٥) هكذا في الاصل .

(٦) سورة عبس : الآيات ١٧ - ٢٠ .

ثم يقول الله : فلاناً ما أشره وما أظلمه ، هل يجوز هذا فى لغة العرب ، أو فى واضح العقول ١٩ ..

ثم نقول لك على إثر هذا : أحين قال ، عز وجل ، : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴾ (٢٠) ، ما معناه فى تيسيره للسبيل ؛ «أهو إرادته»^(١) لكفره ، أم إرادته لإيمانه ١٩ ..

فإن قلت : هو إرادته لإيمانه .. صدقت ، وقلت الحق ، وهو قولنا ؛ لأن الله ، عز وجل ، قد يسر للكفار كلهم السبيل ، ودعاهم إلى الطاعة ، وعرفهم بسبيل التقوى ، ودلهم على النجاة ، فاختراروا الكفر على الإيمان ، ولزمك أن قد رجعت عن قولك : إن الله أراد الكفر من الكافرين .

١٠٨ و / وإن قلت : إن هذا التيسير / من الله ، جل ثناؤه ، للكافرين ، إنما هو إلى سبيل الكفر ، لا إلى سبيل الرشـد .. اكذبك الله ، عز وجل ، بواضح البرهان ، وأبين البيان ، وأقوى السلطان ، بقوله ، تبارك وتعالى ، الذى لم تهتد إليه ، ولم تدبره قط فى ساعة من الساعات : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢٣) ، فأخبر ، عز وجل ، أنه قد هدى الكافرين والمؤمنين ابتداءً منه ، ومنةً ونعمةً بغير استحقاق استوجبوه ، وذلك هدى تعريف ودلالة إلى السبيل ، بالكتب والرسـل ، لا هداية جبر ولا قسر لواحد من الفريقين ، وأخبرنا فى هذه الآية أنه قد بدأ الكفار بالدعاء والهداية إلى الإيمان ، وهم على كفرهم ، وهذه سنة الله ، عز وجل ، فى الأولين والآخرين ، أنه يدعوهم إلى دينه ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَى (١٢) وَإِنَّا لَنَّا لِلْآخِرَةِ وَأَوَّلَى (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَاجِدًا (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ﴾ (٣) .

فاسمع إلى هذا البيان ، وإلى واضح هذا البرهان ، كيف ذهب عنه ، وكيف خرجت منه ، وتركتـه صفحاً ، فلا يبعد الله إلا من ظلم ١٩ ..

ثم يكذبك بعد هذا جميع أهل القبلة بأسرهم أن الله ، عز وجل ، ما عنى بتيسيره

(١) زيادة من الهامش .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٣ .

(٣) سورة الليل : الآيات ١٢ - ٢١

الكفار إلى السبيل، أنه لم يمن بذلك إلا سبيل الهدى والطاعة والرشد ، لا اختلاف بينهم فى ذلك ، ومن رده كفر، وقوله ، سبحانه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمَوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾^(١)، أهذا عندك قول من أراد منهم الكفر ، ثم سيسألهم فيقول : وكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً ، وهو الذى أراد كفرهم ١٩ ..

سبحان الله العظيم ما أقبح ما قلتم ، وأوضح فسادة .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ أَلَّا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾^(٣) ، وقول المؤمن فى سورة ياسين : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) ، وقوله يخبر عن الكفار : ﴿ .. أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾^(٥) ، فكل هذه الآيات تشهد على تكذيبك ، وتشهد لله ، جل ثناؤه ، بالبراءة مما قلت إنه أراد كفر الكافرين .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .

(٢) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة يس : الآية ٢٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٦٣ .

المسألة الثامنة عشرة خلق الأفعال بين الله والناس

خلق الأفعال ، أصولها وما يتولد منها ،

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي :

ان سالوك : اخلق الله الكفر والإيمان ؟ فقل : نعم خلقهما الله عملاً من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد ، العباد يزنون ويسرقون ، ولم يفعل الله ذلك ١٠٨ / على ما فعله العباد ، ولكن الله ، عز وجل ، خلق عملهم ، فخلق الطاعة والمعصية ، عملاً من العباد / وكذلك كل شيء صنعه العباد ، وعملوه ، فالله خالق عملهم ، عملاً منهم .

واعلم أنه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور ، أقرب إلى الزندقة من قولهم : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، فهو إذا لم يضحك ، ولم يبك ، ولم يجعل اختلاف اللسنة ، ولا خلق السراويل ؛ لان خلق اللسنة لم يختلف ، وإنما اختلفت اللغات ، وإنما كتبت هذه المسألة ، لتعرف ما يدخل عليهم في هذا الكلام ، فاحسن اللفظ ولا تعجل .

واعلم أنهم إن قادوا كلامهم على هذا ، زعموا ، أن الله لم يخلق ثوباً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ، ولم يسق الله عطشاً ولم يطعم الله جائعاً ، ولم يجعل الله اكناً من الجبال ، التي عملها العباد ، ولا قصرأ من السهل ، وأشباه هذا الذي عمله العباد ، ولم يخلق الله كفرة ولا إيماناً ، ولم يجعل الله الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان ، ولم يحسن الله إيماناً ولم يقبح كفرة ، هو ان ذلك كله عمله العباد وصنعوه وحسنوه وقبحوه ، ولم يحمل الله في ذلك ، ولم يجعله وأشباه هذا ، فهو أكثر من أن نصفه لك .

بين فعل المستقبل وفعل المشارك ،

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : قد صح لنا أنك من القوم

الذين قال الله ، جل ثناؤه ، فيهم : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٠٤) ، وقد فهمنا ما ذكرت ، من فريتك على الله ، عز وجل عما
قلت ، ومن أن الله خلق أفعال العباد ، فخلق الكفر والإيمان ، والطاعة والمعصية ، عملاً
من العباد ، ولم يفعل ذلك ، زعمت ، على وجه ما فعله العباد ، فقد أجبناك على
أشبه هذه المسألة ، فى غير موضع .

ومن جوابنا لك ، أن المسألة القاطعة ، التى سألناك فيها عن أيهما أفضل : أفعل الله
الذى ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ، أم فعل الله الذى للعباد فيه اكتساب
وفعل ؟ ..!

وتلك حجة لا قوام للمجبر بعدها أبداً ، ولا مخرج له منها ، وهى قبل كلامنا هذا ،
فاستغنيينا بها عن إعادتها .

وأما قولك : إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور ، أقرب إلى الزندقة ، من قولنا
هذا : إن الله لم يخلق أفعال العباد .

ونحن نقول أن ليس قول أوسط فى التعطيل والشرك ، والخروج من الإسلام جملة ،
من قولكم : إن الله خلق أفعال العباد ، ثم غضب مما خلق ، وعذب على خلقه ، فإذا
نظرت فى المسألة التى فوق هذا الكلام ، من هذا الكتاب الذى شرحناها ، كان مثلك
عندما نظرت إليها ، مثل الرجل الذى ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين ، فلما رأى
١٠٩ / كثرته / واتساعه وعظم شأنه ، قال امرأته طالق ، ما على وجه الأرض نخل
هو أكثر من هذا النخل ، ثم سار أياماً حتى أشرف على نخل البصرة ، فلما نظر إليها ،
وبان له كثرتها وعظيم شأنها ، وهول ما عاين منها ، وأنها أكثر وأجل من النخل الذى
حلف عليه ، فلما خاف الحنث - زعم - فى يمينه التى حلفها ، قال عند ذلك ، إن
شاء الله !!

فهذا مثلك إذا نظرت فى جوابنا فى خلق الأفعال .

وأما قولك : إنه يلزمنا أن الله ، عز وجل ، لم يضحك ، ولم يبك ، ولم يجعل
اختلاف اللسنة ، ولا عمل السراويل !

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ ، كتبها الناسخ خطأ هكذا : ﴿ أولئك الذين ..

حرية الفعل الإنساني :

فنحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق فينا الاستطاعة قبل الفعل ، وفوضنا في الحركات ، بعد الأمر والنهي ، وحكم الكتاب ، فإن شئنا قمنا ، وإن شئنا ضحكنا ، وإن شئنا بكينا ، وإن شئنا مسكنا ، وإن شئنا فجرنا ، وإن شئنا أمسكنا عن الفجور ، وإن شئنا آمننا ، وإن شئنا كفرنا ، وإن شئنا صلينا ، وإن شئنا لم نصل ، وإن شئنا صمنا ، وإن شئنا لم نصم ، ولذلك لزمنا الحجة ، ووجب علينا الحكم من الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٤) ﴿١﴾ .

وأما قوله : ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (١٣) ﴿٢﴾ ، فإنما يعنى ذلك ، ما فى الدنيا من العبر ، التى تضحك وتبكي ، الا ترى انه ، عز وجل ، قال : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ (٢١) ﴿٣﴾ ، وليس هو ، جل ثناؤه ، الذى يحضر الموتى ولا يدفنهم ، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك ، موجودة فى بني آدم من قبل الفعل .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قَرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (٣) الذى عَلمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلمَ الإنسان ما لم يَعْلَمْ (٥) ﴿١﴾ ، والله ، عز وجل ، لم يبر (٥) الأقلام ، ولم يستمد بها من الدوى ، ولم يخط بها فى الألواح ، ولا فى الصحف ، وإنما هداهم للتعليم .

وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها ، ولم يصنعها هو دروعاً ، عز عن ذلك رب العالمين .

هل خلق اختلاف الألسنة ..؟

أما اختلاف الألسنة ، فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها ، لأنه خلق ذلك الكلام الذى قال أهل اللغات ، وجاء فى الخبر أن لغة بنى آدم اختلفت ثمانين لساناً ،

(١) سورة يس : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤٣ .

(٣) سورة عبس : آية ٢١ .

(٤) سورة العلق : الآيات ٣ - ٥ .

(٥) فى الاصل : يبرى .

فلو خلق كلام المتكلمين ، لكان الخالق لقول الكفار . أنه ثالث ثلاثة ، ولو كان ذلك منه ، لم يجز في الحكمة ، ولا في العدل أن يخلق قولهم أنه ، عز وجل ، ثالث ثلاثة ، ثم يقول : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) ، ويلزمكم أنهم لو انتهوا عن قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، كان القول الآخر ، الذي صاروا إليه ١٠٩ / وانتهوا فيه عن / الأول ، هو خلق الله أيضاً ، فإذا هو ينهاهم عن خلقه ، ويجولهم إلى خلقه ، وهذا هو المحال !! .. والله ، عز وجل ، لا يأمر بالمحال ثم يغضب ، زعمتم ، من خلقه ، وتغضب السماوات والأرض والجبال ، فيكذن أن يتشققن وينفطرن ويتهددن من خلقه ، زعمتم ، ثم يخلد العباد في النار ، على خلقه وإرادته وتقديره !!

فعل الله كله حكمة :

وهذه صفة أهل العبث ، واللعب والتخليط والمجانين ، وليس هذه صفة الحكيم الرحيم العادل ، الذي لا ضلال في حكمته ، ولا عبث في تقديره ، ولا حجة لأحد في صنعه وخلقه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى .

ثم نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، لكفر خلقه ، زعمت ، هل هو أهل لما أراد من ذلك ؟

فإن قلت : نعم ، هو أهل لما أراد من ذلك . فإن قلت : نعم ، هو أهل لما أراد من ذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، أهل أن يكفر به .. وبأن كفره ، وحسبك بهذا جهلاً .

وإن قلت : إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر .

لزمك أنه ليس بأهل لما أراد .. وفي هذه فضيحتك وانقطاعك ، فاختر أي القولين شئت ، ففي هذه المسألة وحدها ، قطع كل مجبر على وجه الأرض .

هل خلق السراييل ؟

وأما السراييل التي سألت عنها ، فهي أيضاً دلالة الله ، عز وجل ، دل عليها

المؤمنين، وتعريف عرفهم به ؛ ليتحصنوا بها عن الظالمين ، دل الله ، جل ثناؤه وعز ،
 نبيه داود ، صلى الله عليه ، فعملها بيده وقدر سردها باستطاعته ، ولم يخلق الله ، عز
 وجل ، الدروع خلقاً ومساميراً ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، عين الحديد ، ومن ذلك
 الحديد عمل الناس الدروع ، وكذلك جميع الصناعات ، ولم يخلق الدروع فيكون
 زراداً ، ولا السفن فيكون نجاراً ، وقد قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ (١) ،
 فهل نقول إن كلُّ كتاب كتبه أحدٌ ، من كفر وإلحاد وتشبيه ، وجبر وشعر وغناء ،
 وسفه وفساد ، أن الله ، عز وجل ، هو الذى كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله ،
 زعمت ، وفعله صنعه ، وأنه فعل خلق أفعالهم ؟!!..

فيلزمك أنه إذا تكاتب سفيهان بالسفه ، أحدهما إلى الآخر ، كان الله عندك هو
 الذى كتب ذلك الكتاب وخلقته !!.. وكفاك بهذا فرية على الله ، عز وجل .

وقد سمعت كيف أخبر ، عز وجل ، عن أمره لداود لصنعه الدروع ، ولنبيه نوح ،
 صلى الله عليهما ، بعمل السفينة ، وأنه لبث سنيناً كثيرة يعملها ، وكلما مرَّ عليه
 ملا من قومه سخرؤا منه ، ولو كان الله ، عز وجل ، الذى عملها ، لوجب عليك أنها
 ١١٠ و / لم تنجح لله ، عز وجل ، إلا بعد سنين / كثيرة ، ولم يصح قوله : ﴿ إِنَّمَا
 قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١٥) ﴾ (١) ، من غير نجار ولا زراد ، ولا حداد
 ولا صانع !!..

فجعلت أنت أفعال العباد كلها ، فعلاً لله ، تعالى ؛ لجهلك بعدله وحسن تقديره ،
 وأنه لا يعذب على صنعه ، وعلى أمر اضطر العباد إليه .

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل . على وجهين : جعل حكم وتسميه ،
 وجعل حتم ولا مخرج منه ؛ وقوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا
 تَرْكَبُونَ (١٢) ﴾ (٢) ، فذلك فى الفلك خاصة ، دلالة وتسمية ، لا أنه نجرها ولا دسرها ،
 ولا أنهم يركبون الفلك ، لا بدَّ لهم من ركوبها حتماً ، إنما الأمر إليهم ، إن شاءوا

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٠ ، أخطأ الناسخ فكتبها هكذا : ﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ

(٣) سورة الرخيف : آية ١٢

ركبوها، وإن شاءوا تركوها ، تخييراً لا جبراً ، وإنما أخبرهم بالنعمة، فيما سخر لهم من العيdan ، والدلالة على عمل النجارة، والمسافرة على وجه الماء ، فهذه نعم، يجب أن نشكر ونعترف لمن تفضل بها .

وكذلك ما اعتلت به من العطشان، والجائع والعازى، فالله ، عز وجل ، الذى خلق الطعام والشراب، وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ، ولم يطعمهم من طريق الضيافة، والتقديم لهم، ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ، ولا النسيج لثياب العارين ، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض ، وحض عليه ، وقال ﴿ وَلَا تَسْمُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ^(١) ، فهذا إطعامه وكسوته ونعمته ، وقال : ﴿ .. وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(٢) ، وهذا هو وجه القول ، وإصابة المعنى ، لا ما ذهبت إليه من أن الله ، عز وجل ، هو الذى يفعل جميع أفعال العباد ، وأنه ، زعمت ، الذى خلق السفن والدروع ، وغير ذلك من أعمالهم التى عملوها بأيديهم ، واتخاذهم للأصنام / .. ١١ ..

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣)

فإن قلت : إنه قد قال فى كتابه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) . قلنا لك : إنه خلق الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والخشب والحجارة، التى عملوا منها الأصنام، فصوروها وقدروها ونحتوها ، وليس ذلك الذى عملوا بأيديهم، فعلاً لله ، عز وجل ، وإنما فعله خلق الأشياء التى منها عملوا ، ولو كان فعل فعلهم ، لوجب لهم عليه، أن لا يندبهم إلى طاعة، ولا يسألهم تقصيراً ، ولا يعذبهم على غير جرم ، وهو الذى فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لا يجور عليهم ، ولا يظلمهم ، وأنه يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر . فإى عسر أعسر مما قلتم ، وإى ظلم أكبر مما ذكرتم ؟ .. ١٢ .. عز عن ذلك اللطيف الخبير .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٣) سورة الصافات ٩٦ آية ٩٦ .

الجبيرة ، خلق الله أعمال العباد وما فعلته أيديهم :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عند ذلك ، كيف جعل الله السراويل
١٠. / التي تقى / الحر ، وتقى البرد ، وكيف جعل الله من الجبال أكنانا ؟ مما لم
يكن فيه ذكر ، إلا بعمل الناس ، أفعل الله ذلك الخلق ووصله ، وغزل القطن ، والكتان
وحاكها ؟ .. فإن قالوا : لا .. فقل كيف جعل الله السراويل ؟ .. فإنهم لن يجدوا
من أن يقولوا : خلق الله عمل الله ، وجعل عملهم .

فقل : أفليس الله جاعل عملهم ، وخالقه وصانعه ؟ ..

فإنقالوا : نعم . فقد أعطوك ، بأن الله خالق أعمال العباد وصنعهم ، وهذا قولنا ، وهو
العدل .

فإن أبوا أن يطعوك هذا ، فاعد عليهم المسألة ، فقل : كيف جعل الله إذا السراويل ،
التي تقى الحر ، والتي تقى البأس ، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله ، وهو الذى غزل
وحاك وخاط الثياب ؟ ..

فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا بداً من أن يجعلوا صنع الله فيها ، خلق الله
لأعمالهم ، وجعل الله لأعمالهم هو صنعه .

ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ .. ﴾ (١) .. كيف
جعل الله الفلك ؟ ..

فإن قالوا : خلق الشجر . فقل لهم عند ذلك : اليس إذا رأينا خشبة أو شجرة ،
قلنا : هذه فلك ؟ ..

فإن قالوا : نعم .. فهذا ما لا يقبله أحد ، ويعلم من سمعه أنه كذب ، ولن يعطوك
هذا .

وإن قالوا : جعل الله لعمل العباد ، وصنع الله لعملهم ، فهو قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفَلَكَ ﴾ .

فقل لهم حينئذ : هذا قولنا ، إنا نقول : إن جعل الله للفلك ، جعله لعملها ، وكلها

(١) سورة الزخرف : الآية ١٢ .

جعل الله ، وجعله فهو خلقه ؛ لأن الله جاعل ما خلق ، وخالق ما جعل ، وخلقـه وجعله وصنعه للأشياء واحد ، لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ، ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله .

وإن ذهبوا يلوون ألسنتهم بشئ ، فسلمهم : كيف جعل الله الفلك ؟ .. أهو شق الخشب وحوورها ونحتها ؟ .. فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا جواباً ، إلا أن يقولوا : إن جعل الله لها ، خلق الله لعمل العباد لها .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، قد فهمنا ما سألت عنه ، من إضافتك إلى الله ، جل ثناؤه ، خلق السراييل ، التي تقى الحر والبأس ، وعمل الأكنان والسفن ، وغير ذلك من أفعال العباد ، التي أضفت إلى الله ، جل ثناؤه ، وتريد بذلك أن تلزمنا ، أنه عمل الزرارة والنجارة ، والخياطة والخرازة ؛ لتثبت أنه الذى فعل الزنا والشرك ، والكفر وجميع المعاصي ، جل الله وتعالى عما قلت ، قدوس قدوس رب العالمين .

١١١ و / وأما قولك : إنه يلزمنا ، إذا أنكرنا عليك أن الله برئ مما أضفت إليه ، أنه لم يجعل أكناناً / من الجبال التي عملها العباد ، وكذلك السفن والزروع وغيرها ، فلذلك نقول : إن العباد هم الذين حفروا بعض الكنان التي فى الجبال ، وعملوها بمعاولهم وأيديهم ، وقوتهم المركبة فيهم .

وإن الله ، عز وجل ، لم يعملها ، ولم يحفرها بالمعاول ، وإنما جعل الأكنان والكهوف التي هى فى الجبال ، مخلوقة بلا معاول ولا كلفة ، قال لها : كونى . فكانت من آخر ساعتها .

فكذلك فعله ، عز وجل ، المخلوق فى الجبال ، العباد ما عملوا أكنانهم التي ^(١) حفروها بعد الدهور الطويلة ، والتعب والنصب . وكذلك القصور ، ولم يقولوا لها : كونى . فكانت .

وليس لله ، جل ثناؤه ، فى فعلهم لها فعل ، غير ما أعطاهم من القوة ، التى اختاروا بها ما أرادوا .

فهذا قولنا ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تُخَلَّدُونَ ﴾ ^(٢) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ^(٣) .

أفلا تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم ، عاب عليهم اتخاذها ، لعلمهم يخلدون ، ولم يقل كما قلت ؛ أنه خلف ما عملوا فيها . فهذا شاهد من كتاب الله ، جل ثناؤه .

وزعمت أنك لا تستطيع أن تكتب علينا كل ما يدخل فى مسائلك ؛ لأنها ، زعمت ، تكثر ، وأنت أيها المسكين المغرور ، لم تظن أن يحل بك منا ما حل ، ولا ينزل بك ما نزل ، وليس صبي من صبيان أهل العدل ، يهوله مسائل الجبر ؛ لأن الحق إنما جعله الله ، عز وجل ، حقاً فى نفسه بالجد ، والباطل جعله باطلاً فى نفسه بالحكم والتسمية ، لا بالخلق والجبر .

فمحال أن يزهد حق ، ويثبت باطل ، وإنما الذى يزهد الباطل ، ويثبت الحق . وكذلك قال رب العالمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ^(٤) ، وإلا فواجدنا ، إن كنت صادق قولى الحجة ، أين موضع خلق الله لأفعال العباد ، حتى نعرف كيف ذلك الخلق ، وكيف صورته ؟!! .. وأين موضعه ، وأين يكون ، حتى نفرق لنا بينه وبين فعل العباد ، ولو بمقياس شعرة ؟!! ..

فلن تجد ذلك أبداً بنور الله ، وبرأته من قولكم .. وأما قولك أنك ^(٥) تسأل عن قول الله ، جل وعز ، جعل لكم سراييل تقيكم الحر ، وسراييل تقيكم بأسكم .

فقلت : كيف جعل الله السراييل ؟ ، وكيف خلقها لهم ، وهم الذين عملوها ، كما عملوا الكفر والإيمان ؟!! ..

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٤) فى الاصل : ان .

١١١ ظ / فإن قلنا لك : / زعمت : إن الله خَلَقَ الشجر ، الذى يكون منه الشياب ، وخلق الحديد ، الذى يكون منه السرابيل . فتسألنا ، زعمت : هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول : هذا سراويل ، وإذا رأينا شجر قطن أو قطناً أو كتاناً ، قلنا : هذه سراويل تقينا الحر ، ولم تغزل ، ولم تنسج ، ولم تُحك ، ولم تُعمل ، وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كِنٌ ، قلنا : هذا كِنٌ ..!!؟

فإذا قلنا : نعم ، زعمت .. قلت : فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يمتري فيه أحد أنه كذب .

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، فجوابنا لك أنه يلزمك فى هذه الدعوى ، مثل ما يلزمنا لك ، وقد علمت ، وعلم أهل العقول ، أنا لا نقول أن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن ، يجوز فى اللغة أن يسمى ^(١) سراويل تقينا الحر وسراويل تقينا الباس .. ولا يجوز أن يقال لجبل ليس فيه كِنٌ : إنه كِنٌ . هذا باطل فاسد ، مجال من المقال لا يقوله أحد ، ولا يذهب اليه متكلم .

ويلزمك ان الله ، عز وجل ، خلقها منفرداً بخلقها ، ثم أوجدها ، فعمل العباد منها السراويل ، هم منفردون بعمل ذلك ؛ لأن الله ، عز وجل ، الذى فعلها ، لم يعمل الدروع خلقاً مدوره ولا سمرها بمساميرها دُسرأ ، ولا جعل لها الجيوب ولا الأكمام ، ولا حفر الكهوف فى الجبال بالمعاول ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، الحديد الذى منه عُمِلت الدروع ، وخلق الشجر ، وخلق فيه القطن ، الذى منه عمل الناس الشياب ، وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله ، والحديد والشجر .

وجميع ما خلق الله من الاشياء ، التى منها اشتق العباد ما عملوا ، كل ذلك ، موجود غير معدوم ولا مفقود ، تبصره الأعيان وتحسه الأيدي ، وتدركه جميع الحواس ، وتوقن به العقول ، ويوجد جسماً مجسماً مرأياً ^(٢) مدركاً حاضراً معروفاً ، لا شك فيه ولا مرية .

وعند ذلك تلزمك ، أيها المفتري على الله ، عز وجل ، الفرية العظيمة فى قولك :

(١) فى الاصل : يسا .

(٢) فى الاصل : مربا .

إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصي ، كما خلق الحديد وشجر القطن ، والكهوف الموجودة في الجبال من خلق الله ، عز وجل ، وتقديره ، وأنت تُلزِمُه ، عز وجل ، أنه خلق الدروع وحال الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة .

فنقول لك ، أيها السائل المفترى على الله : أوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا ، وقول الكفار : إن الله ثالث ، ثلاثة وأن له ، عز وجل ، صاحبةً وأولاداً ، وكذلك ١٢٢ و / توجدنا قتل الأنبياء وأئمة الهدى ، كما أوجدتنا الحديد الذي منه عملت / الدروعُ والشجر ، الذي منه عمل القطن ، والخشب الذي منه عملت السفن ، وجميع ما ذكرت ، حتى نبصره بالاعيان وتلمسه الأيدي ، وتدركه جميع الحواس ، ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميزه ، من قبل فعل الآدميين له ، كما تميز الحديد ، وشجر القطن وغيره ، من قبل عمل الآدميين له ، فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ، ومنظوراً إليه ، أو مسموعاً صوته ، أو مشمومةً رائحته ، أو مدركاً ذوقه ، أو ملموساً بحاسة ، أو محوياً بقطر من الأقطار ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب ، وغير ذلك مما خلق الله ، عز وجل .

لا بد لك من ذلك وإلا لزمك ، أنك تناظرنا على أمر محال ، وخلق لا يدرك ولا يعرف ، ولا يوجد منجسماً ولا مرأياً ولا ملموساً ، فتكون دعواك باطلة بلا بينة ، ولا أمر تشهد عليه العقول والألباب ، ولا تدركه الحواس ، ولا يوجد في لغة العرب ، ولا يوجد في كتاب ولا سنة !!

وإنما هذه من نزغات الشيطان ، ألقاها في قلوبكم وعلى السنتكم ، لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الأنبياء ، وجميع العاصين ، وأن تكون الحجة لهم على الله لازمةً ، وعليه قائمة ، بما خلق لهم ، زعمت ، وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط ، وجميع المعاصي ، فاخذوا كل هذه الفواحش والكبائر ، من فواحش قد وجدوا ربهم ، زعمت ، قد سبق إلى فعلها ، وخلقها قبل خلقهم لها ، فمنها عملوا وفيها أخذوا ، ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ، ولا شركاً يشركونه ، ولا زناً يزنونه ، ولا لواطاً يلوطونه ، ولا قتلاً يقتلونهم ، ولا عصياناً يفعلونه ...

كما أنه ، عز وجل ، لم يخلق لهم الحديد ، وشجر القطن ، والتراب والماء والحجارة ، والادم والصوف والشعر والجبال ، ولم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع ،

ولا شجر قطن، يحوكون منه الثياب، ولا صوفاً يعملون منها الأكسية، وغير ذلك من
الاثاث، ولا تراباً، ولا ما يعملون منه القصور، ولا خشباً يعملون منه الأبواب
والسقوف .

* ومن الحجة لنا عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل ، وأن أفعال العباد في قولنا نحن ،
غير خلق الله ، عز وجل ، وأنه برئ من خلقها ، وأنها فعلهم ، هم تفردوا بها ، لا فعل
رب العالمين ، عز عن ذلك وتعالى .

فنقول لك أيها المجبر ، ولإخوانك المجبرة : خبرونا متى خلق الله ، عز وجل ،
الإسلام أقبل الرسل ، أم بعد إرسال الرسل ١٩

١- فإن قلتم : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق الإسلام ، قبل إرسال الرسل . لزمكم أن
الاستطاعة قبل الفعل ، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأولهم ، وهو آدم ، عليه السلام ،
١١٢ ظ / أن الصيام / والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض ، قد كانت
معروفة موجودة محدودة مخلوقة ، قبل أن يرسل الله ، عز وجل ، بها آدم ، عليه
السلام ...!

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم : خبرونا عن هذه الفرائض التي^(١) ، زعتم ، أنها
مخلوقة قبل بعثة آدم ، عليه السلام ، كيف هي ، وما هي ، أفي أرض أم في
سماء ، وكيف صورها ؟ .. وهل تدرك ببصر ، أو تحس بسمع ، أو تنال بلمس ،
أو تذاق (بلسان) أو تشم باستنشاء ؟

٢- فإن قلتم : إنها موجودة في الأوهام ، من غير أن تدرك بالحواس .. قلنا لكم :
فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً ، موجوداً في الأوهام آخر مع الله ، عز وجل ،
ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، فيه الصفة التي وصفتكم بها الواحد الذي
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) ، وهذا كفر بالله العظيم ، وخروج من الإسلام ، وإبطال
الوحدانية ، ودعوى^(٣) إلهين اثنين ، صفتهما واحدة ، لا فرق بينهما ؛ لانكم

(١) في الأصل : الذي .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) في الأصل : ودعوا .

أدعيتم شيئاً ليس له حدٌ ، ولا غايةٌ تعرف ، ولا نهايةٌ يوقف عليها ، ولا تدركها الحواس ، ولا تُعلمُ هذه الصفةُ إلا للواحد القديم الأزلى ، الذى ليس كمثله شئٌ ، تبارك وتعالى .. فهذه حجةٌ لازمةٌ لك ، ودامعةٌ لدعواكم ، ولا مخرج لكم منها .

٣- وإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام ، بعدما أرسل الرسل . لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل ايضاً ، وإن الله ، جل ثناؤه ، أرسلَ رسله يوم أرسلهم ، ليس معهم إسلامٌ يدعون الناس إليه ولا هدى (١) يوجبُ لهم الطاعة ، ولا تقومُ لله به على برئته حجة ، لانه ، زعمتم ، إنما خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل !! فوجبَ عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين ، إذ لا إسلام معهم ، وإنما خلقه ، زعمتم ، بعد إرسالهم ..

وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله ، وفيه خروجكم من دين الإسلام .

٤- وإن قلتم : خلق الله ، عز وجل ، الإسلام ، مع إرساله للرسل ، لا قبل ذلك ولا بعده ، رجع عليكم القول الاول ، والمطالبة لكم من خصومكم ، بأنه لا بُدُّ لكم أن توجدونا الإسلام الذى ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل . بحدوده وشخصه ، ولمسه وذوقه ، وسمعه (٢) وصوته ، وحسه والنظر إلى صورته ، وإدراكه وإحاطة الاقطار به ، حتى يعرف ويوجد ، ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله ، عز وجل !

٥- وإن قلتم : إنه لا يدرك إلا بالصفة لا غيرها . لزمكم أنه واحد ليس كمثله شئٌ ؛ لانه قد انتظمت صفة الله ، عز وجل ، الذى ليس كمثله شئٌ ، فى زعمكم ، لان كل شئ خلقه الله ، عز وجل ، من الخردلة فما فوقها فى السموات والارض ، لا بُدُّ له من ستة حدودٍ ، تحوى كل مخلوقٍ خلقه الله ، عز وجل ، وهى القدام ١١٣ و / والخلف . / واليمين واليسرة والفوق والتحت ، فهذه الحدود لا بُدُّ لها أن تحيط بكل مخلوق ، لان الخالق ، عز وجل ، لا حدُّ له ولا قدام ولا خلف ولا يمين ولا يسرة ولا فوق ولا تحت .

(١) فى الاصل : هدا .

(٢) فى الاصل : سمع .

فهذا الفرق بين الخالق ، عز وجل ، وبين المخلوق ، وما ليس له حَدٌّ يُدرك بالحواس ، فليس هو خلقاً لله ، عز وجل .

وهذا اكبر دليل على أن أفعال العباد غير مخلوقة ، لو كانت مخلوقة ، لكانت بائنة ، بمعنى تحيط به الحدود والاقطار ، دون فاعليها .. وإنما أفعال بني آدم حركاتهم ، وفعلهم هم لا فعل الله ، عز وجل ، ولا خلقه .

٦- وكذلك الكفر ، يلزمكم في خلقه من الحجة ، مثل ما لزمكم في خلق الإسلام ، سوى^(١) أن ادعيتم أنه خلق قبل الكفار ، طالبناكم بتشخصه وحده ولمسه ، ودرك الحواس جميعاً له .

فإن لم تأتوا على ذلك ببرهان ، لزمكم توحيده ، لما جعلتموه بصفة الواحد ، ولأبد لكم من أحد هذه الثلاثة الوجوه ، التي ذكرنا لكم ، ليس لها رابع ، وليس لكم من واحد منه مخرج .

فاعرف ما قلت ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، لإخوانك من قولك لهم : أن ليس قول أقرب الى قول الزنادقة ، زعمت ، من قول أهل العدل ، أن ليس أفعال العباد مخلوقة .

فأى القولين الآن أقرب الى الزندقة ، بل أيهما هو الزندقة ، بل أيها هو الشرك الأعظم ، الذي جعلتم الله ، عز وجل ، عن قولكم فيه ، شريكاً لكل مشرك ، أو فاعل فاحشة ، أو مرتكب لعظيم كفر ، فجاز على^(٢) حد قولكم ، قول أهل الأصنام ، وفات من جميع الأنام ، وأخرجكم من ربة الإسلام ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

قال الله ، عز وجل . : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٠٥) ﴿٣﴾ ، وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ (٤) ، أهذا عندك قول من أراد أن يكفر به ، أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذب عليه ..

(١) في الأصل : سوا .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآيتان ٦٦ - ٦٧ .

ثم سمي نفسه عادلاً لا يظلم ! ثم قال : ﴿أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(١) ..
 * وأما اعتلالك بقوله ، عز وجل ، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(٢) ، فقد أعملناك أن
 هذا خصوص " لا عموم ، والدليل على ذلك ما يلزمك إلا قرار به ، أحببت أو كرهت ،
 وهو قوله ، عز وجل ، ﴿إِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ^(٣) .

١- فنقول لك : أخبرنا عن الدهرية المعطلة ، الذين زعموا أن ليس لهم خالق ، ليس
 هم شيء أم لا ؟ ..

فإن قلت أن ليس هم بشيء .. أكذبك جميع الخلق ، وخرجت من حدّ الكلام ،
 ودخلت في العبث .

١٣ / وإن قلت : هم شيء .. قلنا : فهل / هم يسبحون الله ؟ ..

فإن قلت : نعم . بآنت فضحتك ، وأكذبك جميع الخلق ، لأنهم معطلة ،
 يحجدون الخالق ، وهم الذين ذكرهم الله ، عز وجل ، في كتابه حين قال :
 ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ
 إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ^(٤) .

وإن أقررت أنهم ليس يسبحون الله ، جل ثناؤه .

قلنا لك : قد صدقت ، وفي صدقك هذا ، يلزمك أن ليس كل شيء يسبحُ الله ،
 عز وجل ، وإنما عنى ^(٥) بعضاً دون بعض .

٢- وكذلك قوله : ﴿خالق كل شيء﴾ ^(٦) ، إنما عنى ما خلقه ، جل وعز ، لا ما خلق
 العباد ، وفي هذا كفاية لمن عقل .

وإنما خلق الله ، جل وعز ، الأجسام والأعراض ، لا غيرهما مما يعرف ، وليس له ،
 عز وجل ، خلق ثالث يعرف ، إلا الأجسام والأعراض ، إلا ما قاله ، عز وجل :

(١) سورة التوبة : آية ٣ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة المجاثمة : آية ٢٤ .

(٥) في الأصل : عنا .

(٦) سبق تخريجها قريباً .

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) ، ولا يقوم عرض إلا فى جسم ، ولا جسم إلا فى عرض .

فإن قلت : إن الأعراض لا تدرك بالحواس ، ويلزمكم لنا فيها ، مثل ما لزمنا لكم فى خلق أفعال العباد .

قلنا لكم : فإن جوابنا لكم فى ذلك ، أن الأعراض لا ترى ولا تسمع ولا تدرك ، وليس أفعال العباد ترى ، أيضاً ، ولا تسمع ولا تدرك بصورة ينظر إليها ، ولا جسم متجسم ، إلا أن يقول قائل : إن القتل يرى بمعنى غير حركة الآدمى ، أو أن الصلاة ترى بمعنى غير حركة الآدمى ، أو أن الزنا يدرك بمعنى غير حركة الآدمى (أو شئ من جميع أفعال بنى آدم ، يقال فيه أنه يدرك أو يرى بمعنى آخر غير حركة الآدمى) (١) .

فلا يوجد السبيل إلى ذلك أبداً ، إلا أن توجدونا شمسين فى وسط السماء .

٣- والدليل لنا فى الأعراض ، وكذلك الزنا ، ليس هو شئ يدرك ولا يحس ، غير التقاء الفرجين ، وحركة الفاعلين يكون مع ذلك ، ولا يوجد خلق ، كما افتريت ، إلا أجسامهما ، فاجسامهما خلق الله ، عز وجل ، وكذلك الزكاة ، ليس هى بشئ يُحس ولا يدرك ، غير دفع الدنانير والدراهم والحبوب ، من يد رجل إلى رجل ، فإين خلق الزكاة ؟ .. أوجدناه إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته !! ولن نجد ذلك أبداً ، وكذلك الجهاد ليس هو شئ يُحس ولا يدرك ، إلا الرجل يضع السيف ، ويرفعه ، ويرسل السهم ، ويمد الرمح ويصرفه .

فإين خلق الله ، عز وجل ، لقتل الأنبياء ، وسفكه الدماء ، وفعله لجميع القبائح من الأشياء التى قلت فيه ؛ هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بنى آدم ، التى يرى الله ، عز وجل ١١٤ و / وجل : ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ (٣) ، وتلك الحركة فهى فرع الاستطاعة التى ركبها الله ، عز وجل ، فى خلقه ، وهى القوة التى وهب لهم (٤) ، وفوضهم فيها ،

(١) سورة النحل : آية ٨ ..

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) فى الهامش شرح عبارة عما يلى : (..... لا يستعملوا تلك القوة التى وهب)

وجعلهم فيها مخيرين غير مجبورين ، فى إمساكها ولا إرسالها، إلا فى جميع ما يرضيه ، وألا يعملوا بها شيئاً مما يسخطه ، وأعد الجنة لمن أطاعه، وأعد النار لمن عصاه ، وأرسل بذلك الرسل، وأنزل به الكتب ، وأعذر وأنذر، وحذر وكرر : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢) ﴿١﴾ ، غمن ادعى (٢) بعد هذا شيئاً ، يريد به إسقاط الحجة عن الكفار والعصاة ، ويلزم الله ، عز وجل ، الظلم والجور ، فقد كفر بآيات القرآن ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٣) ، وقوله ، عز وجل : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (١) ، وقوله : ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧٠) ﴿٢﴾ ، وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿٣﴾ .

لم يرد الله الكفر من الكفار

وقلت أنت أيها المحبر : إنه أراد الكفر من الكفار . وقد كررنا هذه الآيات ، لأنها حجة الله ، عز وجل ، ولا حجة أقوى منها ، وقد وجدنا الله ، تبارك وتعالى ، وقد كرر القول فى غير موضع من كتابه ، لتأكيد الحجة ، والإبلاغ فى الموعظة ، وفى أقل مما قلنا كفاية ، وانقطاع لكل مجبر على وجه الأرض ، والحمد لله رب العالمين .

٤- ومن الحجة عليكم فى قولكم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام قبل إرسال الرسل . أنه يزمكم أنه قد كانت صلاة موجودة من غير مصّل ، وزكاة موجودة من غير متزكّ ، وصيام موجود من غير صائم ، وحج موجود من غير حاج ، وعمرة موجودة من غير معتمر ، وجهاد من غير مجاهد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر من غير

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٢ .

(٢) فى الأصل : ادعى .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ ، وكتبها الناسخ خطأ هكذا (وما اختلفوا إلا من بعد) .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٠ .

(٦) سورة الأنفال : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

قائم بذلك ، وهذا هو الخروج من المعقول ، وهو يبطل قولكم أنه فعل من فاعلين ،
بأوكد حجة وأوضح برهان ..

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلام بعد إرسال الرسل .. لزمكم أن الاستطاعة موجودة
قبل الفعل لا بد من ذلك ، لأنه يلزمكم أن الرسل قد دعوتكم إلى أمر قبل فعلكم
له ، إذ ليس من شأنها ، عليها السلام ، ولا في عدل من خلقها ، تبارك وتعالى ،
الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلام مع إرسال الرسل .. لزمكم أن توجدونا صورة
الإسلام وحسه ودركه ، قبل أن يفعل ...

فإن قلتم : إنه لا يدرك إلا بالصفة .. لزمكم أنه إله موجود فيه ، مثل صفة الله ،
١١٤ و / تبارك وتعالى ، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة / الوجوه ، وفيها انقطاع
قولكم ، وبيان جهلكم ، وفريتكم على خالفكم ، ومفارقتكم لكتابه صراحاً ،
وظلمكم لاهل العدل ، وكذبكم عليهم .

إلا ان ترجعوا وتوبوا ، ويكون قولكم : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق أفعال
العباد ، لا الصالح ولا الطالح ، وأنه برئ من ذلك كله ، إلا ما أمر به ونهى ^(١)
عنه ، وهو متعال عن خلق أفعال العباد ، متنزه عن خلق الفواحش ، وجميع
الشرك والظلم والكفر ، وقتل الرسل وأئمة الهدى ، وإن لا ، فالنا لا شك فيه ،
لقوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ،
وقوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرِئْدٍ ظَلَمًا
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) ^(٤) ، وقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً
قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ... ﴾ ^(٥) .

أفلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم ، أنهم الذين فرطوا ، وأنهم قد دعوا بالحسرة

(١) في الاصل : ونها .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣١ .

على ذلك التفريط ، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِدُّونَ﴾ (٣١) ﴿١﴾ ، ولم يقولوا كما قلت : يا حسرتنا على ما خلق الله فينا من أفعالنا ، وعلى ما أراد منا !! .

وقوله : ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (٦١) ﴿٢﴾ ، فنقول لك : أخبرنا عَمَّنْ قَدَّمَ لَهُمْ ذَلِكَ أَهْوِ المريد لكفرهم !!!
فإن قلت : لا .. رجعت عن قولك بالجبر .

وإن قلت : نعم ، المقدم لعذابهم هو المريد لكفرهم .. لزمك أن خالقك يدعو على نفسه بعذاب الناس ، وهذا أعظم (٣) كفر قال به قائل ! .. فالحمد لله المعز لدينه ، والموضع لبراهينه ، والناصر لاهل طاعته ، والذابين عن كتابه ، وهو القوى العزيز .

واعلم علماً يقيناً أنه لا أحد لفعل بنى آدم يدرك ، إلا حد فاعله ، وليس هو بشئ بائن عن فاعله ، إنما هي الحركات الموجودة فيهم ، وهي فرع لاستطاعتهم ، والاستطاعة فعل الله ، عز وجل ، والتي عليها البنية والحركات ، فعلوها بإرادتهم واختيارهم ، بعد الأمر والنهي من الخالق الحكيم .

ولو كانت أفعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد ، بائنة عن الأجسام ، ثم وصفتها المجبرة ، بصفة غير ما قلنا ، للزمها أن تُثبت لها حدوداً والاقطار ، وإن لم تجدها ، ونفت عنها الحدود على الانفراد ، لزمها أنها قد وجدتْها ، كما وجدتْ الصانع القديم ، وهذا أبطل باطل يكون ، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض ، إذ لا حجة تفسد ما قلنا ، ولا تقطع ما به احتجاجنا .

٥- والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ (٤) ، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ، ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم ، منفرداً عن حركاتهم ؛ لوجب ١١٥ و / أنهم يخترعون عيون الأشياء ، ويخرجونها من العدم الى الوجود ، كفعل / الواحد الحميد ، فلا يقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال ، الذي لا يعجزه شئ وهو الولي الحميد .

(٢) سورة من : الآية ٦١ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(١) سورة الانعام : الآية ٣١ .

(٣) في الاصل : من اعظم .

٦- ويلزمكم أيضاً في قولكم ، أن قلتم : إنه ، عز وجل ، خلق الإسلام مع إرسال الرسل .. أن يقال لكم : إن الرسل متفاوتون في البعثة ، وكل رسول منهم بينه وبين صاحبه ، المدة الطويلة والسنون الكثيرة ، فلا يجوز لكم أن تقولوا : إنه خلق الإسلام لإلامع إرسال الأول منهم ، ويبقى ^(١) من بقى بلا إسلام ، حتى خلق له إسلام جديد يكون معه ١١ ..

فإن قلتم : إن خلق الإسلام الأول يجزئ من بقى .. قلنا : فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعة ، تخالف الأخرى ، وأحكاماً تخالف الأحكام التي قبلها ، وهذا ينقض عليكم ما ادعيتهم من خلق الإسلام الأول ؛ لأن مع كل نبي أمر غير أمر صاحبه ، وشريعة غير شريعة صاحبه . فإين الخلق الذي ادعيتهم من أن الإسلام مخلوق ١٢ ..

(فلا يجوز ما قلتم ، إنما الإسلام أمر ونهى ، وشريعة وأحكام ، تحدث بحدوث النوازل) ^(٢) . في كل عصر وزمان ، فالإسلام دين الله ، عز وجل ، وهو أمرٌ أمر ، به لا خلقاً خلقه ، والشرائع مختلفة لحكمة المتعبد لعباده ، وتصريفهم من الأمر على ما أرادته .

ولو كان الإسلام مخلوقاً ، لكانت شرائعه شيئاً واحداً ، لا تختلف ولا تنتقض عن الخلقة الأولى ، التي فطرت عليها ، والحمد لله رب العالمين .

عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد :

وإن أبيت إلا أن الله الذي خلق أفعال العباد ، قلنا لك : فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً ، وزناً وقولاً ؟ إن الله ثالث ثلاثة ، وإن له ولداً وصاحبة ١١ .. عز عن ذلك ، وكذلك ^(٣) توجدنا قطع الطرق ، وأخذ الأموال ، ونقب الحوانيت ، وغل الزكوات ، وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

(١) في الأصل : يبقى .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) كررها الناسخ مرتان .

فتوجدنا ذلك كله مَنْ خلق الله له ، كيف خلقه ، فإين وجده العباد حتى اكتسبوه، كما قلت، .. وإين هو ، وهل تراه الأعيان ، أو هل تسمعه الآذان ، أو تدركه العقول منفرداً ، وهل تدركه الأرجل ، وهل يدرك بالذوق أو الشم ، وهل تحويه الفكر ، وهل تقع عليه الخواطر ، وهل تحويه الاقطار منفرداً ، كما تحوى سائر الاشياء المحوية الموجودة ، حتى يصح لك ، وتبين حجتك فيه ونعلم ، نحن وأصحابك ، أنك صادق فى دعواك ، أن الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصي ، فيصح ذلك ، لنا ولك وجميع الناس ، كما صَحَّ الحديد ، الذى قلت ، الذى فيه عُمِلَتُ الدروعُ ، والشجر الذى حدث فيه القطن ، فعملت فيه الثياب ، والخشب الذى عملت منه السفن ، كما قلت ؟ .. صح لك ، لعمري . وهذا حق أن الحديد ١١٥ ظ / الذى عملت منه / الدروع ، وشجر القطن ، وخشب السفن ، والأكنان فى الجبال ، كل ذلك موجودٌ ، وعَمِلَ منه الناس جميعَ الصناعات التى (عملها) ^(١) بنو آدم ، وإنما عملوها من أشياء وجدوا الله ، عز وجل ، قد سبق إلى خلقها وإحداثها ، واقتطارها من قبلهم ، فأخرجها من العدم إلى الوجود ، لم يشاركه فى خلقها أحد ، ولم يسبقه إليها صانع ، فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات ، التى لا تقوم الدنيا ولا تعمر إلا بها وبعملهم لها ، وذلك من الدلائل العظام على التوحيد ، أن أحداً لا يحدث جسماً ، ولا يخترع صنع شئ من جميع الأشياء المجسمة ، ولا يقدرُ على إحداث ذلك كله ، إلا الله القوى العزيز .

فمن صنعه وخلقه وفطرته واختراعه عملوا ، ولولا ما وجدوا من ذلك ، ما قدروا على شئ يعملون منه مصالحهم ، لأن هذه الأشياء ، مشاهدة مرئية موجودة ، تدرك لا شك فيها ، من درك الحس ، من الشم والذوق والسمع والبصر .

وأما الشرك الذى ذكرت ، أنت وإخوانك المجبرة ، وجميع المعاصى الذى ادعيتم أن الله ، عز وجل ، خلقها أخرجها من العدم الى الوجود ، فيلزمكم لنا أن تأتوا عليها بدليل وبرهان ، اضربى وأوضح من نور الشمس الطالعة ، حتى يتبين للناس صدقكم ، ولن تمجدوا ذلك أبداً ، ولن تقدروا عليه .

(١) مباض فى الأصل .

لان المعنى الذى ذهبتم إليه ، فسميتموه خلقاً لله ، عز وجل عما قلتم ، إنه حركات العباد، التى يتحركون بها بالقوة التى فيهم ، والله ، عز وجل ، وإنما خلق الاستطاعة، وهى القوة المركبة فى بنى آدم ، وهم فيها مخيرون، إن شاءوا تحركوا بها، وإن شاءوا لم يتحركوا ، فالاستطاعة من الله ، عز وجل ، موهوبة مئة ونعمة، والحركات ليست من الله ، عز وجل ، وإنما هى فعلهم هم ، لا فعل الله ، عز وجل، وشاهد ذلك القوى الواضح من كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) ﴿ ١ ﴾ ، فلو كان الله ، عز وجل، وهو خالق لنظرهم الى المحارم ، والخالق لحركاتهم فى الفروج، التى يتحرك بها الادميون ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ، أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ...!

وإنما نهاهم ، عز وجل ، عن أمرٍ هو إليهم ما يكون له ، إن شاءوا فعلوه ، وإن شاءوا لم يفعلوا.

وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) ﴿ ٢ ﴾ ، ولو كان الله ، عز وجل، خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه ، وإنما نهاهم .

عز وجل، عما يعلم أنهم يقدرّون على تركه ، والله ، عز وجل ، فلم يخلق حركات العباد، وهى الزنا الذى تحركوا له ، والقتل الذى تحركوا له . والشرك الذى تحركوا له، وحركوا فيه السنتهم وأيديهم ، وقالوه بأفواههم وأهوائهم ، كذلك جميع الظلم والفواحش التى حركوا فيها جوارحهم وحواسهم ، وقد حظر الله ، عز وجل ، عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا فى الطاعات ، والكف عن المحرمات .

فعصى ^(٣) من عصى ، فوجبت له النار ، وأطاع من أطاع ، فوجبت له الجنة ، ليس جبراً ولا إكراهاً ولا خلق فعل .

والله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع أفعالهم ، ولو خلقها ، لكان شريكاً

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة المحجرات : الآية ٢ .

(٣) فى الأصل : عصا

لهم ، إذا كان لهم فى شئ من أفعالهم ، قل أو كثر ، شريكاً ، لم يكن إلهاً ، ولزمه من الجور والظلم ، والخروج من الحكمة والعدل ، فى عذاب من خلق فعله ، ما يلزم الجائرين .

ودليل ذلك أن نقول لك : هل يعذب الله ، عز وجل ، داود عليه السلام ، فى عمل الدروع ، التى قلت ، أو يعتب ذلك عليه ، وهل سمعته قال : لم فعلت ، ولم عملت الدروع ١١٩ . . وإنما أخبره أنه علمه صنعة الدروع ، ولم يخبرنا أنه هو الذى خلق الدروع .

وكذلك آدم ، ﷺ ، لم يعذبه الله ، عز وجل ، فى حوك الثياب ، ولا الحرث ، ولا فيما عمل من الصناعات ، ولا قال لنوح ، ﷺ ، قول تعنيف فى عمل السفينة ، ولا عذبه على عملها ولا سمعته فى شئ من كتابه ، قال للمؤمن ولا لكافر : لم عملتم الدروع ، ولم عملتم الأكنان فى الجبال ، ولم عملتم الآلات ، إلا أن يعملوها لباطل ، أو معصية لله ، وجل ثناؤه ، فهناك يقع التعنيف ، ويجب العذاب .

وإنما قال لهم ، عز وجل ، لم كذبتهم رسلى ، وأعرضتم عن كتبى ، والخدم فى صفتى ، وشبهتمونى بالجائرين ، وقتلتهم أنبيائى ، والائمة من خلفائى ، والمؤمنين من أصفائى ، ولم كفرتم بى ، وعبدتم غيرى ، وخالفتم أمرى ونهى ١١٩ . .

فهذا يوجب أن ليس لاجل خلقه لما خلق ، يُعذب عباده ، إنما يُعذبهم لما خلقوه هم ، وأتوه عامدين ، باهوائهم وإرادتهم وحركاتهم .

فهذا جوابنا لك على دعواك فى خلق الكفر ، الذى زعمت أن الله ، عز وجل ، خلقه وأراد ، وهذا ما لا مخرج لك فيه ، لانا سألناك أن توجدنا شركاً وكفراً ١١٦ ظ / وظلماً وفواحش مخلوقة منها . أخذ العباد (منها) ^(١) ما عملوا ، ومنها اكتسبوا ما به كفروا ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب ، والأشياء المخلوقة الموجودة ، التى احتججت بها علينا فى مسألتك هذه ، ولن تجدد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش ، أخذ منها العباد ما عملوا ، ولا منها ما اكتسبوا ما به أحدثوا !!

(١) ليست فى الاصل .

فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، حتى تناول النجوم من أعنان السماء بكفكاً .. ولن يكون ذلك أبداً ، وفي هذا بطلان قولك ، ولزوم حجتنا لنا ، ووجوب النار عليك ، إلا أن ترجع ، وتتوب عما قلت أنت ، ومن تبعك ، والحمد لله رب العالمين .

نقض المجبرة في أن خلق الله ، غير خلق عباده في الكفر والإيمان :

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، الذي خلق الكفر والإيمان ، على وجه غير ما خلقه العباد ، (فإن)^(١) العباد ، زعمت ، يزنون ويسرقون ، وهذا ، زعمت ، لا يجوز على الله .. ولا نعلم أحداً اجتراً على ما اجترات عليه ، من هذا القول الفاحش ، الذي استخرجته من عقلك ، فنقول لك : أيها المغرور ، الأعمى في دينه ، والجاهل بربه ، فقل أيضاً : إنه قد يجوز أن يرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة ، غير نظر الأعيان ، ويسمع ، على غير وجه من حقيقة السمع ، غير سمع الأذان ، وأنه شاهد الخليقة بالحواس من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس ، الذي يعقل من غير حس ، ولا مشاهدة .. وكل هذا لا يجوز ، كما استحال ما قلت .

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا ، الذي ضاهيت فيه قول النسطورية^(٢) ، من النصارى ، وبين قولهم ، إذ زعمت النسطورية أن عيسى ، ﷺ ، ابن الله على معنى زعموا غير معنى الولادة !!

فنقول لك : هل يلزم النسطورية بهذا القول ، كفر أم لا ؟ ..

فإن قلت : إنه يلزمهم الكفر بهذا القول .

لزمك مثله ؛ لأنك زعمت أن الله ، عز وجل ، فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد .. وأنه قلت : إنه لا يلزم النسطورية ، بهذا القول ، كفر .. خرجت من قول أهل الصلاة ، وفارقت أهل الإسلام .

(١) ليست في الأصل .

(٢) النسطورية : فرقة من النصارى

وإن قلت : إنه يلزمهم بهذا القول الكفر^(١) .. لزمك مثله ، سواء ؛ لأنهم جاءوا بكلام محال ، وجذ بكلام محال مثله ، لا فرق بينهما في وجه من الوجوه ، وقد (قال) على بن الحسين^(٢) ، رحمة الله عليه : « ليست في محال القول حجة ، ولا في المسألة عنه جواب » .

فقد أعظمت الغربة ، بقولك هذا على خالقك ، فلا يبعد الله إلا من ظلم . ١١٧ و / وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقة وجميع المعاصي / عيب ما خلق ، وكيف لا يفسد قوله ١١٩ .. فتبارك الله أحسن الخالقين .

فإن قلت : إنه لا يلزمه عيب ما خلق .. قلنا : وكذلك يلزمك أنه^(٣) يلحقه حمد ما خلق .

فإن قلت ذلك ، خرجت من الإسلام ، ومن قوله : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾^(٤) ، وكيف ما قلت ، لزمك فيه الكلام ، حتى ترجع إلى الحق ، فتقول : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع ما افتريته عليه ، فنفلجك .

في حقيقة العقول :

ثم نسألك فنقول لك : هل العقول المركبة فينا ، تدلنا على غير الحق إنه حق ، وعلى غير الباطل أنه باطل ١١٩ .

فإن قلت : نعم ، إن الأشياء تخالف العقول ، وإن العقول لا تتميز الحسن من القبيح ، ولا الحق من الباطل .. خرجت من حد من يكلم ، واكذبك جميع الخلق ؛ لأنه يلزمك . إن قلت بهذا . أن العقول لا تتميز الليل من النهار ، ولا القحط من الإمطار . ولا الظلمة من الأنوار ، ولا السوام^(٥) من الأشجار . ولا غير ذلك مما تحوى الأقطار .

(١) كثر العبارة لتكرار اللزوم .

(٢) على بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، واحد الأئمة الإثني عشر عند الإمامية ، واحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع والجمود والسخاء ، ولد سنة ٣٨ هـ ، وتوفي سنة ٩٤ هـ ، في خلافة عبد الملك بن مروان .

(٣) ليست في الأصل .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٥) أي الرعى منها .

وإن قلت : لا يجوز ذلك ، أن تستحيل الأشياء في العقول ، وتقلب على غير وجوهها^(١) حتى لا تميزها العقول ، لزمك أن الذي قلت باطل وكفر ، من أنه يخلق الزنا ، على معنى غير الزنا ، والسرقه ، على معنى غير السرقه ، وفي هذا كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

الفرق بين الأسماء الحسنی والقبيحة خلقاً :

ثم نقول لك : أليس تقرر لنا أن الله^(٢) ، عز وجل ، الأسماء الحسنی ؟ ..

فإن قلت : نعم .. قلنا لك : أفليس افترض الله ، عز وجل ، أن تدعوه بأسمائه الحسنی حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾^(٣) ۝ ١٩ ..

فإذا قلت : نعم .. قلنا لك : فهل يجوز لنا ولك ، أن ندعوا الله ، عز وجل ، فنقول له : يا خالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء ، وجميع المعاصي ، اغفر لنا ۝ ١٩ ..

فإن قلت : نعم ، ذلك جائز أن يُدعا به .. قلنا : فما الفرق بين الأسماء الحسنی ، والأسماء القبيحة ، حتى نعرف بعضها من بعض ۝ ١٩ ..

فإن قلت : إن هذه الأسماء التي ذكرنا حسنة جميلة ، لا عيب في الدعاء بها .. لزمك أن الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصي ، كل ذلك ، حسن جميل لا عيب فيه ، ولا عيب على من دعا^(٤) الله ، عز وجل ، به ، وسماه خالقاً له .

وإن قلت : إن هذا الدعاء لا يليق بالله ، جل ثناؤه عما قلتم ، وأنه لا يجوز أن يُدعا به ، لقبه وشناعته ، وكذب من دعا به .

لزمك أن حجتك علينا فيه كاذبة باطلة فاضحة ، وأنت مبطل في قولك : إن الكفر والمعاصي كلها خلق الله ، عز وجل عما قلت ، وافتريت أنت ، ومن تبعك على مقاتلتك . وكفى^(٥) بهذا كفراً ، وصدوداً عن القرآن ، أن يضاف إلى الله ، جل ثناؤه ،

(١) في الأصل : ايضاً وجهها .

(٢) في الأصل : الله .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٨٠ .

(٤) في الأصل : دعى .

(٥) في الأصل : وكفا .

ما برئ منه ، وعنف فيه إبليس وجنوده ، وأوجب لهم على إتيانه ، النار التي لا تطفئ
١٧٧ظ / فبعداً للقوم الظالمين ١١ / .

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق الأسماء كلها .. فالرد عليك أنا نقول لك :
أخبرنا عن اسم «محمد» ، صلى الله عليه ، هل هو المعنى ^(١) في خلق الله ، عز وجل ،
له ، ولما قالت قريش من تسميها ، النبي ﷺ ، أنه مذمٌ ١١؟ .

فالله ، عز وجل ، قد سمّاه محمداً واحمداً وسمّته قريش مذمماً . فقال ، صلى الله
عليه ، : «ألا ترون نصر الله لي على قريش ، حين سمّوني . مذمماً ، وأنا محمد» ^(٢) .

فنقول لك : إذا كان الله ، عز وجل ، وهو الذي خلق اسم محمد ، وخلق اسم
مذم ، أى عيب على قريش فى قولها لمحمد ، عليه السلام ، أنه مذم ، كلاهما خلق
الله ، عز وجل ١١؟ .

زعمتم - وجدّ المسلمون الله ، زعمتم ، قد سمّاه محمداً ، فسمّوه بذلك ، ووجد
المشركون الله ، عز وجل ، قد سمّاه مذمماً فسمّوه بذلك ، فماذا عليهم ، والله الخالق
للاسمين ، والفاعل للقولين ، والمريد للمعنيين ١١؟ .

فإنكم تنقطعون ها هنا ، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها ، إلا أن تجسروا ، فتزعموا
أن الله ، عز وجل ، هو الذى سمى ^(٣) رسوله ، ﷺ ، مذمماً! ..

فيبين جهلكم وكفركم ، لجميع من صلى القبلة ، وكفى بهذا ^(٤) جهلاً وخروجاً
من الحق .

* ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى ، ثم سلّمهم عن الأصنام من خلقها ، وجعلها
أصناماً؟ ..

(١) فى الأصل : المعنا .

(٢) الحديث : عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، فى : البخارى ، ١٨٥ / ٤ - ١٨٦ (كتاب المناقب ، باب ما جاء فى أسماء رسول الله
ﷺ) ، وأوله : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش - الحديث وهو . فى : النسائى (شرح المصطفى)
١٢٩ / ٦ ، ١٣٠ (كتاب الطلاق ، باب الإبانة والإفصاح ..) والسند ، ١٣ / ٥٠ ط . دار المعارف .

(٣) فى الأصل : سما

(٤) فى الأصل : وكفا بهذى .

الجواب قال أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه - نحن نقول لك هل : خلقها أصناماً وأوثاناً وأنصاباً ، فسماها بذلك الاسم ، وكان ذلك الاسم يُدعى «بُدْدُ» وتعرف به قبل أن يعبدوها من نحتها ، وجعلها صوراً من المشركين ، فى الزمان الأول ، وفى زمان مندان بن إسماعيل ^(١) ١١٩ .

فإن قلت : إن ذلك كان اسمُ الحجارة ، تعرفُ فى العرب ، قبل ابتداع من ابتدعها ، وعبادة من عبدها ، اكذبك جميع الخلق ، وشهدوا على بطلان قولك .

لأنها لم (تزل) ^(٢) تشاء تُعرفُ بأن اسمها حجارة ، وصخر وصفوان وصفا ^(٣) ، وغير ذلك من الأسماء ، فلما نحتها الكفار بأيديهم ، وصوَّروها بحركاتهم ، وسموها أصناماً وأوثاناً ، وسموها بالأسماء المحدثه منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وإساف ونائلة ، ويغوث ويعوق ونسراً ، وغير ذلك ، وهى التى ذكرها الله ، عز وجل ، فى كتابه ، وعَنَّفهم على اتخاذها وتسميتها ، مما دَلَّ على براءته من خلق ما خلقوا فيها ، من التقدير والتصوير والخرط والنحت ، فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ (٢٠) الْثَالِثَةَ الْآخَرَىٰ (٢١) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢٢) تِلْكَ إِذًا / قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٣) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٤) ﴾ ^(٤) .

كانك ، يا لك الويل ، لم تسمعُ هذا القول فى كتاب الله قط ، ولم يخطر لك على بال ، حين زعمت أن الله ، عز وجل ، خلق الأصنام ، وذهبت بجهلك إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ ^(٥) ، وإنما عنى بهذه الآية ، أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء ، التى عملت منها الأصنام ، إذ لا خالق للأصل غيره ، وإنما وقع العيب والتعريف عليهم ، فى نحتها وتقديرها وتصويرها ، وعبادتها لا غير ذلك .

(١) يقال إن أول من أدخل عبادة الأصنام على العرب هو عمرو بن لحي بن غالب بن عمرو بن عامر .

(٢) زائدة فى الهامش .

(٣) الحجارة الملساء .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٩٦ .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢٤) مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا ﴿ (٢٥) . فلم عُدوا لهم من دون الله أنصاراً ١٩.. أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله ، عز وجل : ﴿ مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا ﴾ (٢٥) ، ولم يقل إنهم أذخلوا النار بخلقه لفعلهم ..

فسبحان الله العظيم ، ما أجهلك واجهل من أصغى (٢) إلى قولك ، ﴿ وَسَيَقْلُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٧) ﴿ (٢٦) ، ﴿ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكَكُمْ بِهِ ذَابٍ وَقَدْ خَابَ مِنَ الْفَرَى ﴾ (٢٦) ﴿ (٢٧) ، فاسمع الى تفسير الفرية ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الفرية ، كما زعمت ، للزمه أنه قد خاب ، عز وتعالى عن ذلك ، لقوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مِنَ الْفَرَى ﴾ (٢٦) ؛ لأن من خلق الفرى فهو خائب ، ومن خلق الكذب فهو كاذب .

وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١٠) ﴿ (١١) ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى دساها ، للزمه أنه شتم نفسه بنفسه ، وخيبتها ، حيث قال : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١٠) ، ولا تدسية أعظم من الكفر! ..

وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلقهُ ، وخلقهُ ، زعمت ، فعله وصنعه ، فيلزمك فى هذه الآية أنه دساها بالكفر ، وأنه يلزمه أنه قد خاب من دساها ، وبالله لو لم يكن لنا فى القرآن غير هذه الآية ، لكانت كافية قاطعة لكل مجبر على وجه الأرض ، الا لعنة الله على الظالمين .

فى القنطرة والمشيئة وتعلقها بالعلم ،

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن وجه ما وضعوا ، مما أخطؤا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل .

(١) سورة نوح الآيات ٢٣ - ٢٥ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) فى الأصل : أصفا .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(٥) سورة طه : آية ٦١ .

(٦) سورة الشمس : الآيات ٧ - ١٠ .

فإنهم عابوا علينا أن قلنا : إن كل شيء أخبرنا الله به أنه ، لا يكون أو يكون ، فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن يقول إنه إن شاء كان على وجه إن شاء ، فإن ما يجهل وما لا يعلمه ، لإنا متى قلنا ذلك ، قلنا : لا ندرى لعل الله إن شاء قال ١١٨ ظ / الباطل .. تعالى الله ربنا وتبارك ، لقد حملنا أهل البدع على أن تكلمنا بكل قبيح ما / ما يدخل عليهم في كلامهم ، مع أن الله ، تبارك وتعالى ، قد وصفه بعض الكفار ، فقالوا : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) .

فوصف كذبكم ، ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لأن متى قلنا : إن القيامة إن شاء الله لم يقمها . قلنا : إن الله كذب ، وإن قلنا : إن الله إن شاء لم يفعل ، قلنا : إن شاء الله أخلف الميعاد ، ولا يجوز على الله هذا ، إلا أن يشاء أن يكون غير ما علم أنه يكون .. ولا يشاء أن يخلف وعده ، ولا يشاء أن يتخذ الولد ، ولا يشاء أن يتخذ معه إلهاً ، تبارك وتعالى ، ولا يجوز على الله هذا الكلام في قول العدل ، إنما يشاء أن يكون ما علم أنه يكون ، ولا يشاء أن ينقص ملكه ، ولا يشاء أن يغير صفته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

رد أحمد :

الحواب قال أحمد (بن) ^(٢) يحيى ، صلوات الله عليه : زعمت أنا وضعنا خطأ ، إخطانا فيه تاويل قدرة الله ، عز وجل ، منه أنه لا يكون أو يكون .

فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن نقول : إنه إن شاء كان ، على وجه أنه إن شاء كان ما يجهل وما يعلم .

١ - وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره ، فأجزأنا ذلك عن إعادة قولك ، لأنك إنما مدارك على الفرية على الله ، عز وجل ، وعلى إبطال كتابه ، وعلى إبطال أمره لخلقه بالإيمان ، والرجوع عن الخطأ ، والتوبة عن الكفر والظلم ، واجتهادك في دعاء

(١) سورة المائدة - الآية ٦٤ .

(٢) في الأصل : أحمد يحيى

الكفار إلى أنه لا يعلم الله، عز وجل ، منهم الكفر ، وإن يدعوا الكفر والشرك ، ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة ، وأنت إنما تريد في قولك : إن من علم الله منه الكفر ، أنه ليس له حيلة في الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه ، زعمت ، لأن ذلك العلم الذى علمه الله ، عز وجل ، عندك ، هو الحائل بينهم وبين الإيمان... زعمت .

حقيقة لهم المجبرة للعلم الإلهي :

* وهذا كفرٌ غلطٌ فيه ، وخالفت القرآن ، وجهلت كيف العمل به ، ولم يبلغه عقلك ، وذلك أن المجبرة أنزلوا العلم بمنزلة الشئ المانع الدافع لهم ، الحائل بينهم وبين طاعة الله ، عز وجل ، فالتوبة عن خطايهم ^(١) ، وتركهم قوله ، جل ثناؤه ، بعد ما علم أن القاسطين يكونون لجنهم خطباً .

فأخبر ، تبارك وتعالى ، أن علمه ليس هو المانع ، ولا حائل دون الاستقامة على طريق الهدى ، وأنهم إنما هلكوا وصاروا خطباً لجنهم ، باختيارهم ، واتباع أهوائهم ، لا يعلمه ، عز وجل ، الذى قلت : إنه حال بينهم وبين الطاعة ، فقال ، ١٩٩ و / جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ / فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ ﴾ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۝١٦ لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾ ^(٢) ، وقد أعلمناك ، أن تاويل الفتنة فى القرآن يُخرجُ على عشرة وجوه فى كتاب الله ، والله ، عز وجل ، لا يفتن المستقيمين ولا يضل المطيعين ، لانه ، عز وجل ، إنما أخبرنا أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لأحسن إليهم وأسكنهم جنته ، ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء . الا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لم يعلم منهم الكفر ، الذى صيّرهم به خطباً لجنهم ، وأنهم لو أرادوا الهدى ^(٣) لم يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفر ، والشاهد على ذلك لنا أن الله ، عز وجل ، إنما افترض

(١) سورة الجن : الآيات ١٥ - ١٨ .

(٢) فى الاصل : الهدا

على الخلق الخروج من الكفر ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ ولو كان الامر (كما) ذهبت إليه عقولكم الصداة ^(١) ، لم يجر للحكم العادل ، الذى لا يظلم ، أن يقول : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) ، ويقول : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(٤) .

وليس فى القرآن من أوله الى آخره ، آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله ، عز وجل ، هو الذى منع الناس عن الإيمان ، وحال بينهم وبين الطاعة ، ولا حملهم على الكفر ، فإن وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك ، فالقول قولكم .

أو وجدتم آية توجب أن الله ، عز وجل ، قال لاحد من خلقه الاولين أو الآخرين : ادخلوا النار بما علمت منكم ، وادخلوا الجنة بما علمت منكم ... لأنه ، جل وعز ، إنما يعاقب وثيب على الأعمال ، لا على علمه بالأعمال .

وقد أجبتك فى العلم ، فى أول كتابنا هذا ، بما فيه الكفاية ، إلا أنك تكرر مسألك ^(٥) فلا نجد بداً من أن نكرر ما قد انقضى ^(٦) فيه الجواب ، لئلا تعلق علينا بحجة ، أو تقول قد تركوا بعض مسألتى .

هل يشاء الله أن يفعل ما لا يجوز ؟

٢- وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله ، من أن لا تكون القيامة ^(٧) ، وإن يتخذ الولد ، وأن يخلف الوعد ، وأن يبدل القول ...

فهذا كله قولكم أنتم ، وهو لازم لكم ، وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا

(١) فى الأصل : الصداة .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٥) فى الأصل : مسالك .

(٦) فى الأصل : نقضا .

(٧) فى الأصل : القيمة .

القول، هم أعرف بتوحيد الله ، سبحانه ، وأقومُ بعدله من أن يقال لهم هذا القول، وينسب إليهم، بل هذه صفتكم أنتم ، وصفة إخوانكم الأشقياء الممهرة الجهلاء .

٣- وأما قولك : إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريدُ ، ونحن نقول ، على أهل البدع لعنة الله (و) لعنة اللاعنين ، وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن، وعرف تأويله وتنزيله، ومحكمه ومتشابهه ، واخذ الحق من معادنه، ١٩٩ ظ / الذين قال الله ، عز وجل ، ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) . وقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (١١٩) ..

ثم نقول : أنت أعرف بعدل الله أم موسى ، صلى الله عليه ١١٩ .

فإن قلت : إنك أعرف من موسى . كفرت .

وإن قلت : إن موسى ، صلى الله عليه ، أقوم بعدل الله منك ، وأعرف بدينه .

فما تقول في موسى ، صلى الله عليه ، لما قتل القبطي : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٥) ، ولم يقل : هذا من قضاء الله ، عز وجل ، وإرادته .

يجبُ في هذا القول أنك أعلم من موسى ، ﷺ ، وأقوم بعدل الله ، عز وجل ، وكذلك قال الله ، عز وجل ، لمحمد ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾ (١١) ، وقال يعقوب ، صلى الله عليه ، ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) ، ألا ترى أن الله ، عز وجل ، قد نفى عن الانبياء ، صلوات الله عليهم ، ما ألزمته وإن ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالفه ، كما أضفت .

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ١٥ .

(٤) سورة سبا : الآية ٥٠ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٨ .

٤- وأما قولك أنا أخطأنا في صفة قدرة الله .. وليس القول كما قلت ، ولكننا نقول : إن الله عز وجل ، قد صدق في قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٢) ، وما أشبه هذه الآيات في القرآن .

فإن كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته ، وأنه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر، حتى^(٣) لا يقدرّون على فعله بالجبر منه لهم والقهر ، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، أى جبراً وقسراً ولا يرسل إليهم الرسل ، ولا ينزل عليهم الكتب ، ولكن لم يكن ذلك من حكمته ، وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك ، وأنه لا يفعل ، حتى يروا أنهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصي ، عن غير غلبة له ، عز وجل ، ولا ضعفٍ كان منه عنهم .

فأما قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤) فإن المجبرة يتعقلون بهذه الآية ولا يقرأون ما بعدها ، وهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) .

فصح أنه بما كسبوا لا يفعل الله ، عز وجل ، ولا بإرادته لمعصيتهم ، مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة ، وليست من أحكام الدنيا ؛ ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، وعنى أن المخاطبة في الآخرة لا في الدنيا : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٦) ، يعنى ممن عصى^(٧) في الدنيا وخالف أمره . ثم قال بعد هذا ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ .

١٢٠ و / فصح أنه في الآخرة / تكون هذه المخاطبة، والعدل في الآية قائم بنفسه، لاجبر فيه ولا قسر، ولا مخرج للملحد مجبر ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(٣) في الاصل : حيا .

(٤) في الاصل : يقرّون .

(٥) سورة السجدة : الآية ١٤ .

(٦) في الاصل : عصا .

٥- وأما قولك : إنه يلزمنا أنا نقول : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لم يكن رباً ، وأنه لو شاء لظهر للناس ، وما قد ذهبت به في هذا الموضع من الخطأ والتخليط .

فأهل العدل أعلم بالله ، عز وجل ، وبتوحيده الذي أنت به جاهل ، فلن يقولوا مثل ما قلت . وإنما يجب عليك ، لو استعملت الأدب والحكمة ، أن تخاطبنا بما قلنا

فأما ما ليس هو من قولنا ، فلم تكررّه وتذكر فيه الكلام ، ولكن وجدت جهالاً لا يميزون عليك قولك ، وقلدوك أمر دينهم ، فأهلكتهم ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

وهيهات شرف الحق وعظم قدره ، وقدر أهله ، من أن تخطفه أيدي الباطل ، أو تفتاتوا على أهله بحجة .

فأربع على ظلمك ، وقس بشرك بمقتك^(١) ، وأخرج مما قلنا ، وافهم ما به أجبنا ، وأرع من استطعت من أهل الجبر ، فإنكم لا تقومون بحجة واحدة من هذا الكتاب ، ولا تقدرّون لها على دفع ولا نقض ، بحول الله وقوته .

وهذا قول مدلّ بفلجه ، لأن دين الله ، عز وجل ، لا تقوم له الجبال ، وما كان من الله ، عز وجل ، فلن يغلب أبداً ، وغيره دين الشيطان ، ودين الشيطان إلى البوار والدمار والدبار والخسران ، فلا يقوم الباطل للحق أبداً .

وسألت عن أم موسى ، صلى الله عليه ، وعن فرعون ، لعنة الله ، وقد أعدت هذه المسألة ، وقد مضى جوابنا لك في هذا الكتاب بما فيه الكفاية .

وذكرت الاستطاعة في قتل موسى ، صلى الله عليه ، وقد أجبناك أيضاً في باب الاستطاعة بما فيه الكفاية ، وأوضح البرهان ، وما لا يقدر له أحد من المجهرة ، ولا غيرهم ، على نقض أبداً .

أدلة أخرى في الاستطاعة ،

ونحن نقول لك في الاستطاعة أيضاً : أخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، على

(١) مثل جار ، معناه توبيخ الخصم والخط من شأنه .

الناس عندما بعث إليهم محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن يقرؤا أن محمداً رسول الله ١٢ ..

فاذا قلت : نعم . قلنا لك . فاخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، عليهم من ذلك ، ما يقدرُونَ عليه ويمكنهم ، أم ما لا يقدرُونَ عليه ولا يمكنهم ؟
فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً لا يقدرُونَ عليه ولا يمكنهم^(١) .

لزمك أنه افترض عليهم ، ما لم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا المقدرة ، وأنه قد أبطل في قوله في كتابه ، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾^(٢) ، أى عرّفناه طريق الخير والشر والحق والباطل ، ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا .. ﴾^(٣) .. فأى دلالة إلى سبيل أعظم من هذه الدلالة .

١٢٠ ظ / ويكفيك أيضاً قوله ، عز وجل : / ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٤) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾^(٥) ، وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً يقدرُونَ على اتباعه وفعله ويمكنهم ، بطلت دعواك فى الاستطاعة أنها مع الفعل ، ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولولا ذلك لما افترض الله عليهم أمراً لا يقدرُونَ عليه ، من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم ، فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة .

وهذا ما لا يجوز فى عدل ، ولا حق ولا حكم ولا عقل ، وهذه وحدها تكفى من عقل .

(١) تكررت العبارة فى الأصل واظنه سهواً من الناسخ .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١٠ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٥) سورة الطلاق : الآية ٧ .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم : عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ [الْبَيْتِ] مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) .^(١)

فقل أخبروني : ما الحج عندكم ، اليس هو الطواف بالبيت ، والموقف في عرفات والمشعر، وقضاء تلك المناسك بمكة وبمنى^(٢) .. ١٩ ..

فإن قالوا: بلى^(٣) . فقل أخبروني عمن له مائة^(٤) ألف^(٥) دينار، وألف جمل ، وأشباه ذلك، وهو صحيح ، يستطيع الحج، وهو بالبصرة أو بخراسان ، أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد ؟

فإن قالوا : نعم . فقل أفليس يستطيع الطواف بالبيت ، ووقفاً في تلك المواقف ، وهو مقيم في بلده ، لا يأتى مكة ، ولا يقربها ١٩ .. أفليس قد يستطيع الطواف بالبيت ، وهو مقيم ببلده^(٦) ، ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ١٩٩ ..

رد أحمد بن يحيى ،

١- الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، زعمت أنه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع أن يطوف بالبيت ، ولا يأتى جميع المناسك، وهو في بلده، وكذلك لا يجوز في غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر، وغيره من البلدان .

تريد بذلك - أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، وذلك خطأ منك ، وجهل بالاستطاعة كيف هي .. وقلت : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة (أو غيرهم) ، أن يحجوا وهم في بلدانهم ١٩ ..

(١) في الأصل : ولا غيرهم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ :

(٢) في الأصل : وبمنى .

(٣) في الأصل : بلى .

(٤) في الأصل : مئة .

(٥) في الأصل : ألف .

(٦) العبارة مكررة في الأصل بدالة من : لا يأتى مكة ..

ونحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، لم يفرض الحج على من بالبصرة ولا على من بالكوفة ولا من غيرهم ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم ١ .

ولكننا نسألك : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان ، أن يقوم الرجل منهم فيرمى ، بالحجارة إلى رأس نخلة ، (أو إلى) رأس جداره ، ويطوف بيئته أشواطاً ، ويحلق رأسه ويشرب (من) بثره التى فى داره ، ويفعل ما أراد من مجئ أو ذهاب ، أو تكبير أو تهليل ، أو قول أو عمل أو ذبيحة ١٩ ..

فإن قلت : لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التى سميت ، أكذبك جميع الناس ، وخرجت من حد من تكلم . وبان جهلك .

وإن قلت : نعم ، هم يقدرون على ما ذكرتم ، هم وغيرهم من أهل البلدان .

١٢١ و / قلنا لك : فتلك الاستطاعة التى هى مركبة فى آدمى بها يعمل . / جميع الناسك إذا صار إلى مكة .. فإن قلت : إن الاستطاعة منه لا تكون إلا مع فعله . لزمك لنا أنك قد أقررت أن الاستطاعة ، قد كانت موجودة فيه فى بلده ، وإنما عليه المسير والمسافرة ، حتى يؤدى الناسك وفروض الحج بالاستطاعة ، التى أقررت أنها موجودة فيه ، قبل أن يخرج من بلده ، وقد قطعناك فى الاستطاعة ، بما قد شرحاه فى صدر كتابنا هذا ، بما كان فيه الكفاية ، غير أننا لا نجد بداً كلما أعدت مسألة (١) أن نعيد الجواب فيها .

هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان فى وقت واحد؟

٢- وأما قولك لنا : هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً؟ .. فجوابنا : إن هذا قول محال ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القائم قاعداً ، والقاعد قائماً فى حالة واحدة .

ولكننا نقول : إن العباد يستطيعون أن يؤمنوا ويستطيعون أن لا يكفروا ، وإن دخلوا فى الإيمان وقبلوه ، ودانوا به ، استطاعوا بعد ذلك الخروج منه ، إن أرادوا ، لأنك تعلم كيف حُكِّم الإسلام فى المرتد ، وهذا أكبر دليل ، على أن المؤمن يقدر أن يرتد .

(١) فى الأصل : مسئلة

وكذلك إذا دخل العبادُ في الشرك واعتقدوه ، استطاعوا تركه والخروج منه إلى الإيمان ، وهذا مشاهدٌ معروف لا ينكره أحدٌ ، ان المؤمن إن شاء كفر ، وإن الكافر إذا شاء آمن ، وليس قولك : إن من علم الله ^(١) ، عز وجل ، منه الإيمان ، لا يستطيع الكفر ، ومن علم منه الكفر ، لا يستطيع الإيمان .. هذا القول الذي قلت لا يجوز ، لانه نفس الجبر ، الذي هو دينك ودين إخوانك ، وليس هو دين الله ، عز وجل ، والشاهد على بطلان دعواك ، قولُ الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤) ^(٢) ، وقوله في المنافقين : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَقِنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُحْدِقْنَ وَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) ^(٣) .

افتراك ، ويحك ، ما تدبرت هذه الآيات قط ، ولا أفكرت فيها ، وإلى برهان عدل الله ، جل ثناؤه ، وبراءته من ذنوب الظالمين ! .. وكانك مارايت ولا سمعت بكافر أسلم ، ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام ، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره في القرآن !! .

ولا قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ^(٤) ، فذكر ، عز وجل ، أنهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم ، لا جبراً ولا قسراً .

٣- ومن الحجة في قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق بعض الناس كافراً ، وبعضهم مؤمناً .. وهذا أعظم الفرية على الله ، جل ثناؤه ، وأوضحه رداً لكتابه .

فنقول لك عند ذلك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ، زِيَادَةٌ فِي

(١) مكررة في الأصل .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الكُفْر^(١) ، ما يريد بهذا القول ، وما هذه الزيادة التى ذكرناها مزيودة^(٢) فى الكفر ، هل تلك الزيادة منه زادها فى الكفر ، أم هى من الكفار زادوها هم فى الكفر ١٢ ..

١٢١ ظ / فإن قلت : إن الله / عز وجل ، زادها فى الكفر .. قلنا لك : فأخبرنا عن خلقه لهذا الزيادة ، التى زادها فى الكفر ، زعمت ، بعد ما خلق الله الكفر ، عز الله عما قلت ، كيف هى ، وما صورتها ، وأين المقدار الذى بان لك منها ، فى الزيادة فى نفس الكفر ، وهل هى موجودة أو لا ١١٢ ..

فإن قلت : إنها موجودة محدودة ، من قبل زيادتها فى الكفر ، لزمك أن تعرفنا بها ، حتى نعرفها ، كما عرفت بها بعينها وحدودها ١ ..

– وإن قلت : إنها ما زاد الكفار فى الشهود وما أحدثوا ، لزمك أنها فعل الكفار ، لا فعل الله ، عز وجل ، إذ لم تأت على تلك الزيادة ببينة ولا حجة ، ولا جسم يحس ، وأنهم هم زادوها فى كفرهم ، أى أحدثوا إلى الكفر كفرأ ، وذلك هو الحق .

– وإن قلت : إنها فعل الله ، عز وجل ، وخلقها ، لزمك أن ليس لله ، جل ثناؤه ، بين السموات والأرض إلا فعل يُدرك ويُحس ، ويعرف بعينه وحدوده ، ويبين بنفسه عن فعل بنى آدم ١١٢ .

– وإن قلت : أنه لا يدرك ولا يُحس ولا يُعرف . لزمك أنه بصفة الواحد الذى ليس كمثله شئ ، ولا يقع عليه الحواس ١١١ ..

لأن الله ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، عما أحدثت بنو كنانة^(٣) من مدركة فى الشهور ، حتى كانوا يرون الحج عامأ فى ذى الحجة ، وعامأ فى المحرم .

فقال الله ، عز وجل ، يخبر نبيه ، صلى الله عليه ، إن ذلك فعلهم لا فعله ؛ فقال :

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب مزيودة .

(٣) كنانة : قبيلة عربية

﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾^(١)، فلو كان هذا فعله ما عنفهم عليه، ولا عجب نبيه، صلى الله عليه، عنهم، ولا أضاف ذلك الفعل إليهم ١١.

فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب؛ لقوله، عز وجل، : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (١١٢) ﴿٢﴾.

فصح وثبت أن الشيء الزائد في الكفر، هو فعلهم الذي زادوه في الكفر، لأن الكافر يمكنه الزيادة في ظلمه وفجوره وكفره، كما يمكن المؤمن الزيادة في إيمانه، لما يكسب من الخيرات والمساورة في طلب الدرجات، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله، عز وجل، وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذي زادت من النسئ، وتشرفت به، وفخرت بفعله، على غيرها من العرب في الجاهلية، وانتم أيها المجبرة تعذرونهم، وتلزموننا الله، عز وجل، فعلهم، وهم يفتخرون بذلك، ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم.

قال شاعرهم :

ليس النسئُ مستنًا عليكم بدعناه، ونحن المبدعون
جعلنا الحج في وقتين لما ملكنا الناس طراً خاضعيناً

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسئ إليهم، أنهم هم أبدعوه وسنوه للناس، وإن الله، عز وجل، لم يسئه، ولم يبدعه، وأنه، جل ثناؤه، برئ منه.

وقال الكميت بن زيد الأسدي^(٢)، رحمه الله، في الإسلام، يذكر النسئ ما كان من فعل عمر بن يحيى الكنانى.

١٢٢ و/ ونحن الناسئون على معدٍ شهرهم الحرام إلى الحليل^(٣)

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) ذكر البيت أبو على القالى في أماليه ولم ينسبه لاحد ٤/١ وهو من بحر الوافر .

أفلا تراه يذكر أنهم هم الذين فعلوا النسئ ، وإن الله ، عز وجل ، لم يفعله وأنه ، تبارك وتعالى ، قد أوضح في كتابه أنه برئ من النسئ ، وأنهم هم الذين أبدعوه ، ولذلك حرّمه وأبطله وعاب على فاعله وذمّه ، وأمر نبيه ، صلى الله عليه ، بالحج المستقيم ، والحق الذى هو خلاف النسئ وأنت تزعم أن الله ، عز وجل ، أراد كفر الكفار ، وخلقه وقضاه .. ١١ . عز الله وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً .

ألا تسمع إليه كيف يقول - عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ (١) ، أفلا تسمعه ، عز وجل ، يخبر بمضاداتهم له ، مخالفتهم إرادته .

أهذا قول من فعل فعلهم ، أو قول من قدره عليهم .. ١٢ .

سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم ، وأبين جهلكم وفريتنكم عليه ، عز الله ، عز وجل ، عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ثم قال ، جل ثناؤه : ﴿ مَا يَقْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَأَمْسَكْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٧) ، أهذا قول من جعلهم كفاراً ، ثم قال عز وجل : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ (٢) ، فهل رأيت حكيماً قط فعل فعلاً ، وهو لا يريد ذلك الفعل .. ١٢ .

كانك لم تسمعه ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ (٣) ، أفلا ترى أيها الهالك فى دينه المفترى على ربه ، أن الفريقين جميعاً هما اللذان (٤) اتبعوا ما أرادوا وما اختارا لانفسهما ، وحكى الله عنهما ، ولم يقل فى نفسه ، جل ثناؤه ، أنه جعلهما على تلك المنزلتين ، ولا قدر عليهما تلك الحالتين ، إلا الامر والنهى .. ١٢ . قدوس قدوس رب الملائكة والروح .

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٤) سورة محمد : الآية ٣ .

(٥) فى الأصل : الذان

ونحن نسالك فنقول : أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة ^(١) دينار ، فلما صار بها فى بعض الطريق ، سقط منها خمسون ديناراً ، فلما أصبح ظفر به وأخذه ، فقال الرجل له : أين الدنانير ؟ ..

مثل للإيضاح :

قال : ضاعت منى ، ولم يبق معى إلا هذه الخمسون الباقية ، فجاء به الرجل الى قاضيكم ، فاستعدى عليه ، وطالبه بالمائة دينار كلها . فقال الرجل السارق : الله ، عز وجل ، هو الذى قضى ^(٢) على بسرقة هذه الدنانير ، وهو الذى أذهب نصفها ، وهو الذى ترك معى نصفها وليس على لوم ! .

فنقول لك : ما قولك فيما يقول قاضيكم فى هذا الحكم ، هل يلزم الرجل السارق المائة كلها ، أو يقبل منه الخمسين ، ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟ ..

فإن قلت : يقبل منه . لزمك أن قاضيكم أعدل ، عندكم ، حكماً من الله ، عز وجل ، الذى ألزم السارق المائة دينار كلها ، ولزمكم أن قاضيكم قد حكم . بخلاف حكم النبى ، صلى الله عليه ، وبخلاف أحكام قضاة الإسلام ، مع ما يلزمك فى قطع يده ، وفريتك على ربك ، وإلزامك ، له سرقة السارق ، وأنه خلق فعله ، وقضاه وقدره وأراد ، ثم أمر بقطع يده ! .

وهكذا أخبرنا ، عز وجل ، عن عمل الشيطان بالإنسان ، حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّ بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) ﴿ ^(٣) ، فوصفتم الله ، عز وجل ، فى الجور والظلم لعباده ، بصفة الشيطان وما يفعل بحزبه الكافرين .. ١١ . سبحانه الله العظيم العلى عن قولكم .

وإن قلت : إن القاضى لا يسمع دعواه ، ولا ينظر فى حجته ، فإنه يغرّمه الخمسين التى ضاعت منه ، ولم يقبل ^(٤) قوله : إن الله ، عز وجل ، هو الذى قضى عليه سرقة المائة الدينار .

(١) فى الأصل : مئة .

(٢) فى الأصل : قضا .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦ ، اخطأ المؤلف فى ذكرها .

(٤) فى الأصل : ولم يقبل .

قلنا لك : فكيف يجوز أنه يغفره وحده المائة الدينار ، وقد صح أنه معه
أخذاً آخر أعانه على أخذ الدينار ، وقدره على سرقة ، ولم يخل فعله الذى شايعه
وقدره عليه ، وأراد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله ، والخالق لتلك السرقة والمريد
لها ١٩.

فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها ، وقد صح له أنه معه غيره ؟ .. والواجب
عليه فى العدل أن يغفره نصفها ، ويغرم الذى صح عنده أنه غير برئ من فعل هذا
السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل . فاختر أى ذلك شئت .

فأيهما ما قلت به سقطت دعواك ، وبطلت حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

الاحتجاج بآية البقاء على عدل الله :

وقد قال الله ، عز وجل ، ما يشهد للعدل ، وظهور حجتنا على حجتكم ، قوله عز
وجل : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا قِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَقَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ السَّادِيَةِ وَمَنْ
يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٣) .^(١)

فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى أراد منهن الفجور ، وقضاه عليهن ، وخلقه من
فعلن ، ما نهاهم عن إكراههن على الفجور .. وكيف ينهاهم عن إكراههن على شئ
أراده وقدره وخلقه ١٩ ..

سبحانه الله العلى العظيم ، ما أشنع هذا القول ، وأفسد حجة من ادعاه .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٣) ، فقد جاء فى التأويل ، إن
ذلك يخرج على وجهين :

١- أما أحدهما : فإنه ، عز وجل ، يقول : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ (٣٣) ، لمن كف عن إكراههن وتاب ، فإنه يغفر له ما قد مضى من
إكراههن ، إذا صحت توبته .

٢- والوجه الآخر : فقلوه : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٣) ، يعنى بهن

(١) سورة النور : الآية ٣٣ .

إذا حملوه من الإكراه على الفجور على ما لا يُردن، والاول أحب الوجهين
إلينا، والحمد لله رب العالمين.

مقالة العباد بين الحقيقة والافتراء:

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم هل كلفكم الله، تعالى، أن تعلموا أنكم
١٢٣و / مخلوقون، وتعلموا أن الله خلقكم ونهاكم أن تروا أنكم خالقون ، أو ترون
أن الله مخلوق ؟ .. /

فإن قالوا : نعم . فقل : هل تقدر أن تروا أن الله مخلوق، وأنكم
خالقون ؟ .. فإن قالوا : نعم^(١) ..

فقل : أفليس تقدر أن تروا أنكم خلقت السموات والأرضين، وما
فيهن ، وتقدر أن تروا ربكم دابة من الدواب وأنه مخلوق ؟ ..

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك أنهم يقدر أن على ذلك، فما تريد منهم بعد
هذا ؟ ..

وأى فرية أعظم من هذه الفرية ، من أن يقول عبدٌ : إني أقدر وأستطيع وأرى أنى
خلقت كل شئ ؟ .. حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم ، وأرى أن خالقى دابة أو
شجرة، وأنى خلقته وصنعه ؟ ..

رد أحمد بن يحيى : هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها :

الجواب قال أحمد بن يحيى : صلوات الله عليهما ، جل الله وعز وجل وتقدس عما
قلت ، وإليه من الفرية أضفت ، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ، ولسنا نقول ما قلت من
القول الشنيع . فاسمع جواب مسألتك هذه ، واصغ إليها ، فإنك قد أهلكت أتباعك
وأفسدت عليهم دينهم ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم .

ونحن نقول فيها : إن الخلق كلهم يقدر ويستطيعون، أن يقولوا فى الله ، عز
وجل ، من القول القبيح، والصفة الفاحشة الشيعة ما ذكرت ، لأن ذلك يمكنهم

(١) من عندنا وليست فى الأصل .

ويستطيعونه ، كما استطعتموه من إلزامكم له شرك المشركين ، وكفر الكافرين ، وخلق زنا الزناة ، وسرقة السراق ، وغير ذلك من جميع المعاصي ، فالخلق يقدرّون على أن يقولوه قولاً بالسنتهم وأهوائهم ، إن أحبوا ذلك ، لم يحلّ بينه وبينهم حائل ، لما كان الأمر من الله ، سبحانه ، تخييراً لا جبراً ، فافهم هذا القول .

وأما أن يقدرّوا ويستطيعوا أن يروا في أنفسهم ، بالحقيقة ، أنهم خلقوا السموات والأرضين ، وأنهم خلقوا الأشياء التي ذكرت ، وأن صانعهم دابة وشجرة ، زعمت ، هذا مالا يجوز ولا تقبله العقول ، لأن عقولهم المركبة فيهم ، لا تدلّهم أبداً على أن يدعّوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ، لأنه صحيح في عقولهم ، وعند أنفسهم بالحقيقة ، أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه ، فافهم هذا الباب .

ولكنهم يقدرّون أن يقولوا أنهم خلقوا السموات والأرض قولاً بالسنتهم ، وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم ، أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقرّرة في أنفسهم ، أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت . فليس أحد يرى في نفسه إذا صدّقها ، أنه فعل أمراً لم يفعله .

فأما القول باللسان ، فهو يمكنهم ، كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل ، الفرية والكذب .. واحتججت على أهل العدل بخلاف ما في كتابه ، أما خلق الأفك فذلك جائز أن يفعله أهل الإفك ويخلقوه ، وخلقهم له هو فعلهم ، وذلك جائز في اللغة العربية أن يسموا صنعهم خلقاً ، وكلّ صانع لشيء فهو خالق له ، ولذلك لم يجزّ على الله . عز وجل ، ١٢٣ ظ / خلق غيره ولا صنع غيره ، قال الكميت بن زيد :

أرادو أن تبدل خالقات أديهم بعس ويعتدينا^(١) .

والخالقات عند العرب النساء الدابغات للأدم ، وهن الفاريات للأدم أيضاً .

وقال زهير بن أبي سلمى^(٢) يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة الغطفاني

(١) البيت : لم أجده في ديوان الكميت : وهو من بحر الوافر .

(٢) زهير بن أبي سلمى : زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، له أخت شاعرة ، وولدها كعب وبجير شاعرين ، عرف عنه تنقيح الشعر حتى صارت له قصائد تسمى الحوليات ، وأشهر شعره : «أمن أم أو في دمنة لم تكلم» .. طبع ديوانه عدة مرات ، وتوفي سنة ١٣ ق . هـ . انظر ترجمته في الزركلي : الأعلام ٥٢/٢ ، وكذلك الأغاني ١٠/٢٨٨ - ٣٢٤ .

وَأَرَاكَ تَفَرَّى مَا خَلَقْتَ وبعضُ القومِ يخلقُ ثمَّ لا يَفَرَّى ^(١)

فهذا الشاهد من لغة العرب ، والذي قلت فامر لا يجوز أن يرى العباد أنهم خلقوا ما لم يخلقوا ، لأن هذا أمر مستحيل ، وإذا استحالت الأشياء في عقول الخلق ، كما وصفت ، سقطت عنهم الحجة ، لما دخل في العقول من الفساد .

فأما أن يقولوا قولاً بالمكابرة والظلم واتباع الهوى ، وهم يعلمون عند أنفسهم غيره ، فذلك الصحيح في عقولهم ، فهذا ما لا يجوز غيره . فافهم ما قلنا ، فإن الحق لا يشوبه الباطل .

هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة ،

ومن الحجة لنا عليك في أن العباد يستطيعون ، ويقدرُونَ أن لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفرو لا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم .

قوله لنبيه ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(٢) ، فنقول لك : أخبرنا عن هذه الآية أهى على الحقيقة من قول الله ، عز وجل ، أنه أرسل رسوله إلى الناس جميعاً ، أم هى آية يجوز تأويلها عندكم ، أنها إلى بعض الناس دون بعض ؟

فإن قلت : نعم ، إنه يجوز أن يكون تأويلها إلى بعض الناس ، دون بعض .. اكذبك جميع أهل القبلة من الفرق كلها ، واكذبك الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَاَلَّةً لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) ، والكافة فى لغة العرب هى العامة لكل ، لا خصوص فيها .

ثم نقول لك : أخبرنا هل أراد رسول الله ، صلى الله عليه ، من الخلق كلهم أن يجيبوا دعوته ، ويدخلوا فى الإسلام ، حتى لا يتخلف منهم أحد ، أم لم يرد ذلك ؟ وهل أمره الله ، عز وجل ، بدعاء الجميع ، أم لم يأمره إلا بدعاء البعض ؟

(١) والبهت فى دهبانه ، ص ٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب القرشى ٢ / ٢٤٠ . وفى اللسان ١١ / ٣٧٥ ، وجاء على هذا النحو :

ولأنت تفَرَّى ما خلقت وبعضُ القومِ يخلقُ ثمَّ لا يَفَرَّى .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبا : الآية ٢٨ .

فان قلت : إن الله ، عز وجل ، أمره بدعاء البعض دون البعض ، كان هذا هو الكفر ، والرد للقرآن صراحاً .

وإن قلت : إن الله ، جل ثناؤه ، قد أمر بدعاء الناس جميعاً إلى الاسلام على ما نجده منصوباً في القرآن ، وأراد ذلك منهم رسول الله ، صلى الله عليه ، لزمك أن الله ، عز وجل ، أراد ذلك منهم (و) رسول الله صلى الله عليه .. (و) لزمك أن الله ، عز وجل ، أراد إسلامهم كلهم ، وبطل قولك وسقطت حجتك ، أن ، زعمت ، أراد منهم الكفر ، لعلمه أنهم لا يؤمنون ..!

ولو كان ما قلت حقاً ، لم يقل لهم رسول الله ، صلى الله عليه ، عن الله ، جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾^(١) ، ولم يُقم الرسول ، صلى الله عليه ، على كلهم الحجة ، وقد علم أن منهم من لا يؤمن ، وأن الله ، عز وجل ، قد علم أن منهم من لا يؤمن ، فقد صح أن العلم ليس هو الذي منعهم ، ولا حال بينهم وبين الطاعة ، وفي أقل من هذا كفاية لقوم يعقلون ، والحمد لله رب العالمين .

١٢٤ و / ومن الحجة عليكم أيها المجبرة في قولكم / إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق الكفر والشرك والزنا واللواط ، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى ، وقطع الطرق وجميع الفواحش والكذب .

أن نقول لكم : أخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى ، إذا سألوكم فقالوا لكم : نحن نجد في كتابكم ، وتحتجون علينا ، أن ربكم قال لنبيكم : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) ..؟ يخبر أنه لا خالق معه ، يخلق ما خلق ، وأنه هو الذي خلق ، وأنه لا خالق معه يخترع الأشياء ، ويقدر على الأشياء ، ليس هذا هو خالق عندكم وفي كتابكم ١٩ .. فلا بد لكم من نعم .

فإذا قلتم ذلك ، قالوا لكم : فاعبرونا الآن عن قوله ، يضيف إلى عباده : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً ﴾^(٣) ، نجد هذا في كتابكم .. أفليس هذا القول قد دلَّ على أن ثم خالقاً آخر غيره ، يخلق الإفك ١٩

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

هذا نجده في قرآنكم ، الذي تدعون أنه من عند حكيم عادل ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا لَهُ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) ^(١) ، هذا ، زعمتم ، في قرآنكم ، فلا بُدَّ لكم أن تجيبوهم بنعم /

فيقول لكم السائل عند ذلك : فأيُّ اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف ، وأي مناقضة ١١؟ ...

ثم قال يعنف قوماً ، فقال لهم : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، فلا بد لكم ، إنكم قد لزمتمكم المناقضة والاختلاف ؛ لأن هذا بينٌ واضحٌ في القرآن ، لاحيلة لكم في دفعه ولا رده . فإن قلتم لهم : كلُّه خلق الله ، عز وجل ، وفعله هو خلق الإفك ، وغيره مما خلق الله ، مثل السموات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، لزمكم أن قوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ ، ينقض قوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ١ . ويفلجكم خصماؤكم من اليهود ومن النصارى والزنادقة وجميع ، من خالفكم ، لا بدَّ لكم أن تخلصوا منهم بحجة ، فإن جسرتهم على أن تقولوا : إن الله خلق الإفك ، وغيره من جميع الظلم ، لزمكم في ذلك خصلتان فاضحتان .

١- أما واحدة : فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقض .

٢- والخصلة الأخرى : فيلزمكم أنكم جعلتم خالفكم في عداد الكذابين ، الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ، ممن لم يفعله .

فلا يزال الكلام يُكرَّرُ عليكم أبداً ، ويدخل عليكم في التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل ، الفساد والوهن ، والخلل الذي لأبعده من العبث أبداً ، حتى ترجعوا عن قولكم ، وإلا بان كفركم ، فتقرر أن الذين خلقوا الإفك هم العباد ، الذين لا طاقة لهم بخلق شيء من جميع الأشياء ، (إلا) الإفك والمعاصي ، وما أتوه من العدوان ، الذي اختاروه ، وأنهم لا يقدرُونَ على خلق شيء ، غير المعاصي التي من فعلهم ، ولما أرادوا خلق خردة ما قدرُوا عليها ١٢ . لأن ذلك ليس في قوتهم ، وخلق الإفك وجميع المعاصي في قوتهم ، وهم في ذلك مخبرون تخبيراً .

فإما أن يقدرُوا على خلق شيء غير ذلك ، فيخرجوه من بعده إلى (العجز) ^(١)

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) مكان هذه الكلمة بهاض في الأصل .

١٢٤ ظ / فلا سبيل لهم إليه ، والدليل على / ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ (٧٤) ﴾ (١) .

وإن الله ، جل ثناؤه ، هو الخالق القوي القادر ، الذى يخترع الاشياء فيحدثها ، ويخرجها من العدم إلى الوجود ، فذلك الاختراع والابتداء ، لما لم يكن شيئاً موجوداً ، هو الخلق الذى خلقه الله ، عز وجل ، لا خالق له معه ، ولا مشارك له فيه ، ولا صانع له معه .

وأما اكتساب بنى آدم ، فذلك خلقهم الذى هو حركاتهم المتولدة من قواهم ، وقواهم هى الاستطاعة المركبة فيهم التى يسألون عنها ، ولا يعاقبون عليها ولا عيب فيها ؛ لان ذلك فعله ، جل ثناؤه ، الذى قال فيه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ (٢) ، وإنما عاب عليهم ، وعاقبهم ولزمتهم له الحجة فى الحركات التى اكتسبوا بها المعاصى ، واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى ، والاثرة لعلها جل الدنيا .

(١) سورة الحج : الآيات ٧٣ - ٧٤ .

(٢) سورة الانبياء : ٢٣ .

المسألة التاسعة عشرة

فى تفسر قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

وليس نجد ، نحن ولا انتم ، ها هنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به ، خلقه العباد إلا حركاتهم ، وليست تلك الحركات خلقاً لله ، جل ثناؤه ، ولا فعلاً ، ولو كانت الحركات خلقه وفعله ، لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه ، والمدعى لنفسه الاولاد والصواحب والانداد ، والشركاء والاضداد ! .

ولو كان كما قلتم ، لكان القاتل لرسله والسافك لدمائهم ، والواضع للسيوف لهم فى رؤسهم ، والقاتل للائمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين ، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر ، وجور فى الارض ، مما كرهه ونهى عنه ، وعابه وعنف عليه وأعد عليه ، النيران والعذاب الاليم ، الذى لا انقطاع له ، وجعله (١) فيه من الاحكام فى الدنيا من القتل والصلب ، وقطع الايدى والارجل ، وسائر الحدود ما عظم فيه النكال ، وجل عن كل مقال ، فتبارك الله احسن الخالقين ؛ العدل الرؤف الرحيم البرئ مما قلتم ، والمتعالى عما إليه اسندتم .

افىكون بهذا ، ويحك ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، من النكال فى الدنيا والآخرة ، صفة من فعل شيئاً يقوم وأراده منهم ، وخلقهم من فعلهم ، وسمى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً ، وأنه لا يظلم ولا يجور ! .. فهذه صفة خالقك عندك وهذا تقديره وحكمته ! .. جل الله وتعالى ، وتقديس عما قلتم علواً كبيراً .

فان قلتم : إنه قال ، عز وجل ، فى كتاب الله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) ، فلذلك الزمناء خلق كل شئ .

قلنا لك : أيها المغرور فى دينه ، الذى لم يلق العلماء ، ولم يغترف من عين الماء ، ١٢٥ و / إن القرآن عزيز مبين ، عظيم القدر ، واضح المنازل ، زاهى السراج ، وليس / هو بعجمى ولا غيبى ، ولا خافى المعانى ، عن اهل العلم ، واهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من اهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

(١) فى الاصل : وجعله .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٠٢ .

من المجاز اللغوي :

ألا ترى أن العرب تقول : دخلنا السوق فوجدنا فيه من كل شيء ، وهم لم يجدوا فيه رسول الله ﷺ ، وهو من أعظم الأشياء...!

وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من أبائهم وإخوانهم ، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ، ولا نجوم السماء ، وهذه أشياء لم يجدوها...! فجاز ذلك في اللغة .

وتقول العرب : دعانا فلانُ إلى منزله فاطعمنا من كل شيء ، وهو لم يطعمهم لحم خنزير ، ولا لحم الأسود ، ولا لحم الإنسان ، ولا لحم الحيات ، فجاز ذلك في اللغة أنه اطعمهم من كل شيء ، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها...!

تعميم الخاص في اللغة :

تقول العرب : من الخصوص في الكلام ما يجعله عاماً ، وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة ، وشاهد ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(١) ، والدليل على صدق قولنا كتاب الله ، عز وجل ، حيث قال في ملكة سبا : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) ، فنقول لكم : هل أوتيت شمساً وقمرأ ونجومأ وسماء وأرضاً وجنة ونارأ...!؟ أو هل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ، أو لحية كالحية الرجل ، وهل أوتيت ولدأ من غير فحل...!؟ فكل هذه أشياء لم تؤت بها ، بإجماع الخلق كلهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، فيها : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) . وهذه أشياء كثيرة لم تؤت بها ، وكفى بهذا بياناً وحجة قاطعة لدعواكم .

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٤) ، إنما عني به مما خلق خاصة ، ولم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا إلفك ولا سائر المعاصي ، التي خلقها العباد وهو البرئ من ذلك ، عز وجل .

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

والدليل لنا على ذلك أيضاً قوله ، عز وجل ، ﴿ وَيَحذَرُكُمْ آلَهُ نَفْسَهُ وَآلَهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝٣٠ ﴾ (١) . فاخبر أن له نفساً ، عز وتعالى ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۝٣١ ﴾ (٢) ، فأجمل ها هنا أن كل نفس ذائقة الموت ، ولم يستثن نفساً بعينها ، فلو وجب ما قلتم فى خلق الاشياء ، لوجب فى النفس ها هنا ، مثل ما ادعيتم . . . جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وقوله ، عز وجل : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٩ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ۝٣٠ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسَاكِينَ ﴾ (٤) ، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الاشياء ، لا كلها ، بعدما قال : « تدمر كل شئ » ، يعنى ، عز وجل ، وما أرسلت عليه خاصة لا عامة ، ألا ترى أنها تدمر مساكنهم ، وانها لم تدمر السماء ولا الارض ، ولا الجبال ولا النبی هوداً ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا من كان ١٢٥ ظ / معه من المؤمنين ، وأن الآية خاصة دون عامة ، وأن الآية توجب عليكم فى / قول الله ، عز وجل : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أنه يعنى ، عز وجل ، مما خلق هو وصنع وابتدع ، لا ظلم الظالمين ، ولا جور الجائرين ، فجعل ذلك خصوصاً فى خلقه المنفرد به لا عمومياً خلق غيره ، وعذب عليه فاعله . فهذا اكبر دليل ، واوضح حجة ، واقطع لكل مفتر .

﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ ۝٣١ ﴾ :

وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣١ ﴾ (٥) ، فقالوا : انطقنا الله الذى انطق كل شئ ، وهو خلقكم اول مرة ، وأراد الله ، عز وجل ، بهذا خاصاً دون عام ، لانه لم ينطق الجبال ولا الاشجار ، ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق ، وإنما هذا خصوص من دون عموم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الاحقاف : الآية ٢٥ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية نفسها .

(٥) سورة فصلت : الآية ٢١ .

مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك ، من حركات بنى آدم واعتقاد قلوبهم ، لا شئ غير ذلك ، ولا تجده أبداً ، لا أنت ولا أخوانك المهجرة ؛ لأنك سميت كفراً مخلوقاً ، لا حجة لك عليه ولا برهان ، إذ لا يدرك ببصر ولا يلمس ولا يحاط به بقطر ، حتى يُعرف ويميز خلق الله ، عز وجل ، من خلق بنى آدم .

فقد جاءك فى هذا من البيان والحجة من كتاب الله ، عز وجل ، ما فى أقل منه أكفى ^(١) الكفاية ، وجاءك من لغة العرب ما فيه البيان .

قال الشاعر ، يمدح رجلاً :

فلو كان للشكر حدٌ يُحدُّ إذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه فتعلم أنى امرؤ شاكر ^(٢)

فقد علمت العرب أن ليس للشكر حدٌ يُدرك ، ولا صورة تنال ، حتى يعرف الشكر بتلك الصورة ، فلا حد له يوقف عليه ، غير حركات بنى آدم ، من شكر اللسان والمكافاة بالفعل الذى هو حركة أيضاً ، ولا يُعرف للشكر معنى آخر ، غير ذلك إلا اعتقاد القلب .

وكذلك الكفر مثله سواء ، وجميع الأفعال ، ولو كان الشكر الذى عنى ^(٣) الشاعر ، أنه يريد أن يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله ، عز وجل ، هو مخلوق ، لكان الله ، عز وجل ، هو الشاكر للملوك المشركين ، والكافرين المعاندين له بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، والعدو لا يشكر عدوه ، فى سبب من جميع الاسباب ، ولا يشكره على لسان غيره ، ولا يصح هذا فى العقول أبداً ، وكفى ^(٥) بهذا حجة .

إلا أن تقول ، أنت يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وإخوانك المهجرة : إن جميع

(١) فى الأصل : اكفا .

(٢) البيهتان من بحر المتقارب .

(٣) فى الأصل : عنا .

(٤) سورة البقرة : الآية ٩٨ .

(٥) فى الأصل : وكفا .

ما سمينا من الشرك والكفر والفواحش ، والقتل والزنا والخنا واللواط والكذب ، والإفك وجميع الجور والظلم ، هو شئ مخلوق موجود ، إلا أنه لا تراه العيون ، ولا تدركه الحواس ، ولا تناله الجوارح ، ولا تلمسه الأيدي ولا تحيط به الاقطار .

فنقول لك عند ذلك : فإنه يلزمك فى هذا القول فسادان عظيمان ، وكفران اثنان ، فى كليهما بطلان دعواك ، وبيان كذبك ونقض فريتك وفضيحتك .

١٢٦ و / (١) أما أحدهما : فيلزمك أنك قد أثبت شيئاً لا تدركه الأبصار ، ولا تلمسه الأيدي ، ولا / تقع عليه الخواطر ، ولا الأماكن ، ولا يُدري ما كنهه ، فيبطل عليك قولك بالتوحيد ؛ لأنك قد أدعيت موحداً ..

(٢) ثانياً : فيه صفة معبودك الذى وجدته ، فرعمت أن هذا الآخر نظير له ، ونُذِّ لا تدركه الحواس ، ولا تناله الخواطر ، ولا تحويه الأماكن ، فيفسد عليك دعواك فى التوحيد ، وتكفر بهذا القول الذى وصفت به أفعال العباد .

يلزمك أنك قد وجدت شيئاً آخر ، غير الذى ليس كمثله شئ ، وكفى بهذا جهلاً وعمى^(١) وفضيحة ، على من زعم أنه يقول بالتوحيد .

لا توحيد بغير عدل :

وقد أعلمناك أن لا أقوام لقائل بتوحيد الله ، عز وجل ، ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل ، لأنه من زعم أن الله ، عز وجل ، فعل شيئاً مما كره ، أو خلق شيئاً مما عنه نهى^(٢) ، أو دخل فيما عاب ، أو عاقب على فعل نفسه ، أو غضب من إرادته ، أو عَنَّف أحداً على خلقه ، كان هذا غاية التشبيه .

وأنه لم يفرق بينه وبين خلقه ، وقد شبهه بالجائرين والجاهلين والعباثين ، والجورة المتعنتين والمفسدين ، وكم ينفعه ما ادعى من التوحيد ، ولم يستحق اسم موحِّد لما قد قرنه به ، عز وجل ، من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين ، والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم فى العداوة للخلق ، وإرادة المعاصى منهم ، وحملهم على ما يهلكهم ،

(١) فى الأصل : وكفا .. وعما .

(٢) فى الأصل : نها .

ويورثهم الخلود فى النار أبداً الأبد ، سبحانه الله العظيم رب العرش الكريم ، الحكيم العادل الرحيم عما قلتم ، وبه دنتم ، وفيه ناظرتم ، وبه إلينا كتبتم ، وعنه سألتكم ، وفيه لعنتم .

فهذا جوابنا لكم ، فى نقض جميع ما قصدتم ، من الفرية على رب العالمين ، فصرتم له خصماء ، ولجزبه أعداء ، وعن طاعته عُنْداء ، ولمن خالفه أولياء ، فالحمد لله ، الذى حجب الحق ، بشواهد العدل ، وأوضح القرآن ، وشافى البيان ، عن كيد الكائدين ومعاندة المعاندين ، وإلحاد الملحدين .

برائة يوسف من جهالات الجبيرة:

وأما ما ذكرت من يوسف النبى ، صلى الله عليه ، فإن يوسف لم يعص الله ، عز وجل ، ولم يهمل له بمعصية ، على ما ذهبتم إليه ، ولو كان هَمُّ له بمعصية . لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ، ما لا يزال يُقرأ أبداً ، حتى تزول الدنيا ، وتزلفُ الآخرة من قوله ، عز وجل ، : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤) ﴿١﴾ .

الصرافة:

وليس يكون المخلص ، من هَمُّ بفعل فاحشة ، والصرف من الله ، تبارك وتعالى ، وأنه يَرَاهُ (من) الظلم ، وحمده على ما اختار ، ولم يجبره على اعتزال المرأة جبراً ، فلا يجب له حمد ولا أجر .

وليس لله ، جل ثناؤه ، يفعلُ فعل العباد من الطاعة ، ولا من المعصية ، ولا يجوز ذلك ، ولا يكون أبداً ولا كان فيما مضى ^(٢) ؛ لما فى ذلك من فساد الحكمة ، ووجوب القهر والختم .

وقد احتججنا عليك فى ذلك ، بما جزءٌ منه فيه يكفى ، من عقل وأنصف ، وخاف

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : معنا .

عذاب الآخرة : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مُّجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ الْمُعْذُورِ ۝ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِئْسَ الثَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ ۝ (١٠٧) ط / لَمَّا يُرِيدُ ۝ (١٠٧) / وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ۝ (١٠٨) ﴾^(١) ، فسعد من سعد باكتسابه ، وشقى من شقى باكتسابه ، لا حتماً ولا جبراً .

قاعدة :

وقد قالت الحكماء^(٢) : استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل ، إلا من جهة الجبر ، جهل وبائن عن الصواب ، وكذلك استعمال الجبر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل ، إلا من جهة النظر ، جهل وبائن عن الصواب .
فليتنق الله من نظر في كتابنا هذا ، وليعمل الفكر فيه ، فإن الإقدام على النار ، الخطر العظيم ، وما بعد الحق لا الضلال ، والله ولي المتقين .

التكليف قدر الطاقة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن ذكر الله ، عز وجل ، في الكتاب أنهم لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون ، أحق ذلك من الله ؟
فان قالوا : نعم . فقل : كيف وانتم تزعمون أنهم يعلمون ما يعلم الانبياء ، والله يصفهم بغير ذلك ؟ ..

وانهم إن قالوا : إنهم لا يدركونه إلا بالفعل حتى يفكروا .. فقل : أفليس توسعون لهم حتى يكفروا ؟ .. وإلى أى وقت يفكرون ؟ .. كم هو ١٩ ساعة أم ساعتان ؟ ..
فإنهم لن يفيدوا لك أيضاً هذا ؛ لانهم إن وسعوا له ساعة ، وسعوا له ساعتين أو يوماً وسعوا له يومين ، وليس لهذا وقت عندهم .. وسيفرون من هذا الكلام ، واعلم

(١) سورة هود : الآيات ١٠٣ - ١٠٨ .

(٢) معنى الفلاسفة المسلمون .. اهل النظر من المتكلمين .

أنك لن تسألهم عن شيء، أشد عليهم من هذا وأشباهه ، ولأنهم يقولون : لا يكلفُ الله الناسَ إلا ما يستطيعون .

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين :
إن الله ، تبارك وتعالى ، أعطى ^(١) خلقه الاستطاعة التى ركبها فيهم ، من الحواس الخمس ، والعقول التى بها يعرفون الخير من الشر ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، ثم أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وافترض عليهم الطاعة ، وندبهم إلى الجنة وحذّرهم النار ، وأحبّ لهم النجاة ، تخييراً لا قسراً ، ولا جبراً ، وكذلك حكمته فى الأولين والآخرين ، أنه أمر تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فلم يقطع كرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم تقسر القلوب على طاعته قسراً ، ولم يحملها على طاعة جبراً .

بل الواجب عليهم أن ينصتوا للرسل ، ولما جاءت به ، فينظروا بعقولهم فى قولهم ، فيأخذوا الحسن ، ويتركوا القبيح ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ ^(٢) .

فلم يخرج فى حكمة الحكيم ، أن يحمد أحداً من الخلق ، على فعله وخلقته هو ، وإنما حمدهم وأثنى عليهم بفعلهم ، ووجبت لهم الهداية منه ، أن سماهم مهتدين ، أى حكم لهم بالهدى ، وأسماهم به لا أنهم جبروا عليه جبراً ، فأى أجر لمجبور ، أو حمده لمكر...!!

كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ ^(٣) ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ ^(٤) ، كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهر وجبر .

ولو كان كذلك ، لم يكن للأئمة الذين يهدون بأمره ثواب ولا حمد ؛ لأنه أكرههم

(١) فى الاصل : أعطى .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ١٧ - ١٨

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤١

، ولا يكون على الاثمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولا ذم ؛ لانه اكرههم ايضاً وجعلهم دعاء الى النار ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤) ﴿١﴾ .

٢- وأما قولك في التفكير : فلعمري لقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (١) .

والهداية من الله ، عز وجل ، لا تجب ولا تكون لكافر ، معرض عنه ، بعيد غيره ، وياكل رزقه ، ويجعل له الصواحب ، والاولاد والشركاء والاضداد ، فيجبره على الطاعة ، ويميل قلبه الى الهدى ، من قبل ان يكون هو الراغب في الهدى ، والمقبل إلى الطاعة .

لان مثل ذلك مثل رجل وقع في بئر ، فاشرف عليه الناس ، فقالوا له : اخرج . فقال : لست اخرج حتى تدلوا إلي حبلأ اخرج به ، وإلا فلست اخرج ابداً ، وكذلك الكافر ، عندكم في قولكم ، لا يخرج من الكفر ابداً ، حتى يجبره الله على الهدى ، او يمدّه بالقسر والإكراه لقلبه ، وهو في غاية الكفر ، وغاية الضلال ، والإعراض عن خالقه ، وهو غير مستوجب من الله ، عز وجل ، للرشد ولا مستحق للهدى ، ولا المعونة ولا الرحمة .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ﴿٢﴾ ، ولم يقل إنها قريب من المشركين ، وقال : ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكِبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (١) ، ولم يقل فساکتبها للذين يشركون ، قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٤١) ﴿٣﴾ .

فان قلتم ايها المجهرة : إن الكافر لا يقدر أن يخرج من الكفر ، حتى يكن الله ، جل ثناؤه ، هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ، ويجعل في قلبه الهدى ، جبراً وإكراهاً . لزم في المعقول انه لا حمد لمكره ، ولا لوم على عاص مدحوراً ..

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ .

(٥) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ - ٤١ .

ولم يكن لإرسال الرسل معنى ، ولا لإنزال الكتب بأمر ونهى ، وتحذير وتخويف ، وترغيب وحض وزجر . فلا معنى لذلك .

مقالة الأمم على رسلهم في ضوء المفهوم الجبري :

ولكان من حجج الأمم على رسلها ، أن تقول لها - حجة قاطعة تفلج بها الرسل :-

أيها الرسل إن أمرنا ليس في أيدينا منه قليل ولا كثير ، لا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية ، ولا نملك لأنفسنا هدى ولا غيا ، فاذهبوا إلى ربكم ، فاسألوه أن يخلي سبيلنا ويجعل لنا طريقاً ، حتى نُسلم ونتبعكم .

١٢٧ ظ / فإنه ليس لقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠) ، معنى ، وقد علم / أنه قد حال بيننا وبين الإيمان ، وكذلك فلا معنى لقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ (٢١) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (٢٣) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١٣١) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ ذَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) لقولا له قولاً لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤٤) ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ (٦) . فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل .

ثم قالوا لهم : فلا نجد لإرسالكم معنى ، وقد حال ربكم بيننا وبين الطريق ، ولم يوجدنا فسحة إلى سبيل ، ولم يرد منا أن نؤمن ، لانا إن آمنا ، كما قال غيرنا ، وكما قال كبيرنا عبد الله بن يزيد البغدادي - كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه ، وقد ذكرناه قد أرسلك إلينا ، يا محمد كافة كلنا ، بعد ما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً ، على ما قال شيخنا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وإخوانه المجبرة !! ..

(١) سورة الأنشاق : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣١ .

(٥) سورة طه : الايتان ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سورة يس : الآية ١٤ .

فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان ، وتسفكون دماءنا ، وتفصبون أموالنا ،
وذرارينا ، وليس نقدر على الإيمان بحيلة ، لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ، ولو آمنّا
لبطل علمه ١٩.

ثم نحن من بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم ، وهو الذى
قضى علينا قتلكم ، وخلق فعلنا بكم ، وقدره علينا وأرادنا ، ثم أنزل فى كتابه
يعيّرنا ويعنفنا ويعيب علينا قتلنا لرسله ١١.

ويقول فى كتابه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(١) ، وبعد ما قال : ﴿ يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ
خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾^(٢) ٥٧.

فلم عاب علينا قضاءه الحق ، وكل شئ فى الأرض ، زعمت المجهرة ، بقضائه
وقدره ، وفعل مخلوق لفاعله ، لاحيلة فى تركه ولا نقدر على الخروج منه ١٩.. فكيف
تطلبون منا ، يا معشر الرسل ، ما لا نقدر على تركه ، ولا نقدر على الخروج منه ٩..

ونحن ، يا معشر العرب ، فيقول الشاعر منا الشعر ، فلا يقبلُ منه (معناً)^(٣)
و(لفظاً)^(٤) لا معنى فاسداً ولا كاملاً مستحيلاً ، حتى يستقضى فيه ، ويبعد منه
التناقض ، ويسقطُ شعره إذا أخطأ ، ويقدم عليه غيره من الشعراء .

فكيف نقبلُ منكم ، يا معشر الرسل ، كتاباً سماوياً - زعمتم - نجده نحن
متناقضاً ، يفسد بعضه بعضاً ، فانصفوا ، ففى النصفة تجب الحجة ، ويغلب الحق ،
ويصح لنا صدقكم ، وتلزمنا طاعتكم ، وقد ذكر ربكم ، أيها الرسل ، فى كتابه أن
قضاءه حقو وأنه يقضى الحق ١١٩..

ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾^(٥) ، فما هذا التخليط يا معشر
الرسل ١٩.. اصحوا لنا رسالتكم القويمة ، وحكمة ربكم العادل الحكيم ، الذى -
زعمتم - فإذا صح عدل ربكم وحكمته ، عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب ،

(١) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

بيننا وبينكم ، وقام الحق ، وسقطت الدعوى الباطلة ، من قولنا وقولكم ، يا معشر الرسل .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه ،

١٢٨ و / فما ترى قول عبد الله بن يزيد البغدادي ، وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج ؟ وما ردهم عليه ، وما ظنهم برد الرسل على الامم . ما حجتهم عليهم فيما قالوا . . أترأه يقول : إن الامم قد صدقت في دعواها على الرسل ؟!! .

فإن قال : إن الامم قد صدقت في دعواها على الرسل ، واحتجت بالصواب ، كفر بالله العظيم ، وصح كُفره ، وخروجه من فيه الإسلام .

وإن قال : إن الامم قد كذبت ، ولم تحتج على الرسل بحق ، وأنها مبطلّة في دعواها على الرسل ، رجع عن قوله ، وصح كذبه ، وبأن للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجتهم ، وبانت فضيحتهم ، وأنه يلزم المجبرة أن الذي ادعت باطل ، بصحة القرآن ، وأنه لا يتناقض ، وبطل دعواهم ، وأنه قد أكذب أهل مقالته ، وشهد عليهم بالكذب .

لم أخطأ المجبرة ،

وإنما جاء غلط عبد الله بن يزيد البغدادي ، وإخوانه من المجبرة ، وأعجابهم برأيهم ، من قلة علمهم بمعاني القرآن ، وجهلهم بالتأويل ، وتعلقهم بالمشابهة بصحة التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق ، وتصريف اللغة العربية وأنه لم يعرف الحقائق في الكلام من المجازات ، ولم يأخذ الحق من معدنه ، وإنما دان بالتقليد ، وكذلك إن من تحتهم (كفروا) بتقليدهم له ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

أهمية النهج اللغوي في فهم القرآن ،

ونحن نسأله الآن : ما مخرج قول الله ، عز وجل حيث يقول : ﴿ السُّلَّةُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٩

خَادِعُهُمْ ﴿١﴾ هذا على حقيقته أم على مجاز كلام عربى يحتمل التأويل ١٩.

الحقيقة والمجاز:

فإن قالوا : إنه على حقيقة لا مجاز فيها ، ولا يحتمل التأويل ، لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزئ السفهاء ، ويسخر كما يسخر السفهاء ، ويخدع كما يخدع الضعفاء !.

وإن قالوا : إن هذا القول على مجاز الكلام .. قلنا له : هذا هو الحق ، وله تأويل جهلته ، وقد رجعت عن قولك ، وكذلك جهلت قوله الذى احتججت علينا به ، فى قولك : ﴿ لا يعلمون ، ولا يعقلون ، ولا يبصرون ﴾ . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (١) ، له تأويل كما لهذا تأويل غلطت فيه ، لانهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون ، لسقطت عنهم الحجة ، كما سقطت عن الاطفال والمجانين ، إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب ، لا نذير للكتاب ، ولا تتفكر فى الصواب .

تأويل آيات الصفات الخيرية :

ثم نسألك أيضاً عن اعتقادك فى التوحيد ؛ لأنك تقول : زعمت - أنك موحد ، ومحال ما أنتم كذلك !.

فنقول لك : ما قولك فى قول الله ، عز وجل : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ مَبَاءً

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .

(٤) سورة طه : الآية ٥ .

(٥) سورة غافر : الآية ١٥ .

(٦) سورة القمر : الآية ١٤ .

(٧) سورة طه : الآية ٣٩ .

(٨) سورة الفلم : الآية ٤٢ .

١٢٨ ظ / مُنْشُورًا (٢٣) ﴿١﴾ ، وقوله / : ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٩) ﴿٢﴾ ، هل هذا القول كله الذى نراه يلزم التشبيه على الحقيقة (و) لا تاويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام ، قول عربى يجب تاويله وإلا لزم التشبيه ١١٩ .

فان قلت : إنه على الحقيقة لا تاويل له . لزمك التشبيه لخالقك ، وخرجت مما ادعيت من التوحيد ، الذى قلت به ، وفلجك المشبهة .

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام ، له تاويل فى اللغة العربية ، إذ لا يسعك غير ذلك ، وإن لا ، شبهت وكفرت .

قلنا لك : فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات ، اللاتى تعلقت بهن المشبهة ، تاويلاً فى العدل ، على الحقيقة والخروج من الجبر ، وأنها مجاز كلام لم تعقله أنت ، ولا إخوانك المجبرة ، ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله ، جل ثناؤه ، بالعدل ، فإن أنكرت التاويل حميةً وتعزراً ، أنكرت عليك المشبهة تاويلك فى التوحيد ، ولزمك مثل ما تدعى ، ولا مخرج لك من هذا الباب ، بحيلة محتال .

فكيف ما قلت فخذك الأسفل ، وحجتك الفاسدة ، والحمد لله رب العالمين .

فى التكليف وشرائطه :

وأما قولك فى تكليف العباد ، فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ، ممن صحَّ عقله وبدنه ، وقد قسَّم الله ، عز وجل ، عليهم ، بفضله ، النعم التى تفضل بها عليهم ، فعلى قدر صحة العقول والجوارح والحواس ، يلزم التكليف .

ومن زال عنه شئ من ذلك ، كان التكليف على قدره ، وإن زال الأمر كله ، سقط التكليف كله .

والعجب لك ، لم سميته تكليفاً ١٢٠ . وإنما أصل قولك أنهم جبروا جبراً ، وخلقت

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

أفعالهم ، والمجبور والمخلوق فعله ، ليس هو مثل المكلف ، الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وقد أعددت التفضيل لبعضهم على بعض ، واكثرت إعادة الكلام ، الذى لا وجه له ، ويجزؤنا فيه المعنى الواحد ، عن تكريره للمعانى ، التى تقتضى وجهاً واحداً .

وإنما مثلك فى كتابك الذى وضعته على أهل العدل ، وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ، ومنيتهم الأباطيل ، وأعلمتهم أن أهل العدل لا يقدرّون لهم على دفع ، ولا كسر حجة ، وفى كل مسألة ^(١) تقول إن أهل العدل يفرون عن كلامك هذا ، وأنتم تقطعونهم من هذا الموضع ، ، وهذا من أشد ما تسألون عنه . . . فكان مثلك فى ذلك مثل زق منفوخ لا شئ منه ، إلا الرياح ، ثم عمد إليه رجل بإبرة فمخرقه بها ، فانفش جميع ما فيه ، والحق فاجل وأشرف من أن يخفى ^(٢) على العقلاء ، وأهل التمييز والنظر ، وقد رددنا عليك من الحق ، ما فيه الشفاء لكل مسلم .

١٢٩ و / ثم نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ / الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ (٢) مَا كُنْ فِيهِ أَبَدًا ۝ (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ (٥) ﴾ ^(٣) . . .

فنقول لك يا عبد الله بن يزيد البغدادى : إن هذه الكلمة خلق الله ، عز وجل ، وصنعه ، وإرادته أم لا ١٢ .

فإن قلت : إنها خلق الله ، عز وجل ، صنع وإرادة . . . لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته .

وهذا خروج من الحكمة ، ويجب أنه عذب على ذلك ، بعدما قال : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ مَوفٍ يُرَى ۝ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ۝ (٤١) ﴾ ^(٤) .

(١) فى الأصل : مسألة .

(٢) فى الأصل : يخفى .

(٣) سورة الكهف : آيات ١ - ٥ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

ثم نقول لك : وأخبرنا لم قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ، مستعظماً لها ومستقبلاً ومستشنعاً ، وهو الذى خلقها وأرادها وصنعها ، اهكذا^(١) يكون الحكيم الذى لا يظلم ١١٩ .

وإن قلت : لا أقول ذلك ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا ..

ثم نقول لك : ما الفرق بين قوله فى عيسى ، عليه السلام ، أنه كلمته ألقاها إلى مريم ، وذكر فى كتابه أنه كلمة له ، خلقه وصنعه وأراده ؟

الكلمة (عيسى) بين مراد منها الله ومقالة الكفار :

والدليل على أن عيسى كلمته ، قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾^(٢) ، وقال أيضاً : ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾^(٣) ، فنقول لك : ما الفرق بين هذه الكلمة المعنى بها عيسى ، عليه السلام ، وبين الكلمة الكبيرة عند الله ، عز وجل ، التى خرجت من أفواه الكفار ، الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ١٢٠ .

فإن أدعيت فرقاً بينهما ، غير أن الله ، فى زعمك ، هو الذى خلقهما وصنعهما وقدرهما وأرادهما ، لم تقدر على ذلك بحيلة محتمل ، ولا بوجه من الوجوه ، لما زعمت إن الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الكلمتين وأراد المعنيين .

فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين ، أن القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، إنما غضب الله عليهم ، وعاب فعلهم ، وحكى^(٤) لنبيه ، صلى الله عليه ، عظيم كفرهم ، وأوجب عليهم فيه عظيم العذاب الاليم المقيم ، وأنه لم يكن فى خلقه لعيسى وجعله إياه كلمة ، غضب منها على أحد ولا عيب ، ولا استعظام ولا عذاب مقيم .

فكلاهما ، زعمت ، كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله ، عز وجل ، ووضعهما -

(١) فى الاصل : اهكذى :

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١

(٤) فى الاصل : حكا

على زعمك - فعذب عباده على واحدة وغضب منها ، ولم يغضب من الأخرى ، ولم يعذب عليها ، وهما سواء فى الخلقة والصنعة والإرادة ... فإين العدل والحكمة ، والإرادة فى هذا الباب ؟ ..!

بينه لنا وميزه ، إن كنت من الصادقين ، أوارنا الفرق بينهما ، إن كنت من المهتدين ... ولا تجد فرقاً بين ذلك أبداً .

وهذه قاطعة لحجتك ومدحضة لقولك ، إلا أن ترجع فتزعم ، إن الكلمة التى غضب الله منها ، وعذب عليها ، إنها هى إرادة الكفار ، وقولهم باختيارهم ، لا صنع الله ، جل ثناؤه ، وأن عيسى كلمته وخلقه ، لا تباعة على أحد فى ذلك ، وهذا هو ١٢٩ ظ / الحق ، وهو دين الله الذى / لا مخرج لمسلم منه ، ومن قال بغيره كفر ، ووجب عليه العذاب ، والحمد لله رب العالمين .

ثم نقول لك أيضاً : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، للكفار : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) .. فنقول لك : أرأيت إن ردوا عليه فقالوا : ذلك بما خلقت من أفعالنا وأردته من كفرنا وقدرته وقضيته .. هل يكذبون فى هذا الجواب أم يصدقون ؟

فإن قلت : إنهم يكذبون . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل . وإن قلت : إنهم قد صدقوا فى هذه الدعوى ، فى قولهم إن الله ، عز وجل ، خلق أفعالهم وقدرها وقضاها وأرادها .

قلنا لك : فقد اكذبك الله ، جل ثناؤه ، ووجدنا القرآن بشهد بخلاف ما قلت ، من إقرارهم على أنفسهم ، وإبرائهم لخالقهم وإضافتهم الظلم والمعاصى إليهم ، لا إليه ، عز وجل ، حيث قالها : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّيسِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَسْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴿ (٢) ثم قال : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ (٣) ، فعجب نبيه ، صلى الله عليه ، كما تسمع ما لهم عن التذكرة معرضين ... لعلمه أنه لاحائل بينهم ، وبين التذكرة .

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٤٣ - ٤٨ .

(٣) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

فما تقول لو ردوا عليه فى هذا الموضع، حين قال لهم: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩). فقالوا: أنت بنا، لولاك لعرفنا رشدنا.. هل يصدقون فى الحجة أم يكذبون ١٩..

فان قلت: صدقوا.. لزمك أن حجتهم وحجتك، أقوى من حجة الله، عز وجل ١١.. وإن قلت: كذبوا. رجعت عن قولك ١.

مثال لرجل لا قدرة له يعنى لا استطاعة له:

ثم نقول لك أخبرنا: ماتقول فى رجل من المسلمين خرج غازياً للروم فى بلدها، فحاربهم وقتاً، ثم إنه وقع فى أيديهم، فأخذوه أسيراً فوضعوه فى الحبس والحديد، فلما دخل شهر رمضان، عرضوا عليه الدخول فى النصرانية، والقول بأن المسيح ابن الله، فكره ذلك وامتنع عليهم منه.

فلما امتنع أخذوه، فربطوه فى الحبال، وغلّوا يده إلى عنقه، ثم أخذوا المغرّى الذى يعُفّية الصبيان، وهو المسعط^(١) فى لغة العرب، وأوجروه^(٢) الخمر كرها، وهو مضجع^(٣)، لا حيلة له فى نفسه، ولا دافع عنه، ثم جعلوا يسقونه إياه، وكذلك ودك^(٤) الخنزير، فلم يزل على ذلك سنةً على تلك الحال، حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد أطلقوه.

فنقول لك، ولمن قال بقولك: أليس قد علم الله، عز وجل، أنه قد فعلوا به ذلك الفعل، فأكرموه على شرب الخمر، وودك الخنزير، حين أوجروه إياه كرها، وهو لا حيلة له فى نفسه ١٩..

فإذا قلت: نعم، قد علم الله ذلك منه ومنهم.. قلنا لك: فهل على هذا الرجل لله، عز وجل، فى ذلك الذى أكره عليه، حجة أو تباعة.. أو هل يجب عليه عذاب أم لا ١٩.

(١) فى القاموس وعاء السعوط.

(٢) صبوا الخمر فى حلقه طبعاً.

(٣) ملفى.

(٤) سمن الخنزير.

فإن قلت : نعم عليه حجة وذنوب ، وعذاب وتباعة ، كَذَّبَكَ جميعُ المسلمين ،
وخرجتَ من الحق والمعقول .

١٣٠ و / وإن قلت : لا / حجة عليه ولا ذنب . قلنا لك : صدقت ؛ لأن الحجة
عليه ، فيما علم يقدر عليه .

مثال له عند القدرة يعنى عند الاستطاعة :

ثم نقول لك أيضاً : أرايت هذا الرجل بعينه شرب الخمر ساعة واحدة ، أو جرعة
واحدة بطيب من نفسه ، واتباع هواه ، اليس قد علم الله ، عز وجل ، ذلك من
فعله ؟

فإن قلت : لم يعلمه .. كفرت .

وإن قلت : إنه قد علمه .

قلنا لك : فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت : أنه لا يعاقبه .. أبطلت وعد الله ، عز وجل ، وخالفت المسلمين ،
وخرجت من الكتاب .

وإن قلت : أنه يعاقبه بشربه للخمر ، واتباع شهوته فى تلك الجرعة .

قلنا لك : فكيف يعاقبه فى شرب سنته كلها على ما شرب ، وصار فى بطنه من
ودك الخنزير ، ويعاقبه على شرب جرعة فى ساعة من نهار عمداً ١٩٠ .

فإن قلت : إن السروم أكرهه على ذلك ، فلم تلزمه عقوبته ؛ وهو اختار الشرب
لنفسه فى هذه الساعة الواحدة ، فلذلك لزمته العقوبة .

قلنا : فقد لزمك الآن أن ليس علم الله ، عز وجل ، يثيبُ العباد ولا يعاقبهم ، وإنما
يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بأنفسهم ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا .. ﴾ (١) .

وبطل قولك ، أنت وأصحابك ، فى اعتلالكم علينا بعلم الله ، جل ثناؤه ، أن من

(١) سورة الإسراء : الآية ٧ .

قبل علمه ، كان الفساد عليهم فى أديانهم ، وإن بالعلم ضلوا ، زعمتم ، وهلكوا ، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

والواجب على من سمع كتابنا هذا ، أن ينعم النظر فيه ، وليذكر وقوفه بين يدى الله ، عز وجل ، فأى القولين كان الحجة فيه أغلب وأوكد ، وأقوى فى كتاب الله عز وجل ، فليتبع الحق من ذلك ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، والحمد لله رب العالمين .

احتج الجبر بقوله : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) ﴿

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) ﴿^(١) ، ﴿ مَا كَانَُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانَُوا يَصْرُونَ ﴾ (٧٠) ﴿^(٢) ، وأشباه هذا فى كتاب الله ، عز وجل ، وليس لهم فى وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة .

فالزم كل مسألة^(٣) على وجهها ومعناها وحدها ، فإنهم لن يفيدوا لك حينئذ وجهاً ، خالفوا فيه العدل ، وسردهم إلى قولك ، أو تنكسر عليهم وجوههم التى وضعوها ؛ لأنها جاءت من غير الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) ﴿ :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله (عليه)^(٤) ، وعلى آبائه الطاهرين .

١ - وسالت عن قولك الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) ﴿ ، وظننت لجهلك باللغة ، وعجزك عن العلم بتصريفها فى اللسان العربى عند العرب ، الذين خاطبهم رسول الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وسلم ، وذلك قول الله ، جل ١٣٠ ط / ثناؤه ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ / قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(٥) ، وقال :

(١) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٠ .

(٣) فى الأصل : مسئلة .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾^(١)، وقال الله ، عز وجل ، يحكى عنهم يوم القيامة : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٢)، بمعنى ، تبارك وتعالى ، وبذلك كانوا لا يبصرون الحق ، ولا يميلون إليه بقلوبهم ، ولا يرددونه بشئ من حواسهم ، ولا يصغون إليه بأذانهم ، ولا يرددون أن يسمعه باختيارهم ، وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه ، وهم فى ذلك يقدرّون أن يسمعوا وينصتوا إليه ، لو أرادوا ؛ لأن الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، لم يحل بينهم وبين الاستماع ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿وَقَرَأَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصْبِرُونَ﴾^(٣)، وفى موضع آخر : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ....﴾^(٤)، بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم مثل ما تقول العرب ، أكرم بفلان . أى : ما أكرمه ، وقوله ، عز وجل ، يَعْتَفُ الْكُفَّارُ وَيَعْجَبُ نَبِيَّهُ ، عليه السلام ، من كذبهم : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾^(٥)، فلو كان فى آذانهم وقْر ، لم يسمعوا دعاء النبى ، صلى الله عليه ، لهم إلى الاسلام ، ولم يجر أن يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول ، وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم ، فهذا أوضح شاهد عليك .

وقال الله ، عز وجل ، فى أهل النار : ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٦)، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية ، أهل النار لا يسمعون ، عندكم أيها المجبرة ، فهو خير لهم أن لا يسمعوا ما فيها من البلايا والأهوال ، والأصوات المنكرة والمكروهة ، وأصوات السلاسل والأغلال ، وفيها من الانكال .

فإن قلت : إنهم فيها لا يسمعون . وحققت ذلك ، لأن يجوز كذلك ... اكذبك الله ، جل ثناؤه ، فى القرآن المبين ، حيث يقول ، يوجب أن أهل النار يسمع بعضهم بعضاً ، فقال : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٩٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٣٨ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

(٦) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

فَهَلْ أَنْتُمْ مُقْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ ﴿٢١﴾ (١)، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم عن بعض ، ولو كان لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير .

وقوله : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) (٢) ، وإنما يعنى بذلك أنهم لا يريدون استماع الحق ولا الرغبة فيه ، ولم يستعملوا استطاعتهم فى طلبه ، كما قال ، جِل ثناؤه ، : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ (٣) ، والله جل ثناؤه ، لا يُذكر بالاعين ، وإنما يذكر بالالسن ، وهذا دليل على أن القوم المجبرة ، إنما هلكوا فى الدين من جهلهم ، بمعانى اللغة العربية ، وأعراضهم عن الأئمة الذين ١٣١ و / استخلفهم / الله ، عز وجل ، على عبادته وبلاده ، وجعلهم ورثة لنبيه ، صلى الله عليه وعليهم .

٢- ومن الحجة على ما قلنا فى معرفة اللغة العربية ، قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى (٤)

يعنى بذلك الاحياء الذين لا يريدون استماعه ، ولا القبول عنه ، فقال : ولكن لا حياة لمن تنادى ، وفيهم الحياة موجودة ، فافهم معنى اللغة العربية ، كيف تتصرف .

ثم قال فى صفة سمع الميت الجائز عند العرب فى لغتها ، وما يروى عن قيس بن عاصم التميمي ، ثم المنقرى (٥) ، وهو الذى وفد على رسول الله ، صلى الله عليه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه ، هذا سيد أهل الوبر ، فلما حضرته الوفاة دعا

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١

(٣) الآية نفسها .

(٤) البيت : لم أجده فى المصادر .

(٥) قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمي ، أبو على : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم . كان شاعراً ، اشتهر وساد فى الجاهلية . وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، وفد على النبي ، ﷺ ، فى وفد تميم (سنة ٥٩ هـ) فأسلم ، وقال النبي ، ﷺ ، لما رآه : هذا سيد أهل الوبر . . واستعمله على صدقات قومه . ثم نزل البصرة فى أواخر أيامه ، وروى أحاديث ، وتوفى بها نحو (سنة ٢٠ هـ) . . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢٠٦/٥ ، وكذلك الإصابة لابن حجر ت ٧١٩٤ ، وأخباره فى حزانة الأدب للبغدادى ٤٢٨/٣ . وغيرها من كتب التراجم والأدب

بناته وخاصته ، فقال لهم : لا اسمعن من يندبني ويبيكي على بعد موتى ، فجاز هذا فى لغة العرب ، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره .

لا اسمعنك بعد الموت تندبني وفى حياتي ما زودتني زادا
وقال عماره بن عقيل التميمي ^(١) يحض قومه على المواصله ، وترك القطيعة .

فدُونُكُما يا بنى نزار تلاقيا كما لفق الهمدُ الهماني بالهردى
ولا تسمعاني الزور فى الهام هامتي ترا ميكنما بالنبل ويحكمما بعدى .

فقال : ولا تسمعاني تراميكنما بالنبل ويحكمما بعدى ، وهو قد علم ، وعلمت العرب ، انه لا يسمع بعد الموت ، ولكن جاز ذلك فى لغة العرب ، التى لا يقوم بعرفتها إلا أهل العلم .

وإنما غلط هؤلاء المجبرة فى دينهم ، فكذبوا على ربهم ، والزموه ذنوبهم ، وخلق أفعالهم لجهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ، ومعانى القرآن الذى خاطب به رسول الله ، صلوات الله عليه ، قومه الفصحاء البلغاء ، فافترت المجبرة على الله ، عز وجل ، وتناولوا كتابه على مبلغ عقولهم ، وتعلقوا بالمتشابه الذى لا علم لهم بتأويله ، وزعموا أنهم أتوا فى ذنوبهم ، ودخل عليهم البلاء من قبل ربهم وكذبوا عليه ، سبحانه ، وزعموا أنا نحن المفترون عليه ، عز وتعالى .

السمع فى الآخرة بين الحقيقة والمجاز

٣- ومن الحجة عليك فى اعتلالك علينا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (١٠١) ^(٢) فنقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، بخير عن أهل النار إذ قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٢) ^(٣) ، أتقول إن هذا القول على حقيقته لا ١٣١ ظ / مجاز له ولا تأويل فيه ، وتقول إنهم صم لا يسمعون / قليلاً ولا كثيراً ١٤٢ ..

(١) عماره بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي الهروي النخعي ، شاعر مقدم ، فصيح . من أهل الهامة . كان يسكن بادية البصرة ، ويזור الخلفاء من بنى العباس فيجزلون صلته ، وينى إليهم الوائق . وحسب قبل موته ، وهو من أحفاد جرير الشاعر ، وكان النخعيون فى البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفى سنة ٢٣٩ هـ انظر ترجمته فى الاعلام للزركللى ٣٧/٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

أكذبك ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْتَنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ (٤٨) ، وليس بدًّا للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً ، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك .

٤- ومن الحجة عليك أن نقول لك . أخبرنا عن قول الله ، جل ثناؤه ، لنبيه محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حين قال له يعاتبه على إذنه للقوم الذين أذن لهم فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤٣) .^(١)

فنقول لك : هل كان رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ١٩ ..

فإن قلت : نعم .. لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وبطل قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وصرت إلى الحق وهو قولنا .

وإن قلت : إن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم ، إلا مع الفعل ... لزمك أن الله ، عز وجل ، قد عاب عليه ، وعنفه في أمر ، لم يكن له عليه استطاعة ولا يقدره ، وهذا أعظم الجور ، وأردّه للقرآن ، إذ يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٢) ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾^(٣) .

ثم نقول لك أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، لنبيه داود ، صلى الله عليه : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٤) . اليس قد قال ، عز وجل ، هذا القول لداود ، صلى الله عليه ؟

(١) سورة غافر : الآيات ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٥) سورة ص : الآية ٢٦ .

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل أمره الله من الحكم بالحق ، وترك الهوى ، بما يقدر عليه وهو يملكه ^(١) ، وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت : نعم .. تركت قولك ، وصرت إلى قولنا .

وإن قلت : لا لم يكن داود مستطيع الحكم بالحق ، ولا ترك اتباع الهوى ، إلا مع الفعل لذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، قد كلف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه ، وليس موجوداً في بنيته ، وأن قوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاكَ ﴾ باطل لا يصح ، وليس له حقيقة .. وهذا اعظم الكفر ، والخروج من الإسلام جملة .

ثم كذلك يلزمك جميع ما أمرت الأنبياء من هذا النحو ، على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأمم ، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت أنهم لا يستطيعون سمعاً ، على ما توهمت ، وذهبت إليه من الجبر والغربة على خالقك ، جل ثناؤه ، لما لزمتهم الله ، عز وجل ، حجة ، ولا كانت عليهم له مطالبة ، إلا أن تقول : إن الأصم . / تلزمه الفرائض التي من طريق السمع ..

فإن قلت : كذلك .. اكذبك جميع أهل القبلة ، لأن الأصم لا حجة عليه في الفرائض ، التي هي من قبل الأمر المسموع من القرآن ، وغيره مما لا يدرك في الدين إلا من جهة السمع ، وكفى عليك بهذا القضاء ، فضيحة في دينك ، فقد بان خطأك وغلطك ، فيما سألت عنه ، وذهبت فيه إلى الجبر ، وفارقت أهل العدل .

ولو كانوا لا يستطيعون سمعاً على ما ذهبت إليه ، لبطل قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ^(٢) ، ولا يجوز بعثة الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل ، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد ، وفيه الكفاية الكافية ، والحمد لله رب العالمين .



(١) في الهامش ما يدل على أن هذه النسخة مقابلة على أخرى أقدم منها .. وهذا يدل على أنها مقابلة أكثر من مرة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

٥ - ومن الحجة عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل ، قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ ﴾^(١) ، ألا ترى أنهم لو أرادوا النكاح ، قبل بلوغ الكتاب أجله ، لا مكنهم ذلك ، وإمكانه لهم ومقدرتهم عليه ، ووجوده فيهم قبل فعله .

افترض الله ، عز وجل ، عليهم أن لا يعزموا على النكاح ولا يفعلوه ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وهو وفاء العدة ، وبلوغ الأجل ، وهذا أقطع ما يكون لكم في قولكم أن الاستطاعة مع الفعل .

قصة ابني آدم :

٦ - ومن الحجة لنا عليك في الاستطاعة قبل الفعل قول الله ، عز وجل : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَنْ بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدِيَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾^(٢) ، أفلا ترى أيها المغرور في دينه ، كيف أخبر الله ، عز وجل ، أن نفسه التي طوَّعت له قتل أخيه ، وإن الله لم يرد ذلك ، ولم يخلقه ، ولم يقدره ، وإن الاستطاعة مع كليهما ، موجودة قبل فعلهما ، مقررين بذلك مصدقين بها .

فنزل هذا القرآن ، غير مكذب بقول هذا لصاحبه « لاقتلنك » . لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، وقول الآخر : « ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك » . لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، فلذلك كَفَّ وتورَّع ، ولو كان يعلم أنه لا يقدر على ذلك ، لم يجز على الله ، جل ثناؤه ، أن يخبر عنه ويصوبه في فعل ما لا يقدر عليه ، والله ، عز وجل ، برئ من فعل الذي قتله ، لذلك صار القاتل ظالماً متعدياً ، إذ^(٣) لم يكف استطاعته عن الظلم ، واستعملها في الفساد ، وأمسك الآخر /

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٣) في الأصل : إذا

١٣٢ ظ / ولم يعجل إلى القتل الذى له فيه استطاعة ، وهو له ممكن من قبل فعله ، وهذا خبر الله ، عز وجل ، وهذا كتابه ، ينطق بخلاف قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وفى هذه الآية من الحجة عليك فى إثبات العدل وبراءة (١) الله ، عز وجل ، من قتل مظلوماً .

قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) ، ولم يقل : فقضيت عليه قتل أخيه ولا إرادته منه ، ولا خلقت فعله ، وكان من ندامته أنه يحمله ، فيما يقال على عاتقه مائة عام ، لا يدري كيف يصنع ، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سُوءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِثُ سُوءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٣) ، ثم قال الله ، عز وجل ، على أثر هذا مثبتاً للعدل ، ومبرراً لنفسه من الظلم : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٤) ، أفلا يرى كيف ندم ابن آدم ، ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه ، وقد كان يمكنه قبل فعله ، ومستطيع لذلك ، ولذلك قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِثُ سُوءَ أَخِي ۚ ﴾ ، لعلمه أنه قد كان قادراً مستطيعاً أن يدفن أخاه ، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ ، ولا يجوز أن يخبر الله ، عز وجل ، بما لا يكون .

وكيف يتلطف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ، وكيف يحكى الله ، عز وجل ، خبراً لا يصح ولا يجوز فى العقول ، ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له ١٤ ..

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ، ففيها كفاية لمن عقل ، والحمد لله رب العالمين .

(١) فى الاصل : مرأاة .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

أمر الله بالحجاب ،

٧- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل ، قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن الاستطاعة قبل الفعل ، ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن ، لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن ، لم يفترض عليهن أمراً لا يقدرن عليه ، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم العادل ، منفي .

وكذلك قوله أيضاً : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فلم يكن ليامرهم ، عز وجل ، ويفترض عليهم التوبة من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها ، ويمكنهم منها .

١٣٣و / وأكبر الشاهد لنا على / ذلك قوله ، عز قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ (٢) ، ويلومهم كما تسمع ، على ترك التوبة ، التي هي ممكنة لهم ، إن أرادوها . فهذا أكبر دليل ، وأقوى حجة : ﴿ وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان ؟! .. سبحان الله العظيم .

الصبر عند اللقاء وعدم الإذبار ،

٨- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل ، قوله عز وجل ، : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾ (٤) ، فهذا يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل ، ولولا ذلك ما قال ، عز وجل ،

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٠١ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ١٥ .

﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾^(١)، فلم يكن الله ليغضب عليهم ، فى أمر لا يستطيعون إليه حيلة .

٩- ومن الحجة لنا فى إثبات العدل ، وأن الله ، عز وجل ، لم يعذب أحداً ، إلا بظلمه وجرمه ، وإثمه وغشمه ، وسوء اختياره ، قوله ، عز وجل ، : ﴿فَلَنِكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢) ، ولم يقل : بما قضيت عليهم ، وقدرت وأردت .

وقد روى عن كعب الأحبار^(٣) ، رحمه الله ، أنه قال : قرأت فى الكتب السالفة الأولى ، ومن يظلم يخرّب بيته ، فكنت ذلك فينة من دهرى ، حتى بعث النبى محمدأ ، صلوات الله عليه وعلى آله ، فلما سمعت به سرت إليه ، واسلمت واقمت عنده ، وتصفححت ما نزل عليه من القرآن ، وطلبت نظيراً لتلك الآية التى وجدتها فى التوراة ، فلم أجد ، فبينما أنا على ذلك ، إذ نزل عليه ، صلوات الله عليه ، هذه الآية ﴿فَلَنِكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٤) .

فالله ، عز وجل ، لا يواخذ أحداً من جميع خلقه ، إلا بعد ظلم وذنّب بدأ به هو ، واكتسبه واختاره بعد النهى عنه والدعاء الى غيره من الطاعة ، ولم يرد منهم ، عز وجل ، أن يكفروا ولا أن يدبروا أمره ، ألا تسمع الى قوله نوح ، صلى الله عليه ، : ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، اسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)﴾^(٥) ثم قال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾^(٦) ، ثم كان من ردهم عليه ، أن قالوا : ﴿لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(٣) كعب الأحبار هو : كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أو إسحاق . تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، واسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى دولة عمر ، فاحذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من اخبار الامم الغابرة ، واخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص ، وتوفى فيها سنة ٨٢٢ هـ ، عن مائة وأربع سنين . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢٢٨/٥ ، وكذا حلية الاولياء لآبى نعمى ٣٦٤/٥ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤٠٥/٣ .

(٥) سورة نوح : الآيات ٧ - ١٣ .

الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ (١)، أفلا تسمع إلى هذه القول العجيب ، والحكمة البالغة ، وأين هذا من دعواك يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وأخوانك المجبرة ، الذي أسندت فيه إلى خالقك ، جل وتعالى ، أنه أراد الكفر من الكفار ، جراءة على الله ، جل ثناؤه ، ١٣٣ ظ / وتعامياً عن كتابه ، ومكابرة للعقول ، وميلاً إلى / تقليد الرجال ، بلا حجة ولا بصيرة ، ولا شاهد من كتاب الله ، عز وجل ، إلا ما تعلقت به من متشابه القرآن الذي جهلت تأويله ، فقد علمت ما ورد عليك في كتابنا هذا ، من الكسر لحجتك ، واستشهاد القرآن عليك ، والحجة الواضحة التي لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً .

الراسخون في العلم والتأويل :

وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) ﴿٢١﴾ .

فقال قوم : إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل الكتاب .. جهلاً منهم ، وبلى (٢) ، لعمر الله ، إن الراسخين ليعلموا تأويل الكتاب ، (وما) تحتاج إليه الأمة من أمر دينها ، الذي تعبدها الله ، عز وجل ، به ، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم ؛ لأن من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ في العلم ، وإن لا ، ففيما رسخ إذا لم يعلم تأويل القرآن ١٩ .. فأولئك هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، والراسخون في العلم ، هم أهل التنزيل والتأويل .

العلم في آل بيت رسول الله :

ولو لم يكن عندهم علم الكتاب ، لما جاز أن يقول الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) ﴿٢١﴾ ، والذكر فهو محمد ، صلى الله عليه

(١) سورة نوح : الآيات ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) في الأصل : وبلا .

(٤) سورة النمل : الآية ٤٣ .

وعلى آله وسلم ، دليل ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ ﴾ رَسُولًا يَنْتَظِرُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ السَّلَامِ مُبَيَّنَاتٍ ﴿ ١١ ﴾ ، فصار الذكر هو الرسل ، وهذا ما لا يُدفع ، فصار أهل البيت ، عليهم السلام ، هم المأمور الخلق بسؤالهم ، ولم يكلفوا أن يسألوا عبد الله بن يزيد البغدادي ، ولا عبد الرحمن بن خليل ، ولا عبد الكريم بن نعيم ، ولا مسلمة بن كريمة ، ولا عبد الصمد ، ولا المعلم ، ولا نجدة بن عامر ، ولا أبا مروج السدوسي ، ولا فلاناً ، إلا أن يدعى عبد الله بن يزيد البغدادي ، أن (١) هؤلاء النفرة الذين سمينا أن جبريل ، صلوات الله عليه ، كان يهبط على جدهم ، وفي بيوتهم قد ربوا بين التنزيل والتأويل ، وغذاهم الرسول ، وناغاهم جبريل ، وتنزيل فيهم من الله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا... ﴾ (٢) ، فإن صح ذلك فهم أولى وأحق ؛ وإن لم يصح ، فغيرهم أولى بالمقام ، وأحق بالذنب (٣) عن الإسلام ، والقيام بالاحكام منهم .

فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادي على مسائله ، والحمد لله .

وصية الإمام بنشر الكتاب :

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه وعلى آبائه ١٣٤ و / الطاهرين / ومن وصل إليه من هذا الكتاب ، فلم يوضحه للناس ، ويبينه للمسلمين ؛ فهو في أعظم الحرج حتى يكون الله ، جل ثناؤه ، هو المطالب له يوم القيامة ، بما كنتم من الحق ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠ ﴾ (٤) ، والله ، عز وجل ، حسيب من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْصَلِبُونَ ۝٢٢٧ ﴾ (٥) ، وصلى الله على سيد المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وعلم المهتدين ،

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ - ١١ .

(٢) في الاصل : ٤ و ٥ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٤) الدفاع والتصدى لاعدائه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) هذا آخر رد المؤلف على عبد الله بن يزيد البغدادي المجهر ، وبليته رسالته في الرد على المجهرة في اعتقادهم عن إيليس ووصاوسه . وقد نشرناها مع مؤلفنا «إيليس بين الحقيقة والوهم» بعد تحقيقها والتعليق عليها .

وخيرة رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الأمين الصادق على الله ،
جل ثناؤه ، والمستضى بكتابه ، والتابع لأمره ، حتى مضى صابراً محتسباً ناصحاً ،
فصلوات الله عليه ، وبركاته ، ورحمته عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار ،
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

انتهى كتاب النجاة

الحق

إمام عبد الله

فهرس الموضوعات التفصلى

صفحة

الموضوعات

٥	المقدمة
٩	فى وصف المخطوط
٩	فى التعررف بالإمام الناصر ومؤلفاته
١٠	منهجى فى التحقىق
١٣	نماذج من النص
١٥	نص الكتاب
١٧	مقدمة فى التوحىد والعدل
٢١	سبب تألف الكتاب
٢٢	ملاحظات المؤلف على كتاب المنبر

٢٣	١ - المسألة الأولى فى العلم والإرادة
٢٣	١ - الرد علىه فى ادعائه أن أهل العدل هم القدرفة
٢٣	٢ - جواب الناصر على المسألة الأولى
٢٤	٣ - علم الله غفر المعلومات
٢٤	٤ - علم الله بأفعال عباده لا يعنى خلقه لها
٢٤	٥ - علم الله محفط بخلقه
٢٥	٦ - علم الله كاشف ولفس فاعل
٢٥	٧ - لم يكلف الله أحداً من خلقه الخروج من علمه
٢٥	٨ - طلب منهم الخروج من المعاصى
٢٥	٩ - هل أراد الله أن يكون فى سلطانه غفر ما يعلم
٢٦	١٠ - جواب الناصر
٢٨	١١ - أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم

- ٢- المسألة الثانية: هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً؟
- ٢٩ ١ - جواب الناصر : لقد خلق خلقه كلهم للعبادة ..
- ٢٩ ٢ - لقد جعل عباده مخيرين بما جعل فيهم من الاستطاعة ..
- ٣٠ ٣ - الله عالم لا يخفى عليه شيء ..
- ٣١ ٤ - هل علم الله يمنع من معصيته أو طاعته ..
- ٣١ ٥ - الكذب ليس من عند الله ..
- ٣٢ ٦ - لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان ..
- ٣٣ ٧ - الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم ..
- ٣٥ ٨ - الرد على مقالة المجبرة أن الله خلق الإيمان والكفر: ..
- ٣٦ ٩ - هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم ..
- ٣٨ ١٠ - الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم ..
- ٣٨ ١١ - أمثلة من افتراءات المجبرة على الله ..
- ٤٢ ١٢ - الله يعلم كل شيء ..
- ٤٥ ١٣ - هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه؟ ..
- ٤٥ ١٤ - جواب الناصر ..
- ٤٦ ١٥ - يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم ..
- ٤٧ ١٦ - اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل ..
- ٤٨ ١٧ - استثناء أهل الأعذار ..
- ٤٨ ١٨ - سماها ولم يجبرها ..
- ٤٩ ١٩ - لم يحل الله بين أحد والهداية ..
- ٥٠ ٢٠ - لم يقسره ولم يجبرهم على حبه أو كرهه ..
- ٥١ ٢١ - التوحيد لا يختلف ولا يتناقض ..
- ٥٢ ٢٢ - معرفة العدل والتوحيد فريضة ..
- ٥٢

- ٢٣- فاهم من صفات الخلق ٥٣
 ٢٤- فى بيان أن أفعال العباد غير مخلوقة ٥٤

- ٢- المسألة الثالثة : هل هناك تكليف بغير العقل ؟ ٥٧
 ١ - جواب الناصر ٥٧
 ٢ - لقد قسم الله العقول بالسوية ٥٨
 ٣ - فى بيان أن الله لا يساوى بين المحسن والمسيئ ٥٩
 ٤ - بين العقل الطبيعى والمكتسب ٥٩
 ٥ - بالعقل وحده يكون الإدراك ٦٠
 ٦ - رد مقالة المجبر بالقسر والجبر على الإيمان أو الكفر ٦٠
 ٧ - معرفة الانبياء اكبر ٦١
 ٨ - التدليل على أن معرفة الانبياء اكبر ٦١
 ٩ - حول موقف الخوارج من أمير المؤمنين فى صفين ٦٢
 ١٠ - هل علم ﷺ جميع صحابته بدرجة واحدة ؟ ٦٥
 ١١ - لم كان على أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه ، ﷺ ٦٥

- ٤- المسألة الرابعة : حول الاستطاعة والفعل نص كلام المجبر ، ٦٩
 ١ - فى تعريف الاستطاعة ٧٠
 ٢ - الاستطاعة ليست قبل الفعل عند المجبرة ٧٢
 ٣ - لا تكليف إلا فى حالة الاستطاعة ٧٣
 ٤ - لا يكون الانسان مؤمناً كافراً فى حال واحدة ٧٣
 ٥ - جواب الناصر : من المكلف شرعاً ٧٥
 ٦ - هل يقضى الله ويقدر ويشاء فعلنا ؟ ٧٧
 ٧ - إن الله لا يجبر أحداً مؤمناً كان أو كافراً ٧٨

- ٧٨ ٨ - الرد على متشابه المجبرة بمحكم القرآن
- ٧٩ ٩ - دور اللغة في تاويل المتشابه
- ٨١ ١٠ - تابع رد أحمد في الاستطاعة
- ٨١ ١١ - إرادة الله ورسوله في الاصل الإيمان
- ٨٢ ١٢ - ما أراد إبليس من الكفار
- ٨٢ ١٣ - هل يصنع الكذب من ليس بكاذب
- ٨٣ ١٤ - تفرق المجبرة بين من يصنع الشيء في نفسه ومن يصنعه في غيره؟
- ١٥ - الله أعدل وأحكم من أن يوقع في قلب أحد كفراً أو إلحاداً أو تشبيهاً
- ٨٤ ١٦ - رد دعاوى المجبرة في الاستطاعة
- ٨٦ ١٧ - جواب الناصر أحمد بن يحيى
- ٨٨ ١٨ - مثال يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل
- ٨٩ ١٩ - ومثال آخر
- ٨٩ ٢٠ - ومثال ثالث
- ٩٠ ٢١ - ومثال رابع
- ٩١ ٢٢ - يسمع المجبرة ضعيف الأصوات ولا يسمعون الرعد
- ٩١ ٢٣ - ولا يرون الجبال ويدعون رؤية الذر
- ٩٢ ٢٤ - حول الاستطاعة الإنسانية وعلم الله
- ٩٣ ٢٥ - مثال على أنهم يستطيعون الإيمان ولا يفعلونه
- ٩٤ ٢٦ - مثال آخر على الاستطاعة للحج وعدم فعله
- ٩٥ ٢٧ - مثال ثالث على العتق
- ٩٥ ٢٨ - مثال رابع استطاعة المنافقين الخروج ولم يخرجوا
- ٩٦ ٢٩ - الدليل القرآني على أن الاستطاعة قبل الفعل
- ٩٧ ٣٠ - الاستدلال من جهة القياس أن الاستطاعة قبل الفعل

- ٣١- يستطيع الشئ من لا يفعله ٩٧
- ٣٢- يستطيع الكفار الإيمان في حال كفرهم ٩٨
- ٣٣- كيف فرق المجبرة بين المقعد والكافر ٩٩
- ٣٤- يؤمن الكافر بعد كفره باستطاعته الإيمان ٩٩
- ٣٥- الاستطاعة تجوز للكفر أو الإيمان ٩٩
- ٣٦- مثال على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الرامى والسهم) ١٠٠
- ٣٧- أدلة أخرى على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الحركة والسكون) ١٠١
- ٣٨- الله ليس كمثله شئ فلا تجرى عليه الحركة أو السكون ١٠١
- ٣٩- مثال من القرآن الكريم على أن الاستطاعة قبل الفعل ١٠٢
- ٤٠- ضرورة النظر في معرفة الخالق ١٠٣
- ٤١- ما تلزم مقالة المجبرة ١٠٣
- ٤٢- ضرورة طاعة الأئمة ومودة ذوى القربى ١٠٤
- ٤٣- أصول العدل والتوحيد ١٠٤

- ٥- المسألة الخامسة : مقالة المجبرة في القضاء والرد عليهم ١٠٥
- ١- رد أحمد بن يحيى : معانى القضاء في القرآن الكريم ١٠٦
- ٢- علم الله لم يدخلهم في معصيته ١٠٧
- ٣- علم الله كاشف ١٠٧
- ٤- افترض على عباده الخروج من معاصيه لا من علمه ١٠٨
- ٥- القول بالعدل هنا فساد لحكم الله عند المجبرة ١٠٨
- ٦- تقول المجبرة : إن الله يعذب العباد على ما علم لا على ما عملوا ١٠٩
- ٧- مثال من تزوج اخته وأنجب منها وهو لا يعلم ١٠٩
- ٨- مثال الزانى المحتج بعلم الله ١١٠
- ٩- لا يجوز لأحد أن يحتج بعلم الله ١١١

- ١٠ - علم الله محيط بالخلائق كإحاطة السموات والأرض بهم ١١٢
- ١١ - الفيصل هو كتاب الله ١١٣

- ٦ - المسألة السادسة الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند الجبرة : ١١٥
- ١ - رد أحمد وهو يدور حول حرية الاختيار ١١٥
- ٢ - جواب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ت ٣٩٨ ١١٥
- ٣ - الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية ١١٦
- ٤ - إن الله لم يطع كرها ولم يعص مغلوباً ١١٦
- ٥ - في الآجال ١١٧
- ٦ - مثال بمن قتل الحسين ، عليه السلام ، وقتل عبيد الله بن زياد ١١٧
- ٧ - منع الله فرعون من قتل موسى وأقدر قاتل يحيى ! ١١٨
- ٨ - لم يخلق الله أفعال العباد ١١٩
- ٩ - مناظرة بين أبي الهذيل وحفص الفرد ١٢٠
- ١٠ - الآجال غير محتومة ١٢١
- ١١ - مثال آخر بتأخير العذاب على قوم يونس ١٢٢

٧ - المسألة السابعة : الجبرة والجدل حول مدى تأثير علم الله في الاستطاعة مع

- الفعل والقضاء والقدور : ١٢٣
- ١ - الرد على الجبرة ١٢٤
- ٢ - الجهاد فريضة على كل مسلم ١٢٤
- ٣ - كلام الجبرة يبطل الدين رسالة وتكليفاً ١٢٥
- ٤ - نقض نظرية الكسب ١٢٦
- ٥ - نقض فكرة الفعل بين فاعلين ١٢٦
- ٦ - تفسير أحمد لقوله تعالى : ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم... ﴾ ١٢٧

- ٧ - فى نفى الجور والظلم عن الله ، عز وجل ١٢٨
- ٨ - هل من علم الله منه أنه لا يؤمن بكره منه الإيمان؟ ١٢٩
- ٩ - فى إثبات الحجة ونفى العبث عن الله ، تعالى ١٣٠
- ١٠ - علم منهم أنهم لا يؤمنون مع علمه قدرتهم على الإيمان كذلك ١٣١
- ١١ - على العباد إنفاذ ما أمر بترك ما علم ١٣١
- ١٢ - المجبرة تعذر المنافقين ١٣٢
- ١٣ - كان للمنافقين استطاعة مالية وبدنية ١٣٢
- ١٤ - من كان له مال استطاع الخروج ١٣٣
- ١٥ - الاستطاعة فى الآية الطول قبل النكاح ١٣٣



- ٨ - المسألة الثامنة : إن الله قدر معاصى البشر عند المجبرة ، ١٣٥
- ١ - رد أحمد بن يحيى وبيان معنى القدر المعلوم ١٣٥
- ٢ - هل خلق الله فعل فرعون ١٩ ١٣٦
- ٣ - جعل المجبرة فرعون مع الصادقين ١١ ١٣٦
- ٤ - العدل الذى خلقه الله شئ واحد ١٣
- ٥ - تزعم المجبرة إرادة الله للمعاصى ١٣٨
- ٦ - استدل المجبرة بآية الزخرف / ٣٣ ١٣٩
- ٧ - جواب أحمد الناصر ١٤٠
- ٨ - هل أراد الله قوماً مؤمنين وقوماً كافرين ١٩ ١٤٠
- ٩ - التفسير الصحيح للآية : أراد الله أن يخبرهم ١٤١
- ١٠ - فى نص كلام المجبر الرد على حججه ١٤٢
- ١١ - لا يحتاج الله لرشوة عباده حتى يؤمنوا ١٤٢
- ١٢ - ترى المجبرة أن الله لا يريد إيمان الناس جميعاً ولا كفرهم جميعاً ١٤٣
- ١٣ - إرسال الرسل عند المجبرة شكلى وغير حقيقى ١٤٥

- ١٤٥ - ١٤ - لا إكراه في الدين
- ١٤٦ - ١٥ - قصد الله قتال المشركين
- ١٤٧ - ١٦ - براءة الله من فعل الكافرين
- ١٤٨ - ١٧ - احتجاج المجبر بقوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾
- ١٤٩ - ١٨ - جواب أحمد
- ١٤٩ - ١٩ - اللغة العربية تعرف التخيير بشرط
- ١٥١ - ٢٠ - صفات الاختيار الذي لا تبعة عليه
- ١٥١ - ٢١ - عرف العرب أن التكليف لا يكون إلا قدر الوسع
- ١٥٢ - ٢٢ - جملة مقالة العدلية
- ١٥٣ - ٢٣ - مفتاح سورة الكهف حجة على المجبرة
- ١٥٤ - ٢٤ - ما كان بعضه باطلاً لزم بطلان جميعه
- ١٥٥ - ٢٥ - بم تقوم الحجة ؟
- ١٥٥ - ٢٦ - إقرار الكفار بأن معاصيهم كانت منهم
- ١٥٥ - ٢٧ - مقالة المجبرة في تخيير النبي في أزواجه
- ١٥٥ - ٢٨ - هو تخيير بلا شرط
- ١٥٧ - ٢٩ - أهلك المجبر نفسه ومن معه

- ١٥٩ - ٩ - المسألة التاسعة، الله يجب كون المعصية عند المجبرة :
- ١٥٩ - ١ - رد أحمد بن يحيى
- ١٦٠ - ٢ - الفعل بين إرادة الله وإرادة إبليس
- ١٦٠ - ٣ - إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس
- ١٦٢ - ٤ - حمزة شهيد بعد قتله
- ١٦٥ - ٥ - الفرق بين الأولياء والأعداء هو أن إرادة الله مع أوليائه
- ١٦٦ - ٦ - أدلة المجبرة متهافة

- ٧ - فى فضائل آل البيت ١٦٧
- ٨ - لا يعطى الله المعجزات للكذابين ١٦٨
- ٩ - المغزى من كتاب المجبر عبد الله بن يزيد ١٦٩
- ١٠ - احتج المجبر بقول الله : ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ ١٦٩
- ١١ - رد الإمام أحمد بن يحيى ١٧٠
- ١٢ - جعل التسمية أراد لا جعل الجبر ١٧١
- ١٣ - أقسام الجعل فى كتاب الله ١٧٣
- ١٤ - جعل الحكم والتسمية ١٧٣
- ١٥ - جعل الجبر والقسر والحتم ١٧٣
- ١٦ - مقالة المشبهة والمجبرة فى الحقيقة الواحدة ١٧٣
- ١٧ - الكسب يدل على الشرك ١٧٦
- ١٨ - تفسير النسيان فى الآية ١٧٩
- ١٩ - قسى الله قلوبهم بما نقضوا من الميثاق ١٧٩
- ٢٠ - المجبرة والطبع ١٨٠
- ٢١ - نفى العدلية أن يكون طبع قسر وقهر ١٨٠
- ٢٢ - هو طبع حكم وتسمية ١٨١

- ١٠- المسألة العاشرة : الله يكلف ما فوق الطاقة عند المجبرة : ١٨٣
- ١ - رد أحمد بن يحيى ١٨٣
- ٢ - نقض مقالة المجبرة عقلاً ونصاً ١٨٤
- ٣ - نقد المجبرة عقلاً ولغة ١٨٥
- ٤ - نقد المجبرة فى مقالتهم بأن الله يكلف عباده ما لا يطيقون ١٨٦
- ٥ - فضل أهل العدل ١٨٧
- ٦ - حد الظلم ١٨٩

٧ - تفسير دعاء الملائكة للمؤمنين ١٨٩

٨ - دليل آخر على أن الله لا يكلف شيئاً فوق الطاقة ١٩٠

١١ - المسألة الحادية عشر: ترى المجبرة أن الله يفضل عباده: ١٩٥

١ - وجوب الاجتهاد وطلب العلم وسؤال العلماء ١٩٥

٢ - نقد المجبرة للمشبهة ١٩٨

٣ - وكما أخطأت المجبرة أخطاتم ١٩٩

٤ - احتجت المجبرة بقوله : ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾ ٢٠١

٥ - إرادة إبليس أمضى من إرادة الله عند المجبرة ٢٠١

٦ - رد أحمد بن يحيى ٢٠٢

٧ - النهى عن اقتطاع بعض الآية والاستشهاد بها ، وأن المتشابه يرد إلى

المحكم ٢٠٣

٨ - معانى الفتنة فى القرآن الكريم ٢٠٦

٩ - الإمام أحمد يسأل المجبر ٢١٢

١٠ - ماذا أراد إبليس من الكفار ؟ ٢١٣

١١ - هذه الآية من أحكام الآخرة ٢١٤

١٢ - المجبرة ونفى الدهر ٢١٥

١٣ - احتج المجبر بقوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ ٢١٦

١٤ - رد أحمد بن يحيى ٢١٧

١٥ - إرادة الخلق : إرادة قاهرة نافذة ٢١٧

١٦ - إرادة الامر ٢١٨

١٧ - إرادة النهى ٢١٩

١٨ - إرادة بيان وهدى ٢١٩

١٩ - احتج المجبر بقوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ ٢٢١

- ٢٠- جواب أحمد ٢٢٢
- ٢١- أعطى الله الدين للجميع ٢٢٣
- ٢٢- الهدى هو الدعاء ٢٢٤
- ٢٣- يعذر المجبرة المشركين بأن كفرهم كان تجهيلاً من الله لهم به ٢٢٧
- ٢٤- كان للكفار علم ٢٢٩
- ٢٥- واختاروا الكفر ٢٢٩
- ٢٦- لا توبة عند حضور الموت وانكشاف العذاب ٢٣٠
- ٢٧- حرية الاختيار مقررة عقلاً ونقلاً ٢٣٢
- ٢٨- ما يلزم المجبرة إن كانوا مجبورين على الإيمان ٢٣٣
- ٢٩- عرّف الله المشركين توحيده ٢٣٥

- ١٢- المسألة الثانية عشرة: هل جبر الله خلقه على عبادته ومعصيته: ٢٤١
- ١- رد أحمد بن يحيى ٢٤١
- ٢- خلق الله العباد مخيرين فلا يجبرون على طاعة ولا معصية ٢٤٢
- ٣- نقد المجبر في أن الله خلق بعض عباده للنار على غير وجه الجبر! ٢٤٤
- ٤- المجبر يرى أن المعصية من الله ٢٤٥
- ٥- رد أحمد بن يحيى : معنى الإملاء ٢٤٦
- ٦- في نقد القرامطة ٢٤٧
- ٧- الإملاء بين الله وإبليس ٢٤٨
- ٨- كانت هداية الله للخلق أجمعين ٢٤٩
- ٩- ما يلزم المجبرة إن قالوا بإملاء إبليس لبنى آدم ٢٥٠
- ١٠- أدلة أخرى في الإملاء ٢٥٢
- ١١- جهل المجبرة باللغة العربية ٢٥٣
- ١٢- ترى المجبرة أن الكافرين كفروا بمن الله! ٢٦٠

- ٢٦٠ - ١٣- رد أحمد بن يحيى
- ٢٦١ - ١٤- هذه أسالة دسياسة زنديق
- ٢٦٦ - ١٥- مثال آخر
- ٢٦٩ - ١٦- الحواس ابتلاء من الله ١١
- ٢٧٠ - ١٧- بل هي منة
- ٢٧٢ - ١٨- أمر الله بصون الجوارح

- ٢٧٥ - ١٣- المسألة الثالثة عشرة: الرزق:
- ٢٧٥ ١ - يرزق الله الحرام
- ٢٧٦ ٢ - رد أحمد : هذا افتراء
- ٢٧٦ ٣ - الرزق هو الحلال الطيب
- ٢٧٩ ٤ - الله لا يرزق الحرام
- ٢٨٢ ٥ - شرع من كان قبلنا وذكر في القرآن هو شرع لنا

- ٢٨٥ - ١٤- المسألة الرابعة عشرة: في أطفال المسلمين والمشركين:
- ٢٨٥ ١ - مذهب المجبرة
- ٢٨٧ ٢ - وتوقف المجبرة في أطفال المشركين
- ٢٨٨ ٣ - تناقض المجبرة
- ٢٩٠ ٤ - رحمة الله بأولاد الزنا
- ٢٩٣ ٥ - اتباع الكتاب والسنة

- ٢٩٥ - ١٥- المسألة الخامسة عشرة: خلق الله الكفر والإيمان عند المجبرة:
- ٢٩٥ ١ - في الجمل
- ٢٩٦ ٢ - في الاسم والمسمى عند المجبرة

- ٣ - رد أحمد ٢٩٧
 ٤ - معانى الجمل فى القرآن ٢٩٧
 ٥ - لم يخلق الله باطلاً أبداً ٣٠٨
 ٦ - الاسم والمسمى عند العدلية ٣١١

- ١٦ - المسألة السادسة عشرة، المجبرة، الله جعل الكفر والإيمان، ٣١٧
 ١ - رد أحمد بن يحيى ٣١٧
 ٢ - شواهد القرآن على براءة الله من فعل عباده ٣١٨
 ٣ - هل يجازى الله العباد على فعله هو؟ ٣٢١
 ٤ - فى نقد أصحاب الحديث ٣٢١

- ١٧ - المسألة السابعة عشرة، ٣٢٣
 ١ - فى التحسين والتقبيح ٣٢٣
 ٢ - رد أحمد بن يحيى : قدرة العباد على الفعل اختياراً ٣٢٣
 ٣ - تعريف الحسن والقبيح ٣٢٤
 ٤ - فى الاسم والمسمى ٣٢٦
 ٥ - رد أحمد بن يحيى ٣٢٧
 ٦ - فى اللطف والعون ٣٢١
 ٧ - رد أحمد بن يحيى : العون الإلهى تفضل الله على عباده ٣٣٣
 ٨ - الحجة على أن الله لم يرد الكفر من الكافرين ٣٣٤
 ٩ - فى تفسير التيسير فى قوله : ﴿ثم السبيل يسره﴾ ٣٣٥

- ١٨ - المسألة الثامنة عشرة، خلق الأفعال بين الله والناس ٣٣٩
 ١ - خلق الأفعال : أصولها وما يتولد منها ٣٣٩

- ٢ - بين فعل المستقل وفعل المشارك رد أحمد بن يحيى : ٣٣٩
- ٣ - هل خلق الله اختلاف الألسنة ؟ ٣٤١
- ٤ - هل خلق الله السراويل والأكنان ؟ ٣٤٢
- ٥ - المجبرة : خلق الله أعمال العباد وما فعلته أيديهم ٣٤٥
- ٦ - رد أحمد بن يحيى ٣٤٦
- ٧ - الحجة على أن الاستطاعة قبل الفعل ٣٥٠
- ٨ - عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد ٣٥٨
- ٩ - نقد المجبرة في أن الله غير خلق العباد في الكفر والإيمان ٣٦٢
- ١٠ - الفرق بين الأسماء الحسنى والقبیحة خلقاً ٣٦٤
- ١١ - رد أحمد بن يحيى ٣٦٦
- ١٢ - في القدرة والمشيئة وتعلقها بالعلم ٣٦٧
- ١٣ - حقيقة فهم المجبرة للعلم الإلهي ٣٦٩
- ١٤ - هل يشاء الله أن يفعل ما لا يجوز ٣٧٠
- ١٥ - أدلة أخرى في الاستطاعة ٣٧٣
- ١٦ - الاستطاعة مع الفعل عند المجبرة ٣٥
- ١٧ - رد أحمد بن يحيى ٣٧٥
- ١٨ - هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان في وقت واحد ؟ ٣٧٦
- ١٩ - مفالة العباد بين الحقيقة والافتراء ٣٨٣
- ٢٠ - هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها ٣٨٣
- ٢١ - هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة ؟ ٣٨٥
- ٢٢ - تابع : هل مخلق الله الكفر والزنا ؟ ٣٨٥
- ٢٣ - الخلاصة في قضية خلق الأفعال ٣٨٥

١٩- المسألة التاسعة عشرة : دور اللغة في فهم العقيدة :

- ١ - في تفسير قوله : ﴿ خالق كل شيء ﴾ ٣٨٩
- ٢ - من المجاز اللغوي ٣٩٠
- ٣ - تعميم الخاص في اللغة ٣٩٠
- ٤ - مثال : مفهوم النفس بين الله والإنسان ٣٩١
- ٥ - ﴿ وقالوا لجلودهم لما شهدتهم علينا؟! ﴾ ٣٩١
- ٦ - براءة يوسف من جهالات المجبرة ٣٩٤
- ٧ - الصرفة ٣٩٤
- ٨ - التكليف قدر الطاقة ٣٩٥
- ٩ - رد أحمد بن يحيى ٣٩٦
- ١٠ - مقالة الامم على رسلهم في ضوء المفهوم الجبرى ٣٩٨
- ١١ - لم أخطأ المجبرة ؟ ٤٠٠
- ١٢ - أهمية المنهج اللغوي في فهم القرآن الكريم ٤٠٠
- ١٣ - الحقيقة والمجاز ٤٠١
- ١٤ - تاويل آيات الصفات الخبرية ٤٠١
- ١٥ - في التكليف وشرائطه ٤٠٢
- ١٦ - الكلمة (عيسى) بين مراد الله منها ومقالة الكفار ٤٠٤
- ١٧ - ﴿ ما سلككم في سقر؟! ﴾ ٤٠٥
- ١٨ - مثال لرجل لا قدره له ٤٠٦
- ١٩ - مثال له عند القدرة ٤٠٧
- ٢٠ - احتج المجبر بقوله : ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ ٤٠٨
- ٢١ - رد أحمد بن يحيى ٤٠٨
- ٢٢ - السمع في الآخرة بين الحقيقة والمجاز ٤١١
- ٢٣ - العقد بعد انتهاء العدة ٤١٤

- ٤١٤ - ٢٤- قصة ابني آدم
- ٤١٦ - ٢٥- أمر الله بالحجاب
- ٤١٦ - ٢٦- الصبر عند اللقاء وعدم الإدبار
- ٤١٨ - ٢٧- الراسخون في العلم والتأويل
- ٤١٨ - ٢٨- العلم في آل بيت رسول الله
- ٤١٩ - ٢٩- وصية الإمام بنشر الكتاب

- ٤٢١ - الفهارس
- ٤٢٣ ١ - فهرس آيات القرآن الكريم
- ٤٥١ ٢ - فهرس الأحاديث
- ٤٥٣ ٣ - فهرس الآثار والأمثال
- ٤٥٥ ٤ - فهرس الأماكن
- ٤٥٧ ٥ - فهرس الأيام
- ٤٥٩ ٦ - فهرس الأشعار
- ٤٦١ ٧ - فهرس الأعلام
- ٤٦٧ ٨ - فهرس المذاهب والفرق والطوائف والقبائل
- ٤٧٣ ٩ - فهرس الموضوعات التفصيلي
- ٤٨٩ * التعريف بالمحقق ومؤلفاته

التعريف بالمؤلف

الاسم : إمام حنفى سيد عبد الله

مواليد : القاهرة ٢ / ٩ / ١٩٦٢

- خريج : كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٤ .
- حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية ١٩٩٧ .
- كما حصل على دبلوم الخطوط العربية ١٩٩٠ .
- بالإضافة إلى دبلوم عام فى التربية ١٩٩٦ .
- وكذلك دبلوم خاص فى التربية ١٩٩٧ .
- هذا بالإضافة إلى دورات عديدة فى تحقيق التراث ، والقراءات ، وتعليم وتوجيه اللغة العربية والتربية الإسلامية .

- العمل :** - عمل المؤلف فى حقل التربية والتعليم مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية منذ وقت مبكر وحصل على العديد من شهادات التفوق والتقدير فى هذا المجال من مصر والكويت والسعودية .
- كما عمل المؤلف فى حقل تحقيق التراث والمراجعة العلمية ، وشارك فى إصدار العديد من الموسوعات الفقهية واللغوية ، من ذلك على سبيل المثال المغنى لابن قدامة طبعة «هجر» والطبقات الكبرى فى رجال الشافعية للسبكي .
 - للمؤلف إنتاج علمى وأدبى يعتز به ، حاز به إعجاب وتقدير العديد من الأساتذة المتخصصين

أولاً الدراسات :

- ١ - الآراء الكلامية والصوفية للقشيري « رسالة ماجستير غير منشورة » ..
- ٢ - عقيدة التنزيه عند المسلمين .
- ٣ - نقد المسلمين للثنوية والمجوس .
- ٤ - الإمامة عند المسلمين .
- ٥ - دراسة في التحسين والتقبيح .
- ٦ - دراسة في موقف الزيدية من الصحابة .
- ٧ - مقدمة في الجهاد .
- ٨ - الخوارج طليعه التكفير في الإسلام .
- ٩ - إبليس في التصور الإسلامي بين الحقيقة والوهم .

ثانياً الأعمال المحققة :

* أعمال يحيى بن حمزة العلوي ت ٧٤٩ هـ

- ١٠ - الرائق في تنزيه الخالق .
- ١١ - الجواب الناطق بالصواب القاطع لعري الشك والارتباب .
- ١٢ - الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه .
- ١٣ - الدعوة العامة .
- ١٤ - عقد اللآلى في الرد على أبي حامد الغزالي .
- ١٥ - الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد .
- ١٦ - الوصايا .
- ١٧ - خواتم الحكم « لعلى دده » .

* أعمال القاسم بن إبراهيم الرسى ت ٢٤٦ هـ

- ١٨ - الدليل الكبير في الرد على الزنادقة والملحدون .

١٩- الرد على الملحد ومناظرته .

٢٠- الرد على النصارى .

٢١- الرد على الرد على الرافضة .

٢٢- المسترشد .

٢٣- الرد على ابن المقفع .

* أعمال أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ

٢٤- النجاة .

٢٥- مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين .

٢٦- الرد على الإباضية .

٢٧- الخلاصة النافعة . لأحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٦ هـ

* أعمال غير مطبوعة وتصدر قريباً :

٢٨- مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم » » » » »

٢٩- الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة الكاسفة

لعبد الله بن على الهادى إلى الحق

٣٠- التعليم عن بعد - مفهومه وآثاره فى التربية الرسمية

بحث حصل على امتياز فى مناهج التربية - غير منشور

بمعهد الدراسات التربوية ١٩٩٧

٣١- المعجز للقسام العياني ت ٤٠٤ هـ .

* دواوين شعرية .

٣٢- أحلم بالقدس .

٣٣- بغداد صبراً .

٣٤- الأميرة التى سكنت بقلبي .

٣٥- ووقعت ببئر الأحزان .

